

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر - 2 - أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

مظاهر الزندقة في المغرب والأندلس وآثارها السياسية  
من القرن 1 هـ إلى القرن 7 هـ / 7 م إلى 13 م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذة الدكتورة :

نشيدة رافعي

إعداد الطالب :

طارق بن زاوي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
أ. د عبد العزيز بوكنة	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
أ. د نشيدة رافعي	أستاذة التعليم العالي	مشرفاً و مقرراً	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
د. نور الدين غرداوي	أستاذ محاضر - أ -	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
د. الحاج العيفة	أستاذ محاضر - أ -	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
أ. د خالد كبير علال	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -
د. عبد القادر بوعقادة	أستاذ محاضر - أ -	عضوا مناقشا	جامعة البليدة 2

السنة الجامعية 1439 هـ / 2017 - 2018 م

والله

إلى المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأخص بالذكر إخواننا في  
فلسطين والعراق وماينمار .

إلى جميع أفراد أسرتي الصغيرة والكبيرة كلهم .

إلى الذين يقتسمون ميراث الأنبياء ، إلى الذين يتقربون إلى الله بحب الصحابة والأتقياء ، إلى  
الذين يقتفون آثار العلماء ، إلى أهل العلم وطلبة المدارس في العلوم كلها خاصة التاريخ .  
إلى كل هؤلاء ، أهدي هذا العمل المتواضع .

## شكر

أولاً من يجب أن يحمد ويشكر الله عز وجل ، فهو الكريم المثلّاه المتفضل علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فله الحمد أولاً وآخراً .

ثم ينبغي علينا أن نشكر بعد الله تعالى أساتذتنا الفاضلة المشرفة الأستاذة الدكتورة رافعي التي قبلت الإشراف عليّ أولاً ثم تكرمت عليّ ثانياً وساعدتني في تحديد وضبط عنوان هذه المذكرة ، وكانت نعم التوجيه والمرشد طيلة مرحلة البحث من بداية إلى نهاية ، وذلك بفضل توجيهاتها ونصائحها القيّمة ، فبارك الله في علمها وحفظها من كل سوء .

وأخيراً أشكر كل من كانت له يد عليّ في دراستي وتعليمي ، منذ أن وطأت قدماي المدرسة الأولى مرة وصولاً إلى المرحلة الجامعية ، فاللهم اجزهم عني خيراً الجزاء .

مَقَرَّة

## مقدمة :

لقد ظهر الإسلام في بيئة و ثنية مشرّكة ، و في عصر عدّ مّ فيه الشرك بالله و اندرست فيه معالم التوحيد ، و تفرّق أهل الكتاب الذين بُعث فيهم الرسل و الأنبياء تـترا بعد أن غيـّروا دينهم و بدّلوه و حرّفوا كتبهم و اختلفوا حولها اختلافا كثيرا ، فبعث الله محمدا صلّى الله عليه و سلم ليحيي في نفوس العباد معاني التوحيد الحقيقية ، فأرشدهم إلى إلههم الذي يعبدون و إلى رسولهم الذي به يقتدون ، و مع توسع الرقعة الإسلامية و امتزاج المسلمين بالفرس و الروم و غيرهما من الشعوب بدأت تظهر تأثيرات ذلك واضحة على الإسلام خاصة على الجانب العقائدي ، فبعد أن كان الخلاف سياسيا بالدرجة الأولى تطورت الأمور في نهايـة القرن الأول و بداية القرن الثاني الهجريين ، فقد استمر الصراع و النزاع حول الخلافة بين المسلمين ، و لم يلبث أن بدأ الخلاف حول أصول الاعتقاد يشتدّ و يتطور ، فظهرت الجهمية و المعتزلة إلى جانب الخوارج و الشيعة ، و عُقدت المجالس و المناظرات و أُلّفَت الكتب لنصرة هـذا الرأي أو ذاك و للردّ على المخالف و إبطال أقواله ، فافترقت الأمة الإسلامية إلى فرق و جماعات و أحزاب كثيرة ، و لعلّ من أخطر ما ظهر في هذه المرحلة ما اصطلاح على تسميتهـا بالزندقة ، و هذا اللفظ يوحي بالبعد عن الدين لمن رُمي به بحق أو بباطل ، و هذا ما درجت عليه أفهامنا و مداركنا ، فحرّي بنـا أن نهتمّ بهذا الموضوع الخطير الذي يتعلق بديننا و عقيدتنا ، و الذي في الوقت ذاته شغل حيّزا كبيرا من تراثنا و ثقافتنا .

## أهمية الموضوع :

إنّ الحديث عن الزندقة على جانب كبير من الأهمية خاصة في بلاد المغرب و من المعلوم أنّها شملت كل مناطق العالم الإسلامي ، فإذا كان الباحث في تاريخها في المشرق الإسلامي يجد صعوبات جمّة ، فإنّ الصعوبة تزداد و تشتد بالنسبة للباحث في هذا الموضوع في المغرب الإسلامي في ظل غياب شبه تام لمصادر الزنادقة ، أمّا كتابات غيرهم عنهم فإشاراتهم عن الموضوع تكاد تكون إشارات عامة عابرة لاسيما في الكتب و المؤلفات التاريخية العامـة أو كتب التراجـم و الطبقات ، و الدراسات الحديثة العلمية تكاد تكون منعدمة في الجامعة الجزائرية حول هذا الموضوع المهم ، و هذا ما يدفع الباحث إلى تقليب و تصفّح كل الكتب على اختلاف مواضيعها و التي تتناول تاريخ المنطقة لعلّه يعثر على معلومة هنا أو هناك تساعده في الإجابة على إحدى إشكاليات الموضوع الرئيسية ، و الوصول إلى إظهار بعض الحوادث التاريخية التي ظلت مدفونة في باطن هذه المؤلفات التاريخية المختلفة .

## الإشكالية :

جاءت هذه الأطروحة لمعالجة موضوع الزندقة في بلاد المغرب و الأندلس و قد وسمتها بـ "  
مظاهر الزندقة في المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م  
إلى 13م " .

و الإشكالية الرئيسية المطروحة لدراسة هذا الموضوع هي : ما هي أهم مظاهر الزندقة التي  
عرفتها بلاد المغرب و الأندلس ؟ و ما هي أهم آثارها السياسية خلال المرحلة الممتدة من الفتح  
الإسلامي خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلى عهد الدولة الموحدية خلال القرن  
السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ؟

و تتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية إشكاليات فرعية و هي :

ما هو مفهوم الزندقة و كيف عرفها علماء المسلمين على اختلاف مدارسهم العقائدية و الفكرية ؟  
و ما هي أسباب ظهور الزنادقة و ما هي أساليبهم و أهدافهم ؟ و هل حقا كان مدعو النبوة  
و المهدوية في بلاد المغرب و الأندلس صادقين في دعواهم ؟ و هل ركن الحكام و السلاطين إلى  
المنجمين و آمنوا بأحكامهم المدعية معرفة الغيب ؟ و هل جاهر الزنادقة بآرائهم و معتقداتهم ؟  
و كيف كان ردّ فعل السلطة و الفقهاء على هؤلاء الزنادقة ؟ و هل كل من يخالف المذهب السائد  
في هذه البلاد يصح اتهامه بالزندقة ؟ و هل كان استحلال المحرمات ظاهرة شائعة في المنطقة ؟ و هل  
مارس المسلمون المغاربة و الأندلسيون السحر و آمنوا بما يقوم به السحرة و المشعوذون ؟ و هل  
انتشرت الخرافة و الأسطورة في المغرب و الأندلس ؟

## أسباب اختيار الموضوع :

و حول دوافع اختياري هذا الموضوع أقول ابتداءً إنّ اختيار موضوع بحث ليكون عنوان  
مذكرة أطروحة شهادة الدكتوراة أصبح من العسير جدا في ظل كثرة الدراسات الحديثة محليا و دوليا  
التي أحاطت بمختلف جوانب التاريخ الإسلامي مغربا و مشرقا ، و لكن لا ينبغي أن نضيّق واسعاً  
و لا نغلق باباً ، فالدراسات التاريخية تتجاوزها الأفكار و تختلف حولها الآراء و كلّ ينظر إليها من  
زاوية معينة ، و موضوع الزندقة من أوضح الأمثلة على هذا ، لذلك عقدت العزم على خوض غماره  
و سبر أغواره و كشف خباياه ، و قد يختلف معي الكثير في طريقة طرحه و معالجته و هذا أمر  
طبيعي لا مفر منه و لا دافع له ، و المهم أن يكون الطرح مدعماً بالأدلة العلمية المنقولة من مظاهرها ،

و هذا ما حاولت أن أجتهد فيه قدر المستطاع باذلا في ذلك جهدي ممعنا فيه ببصيرتي وازنا كل ذلك بميزان الموضوعية التي تعتبر الحكم الفصل الذي يرفع من قيمة أي عمل أو يحطه .

- حيي الكبير للتاريخ الإسلامي بصفة عامة و كل ما يتعلق به ، إذ هو أحد مكونات هويتي الأساسية ، و هو أيضا من العلوم التي حثّ عليها الشارع الحكيم ، ولا يزال علماء الإسلام يكتبون في التاريخ و لا يفصلونه عن علوم الشريعة ، و نحن اليوم في زمن التخصص ، فإذا كنّا بعيدين عن الكتابة في التفسير و العقيدة و الفقه و غيرها من العلوم النقلية ، فلن نكون عاجزين بإذن الله عن الكتابة في التاريخ و في كل خير بإذن الله تعالى .

- البحث في تاريخ الإنحرافات العقائدية التي عرفتها بلاد المغرب و الأندلس لا سيما ادّعاء النبوة و المهدوية و ظهور مجموعة من الباحثين الأكاديميين المعاصرين تحاول الدفاع عن هذه الإنحرافات و تبريرها أحيانا و نفيها أحيانا أخرى ، الأمر الذي دفعني إلى بسط القول في هذه المواضيع .

- محاولة تتبع تاريخ بعض الممارسات الاجتماعية المنحرفة و علاقة المجتمع المسلم بها حكاما و محكومين ، كالتنجيم و الكهانة و السحر و الشعوذة و الخرافات و الأساطير .

- محاولة الإمام بالأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة خلال عهدها الإسلامي ، و قد يعترض معترض فيقول إنّ المواضيع السياسية دُرست في أغلبها ، فأقول هذا قول صحيح لكنّ كثيرا من الجزئيات لم تنل حقها من الدراسة بعد ، كما أنّ معالجة الأحداث السياسية تختلف من باحث إلى آخر ، و ما على الباحث الحاذق إلا أن يترك بصماته واضحة فيما يكتب و لا يكون إمعة يحسن إذا أحسن الناس و ينسخ ما كتبوا ، بل يوطن نفسه فيحسن إن أحسنوا و يفصل ما أجملوا و يستدرك ما تركوا .

- فهم و إدراك حقيقة الصراع بين طوائف أهل القبلة ، خاصة و أنّه صراع مرير لا يزال قائما إلى حد الساعة ، و بلاد المغرب كانت إحدى الحلقات الرئيسة في العالم الإسلامي التي شهدت منازلات عنيفة بين معتنقي المذاهب المختلفة .

- رغبتى الملّحة في دراسة تاريخ الفرق و المذاهب الإسلامية و هذا الموضوع جعلني أسلّط الضوء على مراحل تاريخية هامة لمختلف هذه الفرق في بلاد المغرب و الأندلس .

- محاولة تتبع آراء بعض الكتاب المحدثين من المدافعين عن الباطنية و فرقها الموجهين سهام نقدهم إلى مؤرخي الإسلام بصفة عامة حيث اتهموهم بالوضع و الدسّ في الأخبار و الروايات خدمة للحكام و الأمراء ، ذاكرين أنّ غاية واضعي التاريخ الإسلامي في تلك العصور المضطربة كانت تهدف إلى إرضاء من بيدهم الصولجان و السلطان السياسي و الديني من ملوك و أمراء و فقهاء عُرفوا

بجمودهم و ضعف تفكيرهم ، مضيفين أنّه ممّا لا شك فيه أنّ الخوف من السيوف الحادة المسلطة على الرقاب جعل هؤلاء يخضعون مضطرين إلى تشويه تاريخ كل حركة أو فرقة غير موالية لنظام الحكم السياسي القائم ، ناسبين إليها الكفر و الإلحاد و الزندقة مع الطعن في عقائدها و تسفيه مبادئها و السخرية من آرائها ، لذلك حسبهم فإنّهم لا يستغروا إذا وجدوا التاريخ الإسـلامـي محشو بالدسّ و الوضع مملوءا بالترّهات و السفاسف متناقضا متباينا ، و الأ غـرب من هذا كلّه عند هؤلاء من المدافعين عن الباطنية أنّ الكتّاب المعاصرين و رجال العلم لا يزالون يجرون على قاعدة الأخذ و النقل عن المصادر القديمة دون أن يكون لديهم ما يميّز بين الحق و الباطل أو الطيّب و الخبيث .

### الدراسات السابقة :

و بشأن الدراسات السابقة فقد أعلمنا مركز البحث و الإعلا م العلمي و التقني ( CERIST ) أنّه لا توجد دراسة خاصة حول موضوع مظاهر الزندقة في المغرب و الأندلس خلال القرون السبع الأولى الهجرية في الجامعة الجزائرية ، أما فيما يخص الدراسات الحديثة فنجد الكثير من الكتاب المسلمين قد تناولوا جانبا أو أكثر من هذا الموضوع و الأمثلة على ذلك كثيرة ، و هي في طرحها قد تتفق أحيانا و تختلف أحيانا أخرى ، و جاءت دراسة الدكتور سعد العريفي " الزنادقة عقائدهم و موقف أئمة المسلمين منهم " لتعرّف بهذه الفرقة و كل ما يرتبط بها في المشرق الإسلامي ، و فيما يخص ظاهرة ادّعاء النبوة فالكثير من المؤرخين أفردوا لها كتابات خاصة و منهم مولود عشاق في كتابه " حركة المتنبئين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط " ، أما عن مدّعي المهديّة فنجد أنّ الأستاذين حسن إبراهيم حسن و طه أحمد شرف قد خصا عبـيد الله المهدي بدراسة وافية بعنوان " عبـيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب " ، في حين خص الدكتور عبد المجيد النجار المهدي محمد بن تومرت بدراسة أكاديمية مهمة وسمها بـ : " المهدي بن تومرت " ، كما كانت كتابات الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش حاضرة لتكشف بعض الجوانب الخفية لبعض مظاهر الزندقة و منها مؤلفه " الإسلام السري في المغرب العربي " ، و أسهمت دراسة الدكتور جعفر بن الحاج السلمي " الأسطورة و المغرب الأقصى " في بيان مدى تغلغل الخرافة في المجتمع المغربي ، و لا يفوتنا أن نذكر أيضا مؤلف الدكتور عبد الهادي البياض " الكوارث الطبيعية و أثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس " و التي



تناولت في جزء منها بعض مظاهر الشعوذة و الممارسات السحرية المتعلقة بالكوارث و الزراعة ، هذا فضلا عن دراسات أخرى و عشرات المقالات المنشورة في مختلف المجالات العلمية .

### المنهج :

و اعتمدت في كتابة هذا الموضوع على المنهج التاريخي الذي يعتمد على جمع المعلومات التاريخية و انتقائها ، ثمّ تحليلها و مناقشتها و نقدها ، و من ثمّ محاولة الوصول إلى الحقيقة .

### الصعوبات :

و قد واجهت عدّة صعوبات أثناء البحث و هذه بعضها :

- صعوبة الحصول على بعض المصادر التاريخية المهمة خاصة كتب الزنادقة ، و ذلك لفقدانها غالبا ككتب برغواطة مثلا و كتب الطوائف الأخرى كالإسماعيلية ، و ما توفر منها يصعب الحصول عليه لحرص أصحاب الملل المخالفة لمذهب أهل السنة على عدم نشرها أو تداولها بين الناس بشكل يسهل الوصول إليها .

- اختلاف آراء المؤرخين السلف منهم و الخلف حول تفاصيل الكثير من الأحداث التاريخية ، الأمر الذي قد يوقع الباحث في حيرة كبيرة و تدفعه إلى مزيد من البحث الجاد لترجيح هذا القول أو ذاك أو طرحها جميعا أو التوفيق و الجمع بينها إذا أمكن ذلك .

- إنّ موضوع الزندقة ذو خلفيات دينية عقائدية ، و البحث فيه ليس بالأمر الهين المتيسّر يحتاج فيه الباحث إلى تحرير كثير من المسائل الشرعية و بيان حكم الإسلام فيها ، و يزداد الأمر تعقيدا إذا أحاط بهذه المسائل الخلاف .

لكن بفضل الله أولا و آخرًا ثم بالإصرار و العزيمة و بمساعدة و توجيهات أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة رافعي ثانيا استطعت تجاوز الكثير من العقبات ، و لن أكون مخطئا إن قلت إنّ هذه الدراسة تعترها أخطاء كثيرة ، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ هذا العمل وضعه إنسان و الذي لن يكون عمله إلا ناقصا مهما حاول الإمام بالموضوع ، فإن وفقت فالفضل لله وحده ، و إن أخطأت فمن نفسي المقصّرة و من الشيطان الرجيم .

## الخطة :

جاءت خطة البحث مقسمة بعد المقدمة إلى بابين ، فالباب الأول عنوانه بـ مظاهر الزندقة السياسية في المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م-13م ، و تحت هذا الباب أربعة فصول ، أما الأول فقد جعلته خاصا بنشأة الزندقة في التاريخ الإسلامي حيث عرّفت فيه هذا المصطلح لغة و اصطلاحا ، ثم تكلمت عن أسباب ظهور الزندقة و ختمته بالحديث عن أساليب و أهداف الزنادقة ، و الفصل الثاني عنوانه ادّعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م ، و بدأته بتعريف النبوة و أسباب ادّعائها ، لأنتقل بعد ذلك إلى بيان و توضيح عقيدة ختم النبوة و بعدها بيّنت بعض أسباب ادّعاء النبوة ، ثم ذكرت برغواطة و ظهور دعوى النبوة فيها متحدثا عن أصلهم و موضحا تعاليم دينهم و شريعتهم ، و ختمت الحديث عن برغواطة بمناقشة آراء المحدثين من المؤرخين النافين عن برغواطة الزندقة و المثبتين لها ، و في النقطة الموالية جاء الحديث عن غمارة و ظهور نبيها حاميم حيث عرّفت بهذه القبيلة و مواطنها ثم ذكرت طرفا من سيرة زعيمها المتنبّي و بعض ما وصل إلينا من دينه وصولا إلى نهايته ، و قبل ختام هذا الفصل كان الكلام عن ادّعاء النبوة المغمورين في بلاد المغرب و الأندلس ، و الختام جاء بيانا و عرضا للآثار السياسية الناجمة عن ادّعاء النبوة في هذه المنطقة . و الفصل الثالث جعلته خاصا بادّعاء المهديّة في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية ، و أول ما بينته في هذا الفصل هو التعريف بعقيدة المهدي عند أهل السنة و الشيعة ، ثم عرّجت على سيرة عبيد الله المهدي و إدّعاءه المهديّة ، و أردفت مهدي الشيعة بمهدي الموحدين متحدثا عن نسبه و نشأته و دعوته و ادّعاءه الهداية ، و لم أقف عند هذين المهديين بل حاولت أن أتبع غيرهم ممن ادّعى ما ادّعوه في العدوتين ، و آخر الفصل كان عن الآثار السياسية لادّعاء المهديّة في بلاد المغرب و الأندلس . و الفصل الرابع عنوانه التنجيم و الكهانة في المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عهد الدولة الموحديّة ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م - 13م ) ، و بدأته بتعريف التنجيم و الكهانة و العرافة و حكمها ، ليكون بعد ذلك بيان ممارسة الحكام و الأمراء للتنجيم عبر المراحل التاريخية المتعاقبة منذ الفتح الإسلامي إلى غاية الدولة الموحديّة .

و الباب الثاني تناولت فيه مظاهر الزندقة الدينية و الإجتماعية في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م-13م ) و قسمته إلى ثلاث فصول ، فالأول جاء بعنوان الرمي بالزندقة و استحلال المحرمات في بلاد المغرب و الأندلس و تكلمت فيه عن مصير من رُمي بالزندقة

أو من أتهم بها أولا ، و ثانيا حاولت أن استعرض فيه استحلال بعض المسلمين للمحرمات المجمع على تحريمها ، و الفصل الثاني عالجته فيه ظاهرة السحر في بلاد المغرب و الأندلس ، و عرّفت فيه بداية السحر و بيّنت حكمه ثم ذكرت أسباب انتشاره ، لأصل إلى استعراض بعض النماذج من الممارسات السحرية في بلاد المغرب ، و آخر فصل جعلته خاصا بالأفكار الخرافية و الأساطير في بلاد المغرب و الأندلس ، و ذكرت فيه الكثير من الخرافات المنتشرة في بلاد المغرب و منها الخاصة بفضائل البربر و بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، ثم أتيت على ذكر الأساطير و الخرافات المرتبطة بملوك و سلاطين بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي ، و من المغرب انتقلت إلى الأندلس حيث عرضت لبعض الخرافات الواردة في فضائل الأندلس و تاريخها .

و جاءت الخاتمة في آخر البحث ذاكرا فيها ما توصلت إليه من نتائج .

## نقد المصادر :

إنّ الباحث في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي يجد أمامه مصادر متنوعة و مهمة تسرد تاريخ المنطقة ، بعضها يتناول الأحداث بإسهاب و بعضها يسهب أحيانا و يختصر في أخرى ، و البعض الآخر يكتفي باختصار الأحداث كلّها ، و لكي يكتمل البحث التاريخي لا بدّ من الإطلاع عليها جميعها ، و تتبع الأخبار و الروايات الواردة فيها تتبعاً دقيقاً و عدم التسليم المطلق لها ، إذ أنّها ليست قرآناً منزلاً ، فقد يقع المؤرخ في الخطأ و ما هو منه ببعيد ، لأجل هذا سأعرض لمصادر البحث الرئيسية بالنقد ، مبرزاً أهميتها و ما أضافته للبحث .

### 1- كتب التاريخ العامة :

لقد كان الإعتماد في هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية العامة التي روت أحداث تاريخ بلاد المغرب المغاربية - بتعبير العصر - منها و المشرقية ، و لنبدأ أولاً بالحديث عن أهم المصادر المغاربية و التي يأتي في مقدمتها كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لابن عذارى المراكشي ( ت بعد 712 هـ / 1321 م ) ، و الكتاب يكتسي أهمية بالغة إذ لا يمكن لأي مؤرخ يكتب عن تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط أن يستغني عنه ، و يزيده أهمية أنّه اعتمد على مصادر تاريخية مفقودة عاصرت الأحداث ، و قد أفادنا الكتاب بكثير من المعلومات حول تاريخ الدولة الفاطمية ، و ابن عذارى سنيّ المذهب و هو يعبر عن وجهة النظر السنية المناهضة للتشيع الإسماعيلي ، و قد بيّن طرفاً من سيرة العبيديين و إظهارهم التشيع القبيح من إدعاء بعض خلفائهم الألوهية و سب الصحابة رضي الله عنهم و الاستهزاء بالدين و قتل العلماء و استحلال دعائم المحرمات ، كما أمّدنا بمعلومات مهمة جدّاً و كثيرة عن الدولة الموحدية و سيرة منظرها محمد بن تومرت و خليفته الأول عبد المؤمن بن علي ، كما استفدنا منه في تتبع أخبار مدّعي النبوة في برغواطة و غمارة و غيرهما ، و يمتاز كتاب البيان بذكر الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب مرتبة حسب السنين ، و قد يشدّد أحيانا عن هذا المنهج ، و من الأمثلة على ذلك أنّه إذا أتى على مدينة مهمة فإنّه يسرد تاريخها منفصلاً .

أمّا كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون ( ت 808 هـ / 1406 م ) فهو سفر ضخّم تناول فيه مؤلفه أخبار المشرق و المغرب و العرب و العجم و البربر ، و من ضمن ما تناوله أخبار مدّعي الهداية و ما كان لهم من الظهور و تأسيس الدولة الفاطمية و الموحدية مبدياً تعاطفه معهما و منافعها عنهما ، و أمّدنا بتعريفات مهمة عن القبائل البربرية و مضاربها ، و قد استفدنا من مقدمته

كثيرا في فيما يخص أخبار السحر و الشعوذة ، و رغم النقد اللاذع الذي وجهه للمؤرخين الذين ينقلون الأخبار دون تمحيص و لا تدقيق ، نراه يقع في أخطاء ما كان لمثله أن يقع فيها ، و من ذلك تسليمه بالأصل الشريف للعبيدين دون مناقشة لهذه القضية الشائكة التي اختلف حولها الناس كثيرا و دون تقديم أدلة علمية مقنعة على رأيه ، مكتفيا بالقول إنَّ الناس مصدقون في أنسابهم ، و نفس الرأي تبناه بالنسبة لابن تومرت ، و كان كتاب أخبار ملوك بني عبيد لابن حمّاد الصنهاجي ( ت 626 هـ / 1230 م ) من الكتب التي أفادتنا في التعريف بالخلفاء العبيديين ، و المؤلف يكتفي بذكر الأحداث العامة عن حياتهم دون الخوض في تفاصيلها بشكل واسع .

و تعتبر كتابات القاضي النعمان ( ت 363 هـ / 974 م ) من أهم مصادر البحث و التي تعبر عن وجهة النظر الشيعية الإسماعيلية ، و هي تؤرخ لمرحلة هامة في تاريخ هذه الطائفة في بلاد المغرب ، و من أهم مؤلفاته كتاب افتتاح الدعوة الذي أرّخ فيه لدعوة الشيعة منذ قدوم أبي عبد الله الشيعي كتامة إلى غاية عهد المعز ، و أخباره كانت مفصلة فيما يخص بداية الدعوة و قيام الدولة و استخرجنا منها ما يخص الموضوع كأخبار عبيد الله المهدي و بعض الملاحم و أقوال أهل التنجيم المؤذنة بسقوط دولة الأغالبة ، و أما كتابه الآخر المجالس و المسابير فقد جعل جانبا مهما منه في ذكر فضائل المعز لدين الله حيث روينا من خلاله الكثير من الخرافات و الأقوال المروية عنه و التي تضعه في قائمة الأولياء الملهمين ، و يعتبر كتاب الداعية إدريس عماد الدين ( ت 872 هـ / 1488 م ) عيون الأخبار من الكتب التي تناولت المرحلة المغربية للدولة الفاطمية و أغلب مرويياته نقلها عن القاضي النعمان ، و هذه الكتب تصنف ككتب الظاهر و التي لا يطمئن المؤرخ إلى أخبارها ، و أمّا كتب الباطن فهي قليلة و ما ظهر منها فهي لا تكاد تفي بالغرض من كشف خبايا المذهب الباطني ، و قد حقق و نشر عارف تامر بعضها و منها أربع رسائل إسماعيلية لأربع دعاة و هي مطالع الشموس لأبي فراس شهاب الدين ( ت 947 هـ / 1540 م ) و رسالة أسبوع دور الستر لأحمد بن حميد الدين الكرمانلي ( القرن 5 هـ / 11 م ) و رسالة الدستور و دعوة المؤمنين لشمس الدين الطيبي ( القرن 7 هـ / 13 م ) و القصيدة التائية لعامر بن عامر البصري ( القرن 7 هـ / 13 م ) ، و قد أفادتنا في معرفة بعض أسرار المذهب و لعل من أهمها الحرص الشديد على عدم البوح بهذه الأسرار و حفظها ليس عن المسلمين فقط بل حتى على عوام أتباع طائفتهم .

و أما مؤلف كتاب الأنيس المطرب ابن أبي زرع ( القرن 7 هـ / 14 م ) فقد حوى كثيرا من الأخبار المهمة منذ قيام دولة الأدارسة إلى عصره و منها أخبار برغواطة و غمارة و أنبيائهم

المرعومين ، كما استفدنا منه في نقل أخبار الدول المتعاقبة في المغرب كالدولة الموحدية ، و تناول أيضا بعض ممارسات الشعوذة و السحر في المنطقة ، و عبد الواحد المراكشي ( ت 647هـ/1249م ) في مؤلفه المعجب أفادنا في رصد أنباء دعوى ابن تومرت المهدوية و صراعه مع المرابطين ، و يظهر جليا تعاطفه مع الموحدين بحيث أعرض عن ذكر جرائمهم كمجازر التمييز المروعة و حيل ابن تومرت في قومه ، و جاءت كتابات أولياء الدعوة الموحدية غنية بأخبار ابن تومرت و من أتى بعده ، و من أهمها كتاب البيذق ( القرن 6هـ/12م ) أخبار المهدي حيث كان معاصرا لابن تومرت و نقل أخبار تنقلاته و حروبه و هو مصدر مهم جدا في هذا الباب ، و كتاب ابن القطان ( القرن 7هـ/13م ) نظم الجمان تناول فيه مؤلفه تاريخ الموحدين و لم يتردد في ذكر جرائم ابن تومرت و عبد المؤمن بن علي بالتفصيل فنقلناها كما رواها ، و جاء الكتاب أيضا حافلا بذكر كثير من الخرافات و التكهّنات و الأحاديث الموضوعة التي ترفع من شأن من وصفوه بالمهدي المعصوم و تابعه ابن علي .

و لا يفوتنا أن نذكر كتاب الحلل الموشية الذي تحدّث عن دولة المرابطين و أخبارها ثمّ بداية صراعهم مع الموحدين و يغلب على أخباره الإختصار ، و حشا عبد الملك بن حبيب ( ت 238هـ/852م ) تاريخه بكثير من الأخبار الخرافية البعيدة عن الواقع خاصة فيما يتعلق بالفتح الإسلامي للأندلس و ما رافقه من غنائم حصل عليها المسلمون فاقت الخيال ، أما ابن الخطيب ( ت 776هـ/1374م ) فقد استفدنا من كتابه أعمال الأعلام بقسميه الثاني و الثالث في ترجمة كثير من الملوك و الأمراء و غيرهم في المغرب و الأندلس ، و رواياته أحيانا تفتقد إلى الدقة و منها عند حديثه عن أمراء برغواطة و سنوات حكمهم ، و يعتبر كتاب المؤنس في أخبار إفريقية و تونس لابن أبي دينار ( ت 1110 هـ / 1699 م ) من الكتب التي ذكرت تاريخ إفريقية بإجمال ، و جملة أخباره لا تختلف كثيرا عن المصادر الأخرى ، و هو من المؤرخين المغاربة المتعاطفين مع العبيديين . و المصادر المشرقية كثيرة و السمة الغالبة عليها إهمال تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ، و إن ذكرته فإنّها تذكره باختصار شديد ، و يعتبر كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ( ت 630 هـ / 1222 م ) من المصادر المشرقية القليلة التي أرخت للمشرق و المغرب ، و هو مصدر مهم جدًا اتبع فيه مؤلفه أسلوب تأريخ الأحداث حسب السنين ، و قد حفل الكتاب بذكر أخبار الدولة الفاطمية مؤيدا دعواهم في النسب الشريف ، كما أفادنا بمعلومات وافية و مهمة عن الدولة الموحدية و تاريخها ، و غالبا لا يذكر مصادره التي استقى منها معلوماته . و من المصادر المشرقية كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ( ت 732 هـ / 1332 م ) حيث رصد فيه مؤلفه تاريخ بلاد

المغرب الإسلامي بالرغم من كونه موسوعة أدبية ضخمة ، و نقلنا منه أخبار القتل و الجرائم التي ارتكبتها بعض أمراء الأغالبة المتأخرين ، كما أفادنا في رصد روايات التنجيم في عهد الزيريين الصنهاجيين .

و من أشمل المصادر التاريخية التي درست تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب و المشرق كتاب إيعاظ الحنفاء في أخبار الأئمة الخلفاء للمقرئ ( ت 845 هـ / 1441 م ) ، فقد خصّ كل خليفة منهم بترجمة وافية عن حياته ، وقد بدا جليا تأثره بابن خلدون فقد نهج منهجه و انتصر لآرائه مصوبا دعوى الهداية التي ادّعاها عبيد الله ، و قد أفادنا في معرفة أخبار الخلفاء الفاطميين الأوائل في بلاد المغرب ، و أمّا كتابه الآخر المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار و المعروف اختصارا بالخطط ، فهو كتاب خاص يصف عمارة مصر وصفا مفصلا ، لكنّه تضمّن معلومات تاريخية مختصرة عن الدولة الفاطمية سواء في مرحلتها المغربية و بعد رحيلها إلى مصر ، و أورد ابن قتيبة ( ت 276هـ/889م ) كثيرا من أخبار الزنادقة في المشرق في كتابيه المعارف و الشعر و الشعراء ، في حين نجد كتابه الآخر الإمامة و السياسة إن صحت نسبته إليه محشوا بالخرافات الخاصة بفتح المسلمين للأندلس .

## 2- كتب الطبقات و التراجم :

تعتبر كتب الطبقات و التراجم مصادر تاريخية مهمة ليس فقط لترجمة العلماء و الأعيان ، و إنّما مصادر مهمة لاستقاء المعلومات التاريخية المتنوعة في مختلف نواحي الحياة لاسيما الاجتماعية و الإقتصادية منها و التي يتعذر الحصول عليها من كتب التاريخ العامة .

و من أهمّ كتب الطبقات المعتمدة في هذا الموضوع كتاب الصلة لابن بشكوال ( ت 578هـ/1183م ) حيث ترجمنا من خلاله لكثير من الشخصيات الأندلسية خاصة الواردة في البحث ، و ترجمته غالبا تتميز بالإختصار و الدقة ، و نفس الكلام يقال على بغية الملتبس للضبي ( ت 599هـ/1202م ) ، أما تراجم الحميدي ( ت 488هـ/1094م ) فقد عرّفنا اعتمادا عليه ولاية الأندلس الذين ذكروا في الموضوع .

أما كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ( ت 544 هـ / 1149 م ) فهو من الكتب التي اهتمت بالترجمة لعلماء المالكية دون غيرهم من المذاهب الأخرى ، و قد عرّج على ذكر الصراع السني الشيعي الذي كانت تعرفه إفريقية أثناء الحكم الفاطمي ، و كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ( ت 799 هـ / 1369

م ) يتضح من عنوانه أنه اتبع منهج القاضي عياض حيث جعله خاصا بعلماء المالكية دون غيرهم ، لكن ابن فرحون يقتصر غالبا على ذكر الجانب العلمي في حياة المترجم له دون أن يخوض في أمور أخرى خاصة السياسية منها .

و من الكتب المهمة في التراجم العامة كتاب وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان ( ت 681 هـ / 1211 م ) الذي كان مصدرا أساسيا لترجمة العديد من الشخصيات التي ورد ذكرها في البحث ، و تضمن الكتاب معلومات تاريخية متنوعة ، و أمّا كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ( ت 748 هـ / 1372 م ) فقد عني فيه مؤلفه بالترجمة لعدد كبير من الشخصيات منذ عهد الصحابة إلى زمن المؤلف ، و قد اعتمدنا عليه في التعريف بكثير من الشخصيات .

### 3- كتب الجغرافية :

لا يمكن للباحث في التاريخ أن يستغني عن كتب الجغرافية ، فالحدث التاريخي مرتبط دائما بالزمان و المكان ، إضافة إلى أنّ كتب الجغرافية تحوي تفاصيل تاريخية مهمة ، خاصة تلك المتعلقة بالجوانب الإقتصادية و الإجتماعية ، و يعدّ كتاب ابن حوقل ( ت 367 هـ / 977 م ) صورة الأرض كتاب لجغرافي رحالة ، و هو أول و أقدم مصدر ذكر برغواطة و مذهبهم ، و جاءت معلوماته مختصرة ، و أمّا كتاب أبي عبيد البكري ( ت 487 هـ / 1094 م ) المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب و الذي هو قطعة من كتابه المسالك و الممالك من أهم الكتب التي ذكرت برغواطة و مذهبها و المؤرخون بعده عيال عليه في نقل أخبارها ، إضافة إلى هذا فإن هذا الكتاب كان زاخرا بذكر أخبار السحرة و المشعوذين في بلاد المغرب ، و لم يتوقف عند التعريف بالمدن و الكور و البلدان بل نقل أخبار بعض القادة حيث كان مصدرنا في نقل روايات متعلقة بتاريخ زعيم المرابطين عبد الله بن ياسين ، و قد كان كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ( ت 626 هـ / 1228 م ) المعجم الجغرافي الضخم الذي عرّف فيه مؤلفه مختلف مناطق العالم الإسلامي شرقها و غربها مصدرنا الأساسي في التعريف بالمدن و الأماكن ، و أثناء التعريف بها يورد المؤلف وصفا للمدينة و تحديدا لمكانها كما قد يورد شيئا من تاريخها ، ثمّ يضيف في النهاية أسماء أبرز أعيانها مثل العلماء إن وجدوا .

و اعتمدنا أيضا على كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق للشريف الإدريسي ( ت 560 هـ / 1165 م ) الذي يعتبر من المصادر الجغرافية الهامة الخاصة بالتعريف بالبلدان ، و استقيننا من الروض المعطار للحميري ( ت 900هـ/1495م ) بعض أخبار السحر و الطلاس و كثير من



الخرافات التي نقلها أثناء تعريفه بالمدن و الأماكن ، و يعتبر كتاب الحسن الوزان ( ت 960هـ/1554م ) وصف إفريقية من الكتب الجغرافية المتأخرة و التي استفدنا منه في ذكر بعض أخبار الكهانة و السحر و الخرافة .

#### 4- كتب العلوم الشرعية و الملل و النحل و اللغة :

لقد ظهرت أهمية الكتب الشرعية لاسيما كتب الفتاوى و النوازل في الكتابة التاريخية ، و من أهم هذه الكتب نوازل ابن سهل ( ت 486هـ/1092م ) الذي تناول قضايا الزندقة و عرفنا من خلاله بقضية الزنديق أبي الخير في عهد الحكم المستنصر و بقضية زنديق آخر يدعى بابن حاتم الطليطلي ، حيث تناول أطوار محاكمتهم و نقل بعض ما نسب إليهم من أقوال ، و هذا الأخبار انفرد بها هذا الكتاب الخاص بالفتاوى الفقهية ، و استفاد من أقوال ابن سهل الونشريسي ( ت 914 هـ / 1508 م ) صاحب كتاب المعيار المعرب و الذي يعدّ موسوعة دينية كبيرة جدًا تضمّ عددا هائلا من فتاوى علماء المغرب في مختلف المسائل الشرعية ، و قد أصبح الكتاب مصدرا للباحثين خاصة في التاريخ الإقتصادي و الاجتماعي لما حواه من معلومات مهمة في هذا المجال ، و أمّا فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ( ت 728 هـ / 1328 م ) المجموعة تحت عنوان مجموع الفتاوى ، فهي موسوعة شرعية هائلة تضمّ فتاوى في مختلف العلوم الشرعية ، و قد اعتمدت عليها في بعض القضايا الشرعية خاصة العقائدية التي وردت في البحث و ذلك لمكانة الشيخ العلمية عند أهل السنة و الجماعة ، و كتابه الآخر منهاج السنة النبوية في الردّ على الشيعة و القدرية كتاب مهم جدًا تصدّى فيه شيخ الإسلام للردّ على عقائد الشيعة الإمامية بالتفصيل ، و قد استفدت منه كثيرا في معرفة و فهم حقيقة و أوجه الخلاف بين أهل السنة و الشيعة ، و اعتمدنا أيضا على كتاب ابن رشد الجد ( ت 520هـ/1126م ) البيان و التحصيل في تحرير بعض المسائل الشرعية على مذهب الإمام مالك كحكم السحر مثلا ، و نقل الشاطبي ( ت 790هـ/1387م ) في الإعتصام بعض أفكار ابن تومرت و شيئا من مذهبه و المواطن التي شرع فيه القتل ، و كان لأقواله أهمية بالغة في كشف بعض الجوانب في سيرة مهدي الموحدين.

و فيما يخص كتب الملل و الفرق ، فقد اعتمدت على كتاب الملل و النحل للشهرستاني ( ت 548 هـ / 1153 م ) الذي عرّف أغلب الفرق و المذاهب الإسلامية تعريفات واضحة ، كما استفدت أيضا من كتاب الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي ( ت 429 هـ / 1037 م ) ، و يعتبر كتاب ابن حزم ( ت 456 هـ / 1064 م ) الفصل في الأهواء و الملل و النحل من أهم

الكتب التي هاجم فيها مختلف الطوائف لاسيما الخوارج و الشيعة ، و قد كان لكاتبه أثر مهم جدا في الإنتصار للقول بزندقة برغواطة و الرد على من أنكر القول بادّعائهم النبوة بالرغم من أنّ أخباره في هذه المسألة كانت مختصرة جدا .

و قد ورد في البحث الكثير من الأحاديث التي حاولنا عزوها إلى مصادرها لذلك فقد اعتمدنا على مجموعة من كتب السنة في تخريج الأحاديث و في مقدمتها صحيح البخاري و صحيح مسلم المجمع على صحة ما جاء فيهما من أحاديث و غيرهما من كتب الحديث كالسنن و غيرها . و بالنسبة لمصادر اللغة العربية فقد كان الإستناد الأكبر على لسان العرب لابن منظور الإفريقي ( ت 711هـ/1311م ) و الذي كان عمدتنا في التعريف اللغوي لكثير من المصطلحات ، و اعتمدنا أيضا على كتاب الجوهرى ( ت 393هـ/1003م ) الصحاح و الذي يعدّ أيضا من المصادر الأساسية في التعريف بمفردات اللغة العربية .

# دليل المؤلف : مظاهر الزندقة السياسية في المغرب والأندلس وآثارها (س) (القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م - 13م) .

الفصل الأول : نشأة الزندقة في التاريخ الإسلامي .

الفصل الثاني: إدعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م .

الفصل الثالث : إدعاء المهديّة في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية ( من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م ) .

الفصل الرابع : التنجيم و الكهانة في المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عهد الدولة الموحدية ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م إلى 13م ) .

## الفصل الأول : نشأة الزندقة في التامغ الإسلامي

### 1- تعريف الزندقة .

أ- تعريف الزندقة لغة .

ب- الزندقة في المصادر الإسلامية .

### 2 - أسباب ظهور الزندقة .

أ- الأسباب السياسيّة .

ب- حركة الترجمة .

ج- العبث الفكري .

د- الأسباب الدنيّة .

### 3- أساليب و أهداف الزنادقة .

أ- الطعن في القرآن الكريم .

ب- الوضع في السنّة النبويّة .

ج- ادّعاء النبوة .

د- الدّعوة إلى نصره آل البيت .

هـ- إدّعاء المهدوية .

و- الدّعوة إلى الإصلاح

ز- الدّعوة إلى الإباحيّة و الفجور .

## الفصل الأول :نشأة الزندقة في التاريخ الإسلامي .

تردد لفظ الزندقة كثيرا طيلة التاريخ الإسلامي و غالبا ما يأتي في مقام الذم و الاتهام في الدين ، لذلك يجب علينا أن نقف عند هذا اللفظ و نورد معانيه المختلفة و استعمالاته المتعددة و بدايات ظهوره في تاريخ الأمة الإسلامية.

### 1- تعريف الزندقة :

#### أ- تعريف الزندقة لغة :

قال الجوهري في الصحاح : " الزنديق من الثنوية <sup>1</sup> و هو معرّب و الجمع زنادقة و قد تزندق و الاسم زندقة" <sup>2</sup> .

و قال ابن منظور: " الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسيّ معرّب ، و هو بالفارسية زندي كراي يقول ببقاء الدهر ، و الزندقة الضيق و قيل الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه . التهذيب : الزنديق معروف و زندقته أنّه لا يؤمن بالآخر و وحدانية الخالق ، و قال أحمد بن يحيى : ليس زنديق و لا فرزبن من كلام العرب ، قال : و ليس في كلام العرب زنديق و إنما تقول العرب رجل زندق و زنديقي إذا كان شديد البخل" <sup>3</sup> .

و جاء في القاموس المحيط : " الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور و الظلمة أو من لا يؤمن بالله و اليوم الآخر أو من يبطن الكفر و يظهر الإيمان ، أو هو معرّب : زن دين أي دين المرأة ، ج : زنادقة أو زناديق و قد تزندق ، و الاسم : الزندقة ، و رجل زنديق أو زنديقي : شديد البخل" <sup>4</sup> .

---

<sup>1</sup> الثنوية : أصحاب الإثنين الأزليين ، يزعمون أنّ النور و الظلمة أزليّان قديمان بخلاف الجحوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام و هؤلاء قالوا بتساويهما في القدم و اختلافهما في الجوهر و الطبع و الفعل و الحيز و المكان و الأجناس و الأبدان و الأرواح ( الشهرستاني، الملل و النحل ، تحقيق : أمير علي مهنا و علي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ/ 1993م، ج 1 ، ص 290 ) .

<sup>2</sup> الجوهري، الصحاح، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ/ 1984م، ج 4، ص 1489 .

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 1871 .

<sup>4</sup> الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ / 2005م، ص 891 .

و قال المسعودي : " إنّه في أيام ماني <sup>1</sup> ظهر اسم الزندقة الذي أضيف إليه الزنادقة ، و ذلك أنّ الفرس حين أتاهم زرادشت <sup>2</sup> بكتائبهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسيّة و عمل له التفسير و هو الزند و عمل لهذا التفسير شرحاً سمّاه البازند ، و كان الزند بياناً لتأويل المتقدّم المنزل ، و كان من عدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا : هذا زنديّ فأضافوه إلى التأويل و أنّه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل ، فلمّا أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس و قالوا : زنديق و عربوه ، و الثنويّة هم الزنادقة" <sup>3</sup> .

و عند ابن كمال باشا الوزير في رسالته أنّ زنديق ليس من كلام العرب ، و أنّه فارسي معرّب و أصله زنده أي يقول بدوام بقاء الدهر و أنّ الزنادقة هم المانوية ، و كان المزدكية <sup>4</sup> يسمّون بذلك ، و مزدك أظهر كتاباً سمّاه زندا و هو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت الذي يزعمون أنّه نبّي ، فنسب أصحاب مزدك إلى زند و عربت الكلمة يعني زندا فقليل زنديق <sup>5</sup> .

و قال محدثون في مصطلح زنديق إنّّه آرامي أو سامي ، فقد قال الأستاذ هادي العلويّ إنّ كلمة زنديق تطوير عربيّ للكلمة العبريّة (صديق) ، و لا علاقة لها بالكلمة الفارسية "زندا" خلافاً لما ذهب إليه الباحثون قديماً و حديثاً لعدم رجوعهم إلى الأصول الساميّة المشتركة و العبريّة و الآراميّة

<sup>1</sup> ماني : ماني بن فاتك الحكيم (216م-276م) أحدث ديناً بين المجوسية و النصرانية ، زعم أنّ العالم مصنوع مركب من أصليين قديمين النور و الظلمة ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص 290 ) .

<sup>2</sup> زرادشت (628-551 ق.م) : هو الذي يزعم المجوس أنّه نبّيهم و تبعه خلق كثير منهم ، و أطلق على ديانتهم الزرادشتيّة نسبة إليه ( الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1388هـ/ 1969م، ج1، ص 540 . ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، دراسة و تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ج1، ص 412 ) .

<sup>3</sup> المسعودي، مروج الذهب و معادن الجواهر ، راجعه : كمال حسن مرعي، المكتبة العصريّة، بيروت-صيدا، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م، ج1، ص 191 .

<sup>4</sup> المزدكيّة : أصحاب مزدك ، انتشر دينه أواخر القرن الخامس للميلاد ، كان ينهى عن المخالفة و المباغضة و القتال ، و لما كان أكثر ذلك يقع بسبب النساء و الأموال ، أحل النساء و أباح الأموال و جعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء و النار و الكلاء ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص 294 ) .

<sup>5</sup> ابن كمال باشا الوزير ، رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجميّة ، ضبط و تحقيق : محمّد سواعي، الجفان و الجابي للطباعة و النشر، ليماسول (قبرص)، الطبعة الأولى، 1411هـ/ 1991م، ص 68 و ما بعدها .

من أصل مشترك ، و قال غيره إنها تعود إلى أصل آرامي ( صدّيقى Saddiqui ) ثمّ حوّّلها  
الفرس إلى زنديق « Zandik »<sup>1</sup> .

---

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد، الزندقة و الزنادقة تأريخ و فكر ، دار الطليعة الجديدة، دمشق، الطبعة الأولى،  
1419هـ / 1999م، ص ص 10 - 11 .

## ب- الزندقة في المصادر الإسلامية :

ورد لفظ الزندقة في الكثير من المصادر الإسلامية ، فقد عدّها ابن قتيبة من أديان العرب في الجاهلية ، فذكر أنّ النصرانية كانت في ربيعة و غسان و بعض قضاة ، و كانت اليهودية في حمير و بني كنانة و بني الحارث بن كعب و كندة ، و كانت المجوسية في تميم منهم زرارة بن عدس التميمي و منهم الأقرع بن حابس ، و كانت قريش أخذت من الحيرة<sup>1</sup> الزندقة<sup>2</sup> .

و فسر الألوسي في بلوغ الأرب مراد ابن قتيبة من الزندقة التي نسبها لقريش أنّها اعتقاد الثنوية أو القائل بالظلمة و التور و ليس مراده من لا يؤمن بالآخرة و بالتبوية<sup>3</sup> ، و كانت الحيرة تحت الحكم الفارسي يحكمها الساسانيون<sup>4</sup> ، و لئان يقطن بتلك البلدة كثير من الزنادقة من المانوية و غيرهم ، و كان تجار قريش يترددون على تلك البلاد للتجارة و نحوها ، فتأثر أولئك التجار القوشيون بتلك المعتقدات كما تأثر غيره-م من العرب ببعض الديانات الأخرى من النصرانية و اليهودية و المجوسية بحكم مخالطتهم لأصحاب تلك الديانات و مجاورتهم لهم<sup>5</sup> .

و في كتاب آخر لابن قتيبة أطلق على كثير من أهل الخلاعة و الجحون لفظ زنادقة و منهم الثلاثة الذين كانوا بالكوفة<sup>6</sup> في العراق يقال لهم الحمّادون ، حمّاد الراوية<sup>7</sup> و حمّاد

<sup>1</sup> الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، و كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م، ج2، ص 328 ) .

<sup>2</sup> ابن قتيبة، المعارف، تحقيق : د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1401هـ/ 1981م، ص 621 .

<sup>3</sup> الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح و ضبط : محمد بجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 229 .

<sup>4</sup> الساسانيون : أسست الأسرة الساسانية على يد أردشير الأول سنة 226م و سقطت على يد المسلمين أيام آخر ملوكهم يزدرج الثالث بعد توالي هزائمهم أمام المسلمين زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة 21هـ/ 642م ( حول الساسانيين ينظر: الطبري، مصدر سابق، ج 2، ص 37 و ما بعدها ) .

<sup>5</sup> د/ سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي، الزنادقة عقائدهم و فرقهم و موقف أئمة المسلمين منهم ، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1434هـ/ 2013م، ج1، ص ص 36-37 .

<sup>6</sup> الكوفة : بالضم المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، مضرت أيام عمر بن الخطاب سنة 17هـ و قيل 18هـ و قيل 19هـ ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 4، ص 491 ) .

<sup>7</sup> حمّاد الراوية : حمّاد بن مسيرة بن المبارك بن عبيد الديلمي المعروف بالراوية ، و كان من أعلم الناس بأيام العرب و أخبارها ، كانت ولادته سنة 95هـ/ 713م و توفي سنة 155هـ/ 771م ( ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "معجم الأدباء"، تحقيق : د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1993م، ج 1، ص 1201 ) .



عجرد<sup>1</sup> و حمّاد بن الزّبرقان النّحوي<sup>2</sup> ، و كانوا يتنادمون و يتعاشرون و كأثّم نفس واحدة و يرمون جميعا بالزندقة<sup>3</sup> .

و قد كان الجاهل الغرّ من أهل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي يتطّقل عليها و ينتحلها ليعد من الظرفاء كما قال الشّاعر:

تزندق معلنا ليقول قوم      من الأدباء زنديق ظريف  
فقد بقي التّزندق فيه وسمّا      و ما قيل الظّريف ولا الخفيف<sup>4</sup>

و روى البخاري عن عكرمة قال : أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عبّاس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلّى الله عليه و سلم: " لا تعذبوا بعذاب الله"<sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> حمّاد عجرد : حمّاد بن عمر بن يونس بن كليب من مخضرمي الدولتين لم يشتهر إلا في الدولة العباسية ، قدم بغداد أيتام المهدي ، كان ماجنا ظريفا متّهما في دينه ، توفي بالبصرة سنة 161 هـ/777 م ( الأصفهاني، كتاب الأغـاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ/1994 م، ج14، ص 466 . ياقوت الحموي، مصدر سابق ، ج1، ص 1197 . خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 1422 هـ/2002 م، ج2، ص 272 ) .

<sup>2</sup> حمّاد بن الزبرقان : ذكره ثعلب بن محمّد بن سلام في ترتيب النحويين البصريين فقال : و حمّاد الزبرقان و كان يونس بن حبيب يفضّله ، و كان حمّاد حلو المحاضرة لطيف العبارة طريف الفكاهة و المداعبة ( السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق : طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1374 هـ/1955 م، ص 35 . القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406 هـ/1986 م، ترجمة رقم 221، ج1، ص 365 ) .

<sup>3</sup> ابن قتيبة، الشعر و الشعراء ، تحقيق و شرح : أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1386 هـ/1967 م، ج2، ص 779 .

<sup>4</sup> الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ/2003 م، ص 148 .

<sup>5</sup> البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و سننه و أيامه ، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1403 هـ/1982 م ، كتاب استتابة المرتدين و المعاندين و قتالهم، باب حكم المرتد و المرتدة و استتابتهم، حديث رقم 6922، ج4، ص 279 .

و الذين أحرقهم عليّ بن أبي طالب هم السبئية<sup>1</sup> الذين قالوا إنّ عليّاً ربّهم و خالقهم ، كما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري<sup>2</sup> ، و قال أيضا : " إنّ الإسلام قام و الزنديق يطلق على من يعتقد المانوية و أظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل ، و من ثمّ أطلق الاسم على كل من أسرّ الكفر و أظهر الإسلام"<sup>3</sup> .

و سبق ابن حجر إلى هذا التصور السيد المرتضى في آماله حيث قال : " و كما أنّه في الجاهلية و قبل الإسلام و في ابتدائه قوم يقولون بالدهر و ينفون الصانع و آخرون مشركون يعبدون غير خالقهم و يستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم في كتابه و ضرب لهم الأمثال و كرّر عليهم البينات ، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام و يحقن بإظهار شعائره و الدخول في جملة أهله دمه و ماله زنادقة ملحدون و كفار مشركون فمنعهم عزّ الإسلام عن المظاهرة و ألجأهم خوف القتل إلى المساترة"<sup>4</sup> .

و ذكر محمد صديق حسن خان في كتابه الروضة الندية أنّ الزنديق هو الذي يظهر الإسلام و يطن الكفر و يعتقد بطلان الشرائع فهذا كافر بالله و بدينه مرتدّ عن الإسلام أقبح ردة إذا ظهر منه ذلك بقول أو فعل ، و قد اختلف أهل العلم هل تقبل توبته أم لا ؟ و الحق قبول التوبة<sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> السبئية : أصحاب عبد الله بن سبأ ، نفاه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى المدائن ، زعموا أنّه كان يهوديّاً فأسلم ، أول من أظهر القول بالنص بإمامة عليّ الذي زعم أنّه لم يمت و أنّه يجيء في السحاب و الرعد صوته و البرق تبسمه ، و هذه الفئة ليست من فرق أمّة الإسلام لتسميتهم عليّاً لها ( عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت ، 1416هـ/1995م ، ص 21 . الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج1 ، ص204 ) .

<sup>2</sup> ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ، رقم أحاديثه و كتبه و أبوابه : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، 1390هـ/1970م ، ج12 ، ص270 .

<sup>3</sup> نفسه ، ج12 ، ص271 .

<sup>4</sup> السيد المرتضى ، أمالي السيد المرتضى ، صححه و ضبط ألفاظه : السيد محمود بدر الدين الغساني الحلبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1325هـ/1907م ، ج1 ، ص88 .

<sup>5</sup> محمد صديق حسن خان ، الروضة الندية شرح الدرر البهية ، تقديم و تعليق و تخريج : محمد صبحي حسن حلاق ، دار الأرقم ، برمنغهام-بريطانيا ، الطبعة الثانية ، 1413هـ/1993م ، ج2 ، ص631 .

و اعتبرت الزنادقة أول من افترق من المذاهب<sup>1</sup> و أتهم أتباع ماني الذين أطلق عليهم ابن النديم المنانية ، و من أسماء رؤسائهم في دولة بني العباس و قبلها دولة بني أمية الجعد بن درهم<sup>2</sup> الذي ينسب إليه الخليفة مروان بن محمد<sup>3</sup> فيقال مروان الجعدي ، و كان مؤدبا له و لولده فأدخله الزندقة<sup>4</sup>.

و مما ينبغي التذكير به أنّ كتب الزنادقة قد فقدت كلها تقريبا و لم يعد بين أيدينا منها إلا شذرات ضئيلة نعث عليها بعد عناء طويل في كتب الردود ، أو لأنّ بعض المصادر التي تحدثنا عنها لا تزال مخطوطة إلى اليوم فليست في متناول أيدي الباحثين<sup>5</sup> . و الحاصل أنّ المصادر القديمة لا تقدم تعريفا واحدا للزندقة فقد نظر إليها كل مؤلف من زاويته الخاصة ، فنظرة السني تختلف عن نظرة الشيعي و نظرة العربي تختلف عن نظرة المولى و نظرة المؤرخ تختلف عن نظرة الأديب<sup>6</sup> . و من خلال ما سبق يمكن القول أنّ الزندقة عبارة عن مصطلح جامع ، أطلق أولا على أتباع الديانات المانوية الذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم و هما النور و الظلام ، و بدأ المصطلح يعم تدريجيا كل الملحدين و أصحاب البدع الخاصة بالإعتقاد و الطامحين إلى الجاه و السلطان بادعائهم النبوة و المهدوية و كل من يحي حياة اللهو و المجون المستهزئ بشعائر الإسلام و أركانه من الشعراء و الكتاب و غيرهم .

<sup>1</sup> الملطي، التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع ، تحقيق : د/ محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1992م، ص70 .

<sup>2</sup> الجعد بن درهم : سكن الجزيرة الفراتية و أخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة في أيام هشام بن عبد الملك ، زعم أنّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى ، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر نحو سنة 118هـ / 735م ( الذهبي ، سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ / 1982م، ج5، ص433 . الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص120 ) .

<sup>3</sup> مروان بن محمد : ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الأموي ، يعرف بمروان الحمار و بمروان الجعدي ، و لد سنة 72هـ / 692م ، بوع بالامامة منتصف صفر 127هـ / 744م ، هزمه العباسيون في العراق سنة 132هـ / 749م ، هرب إلى مصر و قتل في صعيدها في العام نفسه ( الذهبي، مصدر سابق، ج 6، ص 74 . الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص208 ) .

<sup>4</sup> ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، ص472 .

<sup>5</sup> د/ عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1993م، ص37 .

<sup>6</sup> سميرة مختار الليثي، الزندقة و الشعوية و انتصار الإسلام عليهما ، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1387هـ / 1968م، ص24 .

## 2- أسباب ظهور الزندقة :

لقد تضمنت عقائد الزندقة كمّا هائلاً من الاعتقادات المختلفة كالقول بالاتحاد<sup>1</sup> و الحلول<sup>2</sup> و تشبيه الله بخلقه و إنكار النبوة أحياناً و ادّعاءها أحياناً أخرى و ممارسة السحر و الشعوذة و إنكار البعث و الحساب و جحد الواجبات و استحلال المحرمات و ادّعاء المهدوية و غير ذلك ، الأمر الذي خلّف آثاراً سيئة و عواقب وخيمة على الأمة الإسلامية<sup>3</sup> ، و لا شك أنّ لكل هذا أسباباً كثيرة دفعت بأصحابها إلى تبني هذه الأفكار و السعي إلى نشرها و التمكين لها .

---

<sup>1</sup> الإتحاد : هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق ، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه لا من حيث أنّ له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال ( عبد الرزاق الكاشاني ، معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق : د/ عبد العال شاهين ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1413هـ/1992م ، ص 49 ) .

و قيل الاتحاد امتزاج الشيتين و اختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً لاتصال نهايات الإتحاد ( الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق و دراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 1424هـ/2004م ، ص 10 ) .  
و قيل الإتحاد عند من يعتقد أنه اختلاط و امتزاج الخالق بالمخلوق فيكونا بعد الاتحاد ذاتاً واحدة ( د/ دغش بن شبيب العجمي ، ابن عربي عقيدته و موقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى الثالث عشر ، مكتبة أهل الأثر ، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1432هـ/2011م ، ص 32 ) .

و عند بعض الصوفية في هذا المعنى الأخير ما جاء في كتاب النفحات الأقدسية على لسان بعض أرباب الأحوال على حد تعبير مؤلفه :

و ما الكلب و الخنزير إلا إلهنا و ما الله إلا راهب في كنيسة

( محمد بهاء الدين البيطار ، النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ، دار الجيل ، بيروت ، ص 338 ) .

<sup>2</sup> الحلول : قسمه الجرجاني قسمين ، فالأول الحلول الشرياني و هو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فيسمى الساري فيه حالاً و المسري فيه محلاً ، و الثاني الحلول الجوّاري و هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر ( الجرجاني ، مصدر سابق ، ص 82 ) .

و قيل في الحلول أنّه نزول الذات الإلهية في الذات البشرية و دخوله فيها ، فيكون المخلوق ظرفاً للخالق بزعمهم ( د/ دغش العجمي ، مرجع سابق ، ص 32 ) .

<sup>3</sup> عبد العزيز محمد عبد اللطيف ، مقالات في المذاهب و الفرق ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1413هـ/1992م ، ص 29 .

## أ- الأسباب السياسية :

لقد رأى بعض الفرس الذين كانوا من سعة الملك و علو اليد على جميع الأمم حتى أنهم كانوا يسمّون الأحرار و كانوا يعدّون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة على أيدي العرب الذين كانوا أقل الأمم عندهم تعاضم الأمر و تضاعفت لديهم المصيبة ، و راموا كيد الإسلام بالمخاربة و استمالوا الشيعة<sup>1</sup> بإظهار محبة أهل بيت رسول الله و استشناع ظلم عليّ ابن أبي طالب<sup>2</sup> ، و مطمح نفوسهم أن تكون الحكومة فارسية في حقيقتها و في سلطتها و لغتها و دينها و لا يتحقق لهم ذلك و الإسلام في سلطانه ، فأخذوا يعملون على نشر المانوية و الزرادشتية و المزدكية ظاهرا إن أمكن و خفية إذا لم يمكن<sup>3</sup> .

---

<sup>1</sup> الشيعة: هم من شايعوا عليّ بن أبي طالب و قالوا بإمامته نصّا أو وصيّة و اعتقدوا أنّ الخلافة لا تخرج من أولاده ، و قالوا إنّ الإمامة ركن الدّين و يقولون بعصمة أئمتهم ، و هم خمسة فرق كيسانية و زيدية و إمامية و غلاة و إسماعيلية ( الشهرستاني ، مصدر سابق، ج1، ص 169 ) .

<sup>2</sup> ابن حزم، الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تحقيق : د/ محمد إبراهيم نصر و د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ / 1996م، ج2، ص273 .

<sup>3</sup> أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1417هـ/1997م، ج1، ص 57 .

## ب- حركة الترجمة :

و من أسباب الزندقة حركة الترجمة و كان أول من اعتنى بالترجمة خالد بن يزيد الأموي<sup>1</sup> الذي أمر بنقل بعض كتب اليونان و غيرها إلى العربية ، كما أمر أيضا بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مصر و قد تفصّح بالعربية ، و أمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني و القبطي إلى العربي ، و هذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة<sup>2</sup> ، و كانت بداية هذه الحركة مقصورة على بعض علوم الصنعة و غيرها من العلوم المفيدة ، ثم تطوّر ذلك فشمّل علوم الفلاسفة و الزنادقة و الفرس و الروم و اليونان حتّى كثر ذلك ، و انتشرت تلك العلوم بين المسلمين و خاصة في دولة بني العباس التي شجّعت حركة الترجمة تشجيعا كبيرا ، و كثرت الكتب المترجمة من اللغات المختلفة و خاصة الفارسيّة<sup>3</sup> .

و اشتهر الموالي الفرس في هذا المجال و لعل أبرزهم عبد الله بن المقفّع<sup>4</sup> الذي نقل عدّة كتب إلى العربيّة و منها كتاب مزدك<sup>5</sup> ، و يبدو أنّه بسبب هذه الترجمة الأخيرة قال فيه الخليفة العباسي

---

<sup>1</sup> خالد بن يزيد : الإمام البارع أبو هاشم القرشي الأموي الدمشقي ، كان موصوفا بالعلم و قول الشعر ، توفي سنة 84هـ/702م أو 85هـ/703 و قيل سنة 90هـ/708م ( الذهبي، مصدر سابق، ج4، ص 382 ) .

<sup>2</sup> ابن النديم، مصدر سابق، ص338 .

<sup>3</sup> سعد بن فلاح بن عبد العزيز العريفي، مرجع سابق، ج1، ص 128 .

<sup>4</sup> عبد الله ابن المقفّع ( 106 - 142هـ / 724-759م ) : من أئمة الكتاب و أول ما عني بترجمة كتب المنطق ، أصله من الفرس ، ولد في العراق و كان مجوسيا و أسلم على يد عيسى بن عليّ عم السفاح ، ترجم عن الفارسيّة كتاب كليلّة و دمنّة و هو أشهر كتبه ، و له رسائل غاية في الإبداع منها الأدب الصغير و الأدب الكبير ، اتهم بالزندقة فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبّي سنة 142هـ/759م ( القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تعليق : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م ، ص170 . الزركلي، مرجع سابق ج4، ص140 ) .

<sup>5</sup> ابن النديم، مصدر سابق، ص172 ،

المهدي<sup>1</sup> الذي اشتهر عهده بمحاربتة الزنادقة و تتبعهم : " ما وجدت كتاب زنادقة إلا و أصله ابن المقفع"<sup>2</sup>.

و نُقل عن الخليفة العباسي المأمون<sup>3</sup> أنه لما هادن بعض ملوك النصارى كتب إليه ليطلب منه خزانة كتب اليونان و كانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد ، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي و استشارهم في ذلك ، فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها إليه إلا بطراق واحد فإنه قال : " جهّزها إليهم ، فما دخلت هذه العلوم على دولة إلا أفسدتها و أوقعت بين علمائها"<sup>4</sup> ، و قد دخلت علوم الأمم السابقة إلى بلاد المسلمين في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي لما فتحوا بلاد الأعاجم ، و لكنّها لم تكثر بينهم لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها ، ثمّ قوي انتشارها في زمن المأمون لحثّه على الإشتغال بها<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> المهدي : محمد أبو عبد الله بن أبي جعفر عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة 127هـ/744م ، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المنصور سنة 158هـ/774م ، كان جوادا محبّا إلى الناس قصّاما للزنادقة ، توفي سنة 169هـ/785م ( ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1408هـ/1988م ، ج2 ، ص 305 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج 6 ، ص221 ) .

<sup>2</sup> ابن كثير ، البداية و النهاية ، تحقيق : د/عبد الله بن المحسن التركي ، هجر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1419هـ/1998م ، ج13 ، ص384 .

<sup>3</sup> المأمون : عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بن العباس ، ولد سنة 170هـ/786م ، أوصى له أبوه بالخلافة بعد أخيه الأمين الذي سرعان ما خلعه و ولي ابنه وليا للعهد فنشبت الحرب بين الأخوين فانتصر فيها المأمون و أصبح خليفة بعد قتل أخيه سنة 198هـ/813م ، اشتهر بتشجيعه العلوم و كان محبّا لها ، و في عهده بدأت الحنة بالقول بخلق القرآن ، توفي سنة 218هـ/832م ( ابن العماد الحنبلي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص82 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 142 ) .

<sup>4</sup> جلال الدين السيوطي ، صون المنطق و الكلام عن فن المنطق و الكلام ، تحقيق : د/علي شامي النشادر و سعاد علي عبد الرزاق ، دار النصر للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1389هـ/1970م ، ج1 ، ص41 .

<sup>5</sup> نفسه ، ج1 ، ص44 .

## ج- العبث الفكري :

من أسباب الزندقة أيضا العبث الفكري ، فقد وُجدت طائفة من الزنادقة تتخذ منه وسيلة للتشكيك في معالم الدين الإسلامي و هي حالة نفسية عنيفة تملكهم فتدفعهم لما هو أشبه باللهو الفكري و المجنون الشكّي منه إلى أيّ شيء آخر ، و لا عجب فهم متكلمون أيّ أنّهم رجال فكر و أصحاب مذاهب و مقالات يعتمدون على الأفكار و العقل<sup>1</sup> .

و قريب من هذه الزندقة الفكرية التي نجمت عن التّهضة العلمية التي بدأت منذ أواخر العصر الأمويّ و ازدهرت في العصر العباسي و تراوحت بين العلوم النظرية الفلسفية الجدلية و العلوم التجريبية التطبيقية ، و هي نهضة حرّكت العقول و فتحت أمامها أبواب الاجتهاد و أعطتها الحرية في التفكير فحرّفت بعض المشتغلين بها إلى ضروب من الضياع و الإلحاد زندقة إجتماعية أنتجها و نماها الجوّ الاجتماعي الزّاخر بألوان التّرف و الظّرف ، و الطائفة التي استجابت لهذا النوع من الزندقة و روّجت له هي التي اصطنعت الزندقة وسيلة من وسائل التطرف و المنادمة و سمة على الرّقي الثقافي و الإجتماعي<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 35-36 .

<sup>2</sup> د/حسين عطوان، الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ص 18 .



## د- الأسباب الدينية :

لا يمكن إغفال إحدى أهم أسباب الزندقة و هي الأسباب الدينية ، إذ يميل البعض إلى الاعتقاد بأن الديانة المانوية هي أصل هذه الظاهرة و منبعها الأول ، و أنّ أنصارها كانوا يؤمنون بها إيماناً صحيحاً صادراً عن رغبة دينية صادقة ، كما كانوا مخلصين في اتخاذها مذهباً حريصين عليها كأشدّ ما يكون الحرص ، و جميع هؤلاء من الموالي الفرس <sup>1</sup> الذين تسوّوا بإتباع آل البيت مدّعين حبهم و مولاتهم ، فقد روى الدارمي في كتابة الردّ على الجهميّة أنّه كان من هؤلاء الزنادقة رجل و كان الذي يظهر من رأيه التّرفض و انتحال حبّ عليّ بن أبي طالب ، فقال رجل ممّن يخالطه و يعرف مذهبه : قد علمت أنّكم لا ترجعون إلى دين الإسلام و لا تعتقدونه فما الذي سننكم على التّرفض و انتحال حبّ عليّ ؟ فقال : إذا أصدقك ، إنّنا إذا أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر و الزّندقة ، و قد وجدنا أقواماً ينتحلون حبّ عليّ و يظهرونه ثمّ يقعون بمن شاؤوا و يعتقدون ما شاؤوا فنسبوا بذلك إلى التّرفض و التشييع ، فلم نر لمذهبنا أمراً ألطف من انتحال حبّ هذا الرّجل ثمّ نقول ما شئنا و نعتقد ما شئنا و نقع بمن شئنا ، فلأنّ يقال لنا شيعة أحبّ إلينا من أن يقال زنادقة كفّار، و ما عليّ عندنا أحسن ممّن نقع بهم ، قال أبو سعيد : و صدق هذا الرجل فيما عبّر عن نفسه و لم يراوغ ، و قد استبان ذلك من بعض كبرائهم أنّهم يستترون بالتّشييع يجعلونه تثبيتاً لكلامهم و خبطهم و سلّماً و ذريعة لاصطياد الضعفاء و أهل الغفلة ، و إن كان أهل الجهل في الشكّ من أمرهم إنّ أهل العلم منهم لعلّى يقين <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص35 .

<sup>2</sup> أبو سعيد الدارمي، الردّ على الجهمية ، خرّجه و حقّق أحاديثه : أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ/ 2010م ، ص ص187- 188 .

### 3- أساليب و أهداف الزنادقة :

لقد اعتمد الزنادقة على أساليب كثيرة ظاهرة و باطنة اختلفت باختلاف الزمان و المكان ، و سنحاول ذكر بعض هذه الطرائق التي بواسطتها تمكّنوا من الولوج إلى عقول كثير من المسلمين الذين لم يكونوا على قدر من العلم و الإيمان ، فسهل عليهم خداعهم و هـان عليهم إقناعهم ، و من ثم أصبح التمكن لفكرهم و الوصول إلى تجسيد أهدافهم على أرض الواقع متيسرا .

#### أ- الطعن في القرآن الكريم :

يعتبر الطعن في القرآن الكريم من أخطر أساليب الزنادقة مدّعين أن بعضه يناقض بعض ، و ساقوا للتدليل على هذا الادّعاء أمثلة عديدة زعموا أنّها تؤيّد دعواهم ، فقالوا مثلا إنّ الآيات الكريمة : " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ " <sup>1</sup> و " رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ " <sup>2</sup> و " فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ " <sup>3</sup> ليست من الكلام المحكم في إشارة مغرضة إلى الآية الكريمة " الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " <sup>4</sup> ، فردّ عليهم أئمة الإسلام بردود كثيرة أبطلوا بها زيفهم و ردّوا عليهم باطلهم ، و من هؤلاء العلماء الأجلاء الذي ردّوا على هذه الافتراءات الإمام أحمد بن حنبل <sup>5</sup> في كتابه الرد على الجهميّة و الزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن و تأويله على غير تأويله ، فقال في ردّه على دعوى التناقض في الآيات السابقة و التي زعم الزنادقة أنّها ليست من المحكم : " و أمّا قوله تعالى " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ " فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل و النهار أقسم الله بمشرقه مغربه ، و أمّا قوله " رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ " فهذا أطول

<sup>1</sup> سورة الشعراء، الآية 28 .

<sup>2</sup> سورة الرحمان، الآية 17 .

<sup>3</sup> سورة المعارج، الآية 40 .

<sup>4</sup> سورة هود، الآية 1 .

<sup>5</sup> أحمد بن محمد بن حنبل : صاحب المذهب المشهور، و لد سنة 164هـ/780م ببغداد ، نشأ منكبا على طلب العلم ، عرف بصره أيام الحنة بالقول بخلق القرآن الذي بدأ أيام المأمون و ضرب و سجن أيتام المعتصم ، و عندما تولى المتوكل بعد أخيه الواثق رفع الحنة و أكرم الإمام أحمد ، من أشهر مؤلفاته المسند و يحتوي على حوالي ثلاثين ألف حديث ، و كتاب الرد على الزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن، توفي أحمد بن حنبل سنة 241هـ/855م ( أبو يعلى الفراء، طبقات الحنابلة، تحقيق: د/ عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1419هـ/1999م، ج1، ص8 . الذهبي، السير، ج11، ص177 . الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص203 ) .

يوم في السنة و أقصر يوم في السنة أقسم الله بمشرقيهما و مغربيهما ، و أما قوله " بَرَبِّ  
المَشَارِقِ وَ المَغَارِبِ " فهو مشارق السنة و مغاربها ، فهذا ما شكّت فيه الزنادقة <sup>1</sup> .

---

<sup>1</sup> أحمد بن حنبل، الرد على الجهميّة و الزنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن و تأولوه على غير تأويله ، تحقيق: صبري  
بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص ص 68 - 69.

## ب- الوضع في السنة النبوية :

و لم تسلم السنّة النبويّة الشريفة من طعن الزنادقة الذين حاولوا الدّس فيها ، و هذا ما يعرف عند علماء الحديث بالوضع و الكذب ، مصطلحين على إطلاق الأحاديث الموضوعية على كلّ الأخبار المختلفة المصنوعة التي لا تحلّ لأحد روايتها علم حالها في أيّ معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعها <sup>1</sup> .

و قسّم ابن الجوزي في كتابه الموضوعات الوضّاعين الذين يعتمدون الكذب الصّريح على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم <sup>2</sup> إلى ثمانية أقسام ، و جعل أول قسم منهم الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة و إيقاع الشك في قلوب العوام و التلاعب بالدين كعبد الكريم بن أبي العوجاء <sup>3</sup> ربيب حمّاد بن سلمة <sup>4</sup> ، و كان يدسّ الأحاديث في كتب حمّاد ، فلمّا أخذ ابن أبي العوجاء و أيقن بالقتل قال : " و الله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرمّ فيها الحلال و أحلّ فيه الحرام ، لقد فطّرتكم في يوم صومكم و صوّمتكم في يوم فطركم " <sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق و شرح : د/عبد اللطيف المميم و ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2002م، ص201 .

<sup>2</sup> روى جمع من الصحابة منهم عبد الله بن عمرو عن النبيّ صلّى الله عليه و سلم قوله : "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" حديث صحيح رواه البخاري ( البخاري، الصحيح ، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3461، ج2، ص493 ) .

و رواه مسلم في مقدّمته عن عدد من الصحابة منهم أبو هريرة و أنس بن مالك و المغيرة بن شعبة باللفظ السابق ، و عن عليّ بلفظ: "لا تكذبوا عليّ فإنّه من يكذب عليّ يلج النار" ( مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر و التوزيع، الرياض، 1419هـ/1998م، مقدمة مسلم، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلّى الله عليه و سلم، ص22 ) .

<sup>3</sup> عبد الكريم بن أبي العوجاء : الزنديق ، قتله محمّد بن سليمان العبسي الأمير بالبصرة في خلافة المهدي بعد السّتين و المائة ( ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ترجمة رقم 4874، ج5، ص241 ) .

<sup>4</sup> حمّاد بن سلمة : الإمام العلم أبو سلمة البصري ثقة له أوهام ، كان إماما في العربية فقيها و فصيحاً مفوّها مقرّناً شديداً على المبتدعة ، توفي سنة 167هـ/783م ( الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : عليّ محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ترجمة رقم 2251، ج1، ص590 ) .

<sup>5</sup> ابن الجوزي، كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ، تحقيق : د/ نور الدين بن شكري بن علي بويلا جيلاز، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م، ج1، ص18 .

و روى ابن الجوزي عن المهدي العباسي الخليفة قوله : " أقرّ عندي رجل من الزنادقة أنّه وضع أربعمئة حديث فهي تحول في أيدي الناس " <sup>1</sup> ، و في رواية أخرى عنده أيضا أنّ الزنادقة وضعت على رسول الله أربعة عشر ألف حديث <sup>2</sup> .

و كتب الجرح حافلة بذكر كثير من أخبار و سير الوضّاعين و الكذّابين الذين اعتقدوا أنّهم بصنيعهم هذا قد يتمكّنوا من تشويه دين الإسلام و إفساده ، فأبطل كيدهم علماء الحديث الذين وضعوا قواعد صارمة لتمييز صحيح السنة من ضعيفها و موضوعها ، باذلين في سبيل ذلك جهودا جبّارة قلّ نظيرها ، و لا يمكن لمن ليس له حظّ في علم الحديث أن يعرف قيمتها و لا أن يدرك أهمّيّتها ، و قد يقع في الشكّ و الرّيب الذي رامه الزنادقة للمسلمين من خلال أعمالهم المريبة و الهدّامة هذه .

---

<sup>1</sup> نفسه، ج1، ص 19 .

<sup>2</sup> نفسه، ج1، ص 20 .

## ج- إدعاء النبوة :

ادّعى كثير من الزنادقة النبوة محاولين إثباتها بالقول إنّ لهم معجزات تحصل لهم لا يمكن للبشر الإتيان بمثّلها ، و ذلك بهدف استمالة العوام و السيطرة عليهم و سلخهم عن عقيدتهم و دينهم ، و قد عرف المسلمون هذه الإدّعاءات مند عصرهم الأول قبيل وفاة النّبيّ صلى الله عليه و سلم ، و من أهمّ هؤلاء المدّعين مسيلمة الكذاب الذي ظهر في اليمامة <sup>1</sup> و قال إنّ الوحي نزل عليه و أتى بكلام حاول من خلاله إثبات نبوّته ، و ممّا جاء به : " يا ضفدع بنت ضفدع ، نقي ما تنقي ، أعلاك في الماء و أسفلك في الطّين ، لا الشّارب تمنعين و لا الماء تكدرين " ، و قال أيضا : " و المبديات زرعاً و الحاصدات حصداً و الذّاريات قمحا و الطاحنات طحنا و الخابزات خبزا و الثّارذات ثردا و اللاقّمات لقما إهالة و سمنا ، لقد فضلتكم على أهل الوبر و ما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه و المعتر فأووه و الباغي فناوؤوه " <sup>2</sup> .

و ممّا يُروى عن افتراءاته التي حاول فيها إظهار بعض معجزاته المزعومة أنّ امرأة أتته فقالت : إنّ نخلنا لسحيق و إنّ آبارنا لجرز ، فادع الله لمائنا و نخلنا كما دعا محمد لأهل هزمان ، فسأل نهارا عن ذلك فذكر أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلّم دعا لهم و أخذ ماء آبارهم فتمضمض منه و مجّه في الآبار ففاضت ماء و أنجبت كلّ نخلة و أطلعت فسيلا قصيرا مكمما ، ففعل مسيلمة ذلك فغارت ماء الآبار و يبس النّخل ، و إنّما ظهر ذلك بعد مهلكه <sup>3</sup> ، و قيل له أمرّ يدك على أولاد بني حنيفة مثل محمّد ، ففعل ذلك و أمرّ يده على رؤوسهم و حنّكهم فقرع كلّ صبيّ مسح على رأسه و لثغ كلّ صبيّ حنّكه <sup>4</sup> .

و على نهجه سارت سجاح بنت الحارث الثغليّة و كانت من نصارى العرب و ادّعت النبوة ، و قصدت بجنودها اليمامة لتأخذها من مسيلمة فهابه قومها و قالوا : إنّّه قد استفحل أمره و عظم ، فقالت لهم فيما تقوله : عليكم باليمامة دقّوا ديف الحمامة فإنّها غزوة صرامة لا تلحقكم بعدها ملامة ، فلما سمع مسيلمة بمسيرها إليه خافها على بلاده فبعث إليها يستأمنها ، و يضمن

<sup>1</sup> اليمامة : معدودة من نجد بالجزيرة العربيّة و قاعدتها حجر ، بينها و بين البحرين عشرة أيّام ، فتحت في أيّام أبي بكر الصّديق سنة 12هـ/633م بعد قتل مسيلمة الكذاب ( ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 442 ) .

<sup>2</sup> ابن الأثير ، الكامل في التّاريخ ، تحقيق : أبو الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1407هـ/1987م ، ج2 ، ص 220 .

<sup>3</sup> نفسه ، ج2 ، ص 220 .

<sup>4</sup> نفسه ، نفس الجزء و الصفحة .

أن يعطيها نصف الأرض التي كانت لقريش لو عدلت <sup>1</sup> ، و راسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه و قومها و جاء إليها و عرض عليها الزواج فقبلت ، ثم رجعت إلى قومها بعد أن أقامت عنده ثلاثة أيام ، فقالوا : ما أصدقك ؟ فقالت : لم يصدقني شيئاً ، فقالوا : إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق ، فبعثت إليه تسأله صداقها ، فقال : أرسلني إليّ مؤذّنك ، فقال : ناد في قومك أنّ مسليمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد ، يعني صلاه الفجر و صلاة العشاء ، و قيل بل قال لهم : " إني وضعت عنكم ما أتاكم به محمد من صلوات و أبحت لكم فروج المؤمنات و شرب الخمر في الكاسات " <sup>2</sup> .

و كان طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادّعى النبوة هو الآخر يقول إنّ جبريل يأتيني و يسجع للناس الأكاذيب ، و كان يأمرهم بترك السجود في الصلاة و يقول : " إنّ الله لا يصنع يتعفّر وجوهكم و تقبّع أديباركم شيئاً ، اذكروا الله اعبدوه قياماً " <sup>3</sup> .

---

<sup>1</sup> و قد كان مسليمة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله : " من مسليمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك : أما بعد فإني أشركت في الأمر معك ، و إن لنا نصف الأرض و لقريش نصفه الأرض و لكنّ قريشا قوم يعتدون ... ثمّ كتب رسول الله إلى مسليمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسليمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين ، و ذلك في آخر سنة 10هـ / 631م ( ابن هشام، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1410هـ / 1990م، ج4، ص243 ) .

<sup>2</sup> ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص257 و ما بعدها .

<sup>3</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج2، ص206 .

## د- الدعوة إلى نصره آل البيت :

يحتل آل البيت مكانة كبيرة في نفوس المسلمين قاطبة و ذلك لقرباتهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فعمد الزنادقة إلى أسلوب خطير في دعواهم الهادفة إلى الكيد للإسلام و أهله ، يتمثل في التستر بحب آل البيت و الدعوة إلى نصرتهم و أنهم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ، و يعدّ عبد الله بن سبأ أول من دعا إلى هذه المقولة في صدر الإسلام أثناء خلافة عثمان بن عفان و غلا هو و أتباعه في الدعوة إلى نصره عليّ و آله غلوا شديدا ، و وصل الأمر ببعض السبئية أن قال لعلي: "أنت الإله"، فأحرق قوما منهم<sup>1</sup> .

و عندما بلغ عبد الله بن سبأ و أصحابه نعي عليّ قال للذي نعاه : "كذبت يا عدوّ الله ، و لو جئتنا بدماعه في تسعين صبرة و أقمت على قتله سبعين عدلا ما صدّقناك ، و لعلمنا أنّه لم يمت و لم يقتل و أنّه لا يموت حتّى يسوق العرب بعصاه و يملك الأرض" ، ثمّ مضى و أصحابه من يومهم حتّى أناخوا بباب علي فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه ، فقال لهم من حضره من أهله و أصحابه و ولده : "سبحان الله أما علمتم أنّ أمير المؤمنين قد استشهد" ، قالوا : "إنا لنعلم أنّه لم يقتل و لا يموت حتّى يسوق العرب بسيفه و سوطه كما قادهم بحجّته و برهانه ، و إنّّه ليسمع النجوى و يلمع في الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام"<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> البغدادي ،مصدر سابق، ص21 .

<sup>2</sup> الحسن بن موسى النوبختي و سعد بن عبد الله القميّ ، **فرق الشيعة**، تحقيق : د/ عبد الله الحفني، دار الرّشاد، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ص ص 32-33 .



## هـ - إدعاء المهدوية :

لم يكتف الزنادقة بالغلوّ في آل البيت فقد حاول الكثير منهم انتحال النسب الشريف و اتخاذه سلما يوصلهم إلى قمّة المجد و الزعامة مدّعين أنّهم مهديّون منتظرون سيملاؤون الأرض عدلا كما ملأت ظلما و جورا ، و يعيدون لعلي و آله حقّهم المغتصب و ينتقمون من أعدائهم ، و من أشهر هؤلاء صاحب الزنج علي بن محمد بن عبد الرحيم الذي زعم أنّه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، و خرج بالبصرة <sup>1</sup> في شوال سنة 255هـ/839م <sup>2</sup> ، و كان يدّعي أنّه حفظ سورا من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة ، و أنّه فكر يوما و هو في البادية إلى أيّ البلاد يصير فخطب من سحابة أن يقصد البصرة ، و كان يزعم أنّه يعلم ما في ضمائر أصحابه و أنّ الله يُعلمه بذلك فتبعه على ذلك الجهلة و طائفة من رعاع النّاس العوام <sup>3</sup> ، و كان منجّما ذكيا حرورياّ ماكرا على رأي فجرة الخوارج <sup>4</sup> زنديقا و كانت أيّامه أربع عشرة سنة ، قتل سنة 270هـ/883م <sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> البصرة: مدينة عظيمة في جنوب العراق ، اختطها المسلمون أيّام عمر بن الخطّاب سنة 14هـ/635م ، و مصرّها عتبّة بن غزوان ( ابن حوقل، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 212 . ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص430 ) .

<sup>2</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص206 .

<sup>3</sup> ابن كثير، مصدر سابق، ج14، ص512 .

<sup>4</sup> الخوارج : كلّ من خرج عن الإمام الحقّ الذي اتفقت عليه الجماعة يسمّى خارجياّ ، سواء كان الخروج في أيّام الصّحابة على الأئمّة الراشدين أو كان بعدهم على التّابعين بإحسان و الأئمّة في كلّ زمان ، و الخوارج فرق منهم المحكمة و الأزارقة و النجدات و الصفرية ، و أول خروجهم كان على أمير المؤمنين عليّ حين جرى أمر الحكمين و اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة لذلك يعرفون أيضا بالحرورية ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1 ص 131 ) .

<sup>5</sup> الذهبي، السير، ج12، ص129 .

## و- الدعوة إلى الإصلاح :

كثيرا ما يحاول الزنادقة التظاهر بأنهم دعاة إصلاح هدفهم الأول إحقاق الحق و إبطال الباطل و أنّ منتهى دعوتهم نصره دين الله عزّ وجلّ عن طريق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فعبد الله بن سبأ جعل من نفسه داعيا إلى الله ساعيا لنصرة النبيّ و آله ، فكان أول ما دعا إليه الرجعة فقال: "عجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع و يكذب بأنّ محمّدا يرجع ، و قد قال الله: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ " <sup>1</sup> ، فحمد أحقّ بالرجوع من عيسى " ، ثم قال بعد ذلك : "إنّه كان ألف نبي و لكل نبي وصي و كان علي وصي محمّد"، ثمّ قال : " محمد خاتم الأنبياء و عليّ خاتم الأوصياء " ، ثمّ قال : "من أظلم ممن لم يجز وصيّة رسول الله و وثب على وصيّ رسول الله و تناول أمر الأمة ، إنّ عثمان أخذها بغير حقّ " <sup>2</sup> ، و واصل تحريضه قائلا : " انفضوا في هذا الأمر و ابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، و أظهرُوا الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر تستميلوا الناس " <sup>3</sup> .

و أظهر ابن سبأ الطعن على أبي بكر و عمر و عثمان و الصحابة رضي الله عنهم و تبرأ منهم و قال إنّ عليّا أمره بذلك ، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقرّ به فأمر بقتله ، فصاح الناس إليه : " يا أمير المؤمنين أقتل رجلا يدعو إلى حبّكم أهل البيت و إلى ولايتك و البراءة من أعدائك " فسيّره للمدائن <sup>4</sup> ، و هو أول من شهد بفرض إمامة عليّ و أظهر البراءة من أعدائه و كاشف مخالفيه و أكفرهم <sup>5</sup> ، و بهذا الأسلوب الذي ظاهره الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر استطاع ابن سبأ و أتباعه أن يدخلوا الأمة الإسلامية في فتن و خلافات و صراعات سياسية و فكرية و عسكرية لا نزال نتجرع نتائجها الوخيمة لحد الساعة .

<sup>1</sup> سورة القصص، الآية 85 .

<sup>2</sup> الطبري، مصدر سابق، ج4، ص340 .

<sup>3</sup> نفسه، ج4، ص341 .

<sup>4</sup> المدائن : كانت دار مملكة الأكاسرة ، على سبعة فراسخ من بغداد على حافة دجلة ، و هي عدّة مدن افتتحها سعد بن أبي وقاص أيام عمر بن الخطاب ، و بها كانت أوّل جمعة جمعت بالعراق في صفر 16هـ/637م ( الحميري، الروض المعطار في

خبر الأقطار ، تحقيق : د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/ 1984م، ص 526 . ياقوت

الحموي، مصدر سابق، ج5، ص74 ) .

<sup>5</sup> النوبختي، مصدر سابق، ص32-33 .

## ز- الدعوة إلى الإباحية و الفجور :

من أساليب الزنادقة الخطيرة الدعوة إلى الإباحية و الفجور و المجون ، حمل لواءها كثير من الشعراء الذين لم يكتفوا بأن يدعوا إلى ما يدعون إليه من غير تعرّض للدين بل تعرّضوا له أحيانا ، وأخذوا يجهرون بأقوال فيها تهكّم و سخرية ، فيسخرّون ممّن يخوف بالنار و يقول بتحريم الخمر و ممّن يذكر يوم البعث و ما فيه من حساب<sup>1</sup> ، و من أشهر هؤلاء الشاعر بشار بن برد<sup>2</sup> المتّهم بالزندقة ، حيث نسبت إلى أبيات تدلّ على سوء معتقده و تقديسه النّار و منها قوله :

الأرض مظلمة و النّار مشرقة      و النّار معبودة مذ كانت النّار<sup>3</sup>

و قال في موضع آخر إنّ إبليس أفضل من آدم عليه السلام ، ذلك أن النّار التي خلق منها إبليس تسمو على الطّين الذي خلق منه آدم .

إبليس خير من أبيكم آدم      فتنّبّهوا يا معشر الفجّار  
إبليس من نار و آدم طينة      و الأرض لا تسمو سمّو النّار<sup>4</sup>

و يُروى أنّه لما مات بشار بن برد و نعي إلى أهل البصرة تباشر عامتهم و هنا بعضهم بعضا و حمّدوا الله و تصدّقوا لما كانوا مُنوا به من لسانه ، و لم يتبع جنازته إلا أمة سوداء له ما تفصح ، و قيل فيه بعد موته :

قد تبع الأعمى قفا عجرد      فأصبحا جارين في دار  
قالت بقاع الأرض لا مرحبا      بروح حمّاد و بشار  
تجـاورا بعد تنائيهما      ما أبغض الجار إلى الجار

<sup>1</sup> أحمد أمين، مرجع سابق، ج1، ص166.

<sup>2</sup> بشار بن برد : العقيلي بالولاء أبو معاذ ، كان ضريرا نشأ في البصرة و قدم بغداد و أدرك الدولتين الأموية و العباسية ، كان شاعرا مجيدا ظريفا محسنا ، اتّهم بالزندقة فمات ضربا بالسّياط سنة 168هـ/784م ( ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1398هـ/1976م ، ص21 . الخطيب البغدادي ، تاريخ مدينة السلام ، تحقيق : د/ بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1422هـ/2001م ، ج7 ، ص610 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص52 ) .

<sup>3</sup> الأصفهاني ، مصدر سابق ، ج3 ، ص102 .

<sup>4</sup> الصفدي ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1420هـ/2000م ، ج10 ، ص86 .

صارا جميعا في يدي مالك في النار و الكافر في النار<sup>1</sup>

و جاهر أبو نؤاس<sup>2</sup> بإنكاره البعث ، قال ابن قتيبة عنه : و ممّا كفر فيه أو قارب قوله :

تعلّل بالمني إذ أنت حي و بعد الموت من لبن و خمر  
حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أمّ عمرو<sup>3</sup>

و قال أيضا :

يا ناظرا في الدين ما الأمر لا قدر صحّ و لا جبر  
ما صحّ عندي من جميع الذي تذكر إلا الموت و القبر<sup>4</sup>

و أكثر من الدعوة إلى معاقرة الخمر و الجهر بذلك و قال إنّها من أعظم الغنم و إنّّه لا خير  
في المحون الذي لا يتبعه الكفر ، و يتضح هذا من خلال هذه الأبيات :

ألا فاسقني خمرا و قل هي الخمر و لا تسقني سراً إذا أمكن الجهر  
فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة فإن طال هذا عنده قصر الدهر  
و ما الغبن إلا أن تــــراني صاحيا و ما الغنم إلا أن يتعتني السكر  
فبح باسم من أهوى و دعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر  
و لا خــــير في فتك بغير مجابه و لا في محــــون ليس يتبعه كفر<sup>5</sup>

و استهزأ بشعائر الاسلام و من ذلك قوله يهجو شهر الصّوم :

ألا يا شهر كم تبقى مرضنا و مللناكا  
إذا ما ذكر الحمد لشوّال ذمناكا

<sup>1</sup> الأصفهاني، مصدر سابق، ج3، ص174 .

<sup>2</sup> أبو نؤاس : الحسن بن هانئ يكنى أبا علي ، ولد بالأهواز سنة 139هـ / 756م و نشأ في البصرة ثم رحل إلى بغداد ، شاعر العراق في عصره ، نظم في جميع أنواع الشعر، توفي سنة 195هـ / 810م ببغداد ( ابن المعتز، مصدر سابق، ص193 . الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص225 ) .

<sup>3</sup> ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ج2، ص807 .

<sup>4</sup> جمال جمعة، ديوان الزنادقة، منشورات الجمل، كولونيا/ بغداد، الطبعة الأولى، 1427هـ / 2007م ، ص243 .

<sup>5</sup> أبو نؤاس، ديوان أبي نؤاس، شرح و توضيح : محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، 1315هـ / 1898م ، ص

فيا ليتك قد بنت و ما نطمع في ذاك<sup>1</sup>

و لأبي العلاء المعري<sup>2</sup> أبيات في تسفيه أهل الدين و هي قوله :  
هفت الحنيفة و النصارى و ما اهتدت يهود حارت و الجوس مضللة  
اثنان أهـل الأرض ذو عقل بلا دين و آخر دين لا عقل له<sup>3</sup>  
و قال في الكتب المقدسة:

عقول تستخفّ بها سطور و لا يدري الفتى بمن التبور  
كتاب محمد و كتاب موسى و إنجيل بن مريم و الزبور  
نمت أما فما قبلت و بارت نصيحتها فكلّ القوم بور<sup>4</sup>

و قال الأخطل النصراي معرّضا بشهر رمضان و شرائع الإسلام<sup>5</sup> :

و لست بصائم رمضان عمري و لست بأكل لحم الأضاحي  
و لست بزائر بيتا عتيقا بمكة أبتغي فيه صـلاحي  
و لست براكب عيسا بكور إلى بطحاء مكة للنجاح  
و لست بقائم كالعير أدعو مع الإصباح حيّ على الفلاح  
و لكّي سأشـررها شمولا أسجد عند منبلج الصـباح<sup>6</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ص 186 .

<sup>2</sup> أبو العلاء المعري : أحمد بن عبد الله بن سليمان التّونخي المعري ، ولد سنة 363هـ/973م في معرة النعمان و مات فيها سنة 449هـ/1057م ، عمي صغيرا في الرابعة من عمره ، قال الشعر و هو ابن إحدى عشرة سنة ، له مؤلفات كثيرة أشهره ديوانه لزوم ما لا يلزم المعروف باللزوميات ( ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 1، ص 295 . الزركلي، مرجع سابق، ج 1، ص 157 ) .

<sup>3</sup> جمال جمعة، مرجع سابق، ص 201 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 200 .

<sup>5</sup> الأخطل : غياث بن غوث بن الصلت بن طارفة ، ولد سنة 19هـ/639م ، اشتهر في عهد الأمويين و أكثر مدحهم ، كانت إقامته طورا في دمشق و حينا في الجزيرة حيث يقيم بنو ثعلب قومه ، توفي سنة 90 هـ / 708م ( الأصفهاني، مصدر سابق، ج 8، ص 417 . الزركلي، مرجع سابق، ج 5، ص 123 ) .

<sup>6</sup> جمال جمعة، مرجع سابق، ص 232 .

و دعا مطيع بن إياس<sup>1</sup> إلى الفجور من معانقة الخمر و إتيان الغلمان قائلاً :

نعم لنا نبيذ      و عندنا حمّاد  
و خيرنا كثير      و الخير مستزاد  
و كلّنا من طرب      يطير أو يكاد  
و لهونا لذيذ      لم يلهه عباد  
إن تشته فسادا      فعندنا فساد  
أو تشته غلاما      فعندنا زياد<sup>2</sup>

و كثير من الزّنادقة الذين خرجوا على الدولة العبّاسيّة أباحوا لأتباعهم إتيان المحرّمات و أسقطوا عنهم الواجبات ، و من هؤلاء هشام بن حكيم المعروف بالمقنّع الذي خرج في مرو<sup>3</sup> سنة 161هـ/777م و استغوى بشرا كثيرا ، و كان خروجه أّيّام الخليفة العبّاسي المهدي<sup>4</sup> ، و زعم أتباعه أنّه هو الإله و أنّه قد تصوّر مرّة في صورة آدم ثمّ تصوّر في وقت آخر بصورة نوح و في وقت آخر بصورة إبراهيم ، ثمّ تردد في صور الأنبياء إلى محمّد عليهم الصلاة و السلام ، ثمّ تصوّر بعده في صورة عليّ و أولاده ثمّ تصوّر في صورة أبي مسلم<sup>5</sup> ، ثمّ زعم أنّه في زمانه الذي كان قد تصوّر في صورة هشام بن حكيم ، و قال إنّما أتقل في الصور لأنّ عبادي لا يطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها و من رأيي احترق بنوري ، و كان المقنّع قد أباح لأتباعه المحرّمات و حرّم عليهم القول بالتحريم و أسقط عنهم الصّلاة و الصّيام و سائر العبادات<sup>6</sup> ، فعبده خلق و قاتلوا دونه مع ما عاينوا من

<sup>1</sup> مطيع بن إياس: أبو سلمى، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية و العبّاسية ، مولده و نشأته بالكوفة ، كان ظريفا ماجنا متهمًا بالزّندقة ، توفي بالبصرة سنة 166هـ/782م ( السيد المرتضى، مصدر سابق، ج 1، ص 98 . ابن حجر، لسان الميزان، ترجمة رقم 7789، ج 8، ص 88 . الزّركلي، مرجع سابق، ج 7، ص 255 ) .

<sup>2</sup> الأصفهاني، مصدر سابق، ج 13، ص 199 .

<sup>3</sup> مرو : أشهر مدن خراسان و قضبتها ، و إذا أطلقوا مرو فإنّما يعنون بها مرو الشاهجان ، و النسبة إليها مروزي و هو من شادّ النسب ، و فيها قتل يزيدجرد آخر ملوك الفرس سنة 31هـ/651م ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 112 . الحميري، مصدر سابق، ص 532 ) .

<sup>4</sup> الطبري، مصدر سابق، ج 8، ص 135 .

<sup>5</sup> أبو مسلم الخراساني : عبد الرحمان بن مسلم صاحب الدعوة العبّاسية في خراسان و هازم الأمويين ، و لد سنة 100هـ/718م ، ارتفعت مكانته بعد قيام الدولة العبّاسية فعظم نفوذه و قويت شوكته ، قتله أبو جعفر المنصور سنة 137هـ/754م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 6، ص 48 ) .

<sup>6</sup> البغدادي، مصدر سابق، ص 257 .

قبح صورته و عوره و لكنته و قصره ، و كان قد اتّخذ وجهها من ذهب و لذلك قيل له المقنّع  
و استغواهم بالسّحر، و حاصره سعيد الجرشي قائد المهدي و بالغ في ذلك ، فلمّا أحسّ المقنّع  
بالغلبة استعمل سمّاً و سقا به نساءه ، و قُتل سنة 163هـ/779م<sup>1</sup> .

---

<sup>1</sup> الذهبي، العبر في خبر من عبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م، ج1، ص184 .

Laoust. H, **Les schismes dans l'Islam** , Payot, Paris, 1965, p 74 .

## الفصل الثاني : ادعاء النبوة في بلاد المغرب والأندلس وآثارها

### السياسة من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م .

1- تعريف النبوة و أسباب إدّعاءها .

أ- تعريف النبوة .

ب- عقيدة ختم النبوة .

ج- أسباب إدّعاء النبوة .

2- إدّعاء النبوة في برغواطة .

أ- أصل برغواطة .

ب- ديانة برغواطة .

ج- الديانة البرغواطية بين الحقيقة و الإدّعاء .

3- إدّعاء النبوة في غمارة .

أ- التعريف بغمارة و مواطنها .

ب- نبوة حاميم .

ج- ديانة حاميم .

د- نهاية حاميم .

4- أدعاء النبوة المغمورون في بلاد المغرب و الأندلس .

أ- أنبياء المغرب المزعمون قبل الإسلام .

ب- أدعاء النبوة المغمورون بعد الإسلام في المغرب و الأندلس .

5- الآثار السياسية لادّعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس (من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ /

7م - 13م ) .

أ - قيام دولة برغواطة .

ب- أمراؤها .

ج- الصراعات السياسية في بلاد المغرب بعد قيام دولة برغواطة .



الفصل الثاني : إدعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 2 هـ إلى 7 هـ / 8 م إلى 13 م .

لم تسلم بلاد المغرب من ظهور مدّعين كثر زعموا أنّهم أنبياء يوحى إليهم و أنّهم مرسلون إلى قومهم ، فأتوا بشرائع جديدة و ألفوا كلاما و قالوا إنّهم وحي من الله تعالى مضاهين بذلك الأنبياء و الرسل ، و الناس في أمرهم مختلفون ، فبين مصدّق تابع يرى فيهم النبوة حقا و بين مكذّب محذّر من تصديقهم و الإيمان بهم ، و بين هؤلاء و أولئك صراع قد يطول و يشتدّ أحيانا و قد لا يكون له أثر في أحيان كثيرة .

### 1- تعريف النبوة وأسباب ادعائها :

#### أ- تعريف النبوة :

1 - لغة : قال الجوهري في الصحاح: " و النبأ الخبر تقول : نلبو نبأ أي أخبر ، و منـه أُخِ النبي ، لأنه أنبأ عن الله تعالى و هو فعيل بمعنى فاعل . قال سيبويه<sup>1</sup> : ليس أحد من العرب إلا و يقول تنبأ مسيلمة بالهمز، غير أنّهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذريرة و البريرة إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف في غيرها و يخالفون العرب في ذلك .

و تصغير النبي نبيّء مثل نبيّج ، و تصغير النبوة نبوة نبيّة مثل نبيّة ، تقول العرب : كانت نبية مسيلمة نبية سروة ، و جمع النبي نباء ، قال الشاعر :

يا خاتم النبأ إنك مرسل بالخير كل هدي السبيل هداكا

و يجمع أيضا على أنبياء لأنّ الهمز لما أبدل و ألزم الإبدال جُمع ما أصل لامة حرف الع لة كعيد و أعياد " <sup>2</sup> .

و قال ابن منظور: " النبيّ العلم من أعلام الأرض التي يهتدي بها ، قال بعضهم : و منه اشتقاق النبي لأنّه أرفع خلق الله و ذلك لأنه يهتدي به . ابن السكيت : هو الذي أنبأ عن الله

<sup>1</sup> سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويهو معناه بالفارسية رائحة التفاح ، ولد سنة 148 هـ/756 م ، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد ، و له كتاب في النحو لم يسبقه إليه أحد ، توفي سيبويه سنة 180 هـ/796 م ( القفطي، إنباهالرواة، ج 2، ص 346 . الزركلي، مرجع سابق، ج 5، ص 81 ) .

<sup>2</sup> الجوهري، مصدر سابق، ج 1، ص 75 .

فترك همزه ، قال : و إن أخذت النبي من النبوة و النبوة ، و هي الإرتفاع من الأرض لارتفاع قدره  
و لأنه تشرف عل سائر الخلق" <sup>1</sup>.

و أما الرسول من الإرسال بمعنى التوجيه ، و قد أرسل إليهم و الاسم الرسالة و الرسول  
و الرسيل و أنشد :

لقد كذب الواشون ما بُحت عندهم بليلى و لا أرسلهم برسيل

و الرسول بمعنى الرسالة يؤنث و يذكر ، يقال هي رسولك و ترسل القوم أرسل بعضهم إلى  
بعض ، و الرسول : الرسالة و المرسل ، و في التنزيل : " إنا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " <sup>2</sup> ، و لم يقل  
رسل لأنه فعول و فعلا يستوي فيها المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع ، مثل عدو و صديق .  
و قال أبو بكر الأنباري في قول المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله : " أعلم و أبين أن محمدا  
متابع للإخبار عن الله عزّ و جلّ ، و الرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه ، أخذا من  
قولهم جاءت الإبل رَسَلا أي متتابعة " <sup>3</sup>.

و قال الجرجاني في معجمه : " الرسول في اللغة هو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم  
أو القبض " <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، مصدر سابق، ص 433 .

<sup>2</sup> سورة الشعراء، الآية 16 .

<sup>3</sup> ابن منظور، مصدر سابق ، ص 1644.

<sup>4</sup> الجرجاني، مصدر سابق، ص 96 .

**2 - إصطلاحا :** ذهب أهل السنة و الجماعة إلى أنّ النبوة اصطفاء من الله و احتطو منه لعبده من بين سائر الناس يختصّه برحمته و يصطفيه بفضله و منته ، و قالوا إنّ النبيّ يختصّ بصفات ميّزه الله بها على غيره و بصفات فضّله بها بعد البعثة لم تكن موج —ودة من قبل<sup>1</sup> ، و الله سبحانه وتعالى أخبر أنّه يصطفى من الملائكة رسلا و من الناس ، و الإصطفاء افتعال من التصفية كما أنّ الإختيار افتعال من الخيرة ، فيختار من يكون مصطفى ، و قد قال تعالى : " الله أعلم حيث يجعل رسالته " <sup>2</sup> ، فهو أعلم بمن يجعله رسولا ممن لم يجعله رسولا ، و لو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا <sup>3</sup> .

و قيل إنّ النبوة في الشرع هي صفة تحدث في الشخص بعد أن يصطفيه الله عز و جل فيخبره بخبر السماء ، فإن كلفه بتبليغه إلى الناس يكون نبيا رسولا و إن لم يكلف بذلك فهو نبي ، أي مخبر في نفسه غير مطالب بالتبليغ <sup>4</sup> .

و قد ذكروا فروقا بين النبي و الرسول و أحسنها أنّ النبي من نبأه الله بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول و إن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول ، فكل رسول نبي و ليس كل نبي رسولا <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ابن تيمية، كتاب النبوات، تحقيق : د/ عبد العزيز بن صالح الطويات مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م ، مقدمة المحقق، ص 30 .

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية 124 .

<sup>3</sup> ابن تيمية، منهـاج السنـة النبوية، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م، ج5، ص 437 .

<sup>4</sup> أحمد بن سعيد بن حمدان الغامدي، عقيـدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م، ص 15 .

<sup>5</sup> ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق : جماعة من العلماء و خرّج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1404هـ/ 1984م، ص 158 .

## ب- عقيدة ختم النبوة :

تتميز العقيدة الإسلامية بمميزات فريدة تؤهلها للبقاء و الثبات و مغالبة التحريف و التشويه، ذلك التميز هو حفظ الله عز و جل للأصل الذي تستقي منه تلك العقيدة و هو القرآن العظيم ، قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " <sup>1</sup> ، و لهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة لم يصل إليها كيد الكائدين و لم يضرها تحريف المبطلين ، و من هذا فإنّ المسلم في أي زمان و م كان يستطيع أن يستدل على عقيدته بهذا الكتاب و هو آمن من أنّه لا يوجد خلل به أو خطأ فيه ، و يبقى بعد ذلك اختلاف الأفهام و تباين الإدراكات البشرية ممّا يغتفر فيه الخطأ مع بذل الجهد و إخلاص النية ما لم يعارض نصاً ثابتاً أو إجماعاً من الأمة على خلافه <sup>2</sup> .

و يعتقد المسلمون جميعهم أنّ محمّداً صلى الله عليه و سلم هو آخر الأنبياء الذي أرسله الله إلى البشرية ، و به خُتمت النبوة فلا نبي بعده والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب و السنة .

فمن الكتاب الحكيم قوله تعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ " <sup>3</sup> ، قال ابن كثير في تفسيره أنّ هذه الآية نص في أنّه لا نبي بعده صلى الله عليه و سلم ، فلا رسول بطريق الأولى لأنّ مقام الرسالة أخصّ من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي و لا ينعكس <sup>4</sup> .

و قال تعالى : " قُلْ يَٰ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " <sup>5</sup> ، فالآية تدل على عموم رسالته إلى الناس جميعاً فهذا خطاب للأحمر و الأسود و العربي و العجمي ، و هذا الإرسال إلى الناس جميعاً من شرف و عظمة النبي محمد صلى الله عليه و سلم و أنّه خاتم النبيين <sup>6</sup> .

<sup>1</sup> سورة الحجر، الآية 9 .

<sup>2</sup> أحمد سعد الغامدي، مرجع سابق، ص 18 .

<sup>3</sup> سورة الأحزاب، الآية 40 .

<sup>4</sup> ابن كثير، تفسير القـرآن العظميـم، مؤسسة قرطبة للطباعة و النشر و التوزيع، الجيزة (مصر)، الطبعة الأولى ، 1411هـ/1990م، ج11، ص 175 .

<sup>5</sup> سورة الأعراف، الآية 158 .

<sup>6</sup> ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص417 .

و قد وردت آيات أخرى في تقرير هذا المعنى كقولـه تعالى : " وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ " <sup>1</sup> ، و قوله تعالى : " وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا " <sup>2</sup> ، و قوله تعالى : " وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " <sup>3</sup> .

و بما أنّ هذه الرسالة عامة و تخاطب جميع الناس بدون تخصيص أو تقييد فهي إذا تشمل من كان في عهده ص لى الله عليه وسلم و من سيأتي بعده ، و بذلك العموم يتضح أنّها خاتمة الرسـالات و آخرها ، إذ لا تحتاج البشرية إلى دين جديد ما دام هذا الدين قد خاطبهـم جميعـا و وسعهم جميعا <sup>4</sup> .

و إنّ هذه الآيات الدالة على عقيدة ختم النبوة لا يبقى بعدها مجال لنبوة جديدة أو دين جديد ، فنبى الإسلام خاتم الأنبياء و كتابه حجة على كل من بلغـه و رسالته تخاطب الناس جميعا ، و قد بلغ الإسلام على يده ذروة كماله و تمامه ، ثمّ لما كان مراد الله أن يكون ديننا لخلقـه فقد تكفل بحفظه و رعايته بنفسه ليكون بقاءه بصورته النقية حجة على كل الخلق إلى يوم القيامة م تى أرادوا الإهتمام بهديه ، بخلاف الرسـالات السابقة التي لم يعطها من تلك المميزات شيئا لأنّه لم يرد لها ما أرادـه للإسـلام ، فلكـان أن أدّى ذلك إلى تعرضهـا لعوامـل التحريف و الضياع <sup>5</sup> .

و من السنة الشريفة فلنّ الكثير من علماء المسلمين قالوا بتواتر <sup>6</sup> الخبر عن رسول صلى الله عليه و سلم لله أنّه قال : " لا نبي بعـدي " ، و منهم أبو منصور البغدادي في كتابة أصول

<sup>1</sup> سورة سبأ، الآية 28 .

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية 79 .

<sup>3</sup> سورة الأنبياء، الآية 107 .

<sup>4</sup> أحمد بن سعد الغامدي ، مرجع سابق، ص 25 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 29 .

<sup>6</sup> الحديث المتواتر : هو الحديث الذي يرويه في كل طبقة من طبقات السند رواة كثيرون يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه و ينتهي خبرهم إلى حس .

و التواتر نوعان : تواتر معنوي و هو ما تواتر معناه دون لفظه كأحاديث رفع اليدين في الدعاء و مواقيت الصلاة ، و تواتر لفظي و هو ما تواتر لفظه و معناه مثل حديث من كذب عليّ متعمدا ، فقد رواه أكثر من سبعين صحابيا ( أحمد فريد، نظم الدرر في مصطلح أهل الأثر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م ، ص 181 ) .

و الحديث المتواتر كما ذكر الحافظ ابن حجر في نزهة النظر يفيد العلم الضروري ( ابن حجر العسقلاني ، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الرحيلي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م، ص 37 و ما بعدها ) .

الدين<sup>1</sup> ، و قال الحافظ ابن كثير إنها متواترة من حديث جماعة من الصحابة و ساق الكثير منها في تفسيره<sup>2</sup> .

و من هذه الأحاديث الصحيحة ما رواه البخاري في كتاب المغازي في صحيحه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج إلى تبوك و استخلف عليا فقال : " تخلفني في الصبيان و النساء إلا أنه لا نبي بعدي"<sup>3</sup> ، و روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد و مواضع الصلاة عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " فضلت على الأنبياء بـست ، أعطيت جوامع الكلم و نصرت بالرعب و أحلت لي الغنائم و جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا و أرسلت إلى الخلق كافة و خُتم بي النبيون "<sup>4</sup> ، و روى الإمام مسلم أيضا في كتاب الفضائل باب في أسمائه صلى الله عليه و سلم عن جبير بن مطعم أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إن لي أسماء أنا محمد و أنا أحمد و أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر و أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، و أنا العاقب الذي ليس بعده أحد"<sup>5</sup> .

و روى أبو داود في سننه في كتاب الفتن و الملاحم عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها و مغاربها ، و إنّ ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها... و إنّه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنّه نبي ، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"<sup>6</sup> .

فمقام النبوة مقام عظيم يؤتيه الله عز و جل من يشاء من عباده ، و من ادّعاه بعد النبي صلى الله عليه و سلم فهو أقاك كذاب<sup>7</sup> ، هدفه من دعواه بلوغ ما بلغه الأنبياء و آخرهم نبينا

---

<sup>1</sup> أبو منصور البغدادي ، أصول الدين ، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م، ص 184 .

<sup>2</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 11، ص 176 و ما بعدها .

<sup>3</sup> البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك و هي غزوة العسرة، حديث رقم 4416، ج3، ص 834 .

<sup>4</sup> الإمام مسلم، الصحيح، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب ابتداء مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، حديث رقم 523، ص 211 .

<sup>5</sup> نفسه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه و سلم، حديث رقم 2354، ص 958 .

<sup>6</sup> أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1420هـ/1999م، كتاب الفتن و الملاحم، باب في النهي عن السعي، حديث رقم 4252، ص 464 .

<sup>7</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 11، ص 179 .

محمد صلى الله عليه و سلم من المكانة الرفيعة و الكلمة المسموعة و الذكر الحسن في الأولين  
و الآخرين ، فيحصل له بذلك الجاه و الزعامة و الملك و الرياسة .

## ج- أسباب ادّعاء النبوة :

**ج1- العصبية القبلية :** إنّ العصبية القبلية من المظاهر التي عرفتتها المجتمعات الإنسانية منذ أقدم العصور ، و قد جاء الإسلام داعياً إلى نبذها و مؤكداً على التواصل و المحبة بين أفراد المجتمع من خلال رابطة العقيدة الإسلامية التي هي أقوى و أسمى رابطة توحد بين مختلف مكونات المجتمع المسلم ، قال تعالى : " يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " <sup>1</sup>.

و بعد تأسيس الدولة الإسلامية و اتساع رقعتها و بعد اشتغالها على شعوب مختلفة الأجناس أضحت العصبية القبلية مضرّة بالمجتمع الإسلامي المتلاحم بالتعالييم الدينية السمحة ، تلك التعاليم المساوية بين الناس و النابذة لعوامل التفرقة و التباهي بالأنساب ، و هكذا وقف الدين ضد العصبية هذه و دعاها مستنداً إلى نصوصه الصريحة القرآنية منها و النبوية ، و من هنا يكون الدين أحد العوامل السياسية في إضعاف العصبية و القضاء عليها <sup>2</sup>.

و لما ظهر المتنبيون في جزيرة العرب ما حملهم على ذلك إلا منافسة قريش و عدم التسليم لها بالزعامة في المنطقة ، فإذا كانت فيها النبوة فلم لا تكون في غيرها من القبائل ؟ و هذا ما شجع بعض زعماء القبائل العربية على الإسراع في دعوى النبوة لعلهم يظفرون بما ظفر به رسول الله صلى الله عليه و سلم من المكانة التي تبوأها في قريش ثم إلى سائر العرب و المسلمين .

و قد التفت بعض القبائل حول هؤلاء المتنبيين في حماس شديد و فيهم من يعلّم كذبه —م و دجلهم ، فقد روى ابن كثير في البداية و النهاية أنّ رجلاً من ربيعة جاء إلى الإمامة فقال : أئني مسيلمة ؟ قالوا : مه رسول الله ، فقال : لا حتى أراه ، فلما جاء قال : أنت مسيلمة ؟ فقال : نعم ، قال من يأتيك ؟ قال : رحمان ، قال : أفي نور أم في ظلمة ؟ قال : في ظلمة ، فقال : أشهد أنك كذاب و أن محمداً صادق و لكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية 13 .

<sup>2</sup> الدراجي بوزياني، العصبية القبلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2003م، ص 239 .

<sup>3</sup> ابن كثير، البداية و النهاية، ج9، ص 474 .



و كذلك فعل عيينة بن حصن بن بدر الذي ارتدّ عن الإسـلام و ناصر طليحة الأسدي المتقي ، حيث قال لقومه : " و الله لنبي من بني أسد أحب إلينا من نبي من بني هاشم ، و هذا محمد قد مات و هذا طليحة فاتبعوه " ، فوافقه قومه بنو فزولة على ذلك<sup>1</sup> .

فالطابع الاستقلالي للقبيلة و الزعامة المتجدّرة فيها و روح المقاومة التي أصبحت إحدى سماتها المميزة تعد مناقضة لروح و تعاليم الشريعة الإسلامية و ما تهدف إليه من إذابة روح القبيلة حيث مست تشريعاتها هذا الطابع مباشرة<sup>2</sup> .

**ج2 - طبيعة السكان :** تبعا لطبيعة سكان بلاد المغرب التي تشجع على التحرّر من قيود النظم و العقائد لا سيما في نطاق القبيلة مدعومة بالظروف الطبيعية ، فإنّ بعض السكان أرادوا على ما يبدو مضاهاة هذه الديانات و على رأسها الإسلام بابتداع تعاليم ديانة خاصة بهم يكون مقامها بالنسبة للإسلام كمقام الإسلام بالنسبة لليهودية و النصرانية ، ما شجع المبتدعين ممّن كان لهم طموح في الزعامة ادّعاء النبوة و ابتداع دين خاص يستجيب لطبائع و طموحات السكان يحاكون به تعاليم الإسلام<sup>3</sup> التي يبدو أنّ بعض البربر لم يستطيعوا الإلتزام بها و تطبيق ما جاء فيها من أداء للواجبات و امتناع عن المحرمات ، لذلك نجح أنّ الكثير ممّن ادّعى النبوة أحلّ لأتباعه الكثير من المحرمات ، و يذكر البكري أنّ بعض صنهاجة عند بداية انتشار الإسلام في بلاد المغرب كان سبب ردّهم ثقل شرائعهم عليهم<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> ابن كثير، مصدر سابق، ج9، ص453 .

<sup>2</sup> إسماعيل السامعي، قضـايا تاريخية في تاريخ المغـرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، ص87 .

<sup>3</sup> نفسه، ص88 .

<sup>4</sup> أبو عبيد البلوي، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص91 .

**ج3 - الانحراف الفكري :** المراد بالانحراف الفكري ما وقعت فيه خاصة طائفتا الشيعة و غلاة الصوفية<sup>1</sup> حيث سلكتا في بعض الجوانب الدينية مسلكا منحرفا كان له أشد كبير في حركة التنبؤ و دفعها و تهيئة المناخ المناسب لها للاستمرار ، و قد اشتركا في الغلو في حق أئمتهم و أوليائهم ، لهذا فقد كان خروج المتبعين فيهم أكثر من غيرهم<sup>2</sup> .

و ذكر مؤلفو الملل و النحل أنّ فرقا من غلاة الشيعة أوجبت النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم لغيره ، و منهم الغرابية الذي قالوا إنّ محمدا كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب ، و أنّ الله بعث جبريل بالوحي إلى علي فغلط جبريل و لا لوم عليه لأنه غلط ، و قالت طائفة منهم بل تعمّد ذلك جبريل و كفّروه<sup>3</sup> ، و زعمت هذه الفرقة أنّ عليا كان الرسول و أولاده بعده هم الرسل ، و يقولون لأتباعهم العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام<sup>4</sup> ، و أمّا البيانية ففرقة تنسب إلى بيان بن سمعان التميمي و حُكي عن أتباعه أنّهم يثبتون أنّه نبي<sup>5</sup> ، و فرقة أخرى يقال لها المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي الملقب بالكسف ، كان يقول إنّ المراد بقوله تعالى " إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا " <sup>6</sup> ، و زعم أنّه عُجّج به إلى السماء فمسح معبوده رأسه بيده ثمّ قال له : أي بني

---

<sup>1</sup> اختلفت كلمة العلماء و المؤرخين كثيرا حول تعريف الصوفية ، ف قيل إنّ النسبة إلى الصوف الذي يرتدونه ، و قيل إنّها مأخوذة من الصفاء ، و بعضهم أرجعها إلى أهل الصفة من الصحابة ، و قيل نسبة إل قبيلة بني صوفة التي كانت حول البيت الحرام في الجاهلية ، و رأى آخرون أنّها تعود إلى الصفوة من خلق الله ، و أما معناها الاصطلاحي ف قيل هي تصفية القلب عن موافقة البرية و مفارقة الأخلاق الطبيعية و إخماد الصفات البشرية و مجانية الدواعي النفسانية و منازل ————— الصفات الروحانية و التعلق بالعلوم الحقيقية و إتباع الرسول في الشريعة ( ينظر مثلا : أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف**، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1415هـ/1994م، ص 5 و ما بعدها ) .

و قال ابن الجوزي إنّ التصوف طريقة كان ابتداءها الزهد الكلي ثمّ ترخص المنتسبون إليها بالسماع و الرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد و مال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة و اللعب ( ابن الجوزي، **تليس إبليس**، دار الأرقم، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 156 و ما بعدها ) .

و ينظر أيضا حول تعريف الصوفية بعض المراجع الأجنبية منها :

E.Geoffroy , **le Soufisme ( histoire , fondement , pratique)**, Editions Eyrolles, paris, 2015, p 31 .

<sup>2</sup> أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، مرجع سابق، ص 283 .

<sup>3</sup> ابن حزم، مصدر سابق، ج5، ص 42 .

<sup>4</sup> البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 250 .

<sup>5</sup> أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين**، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1411هـ/1990م، ج1، ص 67 .

<sup>6</sup> سورة الطور، الآية 44 .

أذهب فبلغ عني ثم نزل به إلى الأرض ، و يمين أصحابه إذا حلفوا أن يقولوا لا و الكلمة ، و زعم أنّ عيسى أول من خلق الله من خلقه ثم علي وإنّ رسول الله لا تنقطع أبدا ، و كفر بالجنة و النار وأبلى المحرمات و أسقط الزكاة و الصلاة و الصيام<sup>1</sup> .

**ج4 - انتشار الجهل :** يحدّ الجهل أخصب بيئة لنشر أي دعوة منحرفة يسعى صاحبه إلى تبوّء المكانة السامية و الزعامة السياسية و الروحية ، و تعتبر الشيعة باختلاف فرقها من أكثر الطوائف التي ظهرت و انتشرت فيها الخرافات و الدعوات الباطلة ، و غالبا ما ينسبونها للإمام صاحب الزمان المرتظر الذي يدعون إليه ، و الذي لا سبيل للناس إلى معرفته و لا معرفة ما يأمّرونهم به و ينهونهم عنه و ما يخبرهم به<sup>2</sup> بمعنى أنّهم يأخذون العلم عن مجهول ، و لتأكيد هذا المفهوم ادّعى أحد شيوخهم أنّ هذا هو مذهب المنتظر المعصوم ، و نقل ابن تيمية أنّه رأى شيخا من شيوخهم يدعى بـابن العود الحلي يقول إذا اختلفت الإمام بقي على قولين أحدهما يعرف قائله و الآخر لا يعرف قائله كان القول الذي لا يعرف قائله هو القول الذي يجب اتباعه ، لأنّ المنتظر المعصوم في تلك الطائفة<sup>3</sup> .

و القول نفسه ينحرف على طوائف من الصوفية الذين زعموا أنّ علمهم علم لدني<sup>4</sup> ، فأغروا الناس بالزهد في طلب العلم بطرائقهم المعروفة ، قال ابن الجوزي عن هؤلاء : " كان أصل تلبيسه - أي إبليس - عليهم أن صدّهم عن العلم و أراهم أنّ المقصود العمل ، فلمّا أطفأ مصباح العلم عندهم تخطوا في الظلمات<sup>5</sup> " .

<sup>1</sup> ابن حزم، مصدر سابق، ج5، ص45 . الأشعري، مصدر سابق، ج1، ص75 .

<sup>2</sup> ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج1، ص87 .

<sup>3</sup> نفسه، ج1، ص89 .

<sup>4</sup> يقول الصوفية إنّ العلم اللدني أقوى و أحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم ، و هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس و بين الباري ، و إنّما هو كالضوء من سراج الغيب على قلب صاف لطيف ، و إنّ هذا العلم يكون لأهل النبوة و الولاية كما كان للخضر عليه السلام ، و الواصلون إلى مرتبة العلم اللدني مستغنون عن كثرة التحصيل و تعب التعليم فيتعلمون قليلا و يعملون كثيرا و يتعبون يخيلا و يستريحون طويلا ( د/ رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1999م، ص ص 673- 674 ) .

<sup>5</sup> ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص158 .

و هذا القدر المشترك من الجهل عند الطائفتين - الشيعة و الصوفية - و الذي قد انعدمت معه الحصانة العلمية الشرعية التي تحمّهم من البدع و الضلالات قد كان من أكبر الأسباب لنجاح بعض حركات التنبؤ<sup>1</sup>.

و في بلاد المغرب و رغم مرور قرون كثيرة على انتهاء عمليات الفتح الإسلامي، بقيت الكثير من مناطقها يسودها جهل مطبق حيث الإنتماء إلى الإسلام سطحيًا لا يتعدى الإقرار بالشهادتين في أغلب الأحيان<sup>2</sup>، و الأملّة على ذلك كثيرة فقد نقل التجاني في رحلته التي كانت في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي عن منطقة جبل غمراسن في أدنى المغرب -رب قوله-: " ليس لأهل غمراسن و لا لأكثر ساكني هذا الجبل في الحقيقة من الإسلام إلا الاسم فقط ، و لا تجد منهم من يعرف الصلاة اسما فضلا أن يقيموا لها رسما و كذلك جميع الشرائع ، و أقمنا ما أقمنا معهم فلم نسمع عندهم أذانًا و لا طرق صوته لنا أذانًا ، و إن كنت قد رأيت من أعلى قلعتهم موضعا سموه مسجدا ليس يصلي فيه إلا رجل غريب من أهل زوارة سكن عندهم"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> أحمد بن سعد حمدان الغامدي، مرجع سابق، ص 288 .

<sup>2</sup> المبروك المنصوري، ظاهرة التنبؤ في بلاد المغرب الإسلامي إلى نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أسبابها و مظاهرها، موارد مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سوسة، العدد الخامس، 1420هـ/2000م، ص 73 .

<sup>3</sup> أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني -اني، قدم لها : حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1401هـ/1981م، ص 187 .

## 2- إدعاء النبوة في برغواطة :

أ- أصل برغواطة : اختلفت الآراء حول أصل برغواطة ، فنسبهم صاحب مفاخر البربر إلى زنادة<sup>1</sup> و ذكر أنّ ملكهم استقر بتامسنا<sup>2</sup> ، و أنّ أصل إمامهم الذي شرع لهم ديانتهم هو صالح بن طريف من وادي برباط بلّاندلس ، فقيل لكلّ من دخل دي-انته برباطي فأحالة العرب بألسنتها فقالت برغواطي<sup>3</sup> ، و القول نفسه حكاه صاحب الاستبصار فقال إنّ صالح بن طريف يهودي النسب<sup>4</sup> من سبط شمعون و أصله من برباط بلّاندلس ، و كان رحل إلى المشرق و قرأ على غي-لان القدري<sup>5</sup> ، و رأى من السحر كثيرا فدخل إلى بلاد تامسل فوجد فيها من زنادة قوم-ا جهّالا و كان ذلك سنة 123هـ/741م ، فأظهر الإسلام و النسك حتى استفر عقولهم فولّوه على أنفسهم ، فلما ولي شرع لهم الديانة التي أخذوها عنه<sup>6</sup> .

---

<sup>1</sup> زنادة : إحدى القبائل البربرية الكبرى رحل في جملته-م ، تتفرّق قبائله-م في كل بلاد المغرب على أنّ أغلبها في الفيا في الصحراء الممتدة من غدامس إلى المغرب الأقصى ، و منها جراوة و بنو إيفرن و مغراوة ( ج مارسى ، دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م ، ج10، ص417 ) .

و حول زنادة و تاريخها منذ الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري ينظر: محمد بن عميرة، دور زنادة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/1984م، ص15 و ما بعدها .

<sup>2</sup> تامسنا : إقليم تابع لمملكة فاس، يبتدئ غربا عند أم الربيع و ينتهي إلى أبي رقراق شرقا و الأطلسي جنوبا و شواطئ البحر المتوسط شمالا ( الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ، وصف إفريقيا-ا ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م، ص194 ) .

<sup>3</sup> مجهول، مفاخر البربر، تحقيق : عبد القادر بوبايا ، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م، ص139 .

<sup>4</sup> و قال بهذا الأصل اليهودي بعض الباحثين الأجانب ، ينظر :

René.Basset, **Recherches sur la religion des berbères**, Ernest leroux, Paris, 1910, p 49 .

<sup>5</sup> غيلان القدري : غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ، كان قدريا داعية ، قتل بعد سنة 105هـ/723م ( ابن حجر، لسان الميزان، ترجمة رقم6009، ج6، ص314 . الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص124 ) .

<sup>6</sup> مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق : د/ سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1401هـ/1981م، ص197 .

و أما عبد الرحمان ابن خلدون فقال إنّ برغواطة بطن من بطون المصامدة<sup>1</sup> ، لئان لهم في صدر الإسلام التقدم و الكثرة و كانوا شعوبا كثيرة مفترقين ، و كانت مواطنهم في بسائط تامسنا و ريف البحر المحيط<sup>2</sup> ، و نفى أن تكون برغواطة معدودة في قبائل زناتة و يشهد حسبه موطنهم و جوارهم لإخوانهم المصامدة ، و أضاف ابن خلدون أنّ صالح بن طريف معروف أنّه منهم و ليس من غيرهم ، و أنّ نسب الرجل في برغواطة و هم شعب من شعوب المصامدة شعب معروف<sup>3</sup> .

و توقف في برغواطة و نسبها بعض المؤرخين فنسبوها إلى البربر جملة ، فابن حوقل الذي يعد أحد المصادر الأساسية حول تاريخها قال إنّ برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط<sup>4</sup> ، و أمّا ابن عذارى فأيد القول بأنّ طريف أبا ملوكهم كان من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق ، و أنّه احتل بلاد تامسنا فقدّمه البربر على أنفسهم<sup>5</sup> و لم يشر لا إلى زناتة و لا إلى مصمودة ، و أما عن أصل التسمية فقال إنّها مشتقة من سباط فليل سباطي ثم تحولت بلسان القوم إلى برغواطة<sup>6</sup> .

و قال ابن أبي زرع الفاسي إنّ برغواطة قبائل كثيرة و ليس لهم أب واحد و أم واحدة ، و إنّما هم أخلاط من قبائل شتى من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف القائم بتامسنا و كان أصله من برباط بالأندلس<sup>7</sup> .

<sup>1</sup> المصامدة : هم أقحاح البربر الذين لم يختلطوا بسواهم إلا نادرا و أهل المغرب الأقصى الأولون المختصون بسكنى جباله منذ الأحقاب الطويلة ، و هم أبناء مصمود بن يونس أبي الشعوب البرانس ، و كانت مواطنهم الأصلية تبتدئ في شمال المغرب الأقصى من حدود بلاد الريف من جهة الشرق إلى المحيط الأطلسي من جهة الغرب ، ثمّ تمتد إلى الجنوب شاملة سهول أزغار ( الغرب ) و تامسنا ( الشاوية ) و دكالة حتى تتصل بجبال الأطلس الكبير ، فهم أهل الجبال و غيرهم أهل البسائط إلا قليلا ، و تشمل مصمودة على شعوب و عدد كبير من القبائل ( عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1388هـ / 1968م ، ص 321 ) .

<sup>2</sup> ابن خلدون ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، 1421هـ / 2000م ، ج 6 ، ص 276 .

<sup>3</sup> نفسه ، ج 6 ، ص 280 .

<sup>4</sup> ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص 82 .

<sup>5</sup> ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق : ج .س . كولان و ليفي بروفنرال ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1403هـ / 1983م ، ج 1 ، ص 223 .

<sup>6</sup> نفسه ، ج 1 ، ص 225 .

<sup>7</sup> ابن أبي زرع ، الأنيس الموطوب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1391هـ / 1972م ، ص 130 .

و رأى ابن الخطيب أنّهم لا يرجعون لأصل واحد. و إنّما هم أخلاط من قبائل شتى زناتية<sup>1</sup> ،  
أما الناصري من المتأخرين فقلل : " و التحقيق أنّ برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد و إنّما  
هم أخلاط من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف الذي ادعى النبوة "<sup>2</sup> .  
و ذكر آخرون أنّه يجب التمييز بين برغواطة قبل حركة التنبؤ و بعده ، أي أنّها قبل أن تصبح  
ذات دعوى دينية كانت ق بيلة مفردة ثمّ انضمت إليها قبائل شتى بعد أن اكتسبت نفوذا بواسطة  
الدين ، فمن المنطقي أن تنضم إليها أخلاط من قبائل شتى بعد حركة التنبؤ شأنها شأن العرب بعد  
انتشار الإسلام<sup>3</sup> ، و من تمّ نضع في الاعتبار أنّ البرغواطيين يتحدون بنحلتهم أكثر ممّا يتحدون  
بانتماهم القبلي ، فلم يكونوا قبيلة و إنّما شكلوا طائفة<sup>4</sup> دينية أقامت لنفسها كيانا سياسيا استطاع  
أن يستمر في الوجود لعدة قرون .

---

<sup>1</sup> لسان الدين ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام "القسم الثالث"، تحقيق : د/أحمد مختار العادي و محمد ابراهيم الكتاني، دار  
الكتاب، الدار البيضاء، 1383هـ / 1964م، ص 180 .

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري، دار  
الكتاب، الدار البيضاء، 1373هـ / 1954م، ج2، ص 14 .

<sup>3</sup> المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص 88 .

<sup>4</sup> محمد الطالبي، البربر البرغواطيون البدعة و المثلثون والنزعة الوطنية ، ترجمة : عبد الجليل الأزدي، دار القرويين، الدار  
البيضاء، الطبعة الثالثة، 1435هـ / 2014 م، ص 12 .

## ب- ديانة برغواطة :

**ب1- العقائد :** يعد صالح بن طريف مؤسس و واضع الديانة البرغواطية في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، و كان أول أمره اعتناقه مذهب الخوارج الصفرية<sup>1</sup> ، ثم بدّل و ابتدّع شريعة جديدة ادّعى أنّه أوحى إليه بها و أنّه نبي مرسل من عند الله ، و كغيره من الأدعياء يؤمن صالح بربوبية الله عز وجل و يقرّ بها ، و لفظ الجلالة بلسانهم " ياكش " فيقولون " ابستم ياكش " و تفسيره باسم الله ، و يقولون أيضا " مقر ياكش " و تفسيره الله الكبير<sup>2</sup> .

و قد خاض الكثير من المؤرخين حول أصول هذه الديانة ، فذهب لفيف من المستشرقين إلى الربط بين كلمة ياكش " Yacoch " البربرية و بين إله اليونان " Bacchus " مدّعين أنّ إله البربر هو نفسه إله اليونان ( إله الخمر ) ، و من هؤلاء دي سلان " Deslane " ، و حجّته أنّ طقوس عبادة إله الخمر " Bacchus " عند اليونان منتشرة بشكل واسع وسط المغ - رب ، و على منواله نسج دوزي " Dosy " و اخلفت حجّته حيث استند إلى ابن عذارى الذي كتب ياكش " ياكش " بالباء بدل الياء ، و اعتمد أصحاب هذا الزعم على الأبحاث و الدراسات التي تشير إلى اعتنق الكثير من البربر القدامى عقيدة " Bacchus " اليونانية<sup>3</sup> ، أمّا المؤرخ جورج م-ارسي (G. Marcy) فقد أكّد أنّ ياكش " Yacoch " هو إله المواطنين المروم المسيحيين القدماء و أنّه يسوع المسيح<sup>4</sup> ، و بالمقابل نجد المستشرق اليهودي ناحوم سلوش " Nahoum Sloush " في مقاله إمبراطورية برغواطة يحاول إثبات يهودية الديانة البرغواطية ، حيث قال إنّ عمق ديانة الإمبراطورية البرغواطية ذو طابع ديني إفريقي إسلامية في شكلها بربرية في طقوسها يهودية في عمقها و ميولاتها ، و يستند في طرحه هذا إلى وجود بعض الرواسب اليهودية المبثوثة بين ثنايا هذه الديانة ، و من الأدلة التي ساقها أنّ لحم الديك محرّم لأنّه حيوان مقدّس ، بل و أكثر من ذلك يلعب دورا

---

<sup>1</sup> الصفرية : إحدى فرق الخوارج أتباع زياد بن الأصفر و ذكرت أقوال أخرى لأسماء أشخاص آخرين تنسب إليهم ، يقولون إنّ أصحاب الذنوب مشركون و لا يرون قتل أطفال مخالفيهم و نسائهم ، و قالوا إنّ الذنوب التي فيها حد لا تكفر صاحبها أمّا الذنب الذي ليس فيه حد كترك الصلاة و الصوم فهو كفر (البغداي، الفرق بين الفرق، ص90) .

<sup>2</sup> البكري، مصدر سابق ، ص139.

<sup>3</sup> مولود عشاق، حركة المتنبيين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط ، دار النشر الأحمدية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1999م، ص30 .

<sup>4</sup> نفسه، ص32 .



مهما في محو خطيئة المعصية عند يهود المشرق و الصحراء ، كما أنّ تحريم البيض و الاعتقاد بتأثير  
اللعاب عادة مستأصلة في طنجة<sup>1</sup> عند اليهود<sup>2</sup>.

و هذه الآراء حسب أحد الباحثين لا تستند على أسس علمية ، فالذين ذهبوا إلى أنّ ديانة  
برغواطة إحياء لديانة باخوس اعتمادا على دراسات في فقه اللغة دحض زعمهم على يد مارسي  
المتّمسّ في فقه اللغة المقارن و العليم باللهجات البربرية فضلا عن إجادته اليونانية و اللاتينية ،  
أما حجج مارسي في الأصل المسيحي للديانة فلا أساس لها من الصحة ، فقد تعثر حينما تناول  
موضوعا على هذه الدرجة من الخطورة من خلال فقه اللغة المقارن ، فدخل في متاهات جدل عقيم  
لإثبات أنّ ياكش هو المسيح و هو أمر نفاه عليه بعض الدراسين إذ رتب نتائج خطيرة على أساس  
غير مقنع ، و لو سلمنا جـدلا بأنّ إله برغواطة هو يسوع فأين الأب و روح القدس لتتكمّل  
الأقاليم الثلاثة في الديانة البرغواطية ، يضاف إلى ذلك أنّ الديانة المسيحية لم تنتشر في أواسط  
المغرب بل بقيت في المدن الساحلية<sup>3</sup> ، و فيما يتعلق بالرأي الذي أورده ناحوم سلوش فإنّه ينطوي  
في شكله و مضمونه على خلفيّة إيديولوجيّة محضّة من ناحية تروم و تلمس فعالية الشخصية  
اليهودية في ديمومة التاريخ الكوني ، و على محك هذا الرأي لم يتمالك نفسه في اعتبار برغواطة  
إمبراطورية قائمة لذات ، و هذا يكشف صراحة اهتزازية طرحه الذي يفتقر إلى أدنى مؤشر  
الموضوعية ، و من ناحية أخرى فإنّ مسألة البصاق عادة منتشرة في كثير من بقاع المعمورة<sup>4</sup>.

و لم يخل هذا النقاش من آراء الباحثين العرب ، فالمؤرخ إبراهيم حركات في كتابة المغرب عبر  
التاريخ يُرجّح الأصل اليهودي للديانة البرغواطية ، و حجته أنّ عددا من ملوك برغواطة تسمّوا بأسماء  
عدد من أنبياء بني إسرائيل كاليسع و يونس و الياس ، و أنّ عددا من سور القرآن الذي وضعه صالح  
تحمل أسماء تتعلق ببني إسرائيل بما فيها أسماء بعض أنبيائهم من ذلك مثلا يونس و فرعون و هاروت

<sup>1</sup> طنجة : بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، و هي آخر حدود إفريقية ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 43 ) .

<sup>2</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص34 .

<sup>3</sup> إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب ( 127هـ - 542هـ )، دار القرويين، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ، 1435هـ / 2014م ، ص 55 .

<sup>4</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص 35 .

و ماروت، و أنّ برغواطة كانوا ضلعين في السحر و التنجيم ، و معلوم أنّ بني إسرائيل كانوا من أقدر شعوب العالم في هذا الباب <sup>1</sup> .

و في موضوع آخر للباحث نفسه يجمع بين المؤثرات اليهودية و الوثنية و الإسلامية ، فيقول إنّ البرغواطين أنشؤوا مذهبا خاصا بهم ، بعض أصوله إسلامية و أكثره -مما استبح- دثوها أو تأثروا فيها بمؤثرات وثنية عريقة إلى جانب ما استقوه من أصول عبرانية ، و أضاف أنّ البرغواطين قد احتفظوا من الإسلام بخط رفيع غير متين فوجدوا الله و أدّوا الزكاة و اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم و من سبقوه من الأنبياء ، و لكنهم بالمقابل أضافوا أشياء غريبة عن الإسلام <sup>2</sup> .

و حسم الباحث إبراهيم العبيدي رأيه في المسألة موضوع النقاش بقوله إنّ الآثار الإسلامية أكثر وضوحا في هذه الديانة من غيرها ، كما أنّهم تأثروا بالفكر الشيعي و خاصة ضرورة وجود الإمام و عودته و التقية ، و كذلك أخذوا الكثير من فكر الخوارج لاسيما إذا علمنا أنّ مؤسس هذه الديانة كان خارجيا فبقيت أفكاره ملازمة له و ليس من السهولة التخلص منها ، هذا إلى جانب بعض التأثيرات اليهودية <sup>3</sup> .

و إذا كان البرغواطيون يقرّون بوحدانية الهو كأصل أول من أصول معتقداتهم ، فإنّ الأصل الثاني هو إيمانهم و إقرارهم بنبوة صالح بن طريف الذي تبوء مكانة س-امية في قوم-ه بعد مشاركته و أبيه في حروب الخوارج الصفرية ، و يقدّم لنا ابن حوقل معلومات حول صالح تبين أنّه رحل إلى العراق ودرس شيئا من النجوم و صلحت منزلته في علمها إلى أن قهّوم الكواكب و عمل التقاويم و المواليد و أصاب في أكثر أحكامه و كان له خط حسن ، و كان مضطلعا بلغة البربر ففهم غير لسان من ألسنتهم <sup>4</sup> ، و بما أنّ الكهانة و التنجيم و السحر كانت من الميزات الفارقة في ذلك العصر، فإنّه ما إن يمتلك شخص ما هذه الخصائص حتى يحاط بهالة تقديسية تجعله مركزا في مجموعة البشر المنتمي إليها و تؤلف بينه و بينهم علاقات طاعة و ولاء <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ / 2000م، ص ص 87-88 .

<sup>2</sup> إبراهيم حركات، المجتمع الدكالي و الفكر الديني، مجلة دعوة الحق " مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية و شؤون الثقافة و الفكر"، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 224، شوال - ذو القعدة 1402هـ/ أوت - سبتمبر 1982م، ص 72.

<sup>3</sup> إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص 66 .

<sup>4</sup> ابن حوقل، مصدر سابق، ص 88 .

<sup>5</sup> المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص 90 .

و كان للساحر في المجتمعات المغربية دور كبير، فهو يضطلع بوظيفة حمائية و شفا ئية إلى جانب أنه يعمل على تنظيم الحياة و تنسيقها و حل طلاسـم الوجود لتجاوز العجز الجوهري الذي يشعر به الإنسان بالإضافة إلى وظيفته التشريعية الهامة في بعض القبائل<sup>1</sup> ، و هذا ما لم يكن خافيا على صالح و أمثاله ممن سعوا إلى امتلاك ناصية علوم السحر و الشعوذة ، و ذلك لتحقيق أطماعهم و السيطرة على أقوامهم ، و قد سلك أبناء صالح من بعده هذا المنهج حيث ادعوا النبوة و برعوا في السحر و الكهانة .

و أقـرّ صالح بن طريف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع القول بأنّه ليس بخاتم النبيين و أنّه مبعوث إلى قومه و إلى العرب خاصة ، و أنّه صادق فيما أتى به من القرآن و الأحكام<sup>2</sup> ، و قد نقل البكري جزءا من قرآن صالح مترجما إلى العربية و هي سورة أوجب ، و فيها " انظر محمدا كان حين عاش استقام الناس كلّهم الذين صحبوه حتى مات ففسد الناس ، كذب من يقول أن الحق مستقيم و ليس ثمّ رسول الله " <sup>3</sup>.

و يزعم صالح بن طريف أنّ الحق لا بد له من رسول يقيمه ، و لا شك فإنّه هو هذا الرسول المبعوث بلسان قومه ، دليله من ذلك قوله تعالى : " وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ " <sup>4</sup> ، و إتياءه أراد الله بقوله تعالى : " وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ " <sup>5</sup> حسب رواية ابن حوقل<sup>6</sup> ، و زعم أنّ اسمه صالح في العرب ية و مالك في ال سرياني و عالم في الأعجمي و روبا في العبراني و وريوري في البربرية أي الذي ليس بعده شيء <sup>7</sup>.

و القرآن الذي وضعه صالح و زعم أنّه نزل عليه و أنّه وحي من الله ، يقرأه أصحابه في صلاتهم و يتلونه في مساجدهم و من شك فيه فهو كافر، جعله في ثمانين سورة سمّاها بأسماء النبيين و غيرهـم ، و منهـا سـور آدم و نوح و أيوب و يونس و يوسـف و هاروت و ماروت

<sup>1</sup> نفسه، ص 91 .

<sup>2</sup> ابن حوقل، مصدر سابق، ص 82 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص 140 .

<sup>4</sup> سورة إبراهيم، الآية 4 .

<sup>5</sup> سورة التحريم، الآية 4 .

<sup>6</sup> ابن حوقل، مصدر سابق، ص 82 .

<sup>7</sup> البكري، مصدر سابق، ص 136 .

و الأسباط و فرعون و بني إسرائيل و الديك و الحجل و الجراد و الجمل و إبليس و الحشر و سورة غرائب الدنيا و فيها العلم العظيم عندهم<sup>1</sup> .

أما باقي أركـان العقيدة البرغواطية فلا نعلم عنها شيئاً و الغالب أنّ البرغواطيين يؤمنون بها ، و هي الإيمان بالملائكة و الكتب السماوية و الأنبياء و اليوم الآخر ، و الأكيد أنّ هـذا الإيمان يكون وفقاً لما جاءت به تعاليم صالح بن طريف و من أتى بعده .  
و من أهم الأشياء التي كانوا يتبركون بها بصاق صالح<sup>2</sup> ، و أمرهم كذلك أن يلحسوا بصاق ولا تـعم تبركاً بهم ، فكان يـصق في أكفهم فيلحسونـه تبركاً و يحملـونه إلى مرضاهم يستشفون به<sup>3</sup> .

## ب2- العبادات:

- الصلاة : تعتبر الصلاة عماد الدين عند المسلمين و كذلك يبدو أنّ ديانة برغواطة أولتها أهمية بالغة فقد جعلوا لها شخصاً يتولى إقامتهـا ، و يحضى هذا الشخص بمكانة رفيعة بين قومـه ، و الدليل أنّ زمور البرغواطى صاحب السفارة إلى الأندلس كان صاحب صلاتهم .  
و صلاتهم لا أذان لها و لا إقامة و يكتفون بمعرفة أوقاتها بصراخ الديك<sup>4</sup> ، و عندهم عشر صلوات خمس في اليوم و خمس في الليل ة ، و جعلوا قبل صلاتهم وضوءاً و كيفيته أن يبدأ بغسل السرة و الخاصرتين ، ثم الاستنجاء ثم المضمضة و غسل الوجه و مسح العنق و القفـا و غسل الذراعين مع المنكبين ، و مسح الرأس ثلاث مرات و مسح الأذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين<sup>5</sup> .

و صلاتهم بعضها إيماء بلا سجود و بعضها على كيفية صلاة المسلمين ، و هم يسجدون ثلاث سجدة متصلة و يرفعون جباههم و أيديهم عن الأرض مقدار شرير ، و إحرامهم أن يضع

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص131 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص227 .

<sup>3</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص131 .

و كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون ببصاق النبي الصادق الطاهر صلى الله عليه و سلم ، فقد روى البخاري و غيره أحاديث كثيرة صحيحة في هذا الباب ، منها أنّه ما تنخّم النبي صلى الله عليه وسلم نخامه إلا وقعت في أكف رجل منهم فذلك بها وجهه و جلده ( البخاري، الصحيح، كتاب الوضوء، باب البزاق و المخاط و نحوه في الثوب، ج1، ص97 ) .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص227 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص139 .

إحدى اليدين على الأخـرى و يقول " ابتسمن ياكش " و تفسيره باسم الله " مقر ياكش " و تفسيره الله الكبير ، و يضعون أيديهم مبسوطة في الأرض طول ما يتشهدون ، و يقرؤون نصف قرآنهم في وقوفهم و نصفه في ركوعهم ، و يقولون في تسليمهم بالبربرية " الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الأرض و لا في السماء " ، ثم يقولون " مقر ياكش " خمسة و عشرين مرة " ايحن ياكش " مثل ذلك و معناه الواحد الله و "ردام ياكش" مثل ذلك و معناه لا أحد مثل الله <sup>1</sup> .

— الصوم : أقرّ البرغواطيون بفريضة الصوم لكن لا نعلم كيفيتها ، هل جعلوها كصوم المسلمين المعروف ؟ أم بدلوا و غيروا ؟

و عن شهر الصيام فحسب ابن حوقل فإنّهم جعلوه في شعبان بدل رمضان <sup>2</sup> ، و أما البكري <sup>3</sup> و ابن عذارى <sup>4</sup> و ابن أبي زرع <sup>5</sup> فقالوا إنّ شهر الصيام عندهم شهر رجب ، و زاد عليهم فرض صيام يوم من كل جمعة و يصوم الجمعة الأخرى التي تليه أبدا <sup>6</sup> ، بمعنى يفرض عليهم صيام يوم في الأسبوع طيلة حياته ، و لا نعلم هل يختاره الشخص لوحده ؟ أم لهم يوم محدد فرض عليهم في ديانتهم ؟

— الزكاة : فرضت الديانة البرغواطية الزكاة على أتباعها و جعلوا مقدارها العشر من جميع الحبوب ، و لا يأخذون شيئا من المسلمين <sup>7</sup> .

— الحج : من الواضح أنّ الحج لم يكن من الواجبات المفروضة على البرغواطين ، و نستنتج ذلك من خلال رواية البكري عن يونس بن الياس أنّه رحل إلى المشرق و حجّ و لم يحج أحد من بيته لا قبله و لا بعده <sup>8</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>2</sup> ابن حوقل، مصدر سابق، ص82 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص 138 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص226 .

<sup>5</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص130 .

<sup>6</sup> البكري، مصدر سابق، ص 139 .

<sup>7</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>8</sup> نفسه، ص136 .

**ب3- الأحكام و الحدود :** أوجب البرغواطيون الأضحية على أتباعهم في الحادي و العشرين من محرم<sup>1</sup> و لا نعلم بأي الحيوانات تكون الأضاحي ، و الراجح أنها لا تختلف عما كان يضحي به المسلمون من الغنم و البقر و الماعز و التي لم يأت في شريعة برغواطة ما يحرمها .

و من الأطعمة المحرمة عندهم أكل رأس كل حيوان و البيض و الديك الذي يدعو إلى صلاتهم ، و كرهوا أكل الدجـاج إلا في حال الضرورة ، و الحوت لا يجوز أكلـه إلا أن يـلـكـى<sup>2</sup> ، و يرى البعض أنّ دوافع تحريم هذه الأطعمة يرجع إلى دوافع سحرية و أسطورية كانت منشرة في المنطقة ، إضافة إلى وجودها من قبل في المجتمعات القديمة عبر العصور<sup>3</sup> .

و أمّا فيما يخص الأحوال الشخصية ، فإنّ الرجل له الحق في الزواج من النساء ما استطاع على مباعلتهم و الإنفاق عليهن بلا حدود ، و أن لا يتزوج من بنات عمه إلا ثلاثة حـدود ، و لا ينكح المسلمون و لا ينكحون فيهم ، و يطلقون و يراجعون ما أحبوا<sup>4</sup> .

و بخصوص الحدود فإنّ السارق يقتل عندهم حيث وجد زاعمين أنّه لا يطهره من ذنبه إلا السيف<sup>5</sup> ، و الزاني حدّه الرجم و ينفي اللـكـاذب و يسمونه المعير و الدية عندهم مائة بقرة<sup>6</sup> .

و لما وضع صالح بن طريف شريعته و ادعى أنّه نبي مرسل في قومه عهد إلى ابنه إلياس بديانته و علّمه شرائعه و فقّهه في دينه و أمره أن لا يظهر ذلك إلا إذا قوى و أمن ، فإنّه حينئذ يدعو إلى ملّته و يقتل من خالفه<sup>7</sup> .

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص131 .

<sup>2</sup> البكري، مصدر سابق، ص139 .

<sup>3</sup> المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص101 .

<sup>4</sup> البكري، مصدر سابق، ص139 .

<sup>5</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص131 .

<sup>6</sup> البكري، مصدر سابق، ص139 .

<sup>7</sup> نفسه، ص135.

## ج- الديانة البرغواطية بين الحقيقة و الإدعاء .

لقد كتبت المصادر عن الديانة البرغواطية منتقدة لها و واصفة إياها بالزندقة و الخروج عن الإسلام و هي مصادر سنية في أغلبها و غاب عنا المصادر البرغواطية التي لا أثر لها ، الأمر الذي دفع بالكثير من المؤرخين المسلمين المعاصرين إلى التشكيك في الـرواية السنية و القول ببلّغها تبالغ و تتجنى على البرغواطيين خدمة لأغراض سياسية و مذهبية ، و لا بأس من مناقشة هذه الأفكار المطروحة و محاولة إبراز مكان القوة و الضعف فيها ، و من تمّ السعي إلى الاقتراب من الحقيقة التاريخية حول هذه الحقبة المهمة في تاريخ المغرب الإسلامي.

و من الذين حاولوا نفي الزندقة و ادعاء النبوة في برغواطية الدكتور سعد زغلول عبد الحميد في كتابه تاريخ المغرب العربي حيث قال : " و يروي الكتاب أخبارا غريبة عن انحراف أبناء صالح بن طريف و قومهم برغواطية من التنبّي و تحريف أصول الإسلام و ابتكار الآيات من القرآن ، و نعتقد أنّ في ذلك كثير من المبالغة من الكتاب الذين يخدمون أغراضا مذهبية و سياسية معادية لبني طريف ، و هذا لا يمنع صحة بعض تلك الانحرافات الخاصة بالصلاة و الوضوء و الصوم و الزكاة أو بعض الرخص الخاصة بالزواج و الطعام و إقامة الحدود ، و ذلك تبعا للظروف و البيئة المتغيرة من إجتماعية و إقتصادية و نفسية إلى غيـرها من العادات و التقاليد المتوارثة ، و نعتقد أنّ الأصل فيما نسب إليهم من تحريف أنّهم كانوا يؤدّون شعائر الدين بالبربرية ، كما أنّهم ترجموا القرآن للغتهم هذه ، من هذا ما يقال من أنّهم كانوا يقولون " مقر ياكش " و تفسيره الكبير الله أي الله أكبر على ما نظن ، كما كانوا يقولون " ابستم ياكش " و تفسيره باسم الله ، "أيح ياكش " و تفسيره الواحد الله ، و " دام ياكش " و معناه لا أحـد مثل الله ، و نظن أنّه ترجمة لـ " لم يكن له كفوا أحد " ، ما يعني هذه العبارات ترجمة سورة الإخلاص " <sup>1</sup> .

و تعتبر دراسة محمود إسماعيل حسب البعض من الدراسات التي تمكنت من نفخ الغبار و تسليط أضواء جديدة على هذه الحلقة المظلمة و المغيبة في صـيرورة التاريخ المغربي ، و ناقش بجرأة و استفاضة الذين حاولوا جعل الديانة البرغواطية نتاجا لعقائد هيلينية أو يهودية أو مسيحية ، و فتّد هذه الآراء بوضوح علمية ليخلص في نهاية المطاف إلى إثبات صـفـرية العقيدة البرغواطية <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب -رب العـربي، منشأة المع -ارف، الإسكندرية، 1415هـ/1995م، ج2، ص433، هامش45.

<sup>2</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص37.

يقول الدكتور محمود إسماعيل : " و نزع أنه بفضل هذا المنهج أمكن صياغة تاريخ برغواطة لأول مرة صياغة جديدة محققة و حسم قضية الخلاف حول أصول عقيدتهم حسما جازما ، و نحن نجزم بالأصل الإسلامي لعقيدة برغواطة و أنها صورة متطورة من صور المذهب الخارجي الإسلامي ، و قد أدرك صالح بن طريف أن برغواطة في حاجة إلى التبصر بأصول المذهب و أحكامه فكرس السنوات الست التي قضاها في الحكم من أجل تلك المهمة ، و على ذلك فلا مندوحة من رفض الروايات الأسطورية التي تزعم أن صالحا ادعى النبوة أو شرع شريعة جديدة ، و كذلك الرواية القائلة بأنه رحل إلى المشرق ليعود في دولة السابع من ملوكها ، و زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان " <sup>1</sup> .

و في دراسة للدكتور رجب محمد عبد الحليم عن دولة بني صالح سار فيها تقريبا على نهج محمود إسماعيل ، نجده يهمل جاهدا لنفي تهمة الزندقة و دعوى النبوة عن البرغواطيين مدعيا أن رواية ابن حوقل لا تعضدها روايات أخرى لجغرافيين و مؤرخين سابقين و لاحقين له كابن عبد الحكم (ت257هـ/871م) و البلاذري (ت279هـ/892م) و اليعقوبي (ت272هـ/895م) و ابن خرداذبة (ت حوالي 300هـ/1000م) و الشريف الإدريسي (ت557هـ/1162م) ، إضافة إلى تضارب روايات ابن حوقل و البكري و ابن عذارى في أمر نسبة الديانة هل هو صالح بن طريف أم يونس حفيد صالح؟<sup>2</sup> و أضاف أنه ليس من المعقول أن يقبل الأمويون بعلاقات طيبة مع البرغواطيين إذا علموا أنهم مرتدون عن الإسلام ، و ليس من المعقول أيضا أن يخبر رسول ملك تامسنا خليفة الأندلس عند وفادته إليه سنة 352هـ/963م بأمر هذه الديانة التي تعتبر دون شك خروجاً عن الإسلام و ردّة عنه لأن الأمر يعرض صاحبه إلى القتل و طبعي أن رسول تامسنا كان يعلم بهذا الحكم ، فإننا نتساءل ألم يخش هذا الرسول هو و من صحبه في هذه السفارة على أنفسهم من إقامة الحد عليهم إذا ما أخبروا الخليفة بديانتهم و ردّتهم على النحو الذي أشار إليه البكري؟<sup>3</sup>

و أنكر الدكتور رجب محمد عبد الحليم إدعاء النبوة المنسوب لصالح بن طريف و بنيه من بعده ، و قال بأنهم اشتغلوا بالسحر و الكهانة و درسوا علم النجوم و الكلام و الجدل و نهغوا في

<sup>1</sup> محمود إسماعيل، مغربيات دراسات جديدة، ص21 و ما بعدها . نقلا عن إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص60 .

<sup>2</sup> د/ رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، ص52 و ما بعدها .

<sup>3</sup> نفسه، ص66 .



ذلك ، فاعتقد هؤلاء البربر الذين كانوا على شيء كثير من السذاجة بأنهم مثل الأنبياء ، و استغل أعداء بني صالح هذه الفرصة و أدمغهم بهذه التهمة و أشاعوا عنهم هذا القول ، خاصة و أنهم كانوا مخالفين لهم في المذهب ، بينما كان بنو صالح و قومهم من برغواطة ليحيوا على مذهب الشيعة و ليسوا على المذهب المالكي<sup>1</sup> .

و أما مولود عشاق فبعد طرحه القوي حول برغواطة و مناقشته لمختلف الآراء حول هذه الديانة خلص إلى نتيجة فيها كثير من الغموض و عدم الدقة و الوضوح مفادها أنّ ديانة برغواطة ديانة من فصيلة الإسلام النموذج ، أي أنّها صورة كاريكاتورية للإسلام و نسخة مشوهة من تعاليمه و لولا اللسان البربري الذي كان لسانا رسميا لهذا الدين الجديد لأمكن أن يقال إنّ لا يختلف عن الإسلام جوهريا إلا في التحريف و التبديل و وضع المراسيم و الطقوس في غير مواضعها ، و القرائن الدالة على ذلك هي ثوابت تتمثل في الإقرار بوحدة الله و الاعتراف و التصديق بنبوة محمد و أنّه نبي عربي حق مبعوث إلى قومه و إلى العرب خاصة ، و متغيرات تتمثل في الشعائر و الطقوس العملية ( الوضوء ، الصلاة ، الصيام ) و العقوبات و أداء الزكاة ، هذا فضلا عن الطقوس و العوائد و الأعراف البربرية المحلية و معطيات البيئة الجغرافية التي لها وزن و ثقل في بلورة و سير نسيج هذه الديانة كتعدد الزوجات و الطلاق و المراجعة بلا حد ، زد على ذلك أن بعض محظوراتهم متأصلة بشكل عميق في آثار عاداتهم و أعرافهم القديمة ، كتحريم أكل رأس كل حيوان و البيض و ذبح الديوك لأنّها تؤذن ، لاحظ كلمة مؤذن التي مازالت تطلق على الديك في اللغة العربية الدارجة<sup>2</sup> .

و يمكن تلخيص هذه الآراء المنافحة عن برغواطة و ما نسب إليها من زندقة في النقاط التالية :

- خدمة أغراض سياسة و مذهبية معادية لبني طريف .
- نفي دعوى النبوة عن صالح بن طريف و من أتى بعده في قومه .
- القول بأنّ قرآن صالح ما هو إلا القرآن الكريم مترجم إلى البربرية .
- القول بأنّ دين برغواطة ديانة من فصيلة الإسلام لا تختلف عنه جوهريا إلا في التحريف و التبديل .
- القول بأنّ مذهب برغواطة هو مذهب الخوارج الصفرية .

<sup>1</sup> نفسه، ص79 و ما بعدها .

<sup>2</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص40 .

و هذه الآراء نناقشها جملة و تفصيلا ، فأما جملة فإنّ كل الروايات التاريخية التي جاءت في شأن برغواطة تقول إنّ صالح بن طريف ادّعى النبوة و شرع شريعة خاصة به و أوصى بها بنيه بأنّ يخلّفوا و يدافعوا عنها ، و كل ما في الأمر أنّ المنكرين لها حملوها - أي الروايات التاريخية - ما لا تحتمل و أعطوها تفسيرات غير منطقية في غالب الأحيان ، و كان حرّيا بهم نفس هذه الروايات من أساسها و البحث عن مصادر أخرى أكثر قوة من حيث كثرة المعلومات و دقّة الروايات و قربها من مسرح الأحداث ، فنقتض الرواية التاريخية الضعيفة برواية تاريخية أخرى أصحّ سندا و أقوى حجة تناقضها في المحتوى و تختلف معها في السرد و هذا ما لم يحدث ، بل الذي حدث أنّهم خرجوا بنتائج وصفها أحدهم بأنّها الحقيقة التي لا مناص منها بناءً و تأسيسا على روايات قالوا عنها إنّها ضعيفة تارة و أسطورية تارة أخرى ، فكيف نصل إلى حقيقة أسسها واهية ؟ و كيف نشيّد مبان على قواعد هشة ؟ فالنتيجة الحتمية لهذا هي أن يخرّ السقف من القواعد على من نهج هذا المنهج .

و أما التفصيل فاكتمى ببعض الردود التي أحس بها كافية تفني بالمقصود ، فأقول بأنّ دعواهم في القول بأنّ كل الروايات الواردة حول برغواطة مردّها إلى ابن حوقل و البكري و من كتب بعدهما عيال عليهما في هذا الموضوع فيبدو كلاهما منطقيا و صحيحا للوهلة الأولى ، فمعلوم أنّ ابن حوقل توفي في القرن الرابع الهجري و تحديدا سنة 367هـ/977م و أمّا البكري فعاش في القرن الخامس الهجري و توفي سنة 487هـ/1094م ، و لا يوجد حسب زعمهم دائما من ذكر برغواطة و أنّهم كفار و زنادقة خلال هذه المرحلة ما بين ابن حوقل و البكري غيرهما ، مدعما الدكتور رجب محمد عبد الحليم هذا الطرح بسرده لأسماء جغرافيين مسلمين كبار عاشوا هذه الحقبة و لم يذكروا برغواطة مطلقا<sup>1</sup> ، و يبدو أنّ الدكتور رجب محمد عبد الحليم و غيره لم يطلعوا بتمعّن على كتاب ابن حزم الأندلسي الشهير الفصل في الأهواء و الملل و النحل ، و ابن حزم الذي كما هو معلوم توفي قبل البكري و ذلك سنة 456هـ/1064م كان يعلم بخبر برغواطة و كفرهم و صرّح بأنّ لهم شريعة وضعها لهم صالح بن طريف ، و ابن حزم خبير بشؤون الأديان و الفرق و المذاهب حيث قال عنهم إنّهم إلى زمانه - القرن 5هـ/11م - ينتظرون صالح بن طريف و هذا نص مقاله : " كيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبيا في الأرض حاشا ما استثناه رسول الله في الآثار الثابتة من نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، و كفار برغواطة إلى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم " <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> رجب محمد عبد الحليم ، مرجع سابق، ص 52 .

<sup>2</sup> ابن حزم، مصدر سابق، ج5، ص38.

فذكر ابن حزم لصالح بن طريف في سياق الحديث عن عدم جواز وقوع النبوة بعد النبي محمد صلى الله عليه و سلم يدل على أن ابن حزم -لأن على اطلاع تام بدعوى النبوة في برغواطة ، و إنما أحجم عن ذكر تفاصيلها في مصنفه لأسلب نجلها ، و ربما يرجع ذلك لسخافة حججها و قلة علم أدعيائها و غياب مصادرها لاسيما قرآنهم المزعوم ، و يزيد هذا الأمر تأكيداً ما جاء في جمهرة أنساب العرب عند الحديث عن مضمودة فقد ذكر ابن حزم أن منهم بنو طريف و منهم كان الذي تنبأ فاتبعوه على دينه<sup>1</sup> ، و نقل عنه ابن عذارى في البيان قوله في برغواطة : " و أما تامسنا ففيها أولاد صالح بن طريف على ضلالتهم " <sup>2</sup> .

ثم إن الدكتور محمد وود إسماعيل الذي شكك في رواية البكري بحجة انفراده بالأخبار التاريخية عن برغواطة ، هو نفسه لا يجد حرجاً في مدح البكري الذي زودنا -حسبه بمعلومات تاريخية هامة و إن لم تكن فريدة في بعض الأحيان عن الخوارج في المغرب ، و أضاف أن كثيراً مما كتبه الوراق عن صفرية سحلماسة ما كان ليصل إلينا لولا البكري ، و تلك المعلومات على ندرتها عظيمة القيمة بالنسبة لدولة بني مدرار فلولاها لظل تاريخ الدولة في طي الإهمال<sup>3</sup> ، فكيف يقبل الدكتور محمود إسماعيل أخباراً شاذة في صفرية سحلماسة و يرفض أخباراً لا تقل شذوذاً عنها حسبها في نبوة و زندقة برغواطة و الناقل واحد و هو البكري ؟

و لو قُدِّر أن يظهر كتاب ابن أبي زرع الموسوم بأزهار البستان وأخبار الزمان و ذكر الموجود مما وقع في الوجود و الذي أشار إليه في الأنيس المطرب و قال عنه إنه قد استوفى فيه أخبار برغواطة و ملوكهم<sup>4</sup> ، لكان بالإمكان الكشف عن الكثير من تفاصيل و تاريخ الديانة البرغواطية و المصادر التي أخذ عنها .

و أما القول بأن هذه الروايات تخدم أغراضاً سياسية و مذهبية معادية لبني طريف ، فهذا كلام على عواهنه يفقد إلى الأدلة البينة ، فما هي هذه الأغراض التي يسعى إلى خدمتها ابن حوقل

<sup>1</sup> ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق و تعليق : عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1402هـ/ 1982م، ص 500-501 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 40 .

<sup>3</sup> محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن 4هـ، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1985م، ص 10 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 131 .

الشيوعي الهوى حتى ينسب إلى برغواطة دون غيرها من قبائل بلاد المغرب الكثيرة الزندقة و الكفر ؟  
و أي هدف يسعى إليه البكري للتشنيع على هؤلاء ؟

و كان الأولى بصاحب هذا النقد أن ينافح عن فكرته بالأدلة القوية ، لا أن يطلق عبارات عامة يلجأها كـشـير من المؤرخين المعاصرين ضد المؤرخين السنة خاصة عندما يتكلمون عن ملة أو مذهب يخالف مذهب أهل السنة و الجماعة .

و الذين ينفون عن برغواطة إدعاء زعيمهم النبوة ، فلا مناص من نفيتهم أيضا ما قيل إنّه قرآن صالح بن طريف الذي أوحى إليه و زعموا أنّه في الحقيقة لا يعدو أن يكون ترجمة بربرية للقرآن الكريم ، قال الدكتور رجب محمد عبد الحليم في هذا السياق : " فالراجح أنّ هذه السور المترجمة إلى البربرية و تحمل أسماء الأنبياء هي نفسها سور القرآن الكريم ، و إنّ لا يوجد أحد من المؤرخين قد تحدث في إنجاز وتفصيل عن هذه السور إلا البكري " <sup>1</sup> ، و يظهر تأثره الواضح بسعد زغلول عبد الحميد الذي قال إنّ عبارات " ابستم ياكش " و " ايحن ياكش " و " وردام ياكش " هي ترجمة لسورة الإخلاص <sup>2</sup> ، فإذا سلمنا بهذا فهل سورة آدم و أيوب و موسى و الجراد و الحمل و هاروت و ماروت و إبليس و غرائب الدنيا من سور القرآن الكريم ؟ ثمّ هل غاب عنهم أنّ أغلب مدعي النبوة يحاولون تقليد آيات القرآن الكريم و الإقتباس منه ؟

و حول الجزم بأنّ البرغواطيين كانوا من الخوارج الصفرية فإنّ الدكتور إبراهيم العبيدي قد ردّ ردّا وافيا و قويا على الدكتور محمود إسماعيل حيث قال : " إنّّه قد وقع - يقصد محمود إسماعيل - في خطأ منذ البداية بالتأكيد و الجزم و هي مسأئل مرفوضة في الدراسات التاريخية فكيف يجزم في قضية لا نملك جميع مصادره-ا ، وما هو موقفنا إذا ظهرت نصوص برغواطية جديدة " <sup>3</sup> .

و يمكن إضافة شيء مهم آخر فقد سبقت الإشارة إلى وسم ابن حـ —زم برغواطة بالكفر ، و لو كانوا صفرية المذهب أيعجز هذا الإمام المتضلّع في دراسة الفرق و الملل و النحل المتخصص في المقارنة بين الأديان أن يفرّق بين آراء الصفرية و غيرهم من المذاهب ، و معلوم أنّـه لو كان لمذهبهم في القرن الخامس هجري وجود لذكرهم ابن حزم .

<sup>1</sup> رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص83 .

<sup>2</sup> سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج 2، ص433، هامش 45 .

<sup>3</sup> إبراهيم العبيدي، مرجع سابق، ص62 .

كما أن المؤرخين السنة وعلى رأسهم البكري و غيره كابن عذارى و ابن خلدون قد تكلموا عن دولة سجلماسة<sup>1</sup> ، و ذكروا أنّها كانت على مذهب الخوارج الصفرية و لم يعارضهم أحد في هذا ، و عندما قالوا بأنّ برغواطة زنادقة كفار قيل إنّهم غلط -وا و إنّهم حملوا على القوم بغير وجه حق ، فإذا سلمتم لهم في الأولى فسلموا لهم في الثانية و إن خطأتموهم في الثانية فخطؤوهم في الأولى ، هذا من جهة و من جهة أخرى فإذا كانوا قد غلطوا في التفريق بين مذهب الصفرية و مذهب مدعي النبوة في برغواطة ، كليهما ، و إذا كانوا قد غلطوا في التفريق بين مذهب الصفرية و مذهب مدعي النبوة في برغواطة ، فلم لم يغلطوا في مذهب دولة سجلماسة عندما قالوا بأنّهم صفرية ، أم أنّ القوم لا يفرقون بين المذاهب و لا يعرفون أصولها و أقوال أتباعها ؟ و هذا أمر مستبعد .

و يمكن أن نضيف أمرا آخر مهم يزيد القول بصفرية برغواطة وهنا على وهن فات من قال هذه المقالة ، و هو أنّه لو كانت برغواطة و سجلماسة على مذهب واحد لكان ذلك دافعا قويا لقيام تحالف طائفي بينهما في منطقة كانت تمزقها الخلافات السياسية و الحروب الطائفية و النزاعات العرقية ، بل الذي حدث أنّ الحرب كانت مستعرة بين الدولتين و الذي نقل لنا خبرها ابن حوقل صاحب أقدم رواية وصلتنا عن برغواطة ، فقد ألفى محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسة يدعو إلى غزوهم سنة 340هـ/951م و لعله قد يكون هلك في قتالهم<sup>2</sup> .

و أمّا الأستاذ مولود عشاق فيبدو أنّه أراد أن يقف موقفا وسطا بين نفي الزندقة عن برغواطة و ادّعاءها النبوة و بين إثبات إسلامها الذي ذكر أنه لا يختلف مع الإسلام جوهريا إلا في التحريف و التبديل و وضع المراسيم و الطقوس في غير موضعها<sup>3</sup> ، و هذا الكلام يحمل تناقضات واضحة ، فإذا وقع التحريف و التبديل و غيّرت العبادات و حُرّفت النصوص و بُدّلت الأحكام ، فهذا يعني ديل آخر غير دين الإسلام الذي نزل على محمد صلى الله عليه و سلم ، فيجب تسمية الأسماء بمسمياتها فلا إسلام دين و شريعة برغواطة دين آخر ، قد يتفق دين برغواطة مع ما جاء به الإسلام في مسميات بعض الأصول الدينية كالصلاة و الصيام و الإيمان بالله ، لكن اتفاق الأسماء لا يعني اتفاق المسميات في معانيها ، فالصيام فُرض على المسلمين كما فرض على الذين من قبلنا من أهل الكتاب من اليهود و النصارى ، لكنّ كلفيته و وقته و أحكامه لا شك في اختلافها من دين

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص 149 . ابن ع-ذارى، مصدر سابق، ج1، ص156 . ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص171 .

<sup>2</sup> ابن حوقل، مصدر سابق، ص 83 .

<sup>3</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص40 .

لآخر ، فهل يمكن القول إنّ الإسلام صورة كاريكاتورية لليهودية أو النصرانية ، الأكيد أنّ شريعة الإسلام تختلف في كثير من أحكامها عن شريعة الكتابيين .

و في الأخير نشير إلى أنّ الإحتجاج بقبول أمويي الأندلس بإقامة علاقات طيبة مع البرغواطيين رغم علمهم أنّهم مرتدين عن الإسلام على رد زندقة برغواطة فهذا احتجاج ليس في محله ، فالعلاقات بين الدول غالبا تبني على أساس المصالح أولا ، و رسول برغواطة الذي حلّ بالأندلس أيام الحكم المستنصر الأموي <sup>1</sup> و الذي كانت مدّة حكمه تشهد صراعا قويا بين الدولتين الأموية في الأندلس و الدولة الفاطمية في إفريقية و كانت منطقة المغرب الأقصى تتنازعها الدولتان ، و برغواطة في هذه المرحلة كانت من الكيانات السياسية القوية ، فليس غريبا أن يُستقبل مبعوثها في قرطبة من أعلى مستوى بغض النظر عن معتقده و مذهبه لعله يكون حليفا مؤثرا في كسب الصراع بين سنة الأندلس الأمويين و شيعة إفريقية الفاطميين في أقصى المغرب .

فبرغواطة كانت تريد أن تصنع لنفسها مجدا بين قبائل البربر بإدعاء زعيمهم الأول صالح بن طريف النبوة و هذا ليس ببدع من القول و الفعل ، فإدعاء النبوة ليست ظاهرة وليدة القرن الثاني الهجري و ليست محصورة في البربر دون غيرهم ، فقد سبق و أن ادّعاها بعض العرب أنفسهم في صدر الإسلام و رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يزال حيا يرزق ، و أشهرهم مسيلمة الكذاب الذي قال إنّّه نبي و إنّّه يوحى إليه و أتى بكلمات ادعى أنّ جبريل أنزلها عليه ، و لم ينكر نبوة محمد عليه الصلاة و السلام بل طالب باقتسام الأرض معه ، فإذا تقرر هذا فلماذا لا تكون برغواطة بقيادة صالح بن طريف قد سلكوا هم أيضا هذا المسلك ؟ فرأوا أنّ النبوة قد تجعله -م في ال-بربر أسيادا و ملوكا للدنيا كما جعلت النبوة من قريش أسيادا على العرب و على الشعوب المجاورة من روم و فرس و بربر و غيرهم .

---

<sup>1</sup> الحكم المستنصر : الحكم بن عبد الله الرحمان يلقب بالمستنصر بالله ، تولى بعد وفاة أبيه سنة 350هـ/961م ، كان حسن السيرة جامعا للعلوم ، جمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله في الأندلس ، توفي سنة 366هـ/976م ( الحميضي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، تحقيق : بشار عواد معروف و محمد باشا عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1429هـ/2008م ، ص 33 ) .

### 3- إدعاء النبوة في غمارة :

أ- التعريف بغمارة و مواطنها : يرى ابن خلدون أنّ غمارة بطن من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود و قيل غمار بن مطاف بن مليل بن مصمود و قيل غمار بن أصـادين مصمود ، و يقول بعض العامة إنّهم عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة و هو مذهب عام ، و هم شعوب و قبائل أكبر من أن تحصى ، و البطون المشهورة منهم بنو حميد و بنو فال و أعصاوه و بنو وزروال و محكسة<sup>1</sup> .

و يرى الأستاذ التقي العلوي أنّ لفظة غمارة لها صلة رحم متينة و واضحة بكلمة أغمـور أو تيغمرت التي تؤدي معنى الزاوية أو الركن ، و هذا المعنى ينسجم تمام الانسجام مع مفهوم الكلمة و ينطبق تمام الانطباق على تراجم الواقع على ضفاف البحر المتوسط<sup>2</sup> .

و بلاد غمارة جبال متصلة بعضها ببعض كثيرة الشجر و طولها نحو من ثلاث أيام ، و يتصل لها من ناحية الجنوب جبال الكواكب و هي جبال عامرة كثيرة الخصب ، و تمتد في البرية حتى تنتهي قرب مدينة فاس<sup>3</sup> مسيرة أربع أيام<sup>4</sup> ، و من الواضح أنّ بلاد غمارة تنتمي إداريا إلى أعمال سبتة<sup>5</sup> و التي تغطي مناطق شاسعة تمتد من وادي نكور شرقا إلى طنجة غرب ـ إلى سبو جنوبا<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص281 .

<sup>2</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص69.

<sup>3</sup> فاس : مدينة مشهورة على بر المغرب من بلاد البربر، و هي مدينتان عدوة الأندلسيين التي أسست سنة 192هـ/807م و عدوة القوييين التي أسست سنة 193هـ/808م في ولاية إدريس بن إدريس ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 4، ص230 ) .

<sup>4</sup> الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ج2، ص532 .

<sup>5</sup> سبتة : بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرق الزقاق ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص182 ) .

<sup>6</sup> حميد هيمة، الأنبياء في مغرب العصر الوسيط غمارة نموذجا، دوريه كان التاريخية الالكترونية، السنة السابعة، العدد 6، صفر1436هـ/ ديسمبر2014م، ص97 .

## ب- نبوة حاميم :

ظهرت حركة حاميم في بداية العشرية الثانية من القرن الرابع هجري في مناخ سياسي تناحرت فيه الكيانات السياسية المحلية على مجال النفوذ مما جعل المغرب الأقصى مجال استقطاب إقليمي ، الأمر الذي خلف اندلاع عدة انتفاضات و ثورات اجتماعية مختلفة اتخذت طابعاً مذهبياً نتيجة نشاط الكثير من التيارات المذهبية و الدينية كالشيعة و الخوارج و السنة و برغواطة<sup>1</sup> .

كما ظهرت هذه الحركة في بيئة يسودها الجهل ، فقد وصف ابن خلدون غمارة بأنهم كانوا عربيين في الجاهلية بل الجهالة و البعد عن الشرائع بالبداوة و الإنتباز عن مواطن الخير<sup>2</sup> ، و مما يوضح هذا ما يعرف ببلدهم بالمواربو هي مشهورة متعارفة يفتخر بها نساؤهـم ، و ذلك أن رجلاً إذا دخل بامراته البكر واربها شبان أهل ناحيتها ، فإن رأوها جميلة حسنة احتملوها و أمسكوها عن زوجها شهراً أو أكثر ثم ردّوها ، و ربما فعلوا ذلك مراراً على قدر جمالها و مقدار الرغبة فيها ، و لا يتم إكرام الضيف عندهم إلا بأن يؤنسه بناتهم الأيامي منهن ، يُبيّت الرجل مع ضيفه أخته إذا كانت ثيباً أو ابنته منهن لم تكن ذات زوج من بناته ، و هم يرغبون في الرجل الجميل أو الشجاع أن يأخذوا منه نسلاً ، و لا يتركّون ذا عاهة يستقر ببلادهم و يقولون إنّه يفسد النسل<sup>3</sup> .

و تعد رواية البكري من أقدم الروايات التاريخية التي ذكرت نبوة حاميم و لقبته بالمفتري الذي ظهر ببلد غمارة و تحديداً بحكسة ، و اسمه أبو محمد حاميم بن منّ الله بن حريز بن عمرو بن جفهل بن وزروال<sup>4</sup> ، تنبأ سنة 313هـ / 925م بجبدل حاميم المشتهر به قريباً من تطوان<sup>5</sup> ، و اجتمع إليه بشر كثير و أقرّوا بنبوته ، و شرع لهم الشرائع و الديانات من العبادات و الأحكام و وضع لهم قرآناً كان يتلوه عليه بلسانهم ، فمن كلامه : " يا من يخلي البصر ينظر في الدنيا خلني من الذنوب ، يا من أخرج موسى من البحر آمنت بحاميم و أبيه أبي خلف منّ الله ، و آمن رأسي و عقلي و ما يكنه صدري و ما أحاط به دمي و لحمي و آمنت تبانعت عمّة حاميم أخت أبي خلف من الله " <sup>6</sup> ، و كانت تبانعت هذه كاهنة ساحرة ، و كانت لحاميم أيضاً أخت تسمى

<sup>1</sup> حميد هيمة، مرجع سابق، ص99.

<sup>2</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص288 .

<sup>3</sup> مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص192 .

<sup>4</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

<sup>5</sup> تطوان : حصن في بسيط الأرض ، بينه وبين البحر الشـامي خمسة أميال و تسكنه قبيلة من البربر تسمى بحكسة

( الإدريسي، مصدر سابق ، ج2، ص531 ) .

<sup>6</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص288 .



دجّو و كانت ساحرة كاهنة من أجهل الناس ، و كانوا يستغيثون إليها في كل حرب و ضيق و يزعمون أنّهم يجدون نفعها <sup>1</sup> .

و ردّ كثير من المؤرخين الأجانب أصول هذه الديانة إلى استمرار المعتقدات القديمة الموجودة في منطقة غمارة قبل الإسلام زاعمين أنّ هذه المنطقة قاومت الإسلام من أجل المحافظة على عاداتها القديمة ، بينما هناك رأي آخر يرى أنّ ديانة حاميم تعبير عن الاستقلال و الارتباط بالعادات لمجموعة بربرية لم ينفذ إليها الإسلام ، و قيل إنّها تهدف إلى إصلاح الإسلام و جعله ملائما لطبيعة البربر، و قال آخر إنّ حاميم دعا لديانة متأثرة بالدين الإسلامي <sup>2</sup> .

و من المحدثين الذين كتبوا عن غمارة الأستاذ إبراهيم القادري بو شيش الذي يرى أنّ ديانة حاميم حملت خليطا من التعاليم الإسلامية و الأعراف البربرية ، و حاولت تبسيط الشرائع الإسلامية و إعادة ترتيبها بما يتلاءم مع المجتمع الغماري <sup>3</sup> .

و برأي مولود عشاق فإن ديانة حاميم ديانة مركبة تمنح أسسها و مرتكزاتها من رواسب البرغواطية و جذور الأعراف البربرية و أصول التعاليم الإسلامية <sup>4</sup> .

و قبل ذكر أهم ما ورد في تشريعات حاميم المتنبّي و ديانته لا بأس أن نقف قليلا عند اسمه ، فهو يظهر جليا أنّه مقتبس من القرآن الكريم و تحديدا الأحرف المقطعة التي تبتدئ بها السور المعروفة بالحواميم ( و هي سـع غـافر و فصلت و الشورى و الزخرف و الدخان و المجاثية و الأحقاف ) ، و للأسف لم تفصح المصادر التاريخية عن السبب الذي دفع بحاميم إلى اتخاذ هذا اللقب <sup>5</sup> ، و الغالب أنّه حاول أن يستمد شرعية إدعائه النبوة انطلاقا من القرآن الكريم كغيره من الأدعياء و ما صالح بن طريف عنه ببعيد ، فبعض المفسرين يفسرون حرفي "طه" و هما أول سورة طه بأنّ المقصود بهما محمد صلى الله عليه وسلم ، فرمّا بلغ حاميم المفتري هذا المعنى فاختار هو الآخر حرفين من القرآن الكريم ، فادعى أنّه المقصود بحرفي حم المذكورين في عدد من سور القرآن الكريم .

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

<sup>2</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص78.

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوشيش، الإسلام السري في المغرب العربي ، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1995م، ص35 .

<sup>4</sup> مولود عشاق، مرجع سابق، ص80 .

<sup>5</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص29 .

**ج- ديانة حاميم :** إذا أردنا الحديث عن ديانة حاميم المفتري فإنّ المصادر لا تقدم الكثير عنها غير أنّه يمكن إبراز أهم ما ورد عنها كما يلي :

**ج1 - العقائد :** يقر حاميم و أنطعه بريوية الله عز وجل إضافة إلى وجوب الإقوار بنبوته وتعظيم آل بيته الذي نص عليهم بأسمائهم فيما وصل إلينا - من قرآنه الذي كتبه و هي قوله : " آمنت بحاميم و بأبيه خلف منّ الله و آمنت بتانعت عمّة حاميم"<sup>1</sup> .

و يغلب على الظنّ أنّه كتب بحروف عربية ، ذلك أنّ كل ما وصل إلينا من تراث بربري كتب بحروف عربية ، لكننا لا نعلم ما إذا كانت العبارات التي نقلها المؤرخون من قرآنه قد ترجمت من طرفه أم إنّ المؤرخ المعاصر الذي نقلها هو الذي قام بترجمتها<sup>2</sup> .

و يؤمن حاميم بالأنبياء فقد جاء في قرآنه ذكر بعضهم في سياق يتّصل على ذلك ، و هي قوله حسب رواية البكري : " يا من أخرج موسى من البحر"<sup>3</sup> ، و حسب روائي ابن أبي زرع : " يا من أخرج يونس من بطن الحوت و موسى من البحر"<sup>4</sup> ، و أما تصديقه لنبوّة محمد صلى الله عليه و سلم فظهر غير مستبعد على الأقل في المرحل -ة التي قضاها قبل ادّعاء النبوة فهو يكنى بأبي محمد<sup>5</sup> .

و إيمانه بنبوّة محمد صلى الله عليه و سلم لا يعدو في نظري أن يكون مثل إيمان نبي برغواطة بمحمد عليه الصلاة و السلام ، أي أنّ محمدا عليه الصلاة و السلام نبي إلى العرب خاصة و ليس بخاتم النبيّين .

**ج2- العبادات :** حاول حاميم من خلال ما توفر من معلومات حول طقوسه التعبدية مضاهاة

الشعائر الإسلامية مع تبديلها تبديلا واضحا ، و يتضح ذلك من خلال ما يلي :

**- الطهارة :** أسقط حاميم عن قومه الطهارة ، فلا تطهر من الجنابة و لا وضوء عندهم<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص288 .

<sup>2</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص31.

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص101 .

<sup>6</sup> نفسه، ص99 . ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99 .

- **الصلاة** : جعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس و عند غروبها<sup>1</sup> و هي ثلاث ركعات في كل صلاة ، يسجدون و بطون أيديهم تحت وجوههم ، و جعل لهم قرآنا يتقوأنه بعد تهليل يهللون به و هو : " خلني من الذنوب بمن خلا النظر ينظر في الدنيا ، خرجني من الذنوب يا من أخرج يونس من بطن الحوت و موسى من البحر " ، ثم يقول في ركوعه : " آمنت بحاميم و بأبي يخلف صاحبه و آمنت بتاليت عمّة حاميم " ثم يسجد<sup>2</sup> .

- **الصوم** : تختلف رواية البكري عن رواية ابن أبي زرع حول الصوم ، فالبكري ذكر أنّ حاميم وضع عنهم صوم سبعة و عشرين يوما من رمضان و أبقى فرض صوم ثلاثة أيام و الفطر الرابع ، و جعل عيدهم في الثاني من الفطر<sup>3</sup> ، أما ابن أبي زرع فقال إنّ فرض عليهم صوم عشرة أيام من رمضان<sup>4</sup> . و زيادة على شهر رمضان فقد فرض حاميم على أتباعه صيام أيام أخرى مع إلزامهم بالكفارة في حال إفطارهم فيها و قد اختلفت الروايتان أيضا حول هذه الأيام ، فالبكري يقول إنّ حاميم فرض عليهم صوم يوم الخميس و يوم الأربعاء إلى الظهر ، و الإفطار فيهما غرامته خمسة أثوار<sup>5</sup> ، و عند ابن أبي زرع أنّه فرض عليهم صوم يوم الاثنين و إفطار فيه كفارته ثوران ، و صوم يوم الخميس إلى الظهر و الإفطار فيه كفارته التصديق بثلاثة أثوار ، إضافة إلى صوم يوم الجمعة و صوم يومين من شوال<sup>6</sup> ، و لا نعرف شيئا عن كيفية ممارسة هذه الشعيرة و هل يصومون كما يصوم المسلمون أم بدّلوا و غيروا كيفيته ؟

- **الزكاة** : فرض حاميم الزكاة على أتباعه و مقدارها العشر من كل شيء<sup>7</sup> .

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص100.

<sup>2</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

<sup>6</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99 .

<sup>7</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

- الحج : أسقط حاميم فريضة الحج ، و أرجع الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش ذلك إلى ثقل المغارم التي أصبحت توظف على الحجاج الذين يمرون على المهدية<sup>1</sup> في إفريقية<sup>2</sup> ، و تبدو هذه الحجة غير قوية فلو حدث هذا لشاع ذكره بين المسلمين في المغرب و الأندلس ، و لم نعلم أنّ فريضة الحج قد توقّف المسلمون عن أدائها بحجة ثقل المغارم ، و هذا إن حصل يدخل في حد الاستطاعة المادية التي هي من شروط الحج ، و العائق الوحيد الذي يحول دون أداء فريضة الحج هي انعدام الأمن في الطريق و الخوف من الهلاك .

ج3- أحكام مختلفة : من تشريعات حاميم المتعلقة بالأطعمة تحريمه أكل الحوت إلى بعد أن يئكئ و تحريم أكل البيض من جميع الطير ، و أحلّ لهم أكل لحم الخنزير و قال إنما حرم ذكوره-ا و ذلك في قرآن محمد<sup>3</sup> ، كما حرم عليهم أكل رأس كل حيوان<sup>4</sup> .

---

<sup>1</sup> المهدية :مدينة بإفريقية تقع بين سوسة و صفاقص منسوبة إلى المهدي الشيعي عبيد الله ، و هي على ساحل بحر الروم بينها و بين القيروان مرحلتان ، ابتداء في بنائها سنة 300هـ/912م و انتقل إليها سنة 308هـ/920م ( البكري، مصدر سابق، ص 28 . ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 5، ص229 ) .

<sup>2</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص35 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص100 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99.

#### د- نهاية حاميم :

كما اتفقت المصادر التاريخية على أنّ سنة 313هـ / 925م هي سنة ظهـور حاميم و ادعائه النبوة ماعدا صاحب مفاخر البربر الذي ذكر سنة 310هـ / 922م<sup>1</sup> اتفقت أيضا في سنة وفاته حيث حددتها سنة 315هـ / 927م ، لكنها اختلفت حول من قتل حـاميم ، فمؤلف الاستبصار<sup>2</sup> و صاحب مفاخر البربر<sup>3</sup> و ابن أبي زرع<sup>4</sup> يقولون إنّ الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر<sup>5</sup> في الأندلس بعث إليه جيشا فقبض عليه و قتله و صلب بقصر مصمودة<sup>6</sup> و أرسل برأسه إلى قرطبة<sup>7</sup> في الأندلس ، أما البكري<sup>8</sup> و ابن خلدون<sup>9</sup> و ابن عذارى<sup>10</sup> فيقولون إنّ حاميم المفترى قتل بمصمودة الساحل بجوار طنجة سنة 315هـ / 927م .

و يمكن التوفيق و الجمع بين الروايتين بالقول بوجود بعض قبائل مصمودة التي كانت على الإسلام الصحيح و كانت موالية للأمويين في الأندلس إبان حكم عبد الرحمان الناصر هي التي قتلت حاميم بمساعدة من الأمير الأموي آنذاك .

<sup>1</sup> مجهول، مفاخر البربر، ص174 .

<sup>2</sup> مجهول، الاستبصار، ص192 .

<sup>3</sup> مجهول، مفاخر البربر، ص174 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص99 .

<sup>5</sup> الناصر: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله ، ولي الحكم في سنة 300هـ / 912م و له اثنتان وعشرون سنة ، تلقب بالخلافة سنة 317 هـ / 929م بعد ضعف الخلافة العباسية و ظهور الشيعة في القيروان ، قويت الآن دلس و عرفت أزهى و أقوى عصورها في عهده ، توفي الناصر سنة 350هـ / 961م ( الحميدي، مصدر سابق، ص32 ) .

<sup>6</sup> قصر مصمودة : حصن كبير على ضفة البحر تنشأ به المراكب و الحرايق التي يسافر فيها إلى الأندلس ، و هي على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس ، و من قصر مصمودة إلى طنجة غربا عشرون ميلا ( الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص529 ) .

<sup>7</sup> قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها و بما كانت ملوك بني أمية ، بينها و بين البحر خمسة أيام ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص324 ) .

<sup>8</sup> البكري، مصدر سابق، ص101 .

<sup>9</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص288 .

<sup>10</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص193 .

و قد خَلَّفَ حاميم من الأولاد محمد و به كان يكنى و عبد الله و عيسى ، و دخل عيسى الأندلس زمن الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر ، و لعيسى في بلادهم قدر و يعرف بابن المفترى<sup>1</sup> .

و نقل البكري عن أبي العباس فضل بن فضل بن عمر الم ذحجي أبياتا لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجي يهجو فيه حاميم و يذكر فسقه و هي :

و قالوا افتراء إنَّ حـاميم مرسـل	إليهم بدين واضح الحق بلهر
فقلت كذبتـم بدّد الله شملكـم	فما هو إلا عاهر و ابن عاهـر
فإن لئان حاميم رسـولا فإنني	بارسـال حاميم لأول لكافر
رووا عن عجوز ذات إفك فهيمة	تقارن في أسحارها كل سـاحر
أحاديث إفك حاك إبليس نسجها	ميجرونها كتمـا و بئس السرائر <sup>2</sup>

و على نقيض الديانة البرغواطية التي حاول بعض المؤرخين نفيها كما مر معنا ، فإنّ ديانة حاميم و دعواه النبوة محل إجماع و لم يكذب رواياته أحد من المؤرخين المحدثين - في حدود ما اطلعت عليه من مراجع - و إن كان البعض كعادتهم في معالجة هذه القضايا التاريخية المرتبطة بالعقائد و الأديان يصف الرواية السنية خاصة بالتحامل على حاميم ، فقد قال الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش في هذا الإطار : " إن المتتبع لهذه الحركة يلاحظ أنها أكثر الحركات تعرضا لتحامل المؤرخين الذين استنزلوا عليها اللعنات و كالوا لها كل أصناف الشوائم و النعوت الذميمة ، فلقبوا صاحبها بالمفترى أو أحجموا عن التوثيق لها انتقاصا من شأنها " <sup>3</sup> .

و لكن تبقى الروايات التاريخية السنية الأكثر تداولاً و انتشاراً و الأقرب إلى الموضوعية من غيرها في ظل غياب مصادر المذاهب و الملل الأخرى .

و لم يجتهد لحاميم المفترى أن يعيش متبياً إلا عامين فقط ، و لم يستطع أن يصنع لنفسه و لقبيلته أمجاداً يجعلها على الأقل تنافس نظيرتها في الجنوب برغواطية ، و قد يرجع ذلك لافتقاد حاميم القوة العسكرية الكافية و لقرب بلاده من الأندلس التي كان حاكمها عبد الرحمن الناصر أميراً

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص101 .

<sup>2</sup> نفسه، ص100 . مجهول، الاستبصار، ص 192 .

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص13 .

أولاً ثمّ صار الخليفة فيما بعد من أقوى حكام دولة بني أمية الأندلسين طيلة تاريخه -أ- ، ما حال دون  
ظهور و إنتشار هذه الدعوى في بلاد المغرب .

#### 4- أدعياء النبوة المغمورون في بلاد المغرب :

إذا كان صالح بن طريف و من جاء بعده من ذريته و حاميم المفتري كما يوصف في المصادر قد شاع خبر ادّعائهم النبوة ، فإنّ كثير ممن قيل إنّهم أنبياء أو من مدّعي النبوة لم تحصل لهم هذه الشهرة و لم يستطيعوا نشر أفكارهم و الانتصار لها و بثها في المنطقة لاسيما بعد وصول الإسلام إلى بلاد المغرب و الأندلس .

#### أ- أنبياء المغرب المزعمون قبل الإسلام :

لا يعرف أنّ أرض المغرب قد بُعث فيها أنبياء و رسل ، و كل الأنبياء و الرسل المعروفين ظهوروا في المشرق ، و هناك أقوال تزعم بوجود أنبياء في هذه البلاد قبل الإسلام ، فقد قيل بوجود ثلاثة أنبياء في المغرب الأقصى ، و أنّهم شاع عند أهل السوس أنّ الجبال الحائلة بين بلادهم و صحاري المغرب هي مدفنهم ، أحدهم اسمه دانيال ببلاد تكمت و قبره معروف عندهم الآن ، يستسقون عنده إذا نزل بهم قحط و يستشفون بترابه و يقصدونه في قضاء حوائجهم ، و خرجت عند رجلي القبر عين ماء غزير عمّ نفعها أهل تكمت كلهم ، و ذكر أنّ بعض الظلمة تجاسر على قبره ببعض ما لا ينبغي فخرجت نار من القبر فأحرقتة و أحرقت أناسا معه و ما يزيد على ألف نخلة من نخيل تلك البلاد <sup>1</sup> .

و النبي الثاني المزعوم قيل إنّ اسمه ولكناس مدفنه على رأس جبل بين تزغت و وادي أسافن ، قبره معروف عند أهل تلك البلاد معظم محترق يقصدونه بالزيارة و يستسقون بترابه كذلك ، و لا يسكن أحد بالقرب منه إلا بعيدا و من رام السكن بقبره و سكن يظهر له ما يكره بالقرب عاجلا <sup>2</sup> .

و ثالثهم اسمه شناول مدفنه ببلاد تمذلت خارج الجبال المذكورة لناحية الصحراء بالقرب من آثار مدينة عظيمة <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصالحاء بفاس، تحقيق : عبد الله كامل الكتاني و حمزة بن محمد الكتاني و محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1424هـ/2004م، ج3، ص297 .

<sup>2</sup> نفسه، ج3، ص298 .

<sup>3</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة.



و حول سبب دخول هؤلاء الدين قيل إنهم أنبياء المغرب حسب الكتاني أن يختصر<sup>1</sup> كان يقتل الأنبياء و فدر هؤلاء بأنفسهم و ركبوا البحر فلاح بهم الريح لرباط ماسة<sup>2</sup> و توجهوا لناعية القبلة<sup>3</sup>.

و هذه الأخبار واضح أنها تفتقر إلى الدقة خاصة إذا علمنا أن مصدرها من الذين يعظمون قبور الصالحين و الأولياء و من المتأخرين ، و الذين يؤمنون بهذه المعتقدات كثير منهم على مذاهب الصوفية القبوريين ، و يدل على هذا قول الكتاني بعد ذكر هؤلاء الأنبياء : " و بلغني أنه لا يستبعد شيء من هذه الأخبار بل يجب علينا التسليم في ذلك كله و اعتقاد تعظيم القبور المذكورة بما يعد تعظيما و بكل ما يليق من الاحترام " <sup>4</sup>.

و ممن قيل في شأنهم إنهم أنبياء كانوا في بلاد المغرب ، نجد ابن أبي دينار يجزم بنبوة خالد بن سنان العبسي حيث قال : " إن إفريقية دخلها نبي الله خالد بن سنان العبسي و كان في زمن الفترة<sup>5</sup> و لكن لم يدخلها بدعوة و هو مدفون في بلاد المغرب في بلد بسكرة<sup>6</sup> ، و أنكر بعض الفقهاء ذلك و صححه آخرون و الشيخ تواتي ممن أثبت أنه هو ، و رأيت بخط والدي رحمه الله عليه قال : حضرت الشيخ المذكور و هو متوجه لزيارة نبي الله خالد بن سنان العبسي ، و له كتاب صنفه الشيخ و ثبت عنده صحته و هو في تلك البلاد يسمونه خالد النبي ، و يزورنه و يتبرئون لمقامه صلى

---

<sup>1</sup> يختصر: اسمه بالفارسية فيما قيل بخرشة ، زحف على مملكة بيت المقدس و كانت تحت حكم بني إسرائيل ، فأخذ المدينة عنوة ( الطبري، مصدر سابق، ج1، ص 538 ) .

<sup>2</sup> رباط ماسة : نسبة إلى وادي ماسة بالسوس يصب في البحر المحيط ، و ماسة رباط مقصود له موسم عظيم و مجمع جليل ( البكري، مصدر سابق، ص 161 ) .

<sup>3</sup> الكتاني، مرجع سابق، ج3، ص298 .

<sup>4</sup> نفسه ، نفس الجزء و الصفحة.

<sup>5</sup> زمن الفترة : هي المدة ما بين عيسى عليه السلام و بعث محمد صلى الله عليه و سلم و اختلفوا في مقدارها ، فقليل ستمائة سنة و قلي خمسمائة وستون سنة و قهل خمسمائة و أربعون سنة و قهل أربعمائة و بضع و ثلاثة سنة ، و المشهور هو القول الأول ( ينظر تفسير الآية الكريمة " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ " سورة المائدة، الآية 19. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص139 ) .

<sup>6</sup> بسكرة : بلد بالمغرب من نواحي الزاب ، بينها و بين قلعة بني حماد مرحلتان ، تعرف ببسكرة النخيل ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص422 ) .

الله عليه وسلم" <sup>1</sup> ، و ذكر أيضا أنّ قبره شرقي حلب <sup>2</sup> بمكان يعرف بمشهد خالد يزار و يتبرك به ، و قيل غير ذلك <sup>3</sup> .

و قال ابن كثير عن خالد بن سنان بعد ذكره الروايات التي جاءت فيه مـا يلي : " و الأشبه أنّه كان رجلا صالحا له أحوال و كرامات ، فإنّه إذا كان في زمن الفترة فقد بشت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنّه قال : " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنّّه ليس بيني و بينه نبي " <sup>4</sup> ، و إن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لأنّ الله تعالى : " لِيُثَدَّرَ قَوْمًا مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " <sup>5</sup> ، و قد قال غير واحد من العلماء إنّ الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل عليه السلام نبيا في العرب إلا محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المشرفة التي جعلها قبل ـة لأهـل الأرض شرعـا و بشرت به الأنبياء لقومهم ، حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام " <sup>6</sup> .

<sup>1</sup> ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ/ 1869م، ص18 .

<sup>2</sup> حلب : مدينة بالشام و هي مدينة عظيمـة مسوّرة و في جانبهـا قلعة منيعة بها مقام أميرها ، و لها سبعة أبواب ( الحميري، مصدر سابق، ص 196 ) .

<sup>3</sup> أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ ، دراسة و تحقيق : د/ فهمي سعد و د/ أحمد حطيّط، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ص 230 .

<sup>4</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى " و اذكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا "، حديث رقم 3442، ج2، ص 489 .

<sup>5</sup> سورة القصص، الآية 46 .

<sup>6</sup> ابن كثير، البداية و النهاية، ج3، ص251.

## ب- أدعية النبوة المغمورون بعد الإسلام في بلاد المغرب و الأندلس :

بعد إتمام عمليات الفتح الكبرى لبلاد المغرب في عهد موسى بن نصير<sup>1</sup> بدأ ادعاء النبوة في المنطقة و كان صالح بن طريف من أشهر هؤلاء المدّعين ، و في نفس المرحلة تقريبا ذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل في حوادث سنة 138هـ / 755م أنّه ظهر عاصم بن جميل من ورفجومة<sup>2</sup> و قوي أمره و كان قد ادّعى النبوة و الكهانة ، فبدّل الدين و زاد الصلاة و أسقط ذكر النبي صلى الله عليه و سلم من الآذان ، و دخل القيروان و من معه فاستحلت ورفجومة المحرمات و سبوا النساء والصبيان و ربطوا دوابهم في الجامع و أفسدوا فيه<sup>3</sup> ، و ذكر الناصري السلاوي أنّه كان كاهنا يدعي النبوة<sup>4</sup> ، أما ابن خلدون فذكر أنّه كان كاهنا<sup>5</sup> .

و لم يحل أمر عاصم بن جميل كثيرا ، إذ بعد استيلائه على القيروان خرج ليطلب حبيب بن عبد الرحمان<sup>6</sup> و هو بقابس<sup>7</sup> فأدركه و اقتتلوا ، و انهزم حبيب إلى جبل أوراس فاحتفى به و قام بنصره من به و لحق به عاصم ، فالتقوا و اقتتلوا فانهزم عاصم بن جميل و قتل هو و أكثر أصحابه<sup>8</sup> .

---

<sup>1</sup> موسى بن نصير : موسى بن نصير بن عبد الرحمان بن يزيد اللخمي بالولاء فاتح الأندلس ، ولد سنة 19هـ / 639م ، ولّاه الوليد بن عبد الملك إمارة إفريقية سنة 88هـ / 706م ، أرسل طارق بن زياد لفتح الأندلس فكان النصر سنة 93هـ / 711م ، ثمّ تبع طارق و أتمّ الفتح معا ، و لما ولي سليمان بن عبد الملك قتل إثمّه و نكبّه ، توفي موسى بن نصير سنة 97هـ / 715م ( ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق : د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5، ص 318 . الزركلّي، مرجع سابق، ج7، ص330 ) .

<sup>2</sup> ورفجومة : من أوسع بطون نفقوة و أشدهم بطشا ، كان لهم تمنع بطرف من جبل أوراس ( عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ج1، ص339 ) .

<sup>3</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص502 .

<sup>4</sup> الناصري، مصدر سابق، ج1، ص54 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص150 .

<sup>6</sup> حبيب بن عبد الرحمان : بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع صاحب إفريقية ، كان أبوه قد استولى عليها قبله إلى أن قتله أخوه إلياس بن حبيب بن أبي عبيدة و امتلكها ، فنهض حبيب بن عبد الرحمان فقتل عمّه ، و انتظمت له شؤون إفريقية ثلاث سنوات إلى أن قتل سنة 140هـ / 757م ( ابن عذاري، مصدر سابق، ج 1، ص69 . الناصري، مصدر سابق، ج1، ص54 . الزركلّي، مرجع سابق، ج2، ص165 ) .

<sup>7</sup> قابس : مدينة بين طرابلس و سفاقس ثمّ المهديّة على ساحل البحر، و هي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص289 ) .

<sup>8</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص503 .

و في القرن الثالث الهجـري و تجديدـا سنة 237هـ/851م قـام مؤذن بنـاحية تلمسان<sup>1</sup> يدّعي النبوة ، و تأوّل القرآن على غير تأويله و وجهه فتبعه خلق كـثير من الغوغـاء ، و كان من بعض شرايعـه أنّه ينهي عن قص الشعر و تقليم الأظافر و نتف الإبطين و الإستحداد و أخذ الزينة و يقول لا تبديل و لا تغيير لخلق الله ، فأمر أمـير تلمسان بالقبض عليه فهـرب و ركب البحر إلى بلاد الأندلس فشاع بها خبره و أمره فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة ، فبعث إليه ملك الأندلس فاستتابه فلم يتب فقتله و صلبه ، و هو يقول عند قتله أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله<sup>2</sup> ، و في رواية ابن عذاري لم يذكر أنّه ظهر في تلمسان أولا ، و بدأ الحديث عنه بذكر أنّه ظهر في سنة 237هـ/851م في شرق الأندلس ، و أنّه رجل من المعلمين<sup>3</sup> .

و في أواخر القرن الثالث الهجري سنة 299هـ/911م أظهرت كتامة<sup>4</sup> الخلاف على صاحب المهدية ، و قدموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطي و اسمه كادو بن معارك ، و جعلوه قبلة يصلون إليه<sup>5</sup> ثمّ نخلوه النبوة و زعموا أنّ الوحي يأتيه و أنّ الكتب من الله تنزل عليـه، و نصبوا له دعاة فأرسل صاحب المهدية ابنه بعساكره فهزم كتامة و قتل منهم خلقا عظيما ، و أناب إليه عامتهم فأمنهم و أخذ الغلام الذي نصبوه ، فأتى به إلى المهدية فقتل<sup>6</sup> .

و في القرن الرابع الهجري تنبأ بعد حاميم عاصم بن جميل اليزدجو مي و له أخبار مأثورة حسب ابن خلدون<sup>7</sup> ، لكنه أحجم عن ذكر نبذ من هذه الأخبار.

<sup>1</sup> تلمسان : مدينة أزلية و لها سور حصين ، و لم تكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات و فاس أكثر أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا ( الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص 248 ) .

<sup>2</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 96 .

<sup>3</sup> ابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص 90 .

<sup>4</sup> كتامة : من قبائل البربر بالمغرب و أشدهم بأسا و قوة و أطولهم باعا في الملك عند نراية البربر ، مؤننين بأرياف قسنطينة إلى ثخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة ( ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 195 ) .

<sup>5</sup> ابن عذاري، مصدر سابق، ج1، ص 167 .

<sup>6</sup> القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس-الجزائر، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م، ص 324.

<sup>7</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 288 .

و في سنة 333هـ/944م ظهر بأشبونة<sup>1</sup> رجل يزعم أنه من ولد عبد المطلب و أمه ابنة فاطمة و ادّعى مع النسب أنه نبي و أنّ جبريل ينزل عليه ، و سنّ لأتباعه سننا و شرع لهم شرائع منها حلق الرأس و غير ذلك ممّا لا يعقل ، ثمّ وقع البحث عليه و خفي أمره<sup>2</sup> .

و في سنة 520هـ/1125م قام رجل في ريف سبتة و ادّعى أنه الخضر، فقبض عليه في العشر الأواخر من جمادى الآخرة و وصل سبتة يوم الثلاثاء لثلاث عشر من الشهر المذكور و حمل إلى حضرة مراكش<sup>3</sup> فقتل و صلب<sup>4</sup> .

و لما كانت سنة 625هـ/1227م ثار بجمال غمارة محمد بن أبي الطواج-ين الكتامي المتني و كان أبوه من قصر كتامة<sup>5</sup> منقبضا عن الناس و كان ينتحل صناعة الكيمياء ، فكان يلقب بأبي الطواجين لكثرة الظروف التي كان يستعملها في ذلك بزعمه و تلقن ذلك عنه ابنه محمد هذا ، ثمّ ارتحل إلى سبتة و نزل بأح-وازها و ادّعى صناعة الكيمياء فتبعته الغوغاء ، ثمّ ادّعى النبوة و شرع الشرائع و أظهر أنواعا من الشعبة فكثر تابعوه ، ثمّ اطلعوا على خبثه فنبذوا إليه عهده ، و زحفت إليه عساكر سبتة ففرّ عنهم ثمّ قتله بعض البرابرة غيلة<sup>6</sup> .

و ظهر في مالقة<sup>7</sup> رجل يعرف بإبراهيم الفازاري ، رجل ممخرق مشعوذ ينتحل الكرامة و ادّعى النبوة و كان يخبر بالأمور المستقبلية<sup>8</sup> ، و يذكر أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي القشتالي في مؤلفه تحفة المغرب الذي وضعه في كرامات شيخه أبي مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر القيسي اليجانسي أنه

<sup>1</sup> أشبونة : مدينة بالأندلس و يقال لها لشبونة ، و هي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 195 ) .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص211 .

<sup>3</sup> مراكش : أعظم مدينة بالمغرب و أجلها و هي في البر الأعظم بينها و بين البحر عشرة أيام في وسط بلاد المغرب ، و أول من اختطها يوسف بن تاشفين في حدود 470هـ/1077م ، و كان موقع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيها اللصوص على القوافل ، و كان إذا انتهت القوافل إليه قالوا مراكش معناه بالبربرية أسرع المشي ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 94 ) .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 75 .

<sup>5</sup> قصر كتامة : مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 362 ) .

<sup>6</sup> أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج5، ص 160 . الناصري، مصدر سابق، ج1، ص 197 .

<sup>7</sup> مالقة : مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة ، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء و المرية ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 43 ) .

<sup>8</sup> ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1393هـ/1973م، ج1، ص 191 .

ورد مالقة عام 666هـ/1267م و وجدها قد اضطربت نارا بعد ادعاء إبراهيم الفازاري النبوة و بأنه المنتظر ، و يقول للعامة الدهماء : " إنما أنا رسول من السماء " <sup>1</sup> ، و كان الفازاري هذا قد توعد مخالفه و من ضمنه الشيخ أبو مروان اليحانسي ، و بينما هذا الشيخ و مريده الأزدي القشتالي يهمان بالركوب في مركب للعودة إلى سبتة ، إذ وصل إليهما الفازاري في زورق و سلم و قعد مع الشيخ و جرى هذا الحوار : قال الفازاري : ما منعي من خدمتك في هذه المرة إلا ما نقل عني من القبيح ، فقال له الشيخ : ما هذا الأمر الشنيع الذي نسب إليك و رفع عليك ؟ فقال : أصحابي أشاعوه علي و نسبوه إلي و أنا لا أَرْضِي أن يذكر ذلك لدي ، فقال له الشيخ : لو لم ترض لنا فرقتهم و ما ألفتهم و خالفتهم ، اللهم إن كنت بريئا فقد ابتلي الأولياء بالبلايا و إن كنت تظهر خلاف ما تبطن فاسأل الله أن يأخذك من الجانب الذي تطمئن إليه عاجلا غير آجل ، قال : نعم " <sup>2</sup> ، و بعد هذا الحوار أبحر الأزدي القشتالي و شيخه إلى سبتة ، و ما هي إلا قليلا حسب الأزدي حتى أصابته دعوة الشيخ ، فبلغهم نعيه و صلب بغرناطة <sup>3</sup> مع بعض أصحابه <sup>4</sup> ، و قيل إنه لما أمر به للتأهب للقتل و هو في السجن الذي أخرج منه إلى مصرعه جهر بتلاوة سورة يس ، فقال له أحد ممن جمع السجن بينهم : " اقرأ قرآنك على أي شيء تتطفل على قرآننا اليوم " <sup>5</sup> .

و أخيرا يمكن الجزم أن النبوة لا تصح إلا فيمن أرسله الله تعالى بوحيه ، و صحتها تكون بتوفر ثلاثة شروط تدل على صدقه و وجوب طاعته و هذه الشروط ذكرها الماوردي في كتابه أعلام النبوة و هي كما يلي :

**الأول :** أن يكون مدّعي النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها لصدق لهجته و ظهور فضله و كمال حاله ، فإن اعتوره نقص أو ظهر منه كذب لم يجوز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها و فقد أمانتها .

<sup>1</sup> أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي القشتالي، تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 17، 1391هـ-1392هـ/1972م-1973م، ص 82 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 82 .

<sup>3</sup> غرناطة : معنى غرناطة الرّمان بلسان العجم ، سمي البلد لحسنه بذلك ، و هي أقدم مدن كورة إلبيرة و أعظمها ، بينها و بين إلبيرة أربعة فراسخ و بينها و بين قرطبة ثلاثة و ثلاثون فرسخا ( ياقوت الحموي ، مصدر سابق، ج 4، ص 195 ) .

<sup>4</sup> أحمد بن إبراهيم الأزدي القشتالي، مصدر سابق، ص 82 .

<sup>5</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ج 1، ص 192 .

**الثاني :** إظهار معجز يدل على صدقه و يعجز البشر عن مثله لتكون مضاهية للأفعال الإلهية ليعلم أنّها منه فيصح بها دعوى رسالته لأنّه لا يظهرها من كذب عليه ، و يكون المعجز دليلا على صدقه و صدقه دليلا على صحة نبوته .

**الثالث :** أن يقرن بالمعجز دعوى النبوة ، فإن لم يقترن بالمعجزة دعوى لم يصّر بظهور المعجزة نبيا لأنّ المعجز يدل على صدق الدعوى فكان صفة لها ، فلم يجز أن تثبت الصفة قبل وجود الموصوف ، فإن تقدّم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان تأسيسا للنبوة ككلام عيسى في المهد تأسيسا لنبوته<sup>1</sup> . و هذه الشروط لا تتوفر في أحد ممّن زعم أنّه نبي ، فحالمهم و سيرتهم في قومهم غير محمودّة غالبا ، و لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء معجز عدا أشياء من اليسير على أي أحد كشفها و فضحها كقرآن برغواطة المزعوم ، فتبيّن أنّ النبوة انقطعت في هذه الأرض بموت النبي محمد صلى الله عليه و سلم .

---

<sup>1</sup> الماوردي، أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م، ص 25 .

## 5- الآثار السياسية لادّعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس (من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ/م13م) :

لقد أسهم المنتسبون إلى الزندقة في بلاد المغرب في الحياة السياسية إسهاما واضحا فقد نجح بعض هؤلاء في إقامة كيانات سياسية قوية استطاعوا من خلالها الإستقلال بعقائدهم و أفكارهم و محاولة نشرها و محاربة من يخالفهم ، و هذا ما أدّى إلى كثرة الصراعات السياسية و توالي الفتن و إشعال الحروب و ضرب استقرار المنطقة لعقود و قرون طويلة .

و تعتبر برغواطة من بين أكبر القبائل في المغرب الأقصى التي استطاعت أن تؤسس دولة على أساس دعوى النبوة التي قال بها مؤسسها الأول صالح بن طريف ، و قد اختلف المؤرخون في تحديد طبيعة كيان برغواطة و توضيح ما إذا كانت مجرد قبيلة عظمى من قبائل البربر أم دولة تحتفظ بكل خصائص الدول المستقلة ، فإذا سلطنا الأضواء على كل الظروف المحيطة ببرغواطة فإننا نجد الظروف قد أتاحت لها أن تصبح دولة مستقلة حافظ أبنائها على استقلالها بفضل ثرواتها الإقتصادية الهائلة و إمكانياتها العسكرية الوفيرة ، و تمكنت من البقاء حتى العصر الموحدى رغم محاولات القوى الإسلامية المتعاقبة في بلاد المغرب التخلص منها لخروجها عن الإسلام<sup>1</sup> .

أ- قيام دولة برغواطة : إنّ الحديث عن قيام دولة برغواطة سيقودنا ح نفا إلى الحديث عن بثّرت الخوارج في بلاد المغرب مطلع القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي و التي يتحمل فيها بعض الولاة جزءا كبيرا من المسؤولية ، حيث أساءوا معاملة البربر الداخلين حديثا في الإسلام ، فتروي المصادر أنّ يزيد بن أبي مسلم الذي تولى شؤون إفريقية من قبل يزيد بن عبد الملك<sup>2</sup> الخليفة الأموي سنة 101هـ/719م أخذ موالي موسى بن نصير من البربر فجعلهم أحماسا و أحصى أموالهم و أولادهم ثمّ جعلهم حرسه و بطانته و وشم أيديهم كما تصنع الـروم حتى يعرفوا بذلك من غيرهم ، فأنفوا منه ذلك فقتلوه سنة 102هـ/720م<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> سحر عبد العزيز سالم ، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1413هـ/1993م، ص 7 .

<sup>2</sup> يزيد بن عبد الملك : الخليفة الأموي ، ولد سنة 71هـ/690م ، استخلف لعهد عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ/719م ، توفي سنة 105هـ/723م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 5، ص 150 . الزركلي، مرجع سابق، ج 8، ص 185 ) .

<sup>3</sup> ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغـرب، تحقيق : شارلز توري، الهيئة العام ة لقصور الثقافة، القاهرة، ج 2، ص 214 .



و العجيب أنّ ما وقع ليزيد بن أبي مسلم لم يحفظ به عبد الله بن الحبحاب<sup>1</sup> الذي ولي شؤون إفريقية من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك<sup>2</sup> سنة 116هـ/734م<sup>3</sup> ، و الذي اعتقد أنّه يستطيع السيطرة على شؤون إفريقية بقليل من العناية و بكثير من الحروب الوقائية ضد مضارب البربر، و ظنّ أنّه يمكنه البقاء طويلا على رأس ولاية إفريقية إذا أجزل العطاء لرجال الدولة في دمشق و أكثر من الطوائف المغربية التي يستحبها الخلفاء و من ضمنها سبايا البربر الجميلات ، و قد عين ابن الحبحاب على نواحي المغرب بعض أبنائه و أصفيائه ممّن تشربوا اتجاهاته في الحكم و كانوا على نسجه في النظرة لمسلمي البربر<sup>4</sup> ، فعامله على طنجة و ما ولاها عمر بن عبد الله المرادي أسراء السيرة و تعدّى في الصدقات و العشر و أراد تخميس البربر و زعم أنهم فيء للمسلمين ، و كان الولاة قبله يخمّسون من لم يُجب للإسلام ، فكان فعله الذميمة هذا سببا في إجماع البربر على الخروج عليه و سببا لنقض البلاد و وقوع الفتن<sup>5</sup> .

و كان عبد الله بن الحبحاب قد أرسل سنة 117هـ/734م حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا إلى المغرب ، فبلغ السوس الأقصى و أرض السودان فلم يقاتله أحد إلا ظهر عليه ، و أصاب من الغنائم و السبي أمرا عظيما فملأ أرض المغرب منه رعبا ، و بعد هذه الانتصارات غزا حبيب بن أبي عبيدة صقلية<sup>6</sup> ، فلما سمع البربر بمسيره طمعوا و نقضوا الصلح على ابن الحبحاب و تداعت عليه البلاد بأسرها مسلمها و كافرها<sup>7</sup> ، و تزعم هذه الثورة رجل يقال له ميسرة الحقيّر<sup>8</sup>

<sup>1</sup> يسمّي ابن عبد الحكم بعبد الله بن الحبحاب ( ابن عبد الحكم، مصدر سابق ، ج2، ص217 ) و تبعه ابن أبي دينار في المؤنس ( ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص38 ) و ابن عذارى في البيان ( ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص54 ) ، أما ابن خلدون فيسميه في العبر بابن الحجاب ( ابن خلدون، مصدر سابق، ج4 ، ص241 ) .

<sup>2</sup> هشام بن عبد الملك : الخليفة الأموي ، ولد سنة 71هـ/690م ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105هـ/723م ، خرج في أيامه زيد بن علي سنة 120هـ/737م فقتله ، كان حسن السياسة يباشر الأعمال بنفسه ، توفي سنة 125هـ/742م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص351 . الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص86 ) .

<sup>3</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص217 .

<sup>4</sup> موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 1425هـ/2005م، ص180 .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص51 .

<sup>6</sup> صقلية : من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية ، فتحت في أيام بني الأغلب على يد القاضي أسد بن الفرات سنة

212هـ/827م ، ثم ظهر عليها الكفار فملكوها ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص416 ) .

<sup>7</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج4، ص416 .

<sup>8</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص52 .

أو الفقير<sup>1</sup> و كان على مذهب الصفرية من الخوارج الذين شرعوا في التسلل إلى عمق بلاد المغرب لبعدها عن دائرة نفوذ الخ — لافة الأموية في المش-رق و بدؤوا يستدون تعاليمهم التي تدع —و إلى المساواة بين جميع الأجناس و بين العناصر البربرية المضطهدة مستغلين في ذلك العداء القائم بين العرب و البربر في بلاد المغرب و النزاعات العصبية بين العرب القيسية و العرب اليمنية<sup>2</sup> .

و يذكر الطبري أن ميسرة كان قد خرج في بضعة عشرين إنسانا للقاء الخليفة هشام بن عبد الملك فطلبوا الإذن فصعب عليهم ، فأتوا الأبوشي فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا و بجنده فإذا أصاب قتلهم دوننا و قال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا لأننا لا نأخذ منه شيئا ، و قالوا : إذا حضرنا مدينة قال تقدّموا و آخر جنده فقلنا إنه ازدياد في الجهاد ، ثم إنهم عمدوا إلى ما ماشيتنا فجعلوا ييقرونهـا يطلبون الفداء الأبيض لأمر المؤمنين فيقتلون ألف شاه في جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمر المؤمنين فاحملوا ذلك و خيّنناهم ، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب و لا سنة و نحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ فقـال : نفعل ، فلما طال عليهم و نفدت نفقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع و رفعوها إلى الوزراء و قالوا هذه أسماءنا و أنسابنا ، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخـبروه<sup>3</sup> ، ثم كان وجههم إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه و استولوا على إفريقية ، و بلغ هشام الخبر و سأل عن النفر فرفعت إليه أسماءهم فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا<sup>4</sup> .

ثم زحف ميسرة المطرغي إلى طنجة فقتل عمر بن عبد الله و اتبعه البربر و بايعوه بالخـلـلـة و خاطبوه بأمر المؤمنين و فشت مقالته في سائر القبائل بإفريقية ، و بعث إليه ابن الحبحاب خالد بن حبيب الفهري و استقدم حبيب بن أبي عبيدة من صقلية و بعـثه في أشد خالد<sup>5</sup> ، و التقى خالد و ميسرة بنواحي طنجة و اقتتلوا قتالا شديدا و عاد ميسرة إلى طنجة فأنكرت البربر سيرته فقتلوه و ولوا أمرهم خالد بن حميد الزناتي ، فالتقى خالد بن أبي حبيب بالبربر فكان بينهم قتال شديد ، فبينما هم كذلك إذ غشيهم خالد بن حميد الزناتي من خلفهم بعـسـكـر عظيم ، فانهزم

<sup>1</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج 2، ص 218 .

<sup>2</sup> سحر سيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 12.

<sup>3</sup> الطبري، مصدر سابق، ج 4، ص 254 .

<sup>4</sup> نفسه، ج 4، ص 255 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج 4، ص 241 .

العرب و كثره خـالد بن حبيب أن يهـرب فقتل و من معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد ، فقتل في تلك الوقعة حماة العرب و فرسانها وأبطالها ، فسميت الغزوة غزوة الأشراف<sup>1</sup> .

و يذكر ابن عذارى أنه خلال هذه المرحلة كانت قد ظهرت دعوة الخوارج في برغواطة ذات العدد الكثير و الشوكة الكبيرة<sup>2</sup> ، و قد شارك طريف بن شمعون<sup>3</sup> في ثورة ميسرة الذي استوزر ابره صالح و كتب كتابا إلى أهل تامسنا و قومه يوصيهم به و يصف فضله وعلمه<sup>4</sup> ، و يمكن أن نعتبر هذا الحدث بداية لقيام دولة برغواطة و ظهورها على مسرح الأحداث ككيان سياسي مستقل في أقصى المغرب انتحل المذهب الصفري الخارجي في أول أمره ، لذلك اعتبرت الدولة الصفرية الأولى في بلاد المغرب<sup>5</sup> ، ثم ما لبث البرغواطيون أن تخلوا عن هذا المذهب و اتبعوا تعاليم صالح بن طريف .

---

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص54 .

<sup>2</sup> نفسه، ج1، ص52 .

<sup>3</sup> تلخص الدكتور سحر سيد عبد العزيز سالم سيرة طريف بعد استعراضهـا و مناقشتهـا لأقوال المؤرخين حول أصوله و ترجيحها أنه من أصل يهودي و أنه غير طريف بن مالك صاحب الحملة الأولى لفتح الأندلس ذي الأصول العربية قائلة : " ويبدو أن مؤسس هذه الدولة و هو طريف بن شمعون انتقل من الأندلس إلى المغرب قبل الفتح مباشرة و نزل منطقة تامسنا ثم اعتنق الإسلام في ولاية موسى بن نصير ، و حين احتدمت نيران ثورة البربر اعتنق المذهب الصفري شأن غيره من خوارج المغرب " ( سحر سيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص24 ) .

<sup>4</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص181 .

<sup>5</sup> الدراجي بوزياني، دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس ، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الثانية، 1427هـ / 2007م، ص41 .

## ب- أمراء برغواطة :

**ب1- طريف بن شمعون :** مؤسس إمارة برغواطة في القرن الثاني الهجري ، لا تقدم المصادر التاريخية شيئاً عن أخ بارة قبل مشاركته ميسرة المطرغي ثورته ضد الوالي عبد الله بن الحبحاب و التي لم يلبث أن انسحب منها طريف بعد مقتل ميسرة ، و انتقل طريف إلى إقليم تامسنا سنة 122هـ/739م كما ذكر البكري<sup>1</sup> و ابن عذارى<sup>2</sup> و ابن خلدون<sup>3</sup> ، و وجد أنّ مهمته في تأسيس دولة له و لأبنائه من بعده في هذا الإقليم مهمة سهلة ، فقد كان أهـل تامسنا قد ارتبطوا نفسياً و روحياً به و بولده صالح<sup>4</sup> ، و في رواية لابن خلدون رواها بصيغة توحى بعدم الوثوق بها أنّ طريفاً يقال إنّته تنبأ و شرع لهم الشرائع<sup>5</sup> ، و أمّا ابن عذارى فذكر أنّه شرع ما شرع دون أن يذكر أنّه تنبأ<sup>6</sup> ، و لم تحدد المصادر تاريخ وفاته سوى ما ورد في البيان أنّه مكث مدة بعد إعلان تشريعاته و أنّه خلف من الأولاد أربعة<sup>7</sup> .

**ب2- صالح بن طريف :** تولى صالح بن طريف أمر برغواطة بعد وفاة والده ، و هناك اختلاف حول تحديد تاريخ هذا الحدث فابن عذارى يحدّده سنة 124هـ/741م<sup>8</sup> ، و أمّا صاحب مفاخر البربر فقال إنّ ظهور برغواطة في عهد إمامه م صالح بن طريف كان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 125هـ/742م<sup>9</sup> ، و وافقه ابن أبي زرع الذي قال إنّته شرع لهم الديانات التي أخذوها عنه و ذلك سنة 125هـ/742م<sup>10</sup> ، و كذلك ابن الخطيب الذي ذكر أنّ صالح -ا- تسمّى بصالح المؤمنين و شرع لهم الديانة التي قرر ضلالها سنة 125هـ/742م<sup>11</sup> .

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص135 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص57 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276 .

<sup>4</sup> سحر سيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص26 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص276 .

<sup>6</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص57 .

<sup>7</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>8</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>9</sup> مجهول، مفاخر البربر، ص139 .

<sup>10</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص130 .

<sup>11</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص182 .

أمّا ابن خلدون فيبدو خبره بعيدا عن الصحة و الدقة إذ يجعله في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 127هـ/744م<sup>1</sup> ، ذلك أنّ الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك تذكر المصادر أنّه توفي سنة 125هـ/742م<sup>2</sup> ، و لم يقدّم ابن حوقل صاحب أقدم رواية تاريخية عن برغواطة تاريخا لظهور دعوة صالح و كذلك البكري المصدر المهم جدا و الذي أخذ عنه أغلب من أتى بعده أي تاريخ لهذا الحدث .

و يمكن القول إنّ سنة 125هـ/742م هي السنة التي ظهر فيها صالح بن طريف لا كزعيم سياسي مستقل في برغواطة بل كزعيم ديني محاولا تبوء أفضل المنازل بإدعائه النبوة ، فجمع بين السلطتين الروحية و الزمنية ، و هذا ما يكفل له السيطرة التامة على أنباء قبيلته و من والاه . و انتهى عهد صالح نهاية غريبة غير واضحة ، فيذكر البكري<sup>3</sup> و ابن عذارى<sup>4</sup> و ابن خلدون<sup>5</sup> و ابن الخطيب<sup>6</sup> أنّه رحل إلى المشرق في أواخر عهده بعد أن أوصى ولده إلياس بالمحافظة على شريعته و عقيدته و وعده بأنّه س يرجع في دولة السابع من ملوكه م ، و زعم أنّ المهدي الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدجال ، و أنّ عيسى يكون من رجاله و أنّه يصلي خلفه . و إذا أخذنا برأي ابن خلدون القائل بأنّ صالح بن طريف استمر في الحكم سبع و أربعين سنة ثمّ خرج إلى المشرق مع تصويبه في تحديد سنة 125هـ/742م كسنة لبداية ظهـور نبوته و تشريعاته في قومه ، نستطيع أن نحدد سنة 172هـ/788م كسنة لنهاية عهـده .

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 276 .

<sup>2</sup> الطبري، مصدر سابق، ج7، ص200 . ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص158 . ابن الجوزي، المريظم، ج7، ص236 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص135 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص57 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277 .

<sup>6</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص183 .

**ب3 - إلياس بن صالح بن طريف :** تولى بعد خروج أبيه صالح إلى المشرق سنة 172هـ / 788م و كان حسب المصادر التاريخية طاهرا عفيفا لم يتلبس بشيء من الدنيا ، فأظهر ديانة الإسلام مسرّا لما أوصاه به أبوه من كلمة الكفر <sup>1</sup> ، و بقى خمسـين سنة إلى أن هلك <sup>2</sup> حوالي سنة 222هـ / 836م .

**ب4 - يونس بن إلياس :** تولى بعد وفاة أبيه إلياس سنة 222هـ / 836م فأظهـر ديانة جدّه و دعا إليها و قتل من لم يدخل فيها <sup>3</sup> ، و يروى أنّه حرّق ثلثمائة و ثمانين مدينة و اسطحّم أهلها بالسيف لمخالفتهم إياه و قتل منهم بموضع يقال له تملوكاف و هو حجر عال ثابت وسط الطريق سبعة آلاف و سبعمائة و سبعين <sup>4</sup> ، و اتخذ مدينة شالة <sup>5</sup> قاعدة لملكه <sup>6</sup> ، و هذه الروايات التي تقدم أرقامها ضخمة عن المجازر التي ارتكبها يونس بن إلياس و بغضّ النظر عن اقترابها من الواقع أو ابتعادها عنه فإنّهـا حلّ على القوة التي وصلت إليها دولة برغواطة في هذه المرحلة و تسيدّها على القبائل المجاورة لها المخالفة لملتها في الدين و العقيدة .

و انفرد يونس بن إلياس من بين أمراء برغواطة كلّهم برحلتهـا إلى المشرق التي حج فيها <sup>7</sup> ، و يبدو أنّ رحلته هذه حسب رواية ابن عذارى كانت قبيل وفاة والدهـ و توليه حكم برغواطة <sup>8</sup> ، و استمر يونس بن إلياس في الحكم مدة طويلة قُدرت بأربع و أربعين سنة <sup>9</sup> و توفي حوالي سنة 266هـ / 879م .

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277 .

<sup>2</sup> البكري، مصدر سابق، ص136 . ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص224 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص136 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277 .

<sup>5</sup> شالة : على ميلين من البحر و موضعها على ضفة نهر اسمير الذي يتصل الآن بمدينة سلا الحديثة و هناك مصبه في البحر، و شالة القديمة هي الآن خراب و بقايا بنيان قائم و هياكل سامية ( الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص238 ) .

<sup>6</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص184 .

<sup>7</sup> البكري، مصدر سابق، ص136 .

<sup>8</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص224 .

<sup>9</sup> البكري، مصدر سابق، ص136 . ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص277 .

**ب5 - أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف :** انتقل الحكم من بني يونس إلى أبناء عمومته و لم يذكر المؤرخون سبب هذا الانتقال ، هل لأنّ يونس لم يعقب ؟ أم حدث انقلاب في الأسرة الحاكمة لا نعرف أسبابه و ظروفه ؟

و بالعودة إلى التواريخ الواردة في المصادر المختلفة حول سنوات حكم الأمراء البرغواطيين بعد أبي غفير و لمحلولة ضبطها ضبطا دقيقا ، فإنّه بالإمكان القول إنّ إمارة برغواطة بعد وفاة يونس بن إلياس شهدت مرحلة اشتدّ فيها الصراع على الحكم داخل الأسرة الحاكمة و امتدّ بضع سنين و انتهى أخيرا بتغلّب أبي غفير على المملكة ، فرواية البكري أشارت إلى هذا حيث ذكرت أنّ الحكم انتقل عن بني يونس بقيام أبي غفير عليهم و استيلائه على الملك<sup>1</sup> ، و الذي يظهر من سياق الأحداث التي دارت في عهده أنّه كان الأقوى و الأجدر بتولي شؤون الحكم الذي ظلّ يمارسه طيلة تسع و عشرين سنة إلى أن هلك حسب ابن خلدون أخريات المائة الثالثة<sup>2</sup> ، فيكون تاريخ ولايته سنة 270هـ / 883م و تاريخ وفاته سنة 299هـ / 911م ، و هذا ما يوافق تقريبا ما رواه البكري أن سنة وفاة أبي غفير كانت عند الثلاثمائة من الهجرة<sup>3</sup> و تبعه ابن عذارى في البيان<sup>4</sup> .

و لم يجد أبو غفير عن دين أجـداده فقد أخـذ به و اشتدت شوكتـه و عظم أمـره و كانت له وقائع في البربر مشهورة<sup>5</sup> و أيام مذكورة أشار إليها سعيد بن هشام المصمودي في قوله :

قفي قبل التفرق و أخبرينا و قولي وأخبري خبرا يقينا  
و هذه أمة هلكوا و ضلوا و غاروا لا سقوا ماء معينا  
يقولون النبي أبـو غفير فأخـزى الله أم الكاذبينـا  
ألم تسمع و لم تر لؤم بيت على آثـار خيلهم رينـا  
و هن الباقيات فبين نكلى و عادمة و مسقطـة جنيـنا  
ستعلم أهل تامسنا إذا ما أتوا يوم القيـامة مـقطعينـا  
هنالك يونس و بنو أبيـه يقوـدون البرابر حائرينـا  
إذا زر يحاور طافت عليهم جبهتهم بأيدي المنكريـن

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص 136 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص278 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص137 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص224 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص136 .

فليس اليوم يومئكم و لكن لي —الي كنتم متيسرين—<sup>1</sup>  
و اتخذ أبو غفير من الزوجات أربع وأربعين ، و كان له من الولد مثلهـا و أكثو<sup>2</sup> .

**ب6 - أبو الأنصار عبد الله بن أبي غفير :** تولى الحكم أواخر القرن الثالث الهجري سنة 299هـ/911م بعد وفاه والده فاقضى سرنه ، و كان كثير الدعـة مهابة عند ملوك عصره يهاودنه و يدفعونه بالمواصلة<sup>3</sup> ، ذلك أنه كان يجمع جنده و حشمه في كل عام ، و يظهر أنه كان يغزو من حوله فتهاديه القبائل و يظلمه فإذا استوعب هدايجهم و أطافهم فرّق أصحابه و سكنت حركته ، و كان يلبس السراويل و الملحفة و لا يلبس القميص و لا يعتم إلا في الخـرب ، و لا يعتم أحد في بلده إلا الغرباء ، و استمر ملكه اثنتين و أربعين سنة<sup>4</sup> و توفي سنة 341هـ/952م .

**ب7 - أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار :** تولى بعد وفاة أبيه و هو ابن اثنتين و عشرين سنة و ذلك سنة 341هـ/952م حسب ما نص عليه البكري<sup>5</sup> ، فسار سيرة آبائه و ادّعى النبوة و اشتدّ أمره و علا سلطانه و دانت له قبائل المغرب<sup>6</sup> ، و كان أبوه قد وصاه عند موته بموالة أمير الأندلس ، و قال له أنت سابع الأمراء من أهل بيتك و أرجوا أن يأتيك ج —دك صالح كما وعد<sup>7</sup> .

و أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار هذا هو الذي أرسل السفير أبا صالح زمور بن موسى بن هشام بن وارين البرغواطي و كان صاحب صلاتهم إلى الخليفة الأمـوي في الأندلس الحكم المستنصر ، فكان وصوله قرطبة في شـوال سنة 352هـ/نوفمبر 963م و كان المترجم عنه القـادم معه أبو موسى عيسى بن داود بن عشرين من أهل شالة مسل —م من بيت خيرون بن خـير<sup>8</sup> ، فحلى أبو صالح زمور للخليفة الحكم طرفا من تاريخ برغواطة ، و في إحضار مترجم مسلم معه قد

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 277 .

<sup>2</sup> نفسه، ج6، ص278

<sup>3</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>4</sup> البكري، مصدر سابق، ص 137 . ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص225 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص137 .

<sup>6</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص278 .

<sup>7</sup> البكري، مصدر سابق، ص137 . ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص225 .

<sup>8</sup> البكري، مصدر سابق، ص134 .



تكون إشارة إلى حكام الأندلس الأقوياء في هذه المرحلة على أنّ البرغواطيين غير معادين للمسلمين المختلفين معهم في العقيدة و المذهب ، و أنّهم يعيشون جنبا إلى جنب في جو من التسامح الديني ، و تسجل هذه السفارة البرغواطية المكانة السياسية العالية التي بلغتها دولة برغواطة بحيث أصبحت من بين الدول المغربية الكبرى التي تتعامل معها الحكومة المركزي بقربية دبلوماسية<sup>1</sup>.

و تتوقف المصادر عند ذكر أبي منصور عيسى كآخر ملوك بني صالح الأقوياء ، و حسب رواية لابن خلدون فإنّ بلكين بن زيري<sup>2</sup> لما غزا المغرب سنة 368هـ/ 978م زحف إلى برغواطة فلقه أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار في قومه و كانت عليه الهزيمة ، و قُتل أبو منصور و أئخن فيهم بلكين بالقتل و بعث سبيهم إلى القيروان<sup>3</sup> ، و أقام في المغرب يردد فيهم الغزو إلى سنة 372هـ/ 982م و انصرف من المغرب فهلك في طريقه إلى القيروان<sup>4</sup>.

و لا نجد ذكرا لمن ملك برغواطة بعد مقتل أبي منصور و رواية البكري تنتقل مباشرة إلى سنة 420هـ/ 1028م ، حيث ذكر أنّ برغواطة لم تزل في بلادها معلنة بدينها و بنو صالح بن طريف ملوكها إلى أن قام فيهم الأمير تميم اليفيني و ذلك بعد 420هـ/ 1028م ، فغلبهـم على بلادهم و سباهم و أجلى من بقى منهم و استوطن ديارهم و انقطع أمرهم و عفا آثارهم ، و لم يبق لضالّاتهم باقية و لا من أوامر كفرهم آصرة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سحر سيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 37 .

<sup>2</sup> بلكين بن زيري : أبو الفتوح يوسف بن زيري ، استخلفه المـ عز لدين الله الفاطمي على إفريقية بعد رحيله إلى مصر سنة 361هـ/ 971م ، حارب زناتة و هزمها ، توفي سنة 372هـ/ 982م ( ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 66 ) .

<sup>3</sup> القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية أسّسها عقبة بن نافع فاستقامت سنة 55هـ/ 674م ، و قد خرّجها الأعراب بعد غزوهم إياها في القرن الخامس الهجري ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 420 . عبد الحكيم عفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م، ص 377 ) .

<sup>4</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 279 . و ذكر الناصري أن تـاريخ هذا الحدث كـان سنة 369هـ/ 979م ( الناصري، مصدر سابق، ج2، ص 16 ) .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص 141 .

## ج- الصراعات السياسية في بلاد المغرب بعد قيام دولة برغواطة :

نتيجة لقيام دولة برغواطة فقد دخل المغرب الأقصى في صراعات سياسية حاول كل طرف فيها القضاء على خصمه ، فإدريس الأول مؤسس الدولة الإدريسية حاول الزحف إلى تامسنا بعد أن استقام أمره في المغرب<sup>1</sup> ، و قد عجز الأدارسة عن إخضاع البرغواطيين<sup>2</sup> على الأقل في هذه المرحلة ، و يبدو أنّ القتال بين الطرفين لم يتوقف فعندما ولي يونس بن إلياس أظهر ديانتته و قتل من يخالفه<sup>3</sup> ، و لا شك أنّ الأدارسة كانوا ممن قاتلهم يونس ، و بوصول أبي غنير البرغواطي إلى الحكم اشتدت شوكتته و عظم أمره و كانت له وقائع مشهورة في البربر<sup>4</sup> و قاتل الأدارسة<sup>5</sup> و لم يحسم أي طرف المعركة لصالحه .

كما حارب أمراء سجلماسة الصفرىون برغواطة ، حيث ذكر ابن حوقل أنّه ألفى حاكمهم محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله يدعو إلى غزوهم سنة 340هـ/951م ، و يضيف أنّه ربما هلك و لم يبلغ مراده لقلّة إجابة من كان يدعوهم إلى غزوهم من البربر<sup>6</sup> .

و دخلت الدولة العامرية الحرب ضد برغواطة فقد توجه جعفر بن علي بن حمدون<sup>7</sup> سنة 366هـ/976م إلى المغرب فنزل البصرة<sup>8</sup> ، ثمّ اختلف مع أخيه يحيى بن علي<sup>9</sup> و استمال عليه أخوه الجند و أمراء زناتة فتجافى له جعفر عن العمل و صرف وجهه إلى جهاد برغواطة و زحف

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 20 .

<sup>2</sup> إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص 103 .

<sup>3</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 184 .

<sup>4</sup> البكري، مصدر سابق، ص 136 .

<sup>5</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 186 .

<sup>6</sup> ابن حوقل، مصدر سابق، ص 83 .

<sup>7</sup> جعفر بن علي : بن حمدون الأندلسي أبو علي أمير الزاب من أعمال إفريقية و صاحب المسيلة ، لابن هانئ فيه مدائح ، نشأت بينه و بين زيري بن مناد فتنة فانتهى به الأمر إلى الفرار إلى الأندلس التي قتل بها سنة 364هـ/974م ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص 360 ) . و ذكر ابن عذارى أنّ المنصور بن أبي عامر قد قتل جعفر بن علي و بعث برأسه إلى بلكين بن زيري سنة 367هـ/977م عندما حاصر سبتة يريد أن يرضيه بذلك ( ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 231 ) . و في موضع آخر ذكر ابن عذارى أنّ المنصور قتله سنة 372هـ/984م ( ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 280 ) .

<sup>8</sup> البصرة : بلد في المغرب في أقصاه قرب السوس ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 440 ) .

<sup>9</sup> يحيى بن علي بن حمدون : كانت له ولاية و لأخيه جعفر رئاسة و نباهة في أيام العبيدية ، خرج من الأندلس بعد مقتل أخيه جعفر و استقر في مصر عند العبيديين حيث قبله العزيز بالله و هو يومئذ الخليفة بها ، مات يحيى سنة 373هـ/983م ( ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق : حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1405هـ/1985م، ج1، ص 305 ) .

إليهم في أهل المغرب و كافة الجند الأندلسيين ، فلقوه ببسيط بلادهم فهزموه و نجح بنفسه و لحق بأخيه بالبصرة<sup>1</sup> ، و بعد ذلك عقد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر لمولاه واضح إمرة برغواطة ، فعظم فيهم الأثر بالقتل و السبي ، ثم حاربهم أيضا بنو يفرن<sup>2</sup> بناحية سلا<sup>3</sup> ، و كان لأبي الكمال تميم بن زيري اليفرني فيهم جهاد كبير و ذلك سنة 420هـ/1028م فغلبهم على تامسنا و ولى عليها من قبله بعد أن أثنى فيهم سبيا و قتلا<sup>4</sup> .

و قاتل الزيريون عمال الفاطميين في إفريقية البرغواطين ، فقد تمكن بلكين بن زيري من قتل أميرهم أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار لما غزا المغرب سنة 368هـ/978م ، و أثنى في قومه بالقتل و بعث بسبيهم إلى القيروان<sup>5</sup> .

لقد تعرّض البرغواطيون لغزوات متتالية من الدول المجاورة التي حكمت بلاد المغرب و الأندلس ، و إذا كانت معارك البرغواطين ضد الأندلسيين و الأدارسة و بني يفرن قد أثرت في قوة برغواطة و قلّت من حدّها فإنّها حافظت على استقلالها إلى أن ظهر المرابطون<sup>6</sup> .

و عندما ظهر المرابطون في جنوب المغرب الأقصى سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة و ما هم عليه من الضلالة فرأى أنّه من الواجب تقديم جهادهم على غيرهم ، فسار إلى غزوهم في جيوشه و الأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص من أعقاب أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف<sup>7</sup> ، فكانت بينه و بين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة مات فيها من الطرفين خلق كثير و استشهد فيها عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م تاركا وصيته بأن يتشاور أصحابه و يولون من يروونه أهلا لذلك<sup>8</sup> ، فخلفه أبو بكر بن عمر

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 278 .

<sup>2</sup> بنو يفرن : كانت مواطنهم بإفريقية بين تلمسان و تيهرت ، اشتهر منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد الثائر على العبيديين ، ثم تفرّق شمل بني يفرن و أحجاز كثير منهم إلى الأندلس ، كما انسحب بعضهم إلى ناحية تادلة و شالة ( عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 120 ) .

<sup>3</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 279 .

<sup>4</sup> الناصري، مصدر سابق، ج2، ص 17 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 279 .

<sup>6</sup> علال الخديمي، جهاد عبد الله بن ياسين و الحركة المرابطية ، ندوة عبد الله بن ياسين ( 14 شعبان 1418هـ/ 14 ديسمبر 1997م )، منشورات جمعية الربيع للثقافة و التنمية الخميسات، البوكليبي للطباعة و النشر و التوزيع، القنيطرة (المغرب)، الطبعة الأولى، 1419هـ/1989م، ص 86 .

<sup>7</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 289 .

<sup>8</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 131 .

فكان أول ما فعله أن زحف إلى برغواطة مصمما في حربهم ، فأثخن فيهم قتلا و سبيا حتى تفرّقوا و استأصل شأفتهم و أسلم الباقون إسلاما جديدا ، و محّا أبو بكر بن عمر أثر دعوتهم من المغرب و جمع غنائمهم و قسمها بين المرابطين<sup>1</sup> .

و تجمع المصادر على أنّ المرابطين قضوا على البرغواطيين قضاء تاما و مع ذلك نلاحظ من خلال الحوادث و الوقائع التي سجلها عصر الموحدين أنّ المرابطين لم يقضوا قضاء تاما على برغواطة بدليل أنّها ستظهر في تلك الحوادث و تشارك في الثورات ضد الدولة الموحدية ، و لهذا فإنّ المرابطين و إن نجحوا في القضاء على الكيان السياسي لبرغواطة كدولة لها مقومات الدول فإنّهم لم يقضوا عليها كعصبية إجتماعية ، بدليل أنّ برغواطة عادت إلى الظهور في عهد الموحدين و شاركت في ثورة الماسي مشاركة غير ذات خطر ، أما من حيث الفكر العقائدي فقد تطهّر على أيدي المرابطين الذين ردّوها إلى الإسلام فلم نعد نسمع بعد أن قضى المرابطون على دولتهم شيئا عن ديانتهم<sup>2</sup> .

و إذا كانت برغواطة قد دخلت في صراعات عنيفة مع مختلف الكيانات السياسية و القبائل المجاورة لها فإنّ علاقاتها مع دولة بني أمية في الأندلس قد كانت ودية لا سيما في المرحلة التي ظهرت فيها دولة بني عبيد في إفريقية ، حيث اشتدّ الصراع على النفوذ في المغرب الأقصى بين الدولتين الأموية و الفاطمية و الذي أرجعه البعض لثراء برغواطة الزراعي و الرعوي فضلا عن الصيد البحري ، و الأهم سيطرتها على طريق تارودنت<sup>3</sup> المتجه إلى تجارة السودان<sup>4</sup> .

و من خلال ما ورد في المصادر التاريخية يتضح أنّ دولة برغواطة قد اصطفت إلى جانب الأمويين في صراعهم مع العبيديين ، و قد ترجع هذه العلاقات الحسنة إلى وصية صالح بن طريف الزعيم البرغواطي الأول لابنه بمولاة صاحب الأندلس<sup>5</sup> ، و تجددت هذه الوصية في عهد أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير حيث أوصى ابنه عيسى قبل موته بمولاة صاحب الأندلس كذلك ، و كذلك كان يوصي جميعهم المرشح للملك بعده<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> الناصري، مصدر سابق، ج2، ص 18 .

<sup>2</sup> سحر سيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 43 .

<sup>3</sup> تارودنت : في بلاد السوس ، مدينة عظيمة أسسها الأفارقة الأقدمون ، تقع جنوب الأطلس الكبير بعيدة عنه بما يزيد قليلا عن أربعة أميال ( حسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص 117 ) .

<sup>4</sup> سلمى محمود إسماعيل، الصراع الإثني و المذهبي في المغرب الأقصى في ضوء نظرية ابن خلدون ، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1430هـ/2010م، ص 230 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص 135 .

<sup>6</sup> البكري، ص 137 .

و توجت السفارة التي كان على رأسها صاحب صلاة برغواطة أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن وارين ما وصلت إليه العلاقات الدبلوماسية بين دولة برغواطة و دولة بني أمية من صداقة و حسن حوار و مصالح متبادلة بين الطرفين قبل أن تنقلب الأمور في عهد الدولة العامية .

الفصل الثاني : إرث المهدوية في بلاد المغرب والأندلس وأثارها السياسية ( من القرن  
2 هـ إلى 7 هـ / 8 م إلى 13 م ) .

- 1- عقيدة المهدي عند أهل السنة و الشيعة .
- 2- عبید الله المهدي و إدّعاءه المهدوية .
- 3- محمد بن تومرت و حقيقة ادّعاءه المهدوية .
- 4- مهديو المغرب و الأندلس المغمورون .
  - أ- مهديو المغرب المغمورون .
  - ب- مهديو الأندلس المغمورون .
- 5- الآثار السياسية لادّعاء المهدوية في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن  
2 هـ إلى 7 هـ / 8 م إلى 13 م ) .
  - أ- الدولة الفاطمية .
  - 1- قيام الدولة الفاطمية .
  - أ 2 - رحيل الفاطميين إلى مصر .
  - ب- الدولة الموحدية .

الفصل الثالث : إدعاء المهدوية في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية ( من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م ) :

تعد ظاهرة إدعاء المهدوية في العالم الإسلامي عامة و في بلاد المغرب خاصة ظاهرة سياسية بامتياز ، إذ يسعى أصحابها للإستيلاء على السلطة مستغلين انتشار الفساد و الظلم زاعمين أنهم مهديون منتظرون و أنه قد آن وقت ظهورهم ليبسطوا القسط و ينشروا العدل ، مرتدين لباس الإصلاح و الورع ، سندهم في ذلك أحاديث و آثار نبوية كثيرة وردت في شأن المهدي فينزلوها على أنفسهم فيلتف حولهم الغوغاء فتكبر أطماعهم و يشتدّ ساعدهم ، و قد يعقّب بعضهم نجاحا سياسيا كبيرا فتقوم لهم دول و ترفع لهم رايات و تنصب لهم ألوية .

### 1 - المهدي عند أهل السنة و الشيعة :

#### أ- تعريف المهدي لغة :

قال الجوهري : " المهدي اسم مفعول من الهدى و معناه الرشاد و الدلالة يؤنث و يذكر ، يقال هداه الله للدين هدى ، و هديته الطريق و البيت هداية أي عرفته"<sup>1</sup> .

و قال ابن منظور : " و في الحديث "سنة الخلفاء الراشدين المهديين" المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق ، و قد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة ، و به تسمّى المهدي الذي بشر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان ، و يربي بالخلفاء المهديين أبسا بكر و عمر و عثمان و علي ، و إن كان عاما في كل من يسير سيرتهم"<sup>2</sup> .

و قد أرجع البعض كلمة المهدي إلى أصل غير عربي ، و هذا رأي محدث يبدو التكلف فيه واضحا ، إذ يذكر محمد ناصر الصديقي نقلا عن البعض أنّ كلمة المهدي مرّده — إلى أصل غير عربي ، و هي في الواقع تعريب للفظه المسيح الموجود في البقوة ، فالمسيح معناه المسموح أي أنه ذلك البطل المنتقد الذي يمسخ هالاله بمعنى الهداية والإرسال و التأييد الرباني ، و أضاف أنه ليس بوسعنا إنكار ما بين الكلمة العبرية " المسيح" و الكلمة العربية " المهدي" من اشتراك دلالي و تشابه في أوجه الاستعمال ، فكلماتهما تدلان- في سياق محدد و هو الاستعمال اللغوي الديني - على من تحققت له صلة بالله جوهريا ، و كل منها صفة لمتقلي الحكم و اسما لمخ لّص موعود ، و يجوز

<sup>1</sup> الجوهري، مصدر سابق، ج6، ص2533 .

<sup>2</sup> ابن منظور، مصدر سابق، ص4639 .

لذلك احتمال كون اسم خليفة المسلمين المنتظر ترجمة لدلالة الكلمة العبرية الرمزية ، بل يحق القول إنّ هذا الإحتمال هو أقرب الاحتمالات الممكنة إلى اليقين<sup>1</sup> .

ثمّ قال : " إن الظاهر من السياقات التي ورد فيها المصطلح العربي أنّ المراد به - يعني لفظ المهدي - نزعة انتظار المخلص مطلقا ، أي أنّه يشتمل كل إيمان بقرب ظهور مخلص ، فهو إذن يستوعب عقيدة المسيح المنتظر اليهودية و عقيدة المخلص المسيحية و عقيدة المهدي الإسلامية ، إذن لفظ المهدي هو اسم المنقذ و المخلص المنتظر عند المسلمين " <sup>2</sup> .

و قد يكون لهذا الرأي وجه من الصحة من جهة المعنى لكلمة المهدي و السياق الذي وردت فيه لا من جهة المبنى فهي كلمة عربية أصيلة لا تعرف العجمة إليها سبيلا ، و لم ينقل أحد من المتقدمين - في حدود ما أعلم - ممن سبر أغوار اللغة العربية أنّ كلمة المهدي أصلها غير عربي ، خاصة إذا علمنا أنّ هذا المصطلح من أكثر المصطلحات انتشارا بين المسلم-ين قديما و حديثا .

---

<sup>1</sup> محمد الناصر صديقي ، فكرة المخلص بحث في الفكر المهدوي ، جداول للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ / 2012م، ص115.

<sup>2</sup> نفسه، ص116 .



## ب- المهدي عند أهل السنة :

يؤمن كثير من أهـل السنة و الجماعة بأشراط الساعة التي وردت في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، و من هذه الأشرط التي تكون قبيل قيام الساعة ظهور المهدي ، و الأحاديث الواردة فيه كثيرة جدا قال بعض العلماء عنها أنّها تبلغ حد التواتر<sup>1</sup> ، و هي في السنن و غيرهـا من دواوين الإسـلام من المعـاجم و المسانيد<sup>2</sup> .

قال ابن خلدون في المقدمة ما نصّه: " اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ العصور أنّه لا بد في آخر الزمان من ظهـور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين و يظهر العدل و يتبعه المسلمون و يستولي على الممالك الإسلامية و يسمّى باللهـدي ، و يكون خروج الدجال و ما بعده من أشرط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره ، و أنّ عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله و يأتّم بالمهدي في صلاته ، و يحتجون في الشأن بأحاديث خرّجها الأئمة و تكلم فيها المنكرون لذلك ، و ربما عارضوها ببعض الأخبار"<sup>3</sup> .

و قد جمع أحد المؤلفين الشيعة و اسمه مهدي الفقيه الإمامي في مصنف وسمه بـ " الإمام المهدي عند أهل السنة " الأحاديث التي وردت في كتب السنة ابتداء من القرن الثالث هجري إلى القرن الثاني عشر هجري و نقلها بأسانيدها ، غير أنّه لم يفته في مقدمته أن ينبّه شيعته و من ليس له دراية بعلم الحديث إلى أنّ رواية " اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي " رواية ضعيفة<sup>4</sup> ، لأنّها تنسف رواياتهم لا سيما الإثنا عشرية منهم الذين يسمون مهديهم الغائب محمد بن الحسن العسكري و ليس محمد بن عبد الله كما ورد في الحديث حيث قال : " و لا يرتدّ باب اللبيب أنّ هذه الزيادة لا اعتبار لها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها ، و على هذا فسقوط هذه الرواية عن حد الاعتبار و الصحة أمر قطعي مضافا إلى احتمال كون هذه الزيادة من مختلقات بني عباس ، كما هو دينهم

---

<sup>1</sup> الحديث المتواتر : هو أعلى درجات الصحة و هو ما رواه الجماعة عن الجماعة وصولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و يشترط فيه أن يكون عدد الرواة كثير أحالت العادة تواطؤهم على الكذب و روى ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء ، و كان مستند انتهائهم الحس ( ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر، ص37 ) .

<sup>2</sup> محمد صديق حسن خان، الإذاعة لما كان و ما يكون بين يدي الساعة ، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، ص 149.

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمـة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1421هـ/2001م، ص388.

<sup>4</sup> و هذه الرواية صحيحة عند محدّثي أهل السنة ، قال الشيخ الألباني معلقا على هذا الحديث و هو عند أبي داود أنّه حسن صحيح ( محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود ، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، حديث رقم 4282، ج3، ص20 ) .

في استخ. دام الكذابين لوضع الأحـادِيث المناسبة مع منوياتهم السياسية و إذاعاتها بين الناس " <sup>1</sup> ،  
و هذه بعض كتب أهل السنة التي أوردت روايات المهدي مرتبة كما ذكرها المؤلف الشيعي :

- المصنف لعبد الرزاق بن همام ( ت 211 هـ ) .
- السنن لابن باجة القزويني ( ت 273 هـ ) .
- السنن لأبي داود السجستاني ( ت 275 هـ ) .
- السنن للترمذي ( ت 297 هـ ) .
- المعجم الكبير للطبراني ( ت 388 هـ ) .
- مصابيح السنن للبغوي ( ت 510 هـ ) .
- جامع الأصول لابن أمير الجزري ( ت 606 هـ ) .
- تذكرة خواص الأمة لسبط بن الجوزي ( ت 654 هـ ) .
- تذكرة القرطبي لمحمد بن أبي بكر القرطبي ( ت 671 هـ ) .
- المنار المنيف لابن قيم الجوزية ( ت 751 هـ ) .
- الفتن و الملاحم لابن كثير الدمشقي ( ت 774 هـ ) .
- مجمع الزوائد لنور الدين الهيثمي الشافعي ( ت 807 هـ ) .
- الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيثمي ( ت 974 هـ ) .
- كنز العمال لعلاء الدين المتقي الهندي ( ت 975 هـ ) .
- مرقاة المفاتيح شرح المصابيح لعلي القاري الحنفي ( ت 1014 هـ ) <sup>2</sup> .

و الأحاديث التي رواها أهـل السنة في كتبهم منها ما جـاء فيها التصريح بلقب المهدي  
و منها ما ذكرت صفاته و بعض أحواله و منها أحاديث يحتمل كونها في شأن المهدي <sup>3</sup> .

فأما الأحاديث التي ذكرت المهدي تصريحاً منها ما رواه أبو سعيد الخـدري قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه و سلم : " يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث ، و تخرج الأرض

---

<sup>1</sup> مهدي الفقيه الإمامي، الإمام المهدي عند أهل السنة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ/1981م، ص 19 .

<sup>2</sup> نفسه ، ص ص 4-5 .

<sup>3</sup> محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، المهدي، الدار العالمية للنشر و التوزيع، الإسكندرية، الطبعة الحادي ة عشرة، 1429هـ/2008م، ص 35 .

نباتها و يعطي المال صحاحا و تكثر الماشية و تعظم الأمة ، و يعيش سبعا أو ثمانيا" <sup>1</sup> .  
و عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " المهدي منِّي أجلى الجبهة  
أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا و يملك سبع سنين" <sup>2</sup> .  
و عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " المهدي من عتتي  
من ولد فاطمة" <sup>3</sup> .

و أمّا ما يتعلق بصفات المهدي و بعض أحواله ، فقد روى أبو داود في سننه عن النبي صلى الله  
عليه و سلم أنّه قال : " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّ الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا  
مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما  
ملئت ظلما و جورا" <sup>4</sup> .

و المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن بن علي ، و يشرح ابن القيم سر كونه من ولد  
الحسن بقوله : " إنّه رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي ، يخرج في آخر الزمان و قد  
امتألت الأرض جورا و ظلما فيملأها قسطا و عدلا و أكثر الأحاديث تدل على هذا ، و في كونه  
من ولد الحسن سر لطيف ، و هو أنّ الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من  
يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض ، و هذه سنة الله في عباده أنّه من ترك لأجله  
شيئا أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه ، و هذا بخلاف الحسين فإنّه حرص عليها و قاتل عليه  
فلم يظفر بها و الله أعلم" <sup>5</sup> .

و أمّا الروايات التي يفهم أنّها تخصّ المهدي ، فمنها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم  
منكم" <sup>6</sup> .

---

<sup>1</sup> أبو عبد الله الحاكّم النيسابوري، المستدرک علی الصحيحین، دار المعرفة، بیروت، کتلب الفتاوی و الملاحم، ج4، ص558.

<sup>2</sup> أبو داود، السنن، کتاب المهدي، حديث رقم 4258، ص467.

<sup>3</sup> نفسه، کتاب المهدي، حديث رقم 4284، ص467.

<sup>4</sup> نفسه، کتاب المهدي ، حديث رقم 4282، ص476.

<sup>5</sup> ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح و الضعيف، تحقيق : يحيى بن عبد الله الشمالي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ص151.

<sup>6</sup> البخاري، الصحيح، کتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حديث رقم 3449، ج2، ص491.

و في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صلّ لنا فيقول لا إنّ بعضكم على بعض أمراء ، تكرمهم الله هذه الأمة " <sup>1</sup> .

قال صديق حسن خان في الإذاعة تعليقا على هـ — ذا الحديث : " و ليس فيه أيضا ذكر المهدي ، و لكن لا محمل و لأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر لما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة و الآثار الكثيرة " <sup>2</sup> .

و حمل البعض كلام ابن خلدون في المقدمة الذي نصّه : " فإنّ صحّ ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ، و يؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تكون لهم شوكة و عصبية " <sup>3</sup> على أنّه نوع من إنكار عقيدة المهدي ، حيث تكلم في إسناد كثير من الأحاديث الواردة في الباب ملّحا إلى ضعفها ، و ممّن ردّ عليه صديق حسن خان حيث قال : " فقول ابن خلدون فإنّ صحّ ظهوره لا يخلو من مسامحة و نوع إنكار من خروجه و تلك الأحاديث واردة عليه و ليست بدون من الأحاديث التي تثبت بها الأحكام الكثيرة المعمول بها في الإسلام ، و ما ذكر من جرح الرواة و تعديلهم يجري في رجال الأسانيد الأخرى بعينه أو بنحو ، فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلة ، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة البالغة إلى حد التواتر ، و أمّا أنّه لا تتم شوكة أحد إلا بالعصبية فنعم و لكن الله قادر على خرق العادة و يؤيد دينه كيف يشاء " <sup>4</sup> .

إذا فمن الخطأ البين ما يذكره و يردده كثير من مؤرخي هذا العصر أنّ عقيدة المهدي عقيدة شيعية ، بل هي عقيدة سنية أصلها في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و إنّما القول الصحيح أنّ الغلو و الإفراط في المهدي هو عقيدة الشيعة .

<sup>1</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد، حديث رقم 156، ص 86.

<sup>2</sup> محمد صديق حسن خان، الإذاعة، ص 180 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 408 .

<sup>4</sup> محمد صديق حسن خان، مصدر سابق، ص ص 182 - 183 .

## ج- المهدي عند الشيعة :

الشيعة فرق كثيرة و لكل فرقة مهديها ، و يجمع بين أغلبها ادّعاؤهم أنّ المهدي يكون من ولد الحسين بن علي ، و لكن أكثر الفرق انتشارا و أغزرها مصادر و أقواها نفوذا و امتدادا فرقة الإثنا عشرية و أطلق عليهم البغدادي اسم القطعية ، و قال إنّهم الذين ساقوا الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى و زعموا أنّ الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا ، و يقال لهم الإثنا عشرية أيضا لدعواه — أنّ الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب ، و اختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته ، فمنهم من قال كان ابن أربع سنين و منهم من قال كان ابن ثماني سنين ، و اختلفوا في حكمه في ذلك الوقت ، فمنهم من زعم أنّه كان إماما — الما بجميع ما يجب أن يعلمه الإمام و لئان مفروض الطاعة على الناس ، و منهم من قال كان في ذلك الوقت إماما على معنى أنّ الإمام لا يكون غيره ، و قالوا إنّ الإمام الواجب طاعته و إن كان غائبا <sup>1</sup> .

و يرفع الشيعة الإمامية مهديهم الغائب المنتظر مراتب عالية ، يقول محمد باقر الصدر : " و لا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد و بنائها من جديد ، فيكون لكل منها عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية ، و هو نوح الذي نصّ القرآن على أنّه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة ، و قدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد ، و الآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية و هو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام ، و سيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد ، فلماذا نقبل نوح الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير و لا نقبل المهدي " <sup>2</sup> .

و تعقبا على هذا المؤلف نقول إنّ الذي أخبرنا عن نوح هو الله عز و جل في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا خلفه ، أمّا الذي أخبرنا عن إمام اختلف في وجوده من عدمه قوم قليل عنهم إنّهم أكذب الناس في النقلات و أجهلهم في العقلات ، و لهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 64 .

<sup>2</sup> محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي، دار التعارف، بيروت، 1412هـ/1992م، ص ص 29- 30 .

<sup>3</sup> الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض و الاعتزال "مختصر منهاج السنة النبوية"، تحقيق و تعليق : محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد "و كالة الطباعة و الترجمة"، الرياض، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1992م، ص ص 20- 21 .

و اختلف الشيعة في ولادة مهديهم الغائب المنتظر محمد بن الحسن العسكري على أقوال  
و هذه أهمها :

- قيل يوم الجمعة في ليلة النصف من شعبان سنة 255هـ/28 جويلية 869م ، و هو باق إلى أن  
يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام <sup>1</sup> .
- قيل إنّه ولد سنة 256هـ/869م <sup>2</sup> .
- و يقول محمد رضا مظفر إنّ الإمامية تعتقد أنّ هذا المصلح المهدي و هو شخص معيّن معروف  
ولد سنة 256هـ/869م و هو لا يزال حيا <sup>3</sup> .
- و قيل ولد وقت الفجر من ليلة الجمعة لثم -ان خلون من شعبان سنة 257هـ/30 جوان  
871م <sup>4</sup> .
- و الراجع عند أكثر رواة الشيعة هو النصف من شعبان سنة 255هـ/28 جويلية 869م ،  
يقول صاحب كتاب في انتظار الإمام : " ولد الإمام المنتظر بسامراء <sup>5</sup> من مدن العراق ليلة النصف  
من شعبان عام 255هـ " <sup>6</sup> .

---

<sup>1</sup> محمد باقر الاطهر القمي، الروض الفسيح في بيان الفوارق بين المهدي و المسيح، مركز الانجازات العقائدية، ج3، ص42 . نقلا  
عن : د/ أحمد جابر محمود العم صري و أ. محمد يوسف محمد، المهدي المنتظر عن الشيعة الإمامية دراسة نقدية في  
ضوء عقيدة أهل السنة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، غزة، مجلد 19، عدد 2، رجب 1432هـ/يونيو  
2011م، ص 273 .

<sup>2</sup> أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الغيبة، تحقيق : عبد الله الطهراني علي أحمد ناصع، مؤسسة المع -ارف الإسلامية،  
قم، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م، ص 230 . نقلا عن د/ أحمد جابر محمود العمصي و أ. محمد يوسف محمد، مرجع  
سابق، ص 273 .

<sup>3</sup> محمد رضا مظفر، عقائد الإمامية، تحقيق : د/ حامد حفي داود ، انتشارات أنصاريان للطباعة و النشر، قم، ص 78 . نقلا  
عن د/ أحمد جابر محمود العمصي و أ. محمد يوسف محمد، مرجع سابق، ص 273 .

<sup>4</sup> حسن بن سليمان الحلبي، مختصر بصائر الدرجات، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الأولى، 1370هـ/1950م،  
ج1، ص 181 . نقلا عن د/ أحمد جابر محمود العمصي و محمد يوسف محمد، مرجع سابق، ص 273 .

<sup>5</sup> سامراء : بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا يقال لها سرمن رأى و بها السرداب المشهور الذي تزعم الشيعة أنّ مهديهم  
يخرج منه ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 173 ) .

<sup>6</sup> عبد الهادي الفضلي، في انتظار الإمام، دار الأندلس للطباعة و النشر، الطبعة الأولى، 1398هـ/1979م، ص 23 . نقلا عن  
د/ أحمد جابر محمود العمصي و أ. محمد يوسف محمد، مرجع سابق، ص 274 .

و لا يزال الشيعة في كل عام من الخامس عشر من شعب—ان تحتفل بولادة المهدي احتفالا كبيرا و هو الإمام الوحيد الذين يحتفلون بيوم ولادته فقط ، أما الأئمة الآخرين فتكون احتفالاتهم في أيام مولدهم و وفاتهم على السواء <sup>1</sup> .

و الكثير على أنّ الحسن العسكري لم يكن له ولد—لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات ، فدلّ طلبه أنّ أخاه لا ولد له و إلا لم يسعه الطلب ، و حُكي عن جمهور الرافضة <sup>2</sup> أنّهم قائلون إنّ لا عقب للعسكري ، و أنّه لم يثبت له ولد بعد أن تعصّب قوم لإثباته و أنّ أخاه جعفرا أخذ ميراثه ، و جعفر هذا ضلّته فرقة من الشيعة و نسبوه للكذب في ادّعاءه ميراث أخيه و لذا سمّوه ، و الحاصل أنّهم تنازعوا في المنتظر بعد وفاة العسكري على عشرين فرقة ذكره—النوختي في فترق الشيعة <sup>3</sup> ، و أنّ الجمهور غير الإمامية على أنّ المهدي غير الحجة هذا <sup>4</sup> .

ثمّ إنّ المقرر في الشريعة المطهرة أنّ الصغير لا تصح ولايته فكيف ساغ لهؤلاء أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين و أنّه أوتي الحكم صبيا مع أنّه صلى الله عليه وسلم لم يخبر به ، و ما ذلك إلا مجازفة و جراءة على الشريعة الغراء ، قال بعض أهـل البيت : و ليت شعري من المخبر لهم بهذا و ما طريقه ، و لقد صاروا بذلك و بوقوفهم بالخیل على ذلك السرداب و صياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب ، و لقد أحسن القائل :

<sup>1</sup> د/موسى الموسوي، الشيعة و التصحيح الصراع بين الشيعة و التشيع، ص16 . نقلا عن د/ جابر محمد العمصي و أ. محمد يوسف محمد، مرجع سابق، ص 274 .

<sup>2</sup> و سبب تسميتهم رافضة أنّهم سألوا زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما فترحم عليهما فرفضه قوم فسمّوا رافضة لرفضهم إيّاه ، و سمّي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه ( ابن تيمية، منهاج السنة، ج1، ص 34 ) . و روى الإمام الشيباني في كتابه السنة حديثا مسندا و بألفاظ مختلفة و علّق على أسانيدنا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني مبينا ضعفها ، و في تخريج الحديث رقم 981 و نصّه كاملا : حدّثنا إسماعيل بن سالم حدّثنا يونس بن محمد حدّثنا عمران بن زيد عن الحجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله يقول : " يكون في آخر الزمان قوم ينزّون الرافضة يرفضون الإسلام و يلفظونه فاقتلوهم فإنّهم مشركون " ، قال الشيخ الألباني : و الحديث أخرجه أبو يعلى من طريق أخرى عن عمران بن زيد به ، و قال الهيثمي رواه أبو يعلى و البزار و الطبراني و رجاله وثقوا و في بعضهم خلاف ، ثمّ ساقه بلفظ آخر عنه : " يا علي سيكون قوم في أمّتي ينتحلون حبّ أهل البيت لهم نيز يسمون الرافضة ، قاتلوهم فإنّهم مشركون " ، و قال : رواه الطبراني و إسناده حسن ( أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلد الشيباني، كتاب السنة، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1413هـ / 1993م، ص460 ) .

<sup>3</sup> النوختي، مصدر سابق، ص 96 و ما بعدها .

<sup>4</sup> ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض و الضلالة و الزندقة، تحقيق : عبد الرحمان بن عبد الله التركي و كامل محمد الخراط، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م، ج2، ص 482.

ما آن للسرداب أن يلد الذي      كلّمته بجهلكم ما آنا  
و على عقولكم العفاء فإنّكم      تلثم العنقاء و الغيلانا<sup>1</sup>

فلحسن العسكري مات سنة 260هـ/873م كما تعترف بذلك كتب الشيعة ، و قال نقلت  
المؤرخين بأنّه مات عقيما فلم يعرف له خلف و لم ير له ولد ظاهر، فكانت هذه الواقعة قاصمة  
الظهر للتشيّع لأنّ هذا مؤذن بنهايتهم ، إذ أنّ أساس دينهم هو الإمام الذي يزعمون أنّ قوله قول  
الله و رسوله، فاختلقوا له ولدا و أدخلوه السرداب و مضى عليه ألف و مائتان من السنين و لم  
يخرج<sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> نفسه، ج2، ص 483.

<sup>2</sup> د/ احمد جابر محمود الغمصي و أ. يوسف محمد، مرجع سابق، 275 .



#### د- مقارنة بين مهدي السنة و مهدي الشيعة :

يختلف مهدي السنة عن مهدي الشيعة اختلافا كبيرا مع وجود نقاط اتفاق قليلة ، و يمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

- اتفق أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و فاطمة رضي الله عنهما .
- اختلف أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي للحسن بن علي أم للحسين بن علي ، فأهل السنة يقولون بالنسب الحسن أما الشيعة فيقولون بالنسب إلى الحسين .
- اختلف أهل السنة مع الشيعة في نسبة المهدي لأبيه ، فأهل السنة يقولون أنّ اسم الإمام المهدي محمد و اسم أبيه عبد الله أي محمد بن عبد الله ، و تقول الشيعة إنّ اسم المهدي محمد بن الحسن العسكري .
- اختلف أهل السنة و الشيعة في زمن ظهور المهدي ، فأهل السنة يقولون أنّه لم يولد بعد و مولده يكون قبل قيام الساعة ، و تزعم الشيعة أنّه ولد سنة 255هـ/869م و أنّه حي يرزق و أنّه دخل سرداب سامراء بالعراق و ينتظرون خروجه ليقوم دولتهم .
- اختلفت الشيعة في مدة مكث المهدي بعد ظهوره فأهل السنة يقولون يمكث سبع أو ثماني أو تسع سنين ثم يتوفاه الله و يُصلّي عليه ، أمّا الشيعة فيقولون يمكث سبع أو تسع عشرة سنة أو ثلاثمائة و تسع سنين .
- اختلف أهل السنة و الشيعة في أهمّ الأعمال التي يقوم به المهدي ، فأهل السنة يقولون إنّهم الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا فينشر الخير و ينتصر للإسلام و يظهره و يستولي على الممالك الإسلامية ، أما الشيعة فيقولون إنّ المهدي عند ظله وره من أهم أعماله الانتقام من الصحابة و على رأسهم أبو بكر الصديق و عمر و أمّات المؤمنين رضي الله عنهم ثمّ القضاء على أهل السنة و إقامة دولة الشيعة ، و هذا من العدل و القسط الذي سينشره حسب اعتقادهم .
- اختلف أهل السنة و الشيعة في شريعة المهدي التي يحكم بها بعد تمكينه في الأرض ، فأهل السنة يقولون بأنّه يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، أمّا الشيعة فقالت إنّّه يحكم بشريعة آل داود<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> د/ أحمد جابر محمود الغمصي و أ. محمد يوسف محمود، مرجع سابق، ص ص 311- 312 .

## 2- عبید الله المهدي و ادعاؤه المهدوية :

أ- نسبه :

اختلف الناس في نسب عبید الله المهدي اختلافا كبيرا بين مؤيد لما ادّعاه من النسب الشريف و أنّه من ولد الحسين بن علي و فاطمة و طاعن فيه مكذب له ، و قبل الخوض في نسبه لا بدّ من الإشارة إلى التحريف الذي يبدو أن السنيّين الحانقين عليه قد ألحقوه به و صيّروه بصيغة التصغير تحقيرا لشأنه فقالوا عبید الله بدل عبد الله ، و يدل على أنّ اسمه الحقيقي عبد الله ما ورد في كتاب أرسله ليقراً على المنابر بعد وصوله إلى القيروان ، و قد أثبت هذا الكتاب القاضي النعمان و ممّا جاء فيه : " باسم الله الرحمان الرحيم و به نستعين ، من عبد الله أبي محمد الإمام المهدي أمير المؤمنين إلى أشياعه من المؤمنين و جميع المسلمين ... و أعزّ الدين و المؤمنين و أنقذهم من الهلكة في كل سكون و رحمة بعبد الله أبي محمد المهدي بالله أمير المؤمنين " <sup>1</sup> ، و يزيد هذا الأمر تأكيدا السكة المضروبة في أيام عبید الله فقد ورد اسمه بصيغة عبد الله و حسب القطع المنشورة و المدروسة فلا توجد قطعة واحدة تحمل اسمه بصيغة التصغير <sup>2</sup> .

و من أهل السنة المثبتين لعبید الله النسب الشريف ابن الأثير و ابن خلدون و المقرئ ، فأما ابن الأثير فقد قال في تاريخه : " فليل محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و من ينسب هذا النسب يجعله عبد الله بن ميمون القداح الذي ينسب إليه القداحية ، و قيل هو عبد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و قد اختلف العلماء في صحة نسبه ، فقال هو و أصحابه القائلون بإمامته إنّ نسبه صحيح إلى ما ذكرناه و لم يرتابوا فيه ، و ذهب كثيرا من العلويين العالمين بالأنساب إلى موافقتهم أيضا ، و يشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضي :

ألبس الذل في بلاد الأعجادي	و بمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي و مولاه مولا	ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقه بعرقه سيد النـ	اس جميعا محمد و علي " <sup>3</sup>

<sup>1</sup> القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ص 294-295 .

<sup>2</sup> صالح بن قرية، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ / 1986م، ص 283 .

<sup>3</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص 446.

و قال في موضع آخر: "و هذه الأقوال - يعني الطاعنة في نسب عبيد الله المهدي - فيها ما فيها ، فيا ليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي<sup>1</sup> و غيره ممّن قام بإظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم و يسلموه إلى ولد يهودي ، و هل يسامح نفسه من يعتقده دينا يثاب عليه"<sup>2</sup> .

و أما ابن خلـدون فقد بدأ حديثه عن ابتداء دولة العبيديين بذلكـر نسبهم أولا فقال : " و أولهم عبيد المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد بن المكتوم بن جعفر الصادق ، و لا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهـل القـيـروان و غيرهـم ، و بالمخـضـر الذي ثبت ببغـداد أيام القادر<sup>3</sup> بالطعن في نسبهم و يشهد فيه أعلام أئمة ، و كتاب المعتضد<sup>4</sup> الذي يغري فيه بالقبض على عبيد الله لما سار إلى المغـرب شاهد بصحـة نسبهم و شعر الشريف الرضى مسجل بذلك ، و الذي شهدوا في المخضر فشهادتهم على السماع و هي ما علمت ، و قد كان نسبهم ببغداد منكرا عند أعدائهم شيعة بني العباس فتلقّون الناس بمذهب أهل الدولة ، و جاءت شهادة عليه مع أنّها شهادة على النفي ، مع أنّ طبيعة الوجود في الإنقياد لهم و ظهور كلمتهم حتى في مكة و المدينة أول شيء على صحة نسبهم ، و أمّا من يجعل نسبهم في اليهودية و النصرانية ليعمّون القدرح و غيره ، فكفاه ذلك إثما و سفسفة "<sup>5</sup> .

و قال في المقدمة : " و من الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين و الأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان و القاهرة<sup>6</sup> من نفيعهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم في نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا إليهم بالقدرح فيمن ناصبهم و تفننا في الشتمات بعدوهم حسبما تذكر بعض

<sup>1</sup> أبو عبد الله الشيعي : الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا من أهل صنعاء القائم بدعوة عبيد الله المهدي ، تمكن من التوطيد لدولة الفاطميين في بلاد المغرب قتله المهدي مع أخيه أبي العباس سنة 298هـ/910م ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج 2، ص192 ) .

<sup>2</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص 453 .

<sup>3</sup> القادر بالله : الخليفة أبو العباس أحمد ابن إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي المولود سنة 366هـ/976م ، تولى الخلافة سنة 381هـ/991م و توفي سنة 422هـ/1030م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص127 ) .

<sup>4</sup> المعتضد : الخليفة أبو العباس أحمد بن الموفق بالله ، ولد سنة 242هـ/856م ، بويع بالخلافة سنة 279هـ/892م و توفي سنة 289هـ/901م ( الذهبي، مصدر سابق، ج 13، ص 127 ) .

<sup>5</sup> ابن خلدون، العبر، ج4، ص 40 .

<sup>6</sup> القاهرة : المدينة العظمى على النيل ، بناها جوهر فانتقل إليها المعز و صارت عاصمة العبيديين ، و فيها جامع الأزهر ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص301 ) .

هذه الأحاديث في أخبارهم ، و يغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات و أدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم و الرد عليهم " <sup>1</sup> .

و من مؤيدي نسب الـعبيدين الشريف المقريري في كتابه اتعاظ الحنفا حيث قال : " و الذي يقوله أهل البيت و يذهبون إليه أنّ الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده ، و أنّ الإمام بعد إسماعيل بن جعفر هو محمد و يلقبونه بالمكتوم ، و بعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل و يلقبون جعفر هذا بالمصدق ، و بعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، قالوا فولد محمد الحبيب عبد الله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد بن مكتوم بن الإمام إسماعيل ، و عبد الله هذا هو القائم بالمغرب الملقب بالمهدي المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالمغرب و مصر، هذا هو الثابت في درج نسبهم " <sup>2</sup> .

ثم قال في موضع آخر : " و أنت إذا سلمت من العصبية و الهوى و تأملت ما قد مرّ ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم ، علمت ما فيها من التعسف و الحمل مع ظهور التلفيق في الأخبار و تبيّن لك منه ما تأبى الطباع السلمية قبوله و يشهد الحس السليم بكذبه ، فإنّه قد ثبت أنّ الله تعالى لا يمدّ الكذاب المفتعل بما يكون سببا لانحراف الناس إليه و طاعتهم له على كذبه ، و قد علم أنّ الكذب على الله تعالى و الافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة و الإمامة لهم شرعا بكونه من ذرية رسول الله و آل بيته من أعظم الجنايات و أكبر الكبائر ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يظهر من تعاطى ذلك و اجتراً عليه ، ثمّ يمده في ظهوره بمعونته و يؤيّده بنصره حتى يملك أكثر مدائن الاسلام و يورثها بنيه من بعده ، و هو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كذبه و يفتن بمخرقته العباد و يحدث بباطله الفتن العظيمة و الحروب المبيدة في البلاد ، ثمّ يخلّصه تعالى و ما تولى من ذلك بباطله من غير أن يشعره شعار الكذابين و يحل به ما من عادته أن يحل بالمفسدين فيدمره و قومه أجمعين " <sup>3</sup> .

و أردف قائلا : " فلم يفعل ذلك بعبيد الله المهدي بل كتب تعالى لـه النصر على من ناوأه و التأييد بمعونته على من خالفه و عاداه حتى مكّن له في الأرض ، و جعله و بنيه من بعده

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 27 .

<sup>2</sup> المقريري، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق : د/ جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1416هـ/ 1996م، ج1، ص 16 .

<sup>3</sup> نفسه، ج 1، ص ص 52- 53 .

أئمة و أورثهم أكثر البسيطة ، و ملّكهم من حد منتهى العمارة في مغرب الشمس إلى آخ — ملك مصر و الشام و الحجاز و نصرهم على عدوهم أي نصر، تبين أنّ دعواهم الإنتساب إلى رسول الله صحيحة و هذا دليل يجب التسليم له" <sup>1</sup>.

و قال ابن حمّاد الصنهاجي : " عبيد الله اختلفت الناس في نسبه إلى الحسين بن علي ، فمن مسلمين ما ادّعاه و مقرّين بما حكاه و من دافعين و مانعين ما انتحله ، و لا يزالون مختلفين إلا من رحم الهه ، فالذي ادّعاه هو أنّه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و الذي ادّعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة إليه" <sup>2</sup>.

و الخلاصة أنّ ما رواه السنيون الذي يقولون بصحة نسب عبيد الله فإنّه على الرغم من أنّهم استندوا فيما ذكره إلى ما جاء في كتب الإسماعيلية ، و أنّهم وصلوا في كثير من الأحيان إلى بعض ما وصل إليه الإسماعيلية في كتبهم ال سرّية فإنّ ما ذكره لا يمكن أن نعتمد عليه كثيرا لاختلافهم في أشخاص آباء عبيد الله و لأنّهم كانوا على جهل تام بكثير من أساليب الدعوة ال سرّية ، و لو أنّهم ألّموا بما كان لأرائهم كثير من الإعتبار ، أضف إلى ذلك أنّهم كانوا يندفعون كثيرا ما وراء عواطفهم و ميولهم على ما ذكره ابن الأثير و المقرّبي و غيرها ، لذلك نستطيع أن نقول إنّ آراء هؤلاء السنيين الذين يؤيدون صحة نسب عبيد الله لا تصلح لأن تكون أساسا للحكم في موضوع انتساب عبيد الله إلى علي و فاطمة <sup>3</sup>.

و أمّا الطاعنون في نسبه فكثير ، و منهم ابن حزم الأندلسي حيث قال في جمهرة أنساب العرب : " و ادّعى عبيد الله القائم بالمغرب أنّه أخ و الحسن البغيض هذا - الحسن البغيض بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي ط - الب و شهد له بذلك رجل من بني البغيض ، و شهد له أيضا بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، و كل هذا دعوى مفتضحة لأنّ محمد بن إسماعيل بن

<sup>1</sup> نفسه، ج1، ص 53 .

<sup>2</sup> ابن حمّاد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم، تحقيق و تعليق : جلّول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص 17 .

<sup>3</sup> حسن إبراهيم حسن و طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1366هـ/1947م، ص 166.

جعفر لم يكن له قط ولد اسمه الحسين ، و هذا كذب فاحش لأنّ مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب ، و لا يجهل أهله إلا جاهل" <sup>1</sup> .

و نقل ابن النديم في الفهرست عن عبد الله بن رزام الذي ألف كتابا ردّ فيه على الإسماعيلية و كشف مذاهبهم قوله : " إن عبد الله بن ميمون و يعرف بميمون القداح ، و كان يظهر الشعايب و يذكر أنّ الأرض تطوى له فيمضي إلى أين يحب في أقرب مدة ، و كان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان الشاسعة و صار إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب فكبس هناك ، فهرب إلى سلمية <sup>2</sup> و اشترى هناك ضياعا و بث الدعاة إلى سواد الكوفة ، فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان بن الأشعث و يلقب قرمط لقصر كان في متنه و ساقه و كان داهيا ، و نصب لدعوته عبدان صاحب الكتب المصنف و أكثرها منحول إليه ، و فرّق عبدان الدعاة في سواد الكوفة و أقام قرمط بكلوازي <sup>3</sup> ، و نصّب له عبد الله بن ميمون رجـلا من ولده يكاتبه من الطالقان <sup>4</sup> و ذلك سنة 261هـ/874م ، ثمّ مات عبد الله فخلفه ابنه محمد بن عبد الله ، ثمّ مات محمد فاختلفت دعائهم فزعم بعضهم أنّ أخاه أحمد بن عبد الله خلفه ، و زعم آخرون أنّ الذي خلفه ولد له يسمى أحمد و يلقب بأبي الشلّلع ، ثمّ قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون و كان الحسين مـات في حياة أبيه ، و من قبل سعيد انتشرت الدعوة في بني الغليص الكلبيين و لم يزل عبد الله و ولده بعد خروجهم من البصرة يدّعون أنّهم من ولد عقيل و كانوا قد أحكموا النسب بالبصرة فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة في الأرض ، ثمّ خرج سعيد إلى مصر فادّعى أنّه علوي فاطمي و تسمّى بعبيد الله ، و بلغ خبره المعتضد فكتب في القبض عليه فهرب إلى المغرب ، و قد كانت دعائه هناك قد غلبت على طائفتين من البربر و وطأ لنفسه في ذلك البلد ، ثمّ نظر أنّ ما ادّعاه من نسبه لا يقبل منه ، فأظهر غلاما حدثا و زعم أنّه من ولد محمد بن إسماعيل" <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 61.

<sup>2</sup> سلمية : بلدة من ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، و كانت تعد من أعمال حمص ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 240 ) .

<sup>3</sup> كلوازي : تقع ناحية الجانب الشرقي من بغداد ، بينها و بين بغداد فرسخ واحد ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 477 ) .

<sup>4</sup> الطالقان : بلدتان إحداها بخراسان بين مروالروذ و بلخ ، بينهما و بين مروالروذ ثلاث مراحل ، و قال الاصطخري : أكبر مدينة بطخارستان طالقان ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 6 ) .

<sup>5</sup> ابن النديم، مصدر سابق، ص 264 - 265 .

و قال أبو عبد الله المعافري : " إنّ عبيد الله المهدي و من ملك بعده كلهم أولاد عبد الله بن ميمون القداح و أنّهم انتسبوا إلى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب ، و انتحالهم إليه انتحال كاذب و ليس لهم في ذلك برهان و أهل الشرف ينكرون ذلك ، فإنّهم لم يجدوا لهم من الشرف أصلا مذكورا و لا عرفوا لهم في كتب الشجرة نسبا مشهورة ، بل الكلّ يقصيه عن الشرف و ينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم في كفرهم و ضلالتهم فإنّهم يشهد لهم الزور ، و على بطلان ما ذكره أنّهم يقولون معد المستنصر<sup>1</sup> ابن الظاهر بن الحاكم بن عبد العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي و هو عبيد الله ، ثمّ يقولون ابن الأئمة المستورين من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين ح—ادوا عن الجواب و كان للسائل لهم الارتياب و قالوا هم أئمة قهروا فتستروا و لم يؤمروا بإظهارهم و لا ذكرهم لأح—د و هذا من أكبر الشواهد على إبطال ما ذكره و انتسبوا إليه ، و الدليل على أنّهم من ولد اليهود استعم—الهم اليهود في الوزارة و الرياسة و تفويضهم تدبير السياسة ، و مازالوا يُحكّمون اليهود في دماء المسلمين و أموالهم ، ذلك مشهور عنهم شهد بذلك كل أحد"<sup>2</sup> .

و ترجم ابن خلكان لعبيد الله فأول ما ذكره أنّه وجد في نسبه اختلافا كثيرا ، و أنّ أهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب<sup>3</sup> ، و في موضع آخر عند ترجمته لنزار العزيز بالله العبيدي صاحب مصر و بلاد المغرب يذكر أنّه كتب كتابا للمستنصر الأموي في الأندلس يسّبه فيه و يهجوّه ، فكتب إليه المستنصر: " أمّا بعد فإنّك قد عرفت أن—فهجوت—ا و لو عرفناك لأجبناك و السلام " فاشتدّ على نزار و أفحمه الجواب<sup>4</sup> ، ثمّ ذكر أنّه في بداية عهد العزيز العبيدي صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة مكتوب فيها :

إننا سمعنا نسبا منك—را يتلى على المنبر في الجام—ع  
إن كنت فيما تدعى صادقا فاذكر أبا بعد الأب الرابع

<sup>1</sup> المستنصر بالله : معد بن الظاهر ، ولد سنة 420هـ / 1028م ، بويغ بالخلافة سنة 427هـ / 1034م ، و هو أطول خلفاء العبيديين عهدا ، في أيامه أعلن المجز بن باديس الصنهاجي خلع طاعته في إفريقية ، توفي المستنصر سنة 487هـ / 1093م ( ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص 70 ) .

<sup>2</sup> أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة، تحقيق و تعليق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع الجوالي، مركز الدراسات و البحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى، 1415هـ / 1994م، ص 74 و ما بعدها .

<sup>3</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص 117 .

<sup>4</sup> نفسه، ج5، ص 372 .

و إن تدرّد تحقيق ما قلته  
فإنّ أنساب بني هاشم  
و ادخل بنا في النسب الواسع  
يقصر عنه طمع الطامع<sup>1</sup>

و قال ابن عذارى في البيان : " و اختلف في نسبه فادّعى أنّه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و قال سائر الناس أنّه دعـيّ و أنّ انتسابه للطالبيين دعوى باطلة ، و ذكروا عن أبي القاسم بن طباطبا العلوي<sup>2</sup> أنّه قال و الله الذي لا إله إلا هو ما عبيد الله منا و لا بيننا و بينهم نسب ، و قد فضح القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني<sup>3</sup> نسبه في كتاب كشف الأسرار و هتك الأسرار و ذكر أنّهم قرامطة<sup>4</sup> و أنّ أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب و نسبهم هذا النسب"<sup>5</sup>.

و نخلص إلى أنّ منكري دعوى انتساب عبد الله المهدي إلى آل البيت من نسل علي و فاطمة رضي الله عنهما ، يجمعون على أنّه من سلالة عبد الله بن ميمون القـدّاح الذي كان يدعو و أولاده و أتباعه من بعده إلى مذهب الإسماعلية الباطنية<sup>6</sup> ، و أنّ هدفهم محو رسم الإسلام و إحياء عقائد الجوس و اليهود .

<sup>1</sup> نفسه، ج5، ص 373 .

<sup>2</sup> ابن طباطبا : عبد الله بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الإمام ، صاحب ضياع و ثروة و خدم و حاشيـه ، كانت ولادته سنة 286هـ/898م و وفاته في 04 رجب 348هـ/9 سبتمبر 959م بمصر ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص81 . الصفدي، مصدر سابق، ج17، ص25 ) .

<sup>3</sup> الباقلاني : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني ، صاحب التصانيف ، إليه انتهت رئاسة المالكية في وقته ، صنّف في الرّد على الرافضة و المعتزلة و الخوارج و الجهمية ، توفي في ذي القعدة سنة 403هـ/ماي 1013م ( الصفدي، مصدر سابق، ج3، ص 147 . الذهبي، مصدر سابق، ج17، ص 190 ) .

<sup>4</sup> القرامطة : فرقة باطنية بثوية انشقت على الحركة الإسماعلية و أصبحت فرعا من فروعها ، و سمّوا بالقرامطة نسبة إلى زعيمهم الأول حمدان قرمط ( ابن خلدون، العبر، ج4، ص110 و ما بعدها . د/ سليمان عبد الله السلومي، أصـول الإسماعلية، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ج1، ص 353 ) .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص8 .

<sup>6</sup> الباطنية : لقبوا بهذا لدعواهم أنّ لظواهر القرآن و الأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشرة ، و أنّ من ارتقى إلى علم الباطن انحجّ عنه التكليف و استراح من أعبائه ، و لهم عشرة ألقاب أشهرها الباطنية و القرامطة و الإسماعلية و البابلية و الحرمي ( أبو حامد الغزالي، فضـائح الباطنية، حققه و قدّم له : عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1383هـ/1964م، ص 11 ) .



## ب- إدعاء عبيد الله المهدوية :

ادّعى عبيد الله أنّه المهدي المنتظر سنة 297هـ/909م بعد أن مهّد له داعيته أبو عبد الله الشيعي ذلك ، فهل كان صادقاً في دعواه الهداية أم أنّه مدّع لها بغير وجه حق ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول ابتداءً إنّ كثيراً من أهل السنة الذي يقولون بعقيدة المهدي ينكرون دعواه و يقولون إنّّه كاذب ، و لا يترددون في وصفه و من أتى بعده من ملوك الدولة الفاطمية بأبشع الصفات ، و يقولون إنّ المهدي الحق إنّما يخرج في آخر الزمان قرب خروج الدجال و عند انتشار الفوضى و الفتن ، ثمّ ينزل عيسى فيصلي خلف المهدي أول ما ينزل كما جاء في الحديث ثمّ يذهب إلى الدجال فيقتله ، و حينئذ يكون قيام الساعة قريب جداً ، و على هذا فمن ادّعى من المفتونين أنّه المهدي المنتظر و لم يخرج الدجال في زمانه فإنّه دجال كاذب <sup>1</sup> .

و أمّا أهل السنة الذين لا يرون بأساً في دعوى عبيد الله النسب الشريف و الهداية كابن خلدون و غيره فالردّ عليهم يكون من وجهين ، أمّا الوجه الأول فيتعلق بإسقاط دعوى عبيد الله النسب الشريف ، و أمّا الوجه الثاني فيلجئون بذلك أعماله التي تتنافى مع بسط القسط و العدل و القضاء على الجور و الظلم .

## ب1- مناقشة نسب عبيد الله المهدي :

لقد سبقت الإشارة إلى الاختلاف حول نسب عبيد الله و أنّه قديم ، و قد ذكر الأستاذ حسن إبراهيم حسن أنّه في القرن العشرين ظهـرت الكثير من كتب الإسماعيلية الباطنية أو كتب الحقائق كما يسمونه<sup>1</sup> في مكتبات العالم فكشفت الغموض ، حيث ذكرت بعضها في وضوح أنّ المهدي لم يكن ابن الإمام المستور الحسين بن أحمد كما لم يكن الخليفة القائم بأمر الله<sup>2</sup> ولدا لعبيد الله و إنّما كان ابن الإمام المستور الحسين بن أحمد ، و أنّ المهدي حمل الوديعة من الإمام الحسين و ردّها عند وفاته إلى ابنه القائم<sup>3</sup> ، و يدل على هذا ما جاء في كتاب غاية المواليد الذي يعد من

<sup>1</sup> حمود بن عبد الله بن حمود التويجري ، إقامة البرهان على من أنكر خروج المهدي و الدجال و نزول المسيح في آخر الزمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، 1405هـ / 1985م ، ص 24 .

<sup>2</sup> القائم بأمر الله : أبو القاسم ثاني الخلفاء الفاطميين ، ولد بسلمية سنة 280 هـ / 893 م و تولى الحكم بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة 322 هـ / 933 م ، خرج في أيامه أبو تهمذ الخارجي ، مات القائم و هو محارب له سنة 334 هـ / 945 م ( ابن حماد الصنهاجي ، مصدر سابق ، ص 29 . أحمد بن يوسف القرماني ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 231 ) .

<sup>3</sup> حسن إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص 82 .

كتب الحقائق عند الإسماعلية حيث قال مؤلفه : " و ذلك إنّّه لما ظهر النور باسقا باليمن و بلاد المغرب سار ولي الله علي بن الحسين صلوات الله عليه يريد بـ بلاد المغرب ، حتى كان في بعض الطريق فأظهر الغيبة و استخلف حجّته سعيد الخير الملقب بالمهدي سلام الله عليه ، فبث قواعد الدعوة و جرى عليهما من ضدهما بسلجماسة من العمال بالمغرب ما جرى ، و وقى الله وليه سلام الله عليه كيده لما كان من زحف أبي عبد الله عليه و ظفروا و استخراجه ولي الله سلام الله عليه من سجنه ، فلما حضرت المهدي النقلة سلّم الوديعه إلى مستقرها<sup>1</sup> ، و تسلمها محمد القائم بأمر الله تعالى و سرت الإمامة في عقبه " <sup>2</sup>.

و في كتاب إسماعيلي آخر من كتب الحقائق و هو كتاب زهر المعاني للداعي إدريس عماد الدين يصرّح فيه أنّ عبيد الله المهدي كان إمام استيـداع أدّى الوديعه إلى الإمام المستقر القائم بأمر الله ، و هذا نص ما قال : " و قام المهدي بدعوته أحسن قيام و أمّد دعائه في سائر البلدان ، فأشرقت الأرض بنور ربها و ظهرت أنوار الله من حجبتها ، و أشار المهدي بالله إلى محمد القائم بأمر الله أمير المؤمنين و نشر لأهل دعوته فضله المبين ، و أدّى إليه أمانته و سلّم إليه رتبته و أعطاه وديعته التي استودعها الله إياه و لم يجعل لسائر أولاده فيها نصيبا ، بل أقرّ الحق في مقرّه و جعله في مستقرّه توحيدا لولي الله و تعريفا لشريف مقامه " <sup>3</sup>.

كما أنّ رسائل الدرزية<sup>4</sup> الإسماعلية تؤكد أن عبيد الله من سلالة القداح و تذكر أنّ اسمه سعيدا و منها رسالة تقسيم العلوم الدرزية التي تؤكد انتساب عبيد الله المهدي إلى ميمون القداح ، و تؤكد

---

<sup>1</sup> الإمام المستقر: هو الذي يملك صلاحية توريث الإمامة لولده كما أنّه صاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده ، و استقرار الإمامة لا تكون إلا بأبناء علي بن أبي طالب روحيا و جسميا ، كما أنّ للمستقر الحق في تفويض الإمامة لأحد دعائه لقلت ليث الدعاية باسمه بينما يبقى هو بعيدا عن الخطر ( د/ سليمان عبد الله السلومي، مرجع سابق، ج1، ص 325 ) .

<sup>2</sup> إيفانوف، المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية ، مراجعة : عمار المير أحمد، شركة الورق للنشر، بغداد، 1431هـ/ 2011م، ص 53 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 92 .

<sup>4</sup> الدروز: فرقة باطنية تؤلّه الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، مؤسسها هو حمزة بن علي بن محمد الزوزني ( 375 هـ/ 985م- 430 هـ/ 1038م) الذي أعلن سنة 408 هـ/ 1017م أنّ روح الإله قد حلت في الحـاكم و دعا إلى ذلك و ألف كتب العقائد ، و هم لا ييـوحون بعقائدهم و لا يكون أتباعها مكلفين بتعاليمها إلا ببلوغ الأربعين ، و يقولون إنّ القرآن من وضع سلمان الفارسي ، و لهم مصحف خاص يسمى المنفرد بذاته ، و لا يصومون و لا يحجون إلى بيت الله الحرام ( د/ مانع بن بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، 1420هـ/ 1999م، ج1، ص 397 ) .

أنّ هذا الأخير و أبناؤه من بعده كانوا أئمة — استيداع<sup>1</sup> حلوا من محمد بن إسماعيل ناطقهم السابع<sup>2</sup> محل علي من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و تُسمّى المهدي سعيدا و تنفي ارتباطه نسبا و قرابة من الأئمة الفاطميين ، فقد ورد في الرسالة المشار إليها أنفا ما نصه : " و قام محمد صلى الله عليه وسلم و أساسه علي بن أبي طالب و ظهر ناطق غيره و هو محمد بن إسماعيل و إلى خلفاء المستودعين و هو أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، و هم من ولد سعيد بن أبي الشلعل المهدي " ، و ورد في موضع آخر أنّ عبيد الله هو ابن أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح و أنّ مولانا أمره بالبقاء في خدمة مولانا القائم<sup>3</sup> .

و قالت الأستاذة بوبة مجاني إنّ ما جاء في كتاب التراتيب الذي يعود إلى فترة بداية عهد الدولة قد كشف عن حقيقة إمامة المهدي الاستيداعية<sup>4</sup> ، و يفصل برنارد لويس في مؤلفه حول الإسماعيلية في نسب عبيد الله فيقول : " إنّ الإسماعيليين لا يعتبرون سعيدا في كتاباتهم السريّة إلا قداحيا و إنّ الإمام السريّ موجود يوشك أن يظهر"<sup>5</sup> .

و روى القاضي النعمان أنّ أم ولد للمهدي كان لها ولد يسمى أبا الحسن ، و لما كانت حاملا به قالت للمهدي إني رأيت كأنّ القمر في حجري و أنا أرضعه ، فلما ولد المنصور<sup>6</sup> و أتى به للمهدي ليبارك عليه ، دعا بأم ولده أبي الحسن و قد ولدته ، فدفع إليها المنصور و قال لها أرضعيه

---

<sup>1</sup> الإمام المستودع : هو الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف و الأحوال الاستثنائية و في الفترات المظلمة التي يخيم فيها الظلام على النور عند احتجاب الإمام الأصيل ، فيقوم عندئذ بمهمات الإمامة نيابة عن الإمام المستقر بنفس الصلاحيات و لا يستطيع توريث الإمامة لأحد من ولده بل تبقى مستودعة عنده لحين انجلاء الظلمة ، و عندئذ يعود الحق إلى نصابه و الإمامة إلى أصحابها الشرعيين ( د/ سليمان عبد الله السلومي، مرجع سابق، ج1، ص 326 ) .

<sup>2</sup> النطقاء : هم الذين أرسلوا هداية المخلوقات و سن الشرائع و الأحكام و التبليغ و الإنذار و الشهادة ، و يرى الإسماعيلية أنّ هؤلاء النطقاء درجات يتفاوتون فيها ، و يقابلون بين أيام الأسبوع و بينهم ، فالأحد عندهم مثل آدم و نوح مثل الإثنين إلى أن يصلوا إلى السبت الذي هو مثل القائم من آل محمد فهو سابع النطقاء و هو اليوم الآخر و لكل ناطق دور ، تبتدئ هذه الأدوار بآدم و تنتهي بدور الناطق السابع محمد بن إسماعيل ( د/ سليمان عبد الله السلومي، مرجع سابق، ج1، ص 585 ) .

<sup>3</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 84 .

<sup>4</sup> د/ بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العهد الفاطمي، دار بقاء للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م، ص 85 .

<sup>5</sup> برنارد لويس، أصول الإسماعيلية و الفاطمية و القرمطية ، راجعه و قدّم له : د/ خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م، ص 143 .

<sup>6</sup> المنصور بالله : إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي ، ولد سنة 299هـ/ 911م ، ولي بعد وفاة أبيه القائم سنة 334هـ/ 945م ، بنى مدينة صبرة (المنصورية) و انصرف على أبي يزيد الخارجي، توفي سنة 341هـ/ 952م ( ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق ص 32 . القوماني، مصدر سابق، ج2، ص 232 ) .

مع ابنك ففعلت مسرورة بذلك فرحة به ، فلما أرضعته قال لها المهدي : أتذكرين الرؤيا التي رأيت أنك ترضعين القمر و هو في حرك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال لها المهدي : هذا تأويل رؤيتك ، ثم لم يلبث ابنها أبسو الحسن أن جـدر فذهب بصره ، فأيقنت أنّ رؤيـها كـانت للمنصور ، و كبرت و أسنت و هي على ذلك ، و كانت تقول لولـك المهدي و نسائه بعد وفاته : و الله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر تعني قصر المهدي فلا يعود إليه أبدا ، و صار إلى ذلك القصر تعني قصر القائم فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا<sup>1</sup> .

و هي رواية قد تؤيد في قراءة أولى الرأي القائل بأنّ القائم لبيحـ ابنـا للمهدي باعتبار أن هذه الجارية رأت أنّ الحكم قد انقطع من عقب المهدي و استمر في عقب القائم ، غير أنّ قراءة متأنية يمكن أن نقول بعدها إنّ هذه الجارية كانت تأمل أن يكون ابنها هو من يتولى شؤون الخلافة بعد أبيه و يكون ولي عهده في حياته ، و هذا معروف عند الجوّاري في التاريخ الإسلامي فكل جارية محضية أنجبت لسيدها ولدا فإنّها تعمل جاهدة لأن يتبوء ابنها أعلى المناصب في الدولة و أهمها منصب الخلافة .

و يرى الأستاذ حسن إبراهيم أنّ ما ذهب إليه الإسماعلية من إنكارهم نسب عبيد الله المهدي إنّما كان عن عقيدة راسخة و يقين ثابت ، و لا عجب فإنّهم قد أدركوا الحقيقة فذكروها مجردة عن كل ميل أو هوى ، و رأوا أنّ عبيد الله كان إماما لكنه مستودع و أنّه من سلالة العلويين روحانيا فقط و أنّه ابن الأئمة التعليمي لا الجسماني ، كما رأوا أنّ الإقـرار بهذه الحقائق لا يضير الدعـوة و الدولة ، و أدركوا عبث التماذي في التفسيرات التأويلية الخاصة بشخص عبيد الله ، و من تمّ لجؤوا إلى التصريح دون التلميح ، و كان لما فعلوه أثره في إظهار الحقيقة ناصحة جلية و هي أن عبيد الله من أصل قداحي و أنّ سائر الفاطميين من أصل علوي<sup>2</sup> .

و تعقبا على كلام الأستاذ حسن إبراهيم حسن نقول إنّ هـذه الحقيقة المجردة من كل ميل أو هوى لا يصدق عليها هذا الوصف و الإطراء ، لأنّها جاءت في كتب الحقائق و هي كتب سرّية لا يطلّع عليها إلا خواص الإسماعلية و يمنعونها عن عوامهم فضلا عن عامة المسلمين الذين لا يصلون إليها مطلقا ، فلا يمكن بحال من الأحوال بأن نسلّم دون تمحيص و دراسة متأنية أنّ كل ما جاء فيها حقائق ناصعة البياض لا مرأ فيها و أنّ القائـم ليس ابنـا للمهدي ، خاصة إذا علمنا أن

<sup>1</sup> القاضي النعمان، كتاب المجالس و المسابير، تحقيق: الحبيب الفقي و إبراهيم شيوخ و محمد الجلاوي، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م، ص 543 .

<sup>2</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 168 .

كتب حقائق أخرى لطائفة إسماعيلية أخرى و هي طائفة الإسماعيلية النزارية <sup>1</sup> يعتبرونه - عبيد الله المهدي- إماما مستقرا و صاحب نص ثابت فهو بالنسبة إليهم كالحسن بن علي ، و له صلاحية توريث الإمامة لمن يقع اختطفه عليه من أولاده ، و ذهبوا إلى حد اعتبار القائم بأمر الله ولده الشرعي و ولي عهده <sup>2</sup> .

فأيّ كتب الحقائق الإسماعيلية التي أظهرت الحقيقة ناصعة جلية ، التي تقول إنّ عبيد الله المهدي قداحي الأصل و من بعده علويون فاطميون ، أم التي تقول إنّ العبيدين كلّهم علويون فاطميون ؟

و الجمع بين روايات كتب الباطن الإسماعيلية المتناقضة يكون بالرجوع إلى الرواية السنية التي ذكرت أنّ عبيد الله المهدي أصله قداحي و أنّ من جاء بعده هم أولاده من صلبه ، و يمكن ردّ الرواية الإسماعيلية التي تجعل القائم علوي الأصل ليس من ذرية عبد الله القداحي بالقول إنّهم لما كان نسب عبيد الله معلوما و كان من اليسير فضح كذبه بادّعائه أنّه من آل البيت ، اخترع الإسماعيليون مقالة أنّ القائم ليس ولده من صلبه و إنّما من أبناء العلويين من جهة إسماعيل بن جعفر الصادق ، حتى لا يشكّ دعائهم في أمر الدولة الفاطمية و أنّها دولة علوية حقيقية . و لا يفوتنا أن نذكر أنّ كتب الظاهر الإسماعيلية التي خالفت الرواية السنية في النسب القداحي قد أثبتت البنية الجسمانية للقائم من عبيد الله ، فعند القاضي النعمان أنّ المهدي خرج من المشرق بنفسه و بالإمام ابنه القائم و هو يومئذ غلام حدث السن <sup>3</sup> ، و في سيرة الأستاذ جوهر ورد في خطبة المنصور التي نعى فيها أباه قوله : " سلام الله عليكما يا أميري المؤمنين يا ابني الهداة المهديين ، يا أبتاه يا جدّاه يا ابني محمد رسول الله " <sup>4</sup> .

---

<sup>1</sup> الإسماعيلية النزارية : هم أئمة الفرع الثاني و يطلق عليهم الإسماعيلية النزارية لتعلقهم و قولهم بإمامة نزار بن المستنصر الذي كان أكبر من أخيه المستعلي و هو المنصوص عليه بالإمامة ، و كانت نهايته كما أثبتتها الروايات التاريخية أنّ وزير أخيه المستعلي قبض عليه و قتله ، غير أنّ المصادر النزارية الإسماعيلية تزعم أنّ نزار تمكن من مغادرة الإسكندرية و اتجه إلى بلاد فارس حيث استقر به المقام في جبال الطالقان و أسس الدولة النزارية هناك ( سليمان عبد الله السلومي، مرجع سابق، ج1، ص 297 ) .

<sup>2</sup> د/ عارف ثامر، عبيد الله المهدي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م، ص 36 .

<sup>3</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 158 .

<sup>4</sup> أبو علي منصور العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر ، تقديم و تحقيق : د/ محمد كامل حسين و د/ محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، ص 57 .

و النتيجة التي نخلص إليها أنّ عبيد الله إمام إسماعيلي مستودع ، أصله من ذرية عبد الله بن  
ميمون القداح و أنّه ليس من آل بيت النبوة ، و هذا أول و أهم ما ينقض دعوى المهدوية التي  
ادّعاها لنفسه .

## ب2 - أعمال عبيد الله القدّاحي :

من علامات المهدي المنتظر نشره العدل و القسط و قضاؤه على الظلم و الجور ، فهل كان عبيد الله حاكما عادلا مقسطا ؟ و هل يصدق عليه وصف أبي عبد الله الشيعي له أنّه أفضل العالمين حسب رواية القاضي النعمان ؟<sup>1</sup>

لقد اشتدت المحنة على أهل إفريقية مع قيام الدولة الفاطمية ، فبني عبيد كانوا يمقتون أهل السنة مقتا شديدا و عملوا على نشر مذهبهم الإسماعيلي الباطني ، فقد ذكر البغدادي أنّه قرأ كتابا لهم مترجم بـ " السياسة و البلاغ الأكيد و الناموس الأعظم " و فيه رسالة عبيد الله بن الحسين القيرواني ( عبيد الله المهدي ) إلى سليمان بن الحسن الجنابي<sup>2</sup> أوصاه فيها فقلل له : " ادع الناس بأن تقترب إليهم بما يميلون إليه و أوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء ، و إذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا و إنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء و على القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أنّ للعالم مدبرا لا نعرفه " ، و ذكر في هذا الكتاب إبطال القول بالميعاد و العقاب ، و ذكر أنّ الجنة نعيم الدنيا و أنّ العذاب إنّما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة و الصيام و الحج و الجهاد ، و قال أيضا في هذه الرسالة إنّ أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه و لا يحصلوا منه إلا على اسم بلا جسم<sup>3</sup> .

و حاول أبو عبد الله الشيعي أول أم —ره أن يقنع العلماء بمذهبه و يناظرهم عليه<sup>4</sup> ، و لما خرج في طلب سيده عبيد الله المهدي المسجون في سجلماسة في أقصى المغرب استخلف أخاه

<sup>1</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 301 .

<sup>2</sup> سليمان بن حسن بن سعيد الجنابي : أبو طاهر القرمطي ، تولى بعد أن عجز أخوه سعيد عن إدارة شؤون دولة القرامطة في البحرين ، هاجم البصرة سنة 311هـ/923م فنهبها و سبي نساءها ثم أغار على الكوفة سنة 312هـ/924م ، و من جرائمه قتل الحجاج يوم التروية سنة 317هـ/929م و اقتلعه الحجر الأسود و إرساله إلى هجر و ردم زمزم بالقتلى ، قُتل أبو طاهر سنة 332هـ/943م ( الصفدي، مصدر سابق، ج15، ص 224 . الذهبي، مصدر سابق، ج15، ص 320 ) .

<sup>3</sup> البغدادي، مصدر سابق، ص 294 .

<sup>4</sup> كان أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني المعروف بابن الحدّاد ممّن ناظر الشيعي في مسائل كثيرة ذكر بعضها من ترجم له كالمالكي في رياض النفوس ، و منها مناظرته لقاضي الشيعة محمد بن عمر المروزي حول حديث غدير خم " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فبيّن أنّ الولاية المقصودة هي ولاية الدين لا ولاية الرّق ، كما ناظرهم حول صلاة التراويح و مسائل أخرى ( أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نسائهم و سي أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ /1994م، ج2، ص 58 و ما بعدها ) .

أبا العباس<sup>1</sup> فأطلق يد القاضي محمد بن عمر المروزي<sup>2</sup> ، فتصلب و تكبر و كانت أيامه صعبة جدا و أخاف أهل السنة و ترك أكثرهم الصلاة في المساجد ، و أخذ أموال الأعباس و الحصون و أخذ سلاح الحصون التي على البحر ، و أمر الفقهاء أن لا يفتوا و لا يكتبوا وثيقة إلا من تشرق<sup>3</sup> ، و أن يزال من الحصون و المساجد اسم الذي بنـها من السـلاطين و يكتب اسم المهدي<sup>4</sup> .

و لما دخل عبيد الله افريقية أمر أن يذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة و يلقب بالمهدي في جميع البلاد ، فلما كان بعد صلاة الجمعة جلس رجل يعـرف بالشريف و معه الدعاة و أحضروا الناس و دعوهم إلى مذهبهم و قُتل من لم يوافق<sup>5</sup> ، و قطع صلاة التراويح في رمضان و أمر بصيام يومين قبله ، و قنت في صلاة الجمعة قبل الركوع و جهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة ، و أسقط من آذان الصبح الصلاة خير من النوم و زاد حي على خير العمـل و محمد و علي خير البشر ثم يقـول المؤذن : " حياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا و الدين و جامع شمل الإسلام و المسلمين و أعز بسلطانك جانب الموحدين و أباد بسيوفك كافة الملحدين ، و صلى الله عليك و على آبائك الطاهرين و أبنائك الأكرمين صلاة دائمة إلى اليوم الدين و آخر دعـوانا أن الحمد لله رب العالمين"<sup>6</sup> ، و جـاهر بسب أصحـاب النبي صلى الله عليه و سلم و أزواجه و حكم بكفرهم و ارتدادهم و لم يستثن إلا عليا و قليلا ممن أيده<sup>7</sup> .

---

<sup>1</sup> أبو العباس : أحمد بن أحمد بن محمد بن زكريا ، الأخ الأكبر لأبي عبد الله الشيعي ، أسهم في قيام الدولة الفاطمية ، لكنه ثار على المهدي فقتل مع أخيه سنة 298 هـ / 910 م ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص 192 ) .

<sup>2</sup> محمد بن عمر المروزي : من أهل القيروان ، ولّاه أبو عبد الله الشيعي القضاء فتناول على رجال صالحين و حبسهم ، و لما أتى عبيد الله من سجلماسة أقر المروزي على القضاء ، ثم عزله و عذّبه و قتله بعد أن رُفع إليه أنّ المروزي كان مرتشيا يكثر من اقتناء الأموال ( محمد بن الحارث بن أسد الخشني، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 239 ) .

<sup>3</sup> قال القاضي النعمان : و اشتهر أمر أبي عبد الله كتامة و سمي المشرقي لقدمه من المشرق ، ثم نسب إليه كل من بايعه و دخل في دعوته و سماوا المشاركة ، و إذا دخل الواحد منهم في ذلك قيل تشرق ( القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 79 ) .

<sup>4</sup> المالكي، مصدر سابق ج2، ص 55.

<sup>5</sup> المقرئ، اتعاط الحنفا، ج1، ص 66 .

<sup>6</sup> ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص 27 .

<sup>7</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 159.



و كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتمام و التسـتر كأثمـة  
 ذمـة تجرى عليهم في أكثر الأيام معـن شديدة<sup>1</sup> ، و كان أغلب علماء المالكية يعارضون المهدي  
 و شيعته معارضة شديدة ، و يروى أنّ أبا يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان من علماء القيروان  
 أنّه لما دخل عبيد الله إفريقية و ملكها و نزل رقادة<sup>2</sup> ترك جبلة سكنى قصر الطوب بإفريقية و أتى إلى  
 القيروان فسكنها فخطب على ذلك و قيل له : أصلحك الله كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين  
 و ترابط فتركت الرباط و الحرس و رجعت إلى هاهنا ، فقال : كنا نحرس عدوا بيننا بينه البحر فتركناه  
 و أقبلنا على حراسة هذا الذي حل بساح نـثـلـاً لآثـه أشد علينا من الروم<sup>3</sup> ، و لم يكن في وقته أكثر  
 اجتهدا منه في مجاهدة عبيد الله و شيعته و كان لا يداري أحد من الخلق ، فسلمه الله و حماه من  
 مكروهم<sup>4</sup> .

و لما حضر أول خطبة لبني عبيد في جامع القيروان جلس عند المنبر فسمع خطبهم ، فلما سمع  
 ما لا يجوز سماعه قام و كشف عن رأسه حتى رآه الناس و مشى من المنبر إلى آخر باب في الجامع  
 و الناس ينظرون إليه حتى خرج من الباب و هو يقول : " قطعوها قطعهم الله " ، فمن حينئذ ترك  
 العلماء حضور جمعهم ، و هو أول من نبّه على ذلك<sup>5</sup> .

و ليس علماء المالكية وحدهم من طعن في عبيد الله ، فقد تفجر النزاع حول مسألة الإمامة  
 بين القرامطة بقيادة حمدان قرمط و أئمة الإسماعيليين ، فحمدان و عبدان كان قد تلقيا الأمر بتعليم  
 أنّ محمد بن إسماعيل لا يزال حيا و أنّ عودته في صورة المهدي باتت وشيكة ، و في تلك الفترة

<sup>1</sup> القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية،  
 المملكة المغربية، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م، ج5، ص 303 .

<sup>2</sup> رقادة : بلدة كانت بإفريقية بينها و بين القيروان أربعة أيام ، بناها إبراهيم بن الأغلب سنة 263هـ/876م ، فلما انتقل عنها  
 عبيد الله إلى المهديّة دخلها الوهن و انتقل عنها ساكنوها ، و لما ولي معد بن إسماعيل حرب ما بقي من آثارها و لم يبق منها  
 شيء غير بساطينها ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 55 ) .

<sup>3</sup> المالكي، مصدر سابق، ج2، ص 37 .

<sup>4</sup> نفسه، ج2، ص 38 .

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 43 . و حول مقاومة المالكية للبيديين ينظر : طارق بن زاوي، موقف علماء المالكية من الدولة  
 الفاطمية الاسماعلية الشيعية، دورية كان الالكترونية، السنة الثامنة، ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م، عدد 29، ص  
 20 .

ادّعى عبيد الله الإمامة لنفسه و أنكر عودة محمد بن إسماعيل ، عندها اعتبر حمدان و عبدان نفسيهما بأتهما قد خدعا و أوقفا الدعوة لهذا المعتقد<sup>1</sup> .

و من القرامطة انتقل الطعن في المهدي إلى أكبر داعية فاطمي و مؤسس دولة الشيعة الإسماعلية في بلاد المغرب أبو عبد الله الشيعي ، حيث تتفق المصادر كلها باختلاف توجهاتها أنّه حرّض على سيّده عبيد الله و أمر بنبذ طاعته و أنكر أنّه المهدي الذي كان يدعو إليه ، فجمع وجوه كتامة و تكلم معهم في أمر عبيد الله و عمل معهم على خلعه ، و قال إنّ أفعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أدعو إليه و أخشى أن أكون قد غطت فيه و يجب عليّ و عليكم امتحانه و كشفه عن العلامات الموجودة في الإمام المعروفة عند النقباء ، و زعم لهم أنّ المهدي يأتي بالآيات البينات ، فعقد مع جماعة من كتامة على امتحانه إذا انصرفوا نحوه إلى رقادة<sup>2</sup> ، و دخل رجل كتامي على عبيد الله يعرف بشيخ المشايخ و قال : " جئنا بآية على أمرك فقد شككنا فيه " فقتله المهدي<sup>3</sup> ، فخاف أبو عبد الله و على أنّ المهدي قد تغير عليه ، فاتفق مع أخيه أبي العباس بجماعة من كتامة على المهدي و دخلوا عليه مرارا فلم يجبروا على قتله ، و نقل ذلك إلى المهدي فأخذ في تفريقهم في البلاد و أعد رجالا لأبي عبد الله و أخيه أبي العباس ، فلما وصلا إلى القصر حمل القوم على أبي عبد الله فقال : " لا تفعلوا " ، فقالوا له : " إنّ الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك " ، فقتل هو و أخوه يوم الاثنين لنصف من جمادى الآخرة سنة 298 هـ/ 17 فبراير 911م<sup>4</sup> .

و علّق القاضي النعمان على هذه الحادثة بقوله : " فاستحق أبو العباس لذلك لعنة الله و لعنة أوليائه و نالت أبا عبد الله عقوبة ما داخله من أجلها ، عجّلها له الولي في الدنيا و استغفر له في الآخرة لما تقدم من صالح عمله و صحيح نيته " <sup>5</sup> .

و مهما كانت الأسباب التي دفعت بأبي عبد الله الشيعي إلى إنكار دعوى عبيد الله المهدوية بعد أن أخلص لها و قاتل لأجلها و استنفذ في سبيلها نفسه و جهده ، فإنّما يدل هذا على أنّ

<sup>1</sup> د/ فرهاد دفتري، الإسماعليون في العصر الوسيط، ترجمة : سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة و النشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1999م، ص 24.

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 161 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص 48 .

<sup>4</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 68.

<sup>5</sup> القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص318.

دعوى المهديونية قد داخلها الشك و الريب لا من قبل أعدائها فحسب بل من قبل أكبر أنصارهـا و مؤسسيها و ناصريها على مدى سنوات من الزمن .

و في عهد عبيد الله المهدي قوي أم — القرامطة لا سيما بالبحرين حيث كانت بدايـة ظهورهم سنة 286هـ/898م بقيادة أبي سعيد الجنابي فقويت شوكته و عاث و أفسد<sup>1</sup> ، و حدث ما هو معروف من استباحة دمـاء المسلمين في الكعبة المشرفة سنـة 317هـ/929م ، و كان أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي — على باب الكعبة و الرجال تصرع حوله في المسجد الحرام و هو يقول : " أنا بالله و بالله أنا ، يخلق الخلق و أفنيهم أنا " ، فكان الناس يفرون فيتعلقون بأسـلـو الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا و يطوفون فيقتلون ، ثم أمر القرمطي أن تدفن القتلى ببئر زمـزم و أمر بقلع باب الكعبة و نزع كسوتهـا عنها ، ثم أمر بقلع الحجر الأسود و أخذه معهم<sup>2</sup> ، و قال في ذلك شعرا :

و لو كان هذا البيت لله ربنا	لصب علينا النار فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية	مجللة لم نبق شرقا و لا غربا
و إنا تركنا بين زمزم و الصفا	جنائـز لا تبغي لها ربا <sup>3</sup>

و ذكر ابن الأثير أنّ عبيد الله المهدي لما بلغـه الخبر كتب إلى أبي طاهـر الجنابي ينكر عليه و يلومه و يلعنه و يقيم عليه القيامة و يقول : " قد حققت على شيعتنا و دعاة دولتنا اسم الكفر و الإلحاد بما فعلت ، و إن لم ترد إلى أهل مكة و على الحجاج ما أخذت منهم و ترد الحجر الأسود

<sup>1</sup> الذهبي، دول الإسـلام، تحقيق : حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م، ج1، ص257.

<sup>2</sup> ابن كثير، البداية و النهاية، ج15، ص37 .

<sup>3</sup> محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم، دراسة و تحقيق : محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعى، الرياض، ص38 .

و هذا الكتاب من الكتب المهمة جدا في كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة ، فقد كان مؤلفه على مذهب أهل السنة و الجماعة ، و حين نشأت الدولة الصليحية القرمطية باليمن كان المؤلف يسمع عن معتقدات مؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الصليحي الفاسدة و لم يكن لمن يرميه بها دليل و لا برهان ، فقرر أن يدخل إلى مذهب الصليحي فتظاهر باعتناق المذهب و اطلع على كتبه اطلع المتصفح ، فظهر له مخالفة ما قرأه و سمعه و رآه لعقيدة أهل السنة مخالفة عميقة ، فكتب تجربته مع هذا التيار ليكشف النقاب عن الأسرار الخبيثة له فيعرف المسلمون ماهيته و تعاليمه ( اليماني، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص ص 9-10 ) .

إلى مكانه و ترد كسوة الكعبة فأنا برئ منك في الدنيا و الآخرة " ، فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود<sup>1</sup> .

و يظهر ابن الأثير مضطربا في رواية هذا الخبر ، حيث قال في موضع آخر إنّ القرامطة أعادوا الحجر الأسود سنة 339هـ/950م و قالوا أخذناه بأمر و أعدناه بأمر<sup>2</sup> ، ما يعني أنّهم أخذوه بأمر عبيد الله المهدي سنة 317هـ/929م و أعادوه بأمر المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي ، و ليس بأمر عبيد الله المهدي الذي توفي قبل أن يعيد القرامطة الحجر الأسود إل مكانه .

و الذي حملهم على هذا الفعل الشنيع حسب ابن كثير أنّهم كانوا كفارا زنادقة ، و كانوا مماثلين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنين ببلاد إفريقية من أرض المغرب ، و كان هؤلاء القرامطة يرسلونهم و يدعون إليهم<sup>3</sup> .

و بالاعتماد على مصادر معلومات غنية نتوصل إلى الاستنتاج بأنّ القرامطة و الفاطميين ينبعان من حركة واحدة ، فزعيم قرامطة البحرين كان محافظا على ولائه للفاطميين بعد تأسيس سلطتهم في شمال إفريقية ، بل إنّ التعاون بين القرامطة و أسيادهم قد ازداد وثقا في ظل حكم أبي طاهر الجناي ، و كانوا في جميع مغامراتهم الهامة يعملون بأمر مباشر من الخليفة الفاطمي عبيد الله لكن لم يعترف بهم الفاطميون حلفاء علنا<sup>4</sup> .

إذا فما فعله القرامطة من جرائم في مكة المكرمة أشرف المدن الإسلامية و أطهرها و أقدسها و في الشهر الحرام يتحمل العبيديون و على رأسهم عبيد الله المهدي مسؤولية مباشرة ، إذ لو كان عبيد الله جادا في أمر تابعه القرمطي برّد الح جـر الأسود لردّه و ما مكث عندهم حتى سنة 339هـ/950م .

فهذه الأعمال التي ذكرت في بطون كتب التاريخ تدل على أن عبيد الله الذي ادّعى المهدي بقي كان ملكا اتبع سيرة الملوك الذي يسعون إلى التمكين لسلطانهم و قهر مخالفينهم و نصرته مذهبهم و نشر معتقداتهم ، سالكا في هذا السبيل كل المـ سالك بغض النظر عن مشروعيتها و التي قد توصله إلى تجسيد أهدافه .

<sup>1</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص54.

<sup>2</sup> نفسه، ج7، ص234 .

<sup>3</sup> ابن كثير، مصدر سابق، ج15، ص39 .

<sup>4</sup> د/فرهاد دفتري، مرجع سابق، ص37 .

فعبيد الله المهدي لم يكن مهديا منتظرا فهو أبعد أن يكـون عن ذلك ، فلا الاسم الاسم  
و لا اسم الأب اسم الأب و لا الأعمال أعمال الهداة المهديين و لا نزل عيسى عليه السلام و لا  
ظهر المسيح الدجال ، و سار العبيديون من بعده على سير به فحافظوا على مذهبهم و امتدت  
دولتهم مشرقا و مغربا ، و قد قال كثير من أهل السنة إنّ هذا دليل على هوان الدنيا على الله  
و صغر قدرها عنده <sup>1</sup> ، و ليست دليلا على صحّة مذهبهم و صدق دعواهم كما زعم مؤيدوهم .

---

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 283 .

### 3- محمد بن تومرت :

يصف الكثير من المؤرخين المحدثين حركة محمد بن تومرت بالحركة الإصلاحية ، و يرونه من المصلحين الذين نهضوا لتقويم الانحراف و القضاء على الفساد المنتشر في المجتمع ، و ابن تومرت من الذين سعوا جاهدين في طلب السلطان انطلاقا من استغلاله عقيدة المهدي المنتظر استغلالا سياسيا واضحا ، و بعزيمة قوية استطاع أن يصبح زعيما بارزا في قوم—ه و بين أنصاره ، و إن لم يستطع أن يرى مشروعه يتحقق أثناء حياته فإن أتباعه من بعده ساروا على دربه و مكنوا لفكره و مذهبه و أقاموا دولة تستمد شرعيتها و وجودها من تعاليمه و أديباته .

#### أ- نسبه و نشأته :

قال ابن القطان : " هو محمد بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، و قيل مثل ذلك سواء إلى عدنان فنسب هكذا عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، و قيل إنه محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزة ابن عيسى بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب " <sup>1</sup> .

و قال البيهقي : " ينقل من يوثق بنقله من قرابته و غيرهم محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله هذا نسبه الصحيح ، و أما ما يروى في نسبه أنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن عطاء بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فإن قرابته و أهل العناية بهذا الشأن لا يعرفونه ، و الله أعلم بذلك " <sup>2</sup> .

و في الحلل الموشية أنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسين بن علي

<sup>1</sup> ابن القطان ، نظم الجـمـان لترتيب ما سلف من أخبار الزم —ان، تحقيق : د/ محمود عي مكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص 87 .

<sup>2</sup> البيهقي ، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1390هـ / 1971م، ص 12.

بن أبي طالب ، أثبت هذا النسب أبو علي بن رشيقي في شجرة أنساب الخلفاء و الأمراء و اختصره أبو مروان بن صاحب الصلاة<sup>1</sup> .

و ذكر عبد الواحد المراكشي في المعجب أنه محمد عبد الله بن تومرت ، و أنه رجل من أهل السوس مولده بها بضبعة منها تعرف بإيجلي أن وارغن ، و هو من قبيلة تسمى هرغة<sup>2</sup> من قوم يعرفون بإيسرغينين و هم الشرفاء بلسان الصامدة ، و لمحمد بن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وُجدت بخطه<sup>3</sup> .

و نسبه الزركشي كما يلي : " الإمام المهدي هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كذا نسبه الكاتب أبو عبد الله محمد بن نخل في تاريخه<sup>4</sup> .

و قال ابن خلكان : " أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي الهرغي ، كان ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، و جدت على ظهر كتاب النسب للشريف العابد بخط أهل الأدب في عصرنا نسب ابن تومرت المذكور فنقلته كما وجدته ، و هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب<sup>5</sup> .

أما ابن خلدون فقال في العبر: " أصله من بطون المصامدة يسمى أبوه عبد الله و تومرت ، و هو محمد بن عبد الله بن وجليل بن يامصل بن حمزة بن عيسى فيما ذكره ابن رشيقي و حققه ابن القطان ، و ذكر بعض مؤرخي المغرب أنه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا بن سفيون بن الكلديس بن خالد ، و زعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت و أنه محمد بن عبد الله بن

<sup>1</sup> مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار ال مراكشية، تحقيق : د/ سهيل زكار و الأسير عبد القادر زمام ة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م، ص 103.

<sup>2</sup> هرغة : قبيلة ابن تومرت و اسمها البربري أرغن و يظهر أنها كانت قبيلة كبيرة ، بقاياهم موجودة اليوم بإقليم أكادير إلى الشرق من مدينة رودانة ( تروانت) قرب وادي السوس ( عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 326 ) .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه و اعتنى به : د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/ 2006م، ص 136.

<sup>4</sup> الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق و تعليق : محمد ماصور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1385هـ/ 1966م، ص 3 .

<sup>5</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 45 .

عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى إدريس الأكبر الواقع نسب الكثير من بيته في المصامدة و أهل السوس ، فمن ولده كل طالبي بالسوس ، و قيل بل هو من قرابة إدريس اللاحقين به إلى المغرب و أنّ رباحا الذي في عمود هذا النسب إنما هو ابن يسار العباس بن محمد بن الحسن ، و على الأمرين فإن نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبائل المصامدة و رسخت عقوله فيهم و التحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم و انتسب بنسبتهم و صار في عدادهم" <sup>1</sup> .

و ابن الخطيب قال : " كان هذا الرجل ينتمي إلى أهل البيت و يكتب اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن أصار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قال ابن مطروح هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت و الله أعلم" <sup>2</sup> .

و ابن أبي دينار ذكر أنّ المؤرخين قالوا إنّ المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، و قيل هو دعوي في هذا النسب ذكره ابن مطروح و قال رجل من المصامدة <sup>3</sup> .

أما ابن أبي زرع فقال : " أما المهدي فهو على ما ذكره المؤرخون لدولتهم محمد بن عبد الله المعروف بتومرت بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن عباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، و قيل هو دعوي في هذا النسب ذكره ابن مطروح القيسي في تاريخه ، و قال هو رجل من هرغة من قبائل مسمودة يعرف بمحمد بن تومرت الهجري و قيل هو من كنفيسة" <sup>4</sup> .

و حمل عليه الذهبي فقال : " محمد بن عبد الله بن تومرت المسمودي المدّعي أنّه عل —وي حسني و أنّه المهدي ، جرّه إقدامه و جرائته إلى حب الرئاسة و الظهور و ارتكاب المحذور و دعوى

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 301.

<sup>2</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 266.

<sup>3</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 107.

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 172.



الكذب و الزور من أنّه حسني و هو هرغي بربري ، و أنّه إمام معصوم و هو بالإجماع مخصوم<sup>1</sup> ،  
و نقل ابن العماد في الشذرات أقوال الذهبي<sup>2</sup> .

فهذه بعض أقوال المؤرخين في نسب ابن تومرت كما جاءت في المصادر ، و هي في أغلبها  
ثبتت له نسبا شريفا و إن كانت طرقه مختلفة أحيانا و تنهي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ،  
فهو حسني النسب بالنسبة لهؤلاء الذين يُعتبرون في أغلبهم من أنصار الدولة الموحدية كالي ذق و ابن  
القطان .

و أما ابن خلدون نقل الأقوال التي جاءت في نسب ابن تومرت ، و الذي يفهم من كلامه أنّه  
يميل إلى الاعتقاد بصحة نسبه ، و بعض المؤرخين كابن أبي زرع و ابن الخطيب و ابن أبي دينار  
فذكروا ما قيل في نسبه الحسيني ، و أعقبوا ذلك بذكر قول ابن مطروح بأنّه دعويّ في هذا النسب ،  
و كأنهم يلّمحون هم كذلك إلى الطعن في دعوى محمد بن تومرت أنّه من نسل الحسن بن علي بن  
أبي طالب .

و أما الذهبي و ابن العماد من المشاركة فقد قـالوا تصرّحا لا تلميحا إنّ محمد بن تومرت  
دعويّ و أنّه ليس حسنيا و إنّما هو من هرغة المصمودية ، و ما حمله على هذا إلا إدعاؤه أنّه المهدي  
المنتظر الذي يكون من آل بيت النبوة .

و اختلفت المصادر في تاريخ ميلاده ، فقد ذكر ابن الخطيب أنّ محمد بن تومرت كان مولده  
سنة 486هـ/1092م<sup>3</sup> ، و قال الزركشي أنّه ولد سنة 491هـ/1097م<sup>4</sup> ، و ابن القنفذ قال  
إنّ مولده بھرغة سنة 471هـ/1078م<sup>5</sup> ، و حدّده ابن خلكان في الوفيات بيوم عاشوراء من  
سنة 485هـ/1092م<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> الذهبي، العبر في خبر من غير، ج2، ص42 .

<sup>2</sup> ابن العماد، مصدر سابق، ج6، ص 117 .

<sup>3</sup> ابن الخطيب، رقم الحل في نظم الدول، المطبعة التونسية، تونس، 1316هـ/1898م، ص 57 .

<sup>4</sup> الزركشي، مصدر سابق، ص 4 .

<sup>5</sup> ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق : محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد  
التراشي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1378هـ/1968م، ص 99 .

<sup>6</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 53 .

و الذين حـدّوا عمر محمد بن تومرت عند وفاته بخمسين سنة كابن القطان<sup>1</sup> و صاحب  
مفاخر البربر<sup>2</sup> فيكون تاريخ مولده سنة 474هـ/1081م ، باعتبار أنّ الإجماع يكاد يكون حاصلًا  
بين المؤرخين حول سنة وفاة ابن تومرت و هي 524هـ/1129م .

و قد حدد الدكتور عبد المجيد النجار تاريخ 473هـ/1080م كسنة لمي—لاد عبد الله بن  
تومرت ، و ذلك بعد مناقشته لمختلف التواريخ و الحـوادث التي وردت في هذا السياق حيث  
قال : " السنة الأكثر احتمالًا لميلاد ابن تومرت هي سنة 473هـ/1080م ، و هو ما يبدو لنا  
أقرب للحقيقة ، و لا يقدح في هذا الاختيار ما يقتضيه من أن يكون عمره عند رحلته إلى المشرق  
لطلب العلم قد تجاوز 27 سنة ، حيث كان تاريخ الإرتحال سنة 500هـ/1106م ، و تلك سن  
متأخرة جدا في عادة المرتحلين لطلب العلم ، و ذلك لأنّه يبدو أنّ المغاربة يرتحلون إلى المشرق لطلب  
العلم في سن متأخرة نظرا لبعد الشقة و مشقة السفر ، أما أولئك الذين يرتحلون مبكرا فهم غالبا ما  
يكونون مصحوبين بآبائهم أو بعض من ذويهم"<sup>3</sup>.

و فيما يتعلق بمكان مولده فقليل إنّه وُلد بالسوس بضبعة تعرف بإيجلى أن وارغن<sup>4</sup> ، و قال ابن  
القطان إنّه ولد بموضع يسمى نومكران ، و هو موضع لا ماء فيه و إنّما يشرب أهله ماء المطر  
و هناك داره<sup>5</sup> ، و اسم أبيه عبد الله اشهر في صغره إلى كبره بتومرت بن وكيـد ، و ذلك أنّه لما  
ولد فرحت أمّه و بُشرت به فقالت باللسان المغربي " أتورت أينو آيسك آيوي " معناه يا فرحتي بك يا  
ابني ، و كانت إذا سئلت عن ابنها و هو صغير تقول باللسان المغربي " ياك ياك تومرت " معناه  
صار فرحا و سرورا فغلب عليه لذلك اسم تومرت<sup>6</sup> ، و أمّه من بني يوسف من مسكالة من أهل  
السوس من موضع يقال له اصروان يسمج ، و كانت قد أعنست فلما خطبها أبوه و كان فقيرا  
رغبوا في مصاهرته ، فلما ولد محمد اجتمع عند أبيه و أمه هدايا كثيرة فكان ذلك سببا لغنى والد  
محمد<sup>7</sup> .

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 123 .

<sup>2</sup> مجهول، مفاخر البربر، ص 199 .

<sup>3</sup> د/ عبد المجيد النجار، المهـدي بن تومـرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص 33 .

<sup>4</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 136 .

<sup>5</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 90 .

<sup>6</sup> البيذق، مصدر سابق، ص 27 .

<sup>7</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 90 .

و يذكر ابن خلدون عن أسرة ابن تومرت أنهم كانوا أهل نساك و رباط ، و أنّ محمداً شبّ قارئاً محباً للعلم ، و كان يسمى أسافو و معناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها <sup>1</sup> .

و لابن تومرت من الإخوة أبو موسى عيسى و أبو محمد عبد العزيز و أبو العباس أحمد الكفيف و أم أبي بكر زينب ، و كان له عم اسمه وابوركن بن وكليد و عمّة اسمها حواء بنت وكليد و ابن عم اسمه بن وابوركن <sup>2</sup> ، و عن صفته فهو كما وصفه ابن القطان أنّه كان ربعة مفلج الثنايا قليل اللحية ، في خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم ، حصور لا يأتي النساء <sup>3</sup> .

و ارتحل محمد بن تومرت إلى المشرق لطلب العلم على رأس المائة السادسة الهجرية ، و مرّ بالأندلس و دخل قرطبة و هي إذ ذاك دار علم ، ثمّ أجـاز إلى مدينة الإسكندرية بمصر و حجّ و دخل العراق و لقي جملة من العلماء يومئذ و فحول النظر <sup>4</sup> ، و كان قد أخذ عن الإمام المازري <sup>5</sup> من المهديّة <sup>6</sup> في طريقه إلى المشرق ، و أخذ عن الإمام أبي بكر الطرطوشي <sup>7</sup> في الإسكندرية ، و في بغداد لقي أبا بكر الشاشي <sup>8</sup> فـلخـذ عنه شيئاً من الفقه وأصول الدين ، و سمع الحديث على

<sup>1</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 301 .

<sup>2</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 26 .

<sup>3</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 90 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 301 .

<sup>5</sup> المازري : محمد بن علي بن عمر التميمي المازري أبو عبد الله ، نزل المهديّة و أصله من مازر و هي مدينة في جزيرة صقلية ، و لم يكن في عصره للمالكية أفقه منه ، ألّف في الفقه و الأصول و شرح كتاب مسلم ، توفي الإمام المازري سنة 536هـ/1141م ، و قد تيّف على الثمانين ( ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة و تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، ص 374 . محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ/1930م، ج1، ص 127 ) .

<sup>6</sup> الزركشي، مصدر سابق، ص 4 .

<sup>7</sup> الطرطوشي : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي ، يكنى بلبي بكر و يعرف بابن أبي رندقة ، نشأ بطرطوشة بالأندلس ثم رحل إلى المشرق ، و تقدّم في الفقه مذهباً و خلافاً ، ألّف بـتـلـيف حسنة منها تعليقه في مسائل الخلاف و كتابه في البدع المحدثات ، توفي في الإسكندرية في شعبان سنة 520هـ/1125م ( ابن فرحون، مصدر سابق، ص 371 . محمد بن محمد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص 124 ) .

<sup>8</sup> أبو بكر الشاشي : أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي شيخ الشافعية في عصره ، مولده بميفارقين سنة 429هـ/1037م ، صنف كتابه الحلية فيه اختلاف العلماء و هو الكتاب الملقب بالمستظهر لأنه صنفه للخليفة المستظهر بالله ، مات في شوال سنة 507هـ/1113م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص 393 . الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص 316 ) .

المبارك بن عبد الجبار<sup>1</sup> و نظرائه من المحدثين<sup>2</sup> .

و من الشيوخ الذين تضاربت الروايات بشأن أخذ محمد بن تومرت عنه م و لقائهم الإمام أبو حامد الغزالي<sup>3</sup> ، فاللقاء أثبت مؤرخو الدولة الموحدية و كل من انتصر لها ، و منهم ابن القطان الذي جاءت روايته كما يلي : " و عندي في ذلك حكاية طريفة و هي هذه : أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن رحمان العراقي عن بعض أشياخه قال : أخبرني الحاج الصالح الحسن فلان من أهل فاس قال : كنت في حلقة أبي حامد الغزالي التي حلّقها للتدريس ، فجاء ذات يوم رجل كثر اللحية على رأسه كرزي صوف و هو مجتنب بكساء ، فدخل المدرسة و حيّاها بالركعتين ، ثمّ أقبل إلى الشيخ أبي حامد فسلم عليه فقال له : من الرجل ؟ فقال : رجـل من أهـل المغـرب الأقصى ، فقال له : دخلت قرطبة ؟ قال : نعم ، قال : فما فعل فقهاؤهـا و كيف حال إخواننا في الله تعالى ؟ فقال : بخير ، قال : هل انتهى إليهم كتاب الإحياء ؟ قال : نعم ، قال : فماذا قالوا عنه ؟ فوجم الرجل و خجل و لازم الصمت حياء ، فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طرأ فقال : إنّه قبيح أيّهـا الإمام ، فاشتدت عزيمته عليه في أن يقول ما طرأ ، فقال له : القوم جهّال مقلّدون لم يعرفوا قدره و رفعوا إلى سلطان العدوّة و الأندلس في شأنه و أنّه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه ، فجمعت النسخ التي في البلاد منه و أحرقت في كل بلد ، قال : فتغيّر وجه أبي حامد و مدّ يديه للدعاء و الطلبة يؤمنون ، فقال في دعائه اللهم مرقّ ملكهـم كما مرقّوه و أذهب دولتهم كما حرّقوه ، فقام رجل من الحلقة كان يقال له في ذلك الوقت أنه عبد الله السوسي : ادع الله أيّها الإمام أن يجعل ذلك على يدي ، فتغافل عنه أبو حامد ، فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ آخر على شكل الأول ، فسأله الشيخ أبو حامد فأخبره بصحة الخبر المتقدم فدعـا بمثل دعائه الأول ،

<sup>1</sup> المبارك بن عبد الجبار: أبو الحسن بن الطيوري ، شيخ مشهور مكثّر ثقة كان مولده سنة 411هـ/1020م ، مات سنة 500هـ/1106م ببغداد ( الذهبي، لسـان الميزان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ج6، ص451 . الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص271 ) .

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص136 .

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي : زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب التصانيف ، ولد سنة 450هـ/1058م ، تفقّه في بلده أولاً ثمّ تحول إلى نيسابور، ثمّ مهر في الكلام و الجدل و شرع في التصنيف فشاع أمره فولاه النظام تدريس نظامية بغداد بين سنتي 484هـ/1091م و 488هـ/1094م ثم تركها ، من أهم كتبه إحياء علوم الدين و هو أشهرهـا و المستصفى في أصول الفقه و تحافت الفلاسفة و المنقذ من الضلال ، توفي الغزالي يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة 505هـ/17 ديسمبر 1111م و دفن بطوس ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص322 و ما بعدها ) .

فقال له المهدي : على يدي إن شاء الله ، فقال : اللهم اجعله على يده ، فقبل الله دعائه ، فخرج أبو عبد الله بن تومرت من بغداد و صار إلى المغرب و قد علم أنّ دعوة الله لا ترد <sup>1</sup> . و أما ابن خلدون فقال بشأن هذا اللقاء إنه لقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي <sup>2</sup> ، و هذا الكلام قد يؤشر إلى تحفظ ابن خلدون بشأن حقيقة هذا اللقاء ، و نفس الموقف تقريبا ينسحب على عبد الواحد المراكشي الذي نقل في المعجب أنّه قيل إنّ ابن تومرت لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده ، و خلّفي أنّه ذكر للغزالي ما فعله أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب من إحراقها و إفسادها و ابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالي حين بلغت ذلك : ليذهبن عن قليل ملكه و ليقتلن ولده و ما أحسب المهقلي لذلك إلا حاضرا مجلسنا ، و كان ابن تومرت يحدث نفسه بالقيام عليهم فقوى طعمه <sup>3</sup> .

و قال النويري إنّ محمد بن تومرت وصل في سفره إلى العراق و اجتمع بالغزالي و قيل لم يجتمع به <sup>4</sup> ، و لم يتردد ابن الأثير في نفي هذا اللقاء فقال في تاريخه : " و قيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك ، فقال له الغزالي : إنّ هذا لا يتمشى في هذه البلاد و لا يمكن وقوعه لأمثالنا ، كذا قال بعض مؤرخي المغرب و الصحيح أنّه لم يجتمع به " <sup>5</sup> .

و هذه الروايات التي تتردد كثيرا خاصة لدى أولياء الدعوة الموحدية و مناصريها فيها كثير من الريبة و تفوح منها رائحة الوضع ، فلقد خرج ابن تومرت في رحلته إلى المشرق سنة 500هـ/1107م أو سنة 501هـ/1108م حسب ابن القطان <sup>6</sup> ، و بدأها من الأندلس ثمّ المغرب فمصر <sup>7</sup> ، ثمّ سافر لأداء فريضة الحج ثمّ دخل العراق <sup>8</sup> ، و هذه الرحلة قد تستغرق زمنا قد لا يقل

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 72-73 . و هذه الرواية ذكرت في مصادر أخرى مثل ابن خلكان ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج 5، ص 46 ) و الزركشي في تاريخه ( الزركشي، مصدر سابق، ص 4 ) و الناصري في الاستقصا (الناصري، مصدر سابق، ج 2، ص 72 ) و ابن أبي دينار الذي أضاف أن ابن تومرت لازم أبا حامد الغزالي ثلاث سنين ( ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 107 ) .

<sup>2</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 302 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 136.

<sup>4</sup> النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط "من كتاب نه —اية الأرب في فنون الأدب"، تحقيق : د/ مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1404هـ/1984م، ص 396.

<sup>5</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج 9، ص 195.

<sup>6</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 62 .

<sup>7</sup> الزركشي، مصدر سابق، ص 4 .

<sup>8</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 301 .

عن سنة كاملة ، و من خلال تصفح سيرة الغزالي نجد أنه كان مقيما في بغداد مدرّسا في المدرسة النظامية ما بين جمادى الأولى 484هـ/1091م و ذي القعدة 488هـ/1095م ثم تركها و سلك طريق الزهد و الانقطاع و قصد الحج ، فلما رجع توجه إلى الشام فأقام في دمشق مدة و انتقل منها إلى بيت المقدس و اجتهد في العبادة و زيارة المشاهد و المواضع المعظمة ، ثم قصد مصر و أقام بالإسكندرية مدة ، و يقال إنّه قصد الركوب في البحر إلى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمرير يوسف بن تاشفين<sup>1</sup> صاحب مراكش ، فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين فصرف عزمه عن تلك الناحية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس و اشتغل بنفسه و صنّف الكتب المفيدة و منها إحياء علوم الدين ، ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور و التدريس بها بالمدرسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاولات ، ثم ترك ذلك و عاد إلى بيته في وطنه ، و اتخذ خانقاه للصوفية و مدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره إلى أن انتقل إلى ربه سنة 505هـ/1111م<sup>2</sup>.

هكذا يروي ابن خلكان جانبا من حياة أبي حامد الغزالي ، فلم يدخل بغداد بعد أن خرج منها سنة 488هـ/1095م و هذا هو المشهور في سيرته ، و في هذه السنوات التي قضاها في بغداد فإنّ ابن تومرت لا يزال حدثا و في بعض الروايات أنّه لم يولد بعد<sup>3</sup> ، فأين كان اللقاء ؟ الأكيد أنّّه لم يكن في بغداد ، و هذا ينفي رواية ابن القطان التي ذكرت ذلك نصا .

و يحق لنا أن نتساءل مرة ثانية متى حدث هذا اللقاء ؟ إنّ السنوات التي يمكن أن يحدث فيها هذا اللقاء تقع بين سنتي 500هـ/1107م بتاريخ خـروج ابن تومرت إلى المشرق و 505هـ/1111م تاريخ وفاة الإمام الغزالي ، و إذا أضفنا إليها حدثا مهما وهو إحراق كتاب الإحياء في الأندلس و الذي أرتحه ابن القطان بسنة 503هـ/1109م<sup>4</sup> ، فإنّ اللقاء يمكن أن يقع بين سنتي 503هـ/1109م و 505هـ/1111م ، و في هذه المرحلة فإنّ الإمام الغزالي انتقل إلى طوس ، و لتجاوز قليلا فإننا نقول إنّه كان بين نيسابور و طوس خلال هذه السنوات ، فكان من

---

<sup>1</sup> يوسف بن تاشفين : أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني ملك الملمين سلطان المغرب الأقصى و باني مدينة مراكش ، ولد في صحراء المغرب في حدود سنة 410هـ/1019م ، و له ابن عمّه أبو بكر الممتوني إمارة البربر و بايعه شيوخ المرابطين ، و جد المغرب الأقصى ثم غزا الأندلس وضمّها ، انتصر على النصاري في موقعه الزلاقة الشهيرة بالأندلس سنة 479هـ/1086م ، توفي سنة 500هـ/1107م و دفن بمراكش ( ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 136 . الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص 222 ) .

<sup>2</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص 217 .

<sup>3</sup> الزركشي، مصدر سابق، ص 4 .

<sup>4</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 70 .

الأجدر بمن نسج قصة اللقاء أن يجعل محلّه نيسابور و إن كان أكثر فطنة و ذكاء أن يجعله بطوس ، فيصبح عندها اللقاء أمراً ممكناً جداً زمانياً و مكانياً .

و ما غاب عن مؤرخي دولة الموحدين قديماً فإنّ الدكتور عبد المجيد النجار قد فطن إليه ، حيث سعى جاهداً لإثبات هذا اللقاء فقال : " و إذا كانت المصادر لا تذكر أنّ الغزالي أقام ببغداد في هذه الفترة التي أقام فيها ابن تومرت ابتداءً من سنة 500هـ/1106م ، حيث كان عند ذلك قد انتقل إلى نيسابور و طوس ، فإنّه من المحتمل أن تكون زيارته إليها غير منقطعة ، بل إنّ بعض الباحثين يذكر أنّه كانت له إقامة قصيرة لا تتجاوز ستة أشهر سنة 501هـ/1107م ، و خلال هذه الزيارات يمكن أن يتم اللقاء و إن كان قصير الأمد ، و إذا كانت المصادر لا تذكر أنّ ابن تومرت تحول إلى نيسابور أو طوس ، فإنّه ليس من المستبعد أن يكون قد سافر إليهما ، فلهل المغرب مولعون بالرحلة إلى أقاصي البلاد الإسلامية و هناك يمكن أن يكون قد التقى بالغزالي و درس عليه ، و بهذا يتبيّن أنّ اللقاء بين ابن تومرت و الغزالي تبرر إمكانه المعطيات التاريخية و المكانية" <sup>1</sup>.

ثم يواصل الدكتور حججه فيقول : " فابن تومرت ذلك النزاح من المغرب لأجل العلم و المتلهف للمعرفة ، ليس من المقبول أن يقيم بالمشرق ما يزيد على عشر سنوات دون أن يسعى إلى اللقاء بالغزالي و قد طبقت شهرته الآفاق ، و كان له بالمغرب صيت ذائع لما أثارت كتيبه من معارضة المرابطين ، فيصبح السفر إلى نيسابور و طوس للقاء هذا العالم أمراً متأكداً " <sup>2</sup>.

و ظاهر من كلام الدكتور عبد المجيد النجار أنّه يفتقد إلى الأدلة العلمية ، و كل ما حاول أن يحتج به لا يعدو أن يكون مجرد تخمينات سواء تعلق الأمر بحياة الغزالي أو برحلة ابن تومرت إلى المشرق .

فلإقامة الغزالي في بغداد بعد خروجه منها سنة 488هـ/1095م غير ثابتة لدى أكثر من ترجم لهذا الإمام ، و أمّا مسير ابن تومرت إلى نيسابور و طوس فلا أحد قال به ، و أبعد من ذلك كله محاوله إلحاق ابن تومرت بالرحالة المغاربة المولعين بالرحلة إلى أقاصي البلاد ، و كان الأجدر بالدكتور الذي غلبت عليه العاطفة في معالجه هذه القضية التاريخية أن ينفي عن ابن تومرت انتحال المبطلين من مؤرخي دولته الذين يحاولون نسج حوادث وهمية من شأنها في زعمهم أن تعلي مكانته و ترفع قدره و تزيد من أنصاره ، فالتاريخ لا يبني على مجرد التخمينات بل ينبغي على الوقائع الموثقة في بطون المصادر التاريخية وفق قواعد مضمبوطة لا تخفى على أمثال الدكتور عبد المجيد النجار .

<sup>1</sup> د/ عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 81 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 82 .

و إن سلّمنا بأنّه قد ثبت أنّ الغزالي قد أقام ببغداد ستة أشهر سنة 501 هـ / 1107م حسب ما ادعاه الدكتور النجار نقلا عن بعض الباحثين و خلال هذه الفترة يمكن أن يتم اللقاء ، فهذا بعيد جدا ، إذ أنّ الروايات الموحدية و غيرها تذكر أنّ ابن تومرت التقى الغزالي بعد حادثة إحراق كتاب الإحياء سنة 503 هـ / 1109م ، و أخير نختم بـالتساؤل التالي : من الذي قال إنّ ابن تومرت سافر إلى نيسابور و طوس للقاء الغزالي ؟ و الجواب واضح جلي ، إنّها مجرد احتمالات و أماني ليس لها أدنى اعتبار في دراسة قضايا تاريخية كهذه .



## ب- بداية دعوة ابن تومرت .

انطلقت دعوة ابن تومرت من الإسكندرية حيث جرت له بها وقائع في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضت إلى أن نفلهم بنقلها عن البلاد فركب البحر<sup>1</sup> ، و تبدأ الرواية الموحدية في إضفاء سيل من الكرامات في رحلة الإياب هذه ، فقد روى ابن القطان أن ابن تومرت رأى في المركب خمرا فأراقه فصاح عليه صاحب الخمر و سبه ، فاجتمع أهل المركب إليه و رغبوه حتى سكت ، ثم حضر وقت الصلاة فأمرهم بالصلاة فلم يلتفتوا فشدد عليهم فغضبوا و همّوا باللقائه من المركب فهال عليهم البحر و كادوا يغرقون ، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله يفرج عنكم ، فأقبل —وا نحوه متضرعين راغبين فقال لهم صلوا ، فتوضّؤوا و صلّوا فكشف الله ما بهم و جرت السفينة بريح طيبة فصاروا يطلبون منه الدعاء كل يوم<sup>2</sup> .

و أول دخول ابن تومرت إفريقية أنه حل بطرابلس<sup>3</sup> معنيا بمذهبه مظهر النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه ، آخذا نفسه بتدريس العلم و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ما استطاع حتى لقي بسبب ذلك أذيات<sup>4</sup> ، و مرّ بالمهدية فغيّر المنكر بها في مدة علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي<sup>5</sup> صاحبها<sup>6</sup> ، و جلس في شارع ينظر المارة فلا يرى منكرا من آلات الملاهي أو أواني الخمر إلا نزل إليه و كسرها ، فتسامع الناس به في البلد ، فجاءوا إليه و قرؤوا عليه كتب من أصول الدين ، و بلغ خبره الأمير فاستدعاه مع جماعته من الفقهاء ، فلما رأى سمته و سمع كلامه أكرمه

<sup>1</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 137 .

<sup>2</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 92 .

<sup>3</sup> طرابلس : و يقال لها أطرابلس و طرابلس بلإفريقية و الرومانية ثلاث مدن ، و على المدينة سور صخر جليل البنيان و هي على شاطئ البحر، غزاها عمرو بن العاص سنة 23 هـ/643م ففتحها عنوة و استولى على ما فيها ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 25 ) .

<sup>4</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص302 .

<sup>5</sup> علي بن يحيى : بن تميم بن المعز الصنهاجي صاحب إفريقية ، وليها بعد وفاة أبيه سنة 509 هـ/1115م ، و كان في صفاقص، فوصل المهدية لثاني يوم بعد وفاة والده ، و كانت وفاة علي بن يحيى سنة 515 هـ/1121م ( ابن الخطيب ، مصدر سابق، ص 81 . الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص 31 ) .

<sup>6</sup> الزركشي، مصدر سابق، ص 4 .

و أجلّه و سأله الدعاء ، فقال له : أصلحك الله لرعيتك ، و لم يقم بعد ذلك بالمهدية إلا يسيراً<sup>1</sup> .

ثم ارتحل إلى تونس<sup>2</sup> ، و كعادة الرواية الموحدية فإنّها تظهره بمظهر العالم الذي حيثما يحل لا يجد إلا الجهل و المنكرات ، ففي هذه المدينة يروي البيذق أنّ ابن تومرت حضر جنازة رفض الناس الصلاة عليها فقال لهم : لم لا تصلّون على هذه الجنازة ؟ فقالوا : هو يهودي و كان يصلي ، فقال لهم : أفيكم من يشهد له بالصلاة ؟ فقال الناس : نعم من كل جانب و مكان ، فقال لهم قد شهدتم له بالإيمان ، ثمّ أمّر من يقيم الصفوف و صلى عليه ، فلما صلى دعا بالفقهاء و وبخهم و عزّفهم بالسنة و بيّن لهم الكتاب العزيز ، فقالوا له بعد أن عرفوا الحق : جهلنا يا فقيه ، فكانوا يأخذون العلم عنه أياما عديدة<sup>3</sup> .

ثمّ خرج ابن تومرت من تونس مع ثلاثة من رفاقه هم يوسف الدكالي و الحاج عبد الرحمان و أبو بكر الصنهاجي البيذق متوجهين إلى قسنطينة<sup>4</sup> و التي وقف فيها أيضا على منكرات ، فأهلها حسب البيذق يجهلون حد السرقة المعروف لدى عامة المسلمين فضلا عن علمائهم و فقهاءهم ، فينما هم في المدينة إذ سمع مناديا ينادي هذا جزاء أهل السرقة ، فقال : يا قوم تركتم الشرع إنّما يجب عليه قطع اليد ، فقالوا : يا فقيه ما نصنع به ؟ فقال : إنّما هذا الضرب يقوم له مقام قطع اليد بجهلكم لأنّه لا يجوز جمع حدين في ذنب واحد ، ثم قال للشارق : تب ، فقال : يا فقيه أنا تائب لله تعالى بقلب صادق ، فتاب على يد الإمام و علّمه شروط التوبة و بيّنها له<sup>5</sup> .

و من مدينة قسنطينة انتقل محمد بن تومرت إلى بجاية<sup>6</sup> حوالي سنة 511هـ/1117م حسب

<sup>1</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص47 .

<sup>2</sup> تونس: مدينة كبيرة محدثه بإفريقية على ساحل بحر الروم ، عمرت على أنقاض مدينة كبي -رة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص60 ) .

<sup>3</sup> البيذق، أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1390هـ/1971م، ص11 .

<sup>4</sup> قسنطينة : مدينة و قلعة يقال لها قسنطينة الهواء ، و هي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية و هي من حدود إفريقية مما يلي المغرب ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص349 ) .

<sup>5</sup> البيذق، مصدر سابق، ص12 .

<sup>6</sup> بجاية : مدينة على ساحل البحر بين إفريقية و المغرب ، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد في حدود سنة 457هـ/1064م ، و تسمى الناصرية أيضا باسم بلنفا ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص339 ) .

ابن القطان<sup>1</sup> و بها يومئذ العزيز بن المنصور<sup>2</sup> من أمراء صنهاجة و لئان من المترفين ، فأغلظ لهـ و لأتباعهـ بالنكير ، و تعرّض يومـا لتغيير بعض المنكـرات في الطرق<sup>3</sup> ، و منه أنّه لقي الصبيان في زي النساء بالظفائر و الزينة و شواشي الخز و ألفى الأردال قد فتنوا بذلك و انهمكوا فغيّر المنكر و أزال ذلك الزي مستطاعه ، ثمّ حضر عيداً فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء و الصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحل فرجهم و غيّر ذلك عليهم ، فوقع لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر و قام المهرج ، فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنّه لا سبب له إلا الفقيه السوسي ، و وجد المشنعون سبيلاً إلى القول فيه فقالوا و أوغروا عليه قلب العزيز، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك فناظروه و ساءلوه فأجابهم ما أسكتهم<sup>4</sup> .

ثمّ خرج ابن تومرت من بجاية خائفاً و لحق بملالة على فرسخ منها و بها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة و كان لهم اعتزاز و منعة فأووه و أجاروه ، و طلبهم السلطان صاحب بجاية بإسلامه فأبوا و أسخطوه ، و أقام بينهم يدرّس العلم أياماً<sup>5</sup> .

و في هذه القرية الصغيرة ملالة سيحدث اللقاء بين عبد الله بن تومرت و عبد المؤمن بن علي<sup>6</sup> الذي سيكون له الشأن الأكبر في قيام دولة الموحدين ، و قد اهتم المؤرخون بهذا الحدث و أضفى عليه بعضهم صبغة أسطورية خيالية و أظهروه في مظهر السر الأزلي الذي حلت رموزه و انكشفت أحداثه لتحول وجهة التاريخ في المغرب و يتحقق الوعد المسطور منذ القدم<sup>7</sup> ، و رواية البيـذق في هذا السياق الأسطوري ، فيروى أنّ ابن تومرت رفع رأسه فوافق عبد المؤمن أمامه فقال له : ادخل يا شاب ، فدخل فأراد أن يقعد في جملة الناس فقال له الإمام المهدي : ادن يا شاب ،

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 76 .

<sup>2</sup> العزيز بن المنصور : بن الناصر بن علناس ، خلف أباه المنصور بن الناصر الذي توفي سنة 498هـ/1104م ، و بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب ، كانت أيامه أعياداً لحسنها و جلها ( ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 99 ) .

<sup>3</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 302 .

<sup>4</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 93 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 302 .

<sup>6</sup> عبد المؤمن بن علي : عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان أبو محمد الكومي مؤسس دولة الموحدين ، ولد في مدينة تلمسان قرب تلمسان حوالي سنة 487هـ/1093م و هو من كومية القبيلة البربرية ، التقى بابن تومرت في ملالة فاختصّه و جعله أكبر أتباعه ، اتفق أصحابه على مبايعته بعد وفاة المهدي سنة 524هـ/1129م ، ثمّ قاتل المرابطين إلى أن انتصر عليهم و دخل مراكش سنة 541هـ/1146م ثمّ ملك المغرب و الأندلس ، توفي سنة 558هـ/1162م ، و دفن بجانب قبر ابن تومرت في تينمل ( الصفدي، مصدر سابق، ج 19، ص 155 . الزرلي، مرجع سابق، ج 4، ص 170 ) .

<sup>7</sup> عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 92 .

فلم يزل يدنو فقال له : ما اسمك يا فتى ؟ فقال : عبد المؤمن ، فقال له : و أبوك على ؟ فقال : نعم ، فتعجب الناس من ذلك ، فقال له : يا شاب من أين إقبالك ؟ قال له : من نظر تلمسان من ساحل كومية ، فقال له : من تاجرا أم لا ؟ فقال له : نعم ، فزاد الناس تعجباً ، فقال له المهدي : أين تريد يا فتى ؟ فقال : يا سيدي نحو المشرق التمس فيه العلم ، فقال له : العلم الذي تريد اقتباسه بالمشرق قد وجدته بالمغرب ، فلما انصرف الناس من القراءة أراد عبد المؤمن أن ينصرف فقال له : تبيت عندنا يا شاب ، فقال له : نعم يا فقيه ، فلما جنّ الليل نادا ني ابن تومرت : يا أبا بكر ادفع لي الكتاب في الوعاء الأحمر فدفعت له ، قال : اسرج لنا سراجاً ، فكان يقرأ على عبد المؤمن و أنا يومئذ ماسك السراج اسمعه يقول : لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين ، فبكى عبد المؤمن عند سماع هذا القول و قال : يا فقيه ما كنت في شيء من هذا إنما أنا رجل أريد ما يطهرني من ذنوبي ، فقال له : إنما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يديك ، ثم دفع له الكتاب و قال : طوبى لأقوام كنت مقدمهم و ويل لقوم خالفوك أولهم و آخرهم ، أكثر من ذكر الله يبارك الله لك في عمرك و يهديك و يعصمك مما تخاف و تحذر<sup>1</sup> .

و بعد الإقامة القصيرة في ملالة و اصطفاء ابن تومرت لعبد المؤمن بن علي و جعله من أخلص أبتلعه ارتحل الجميع إلى المغرب الأقصى ، و قد دوّن البيذق تفاصيل هذا الإرتحال فذكر أنهم اجتازوا متيجة ثم الأخماس ثم كساس و مرمور ثم مليانة ثم نحو وانشريس فنزلوا الحضرة فوجـدوا بها عبد الله بن محسن الونشريسي المكني بالبشير ، ثم إلى الشلف و منها نحو البطحاء ليصلوا إلى تلمسان<sup>2</sup> ، و هذه المدن و الجهات كلها تقع في وسط المغرب بين بجاية و تلمسان ، و أقام بمسجد العباد بظاهر تلمسان على عادته ، و لم يزل مقيماً بها إلى أن فصل عنها بعد أن استمال وجوه أهلها و ملك قلوبهم<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> البيذق، أخبار المهدي، ص ص 16-17 .

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 18-19 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 139 .

و كعادة ابن تومرت في رحلته هذه ، فإنه ما ينزل قرية أو مدينة إلا و تقابله منكرات كثيرة فيتصدى لها و يعمل على تغييرها ، فعند خروجه مع أصحابه من تلمسان حلوا بوجدة <sup>1</sup> فنظر إلى النساء مع الرجال يتوضؤون ، فقال : أليس هذا منكرا الرجال مع النساء مخلوطين اصنعوا لنا ساقية و صهريجا عند الجامع ، ففعل ذلك <sup>2</sup> .

ثم وصلوا إلى مكان يعرف بدشر قلال نزلوا فيه بالمسجد ، فسمع ابن تومرت اللهو و صراخ الرجال و النساء فقال : غيروا هذا المنكر و أمرهم بالمعروف ، فقمنا حتى وصلنا إليهم فقلنا لهم قد حرم الله اللهو و المنكر لأنه من أفعال الجاهلية و ما كفى أن الرجال و النساء معا لا فرق بينهم ، فقالوا : هكذا السيرة عندنا ، فأمرناهم بالمعروف فلم يسمعوا و نهيناهم عن المنكر فلم ينتهوا ، فأمرهم ابن تومرت بالمسير عنهم <sup>3</sup> .

ثم وصل مدينة فاس فلما دخلها أظهر ما كان يظهره و يحدث فيما كان يتحدث فيه من العلم ، و كان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية <sup>4</sup> ، و كان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم و يعادون من ظهرت عليه ، شديد أمرهم في ذلك ، فجمع والي المدينة الفقهاء و أحضره معهم ، فجرت له مناظرة كان له فيها الظهور لأنه وجد الجو خاليا و ألفى قوما صياما عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع ، فلما سمع الفقهاء كلامه أشاروا على والي البلد بإخراجه لئلا يفسد عقول العوام فأمره والي البلد بالخروج ، فخرج متوجهـا إلى مراكش <sup>5</sup> دار مملكة أمير المسلمين

---

<sup>1</sup> وجدة : هي مدينتان مسورتان أحدث إحداها يعلي بن بلجين بعد 440هـ/1048م ، يسكن في المحدة التجار و فيها أسواق و الجامع خارج المدينتين ، و هي كثيرة الأشجار و الفواكه جيدة الهواء ، و مراعيها أنجع المراعي ( أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص 87 ) .

<sup>2</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 21 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 22 .

<sup>4</sup> الأشاعرة : فرقة كلامية إسلامية ترتقب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة ، و قد اتخذت الأشاعرة البراهين و الدلائل العقلية و الكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة و الفلاسفة و غيرهم لإثبات حقائق الدين و العقيدة الإسلامية ، و من أبرز أئمتهم الباقلاني و أبو إسحاق الشيرازي و أبو المعالي الجويني و أبو حامد الغزالي و الفخر الرازي ، و انتشر المذهب الأشعري في عهد نظام الملك و زاد في انتشارها مدرسة بغداد النظامية و مدرسة نيسابور النظامية ، و هو سائد حاليا في أكثر البلاد الإسلامية ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص 106 . د/ مانع بن حماد الجهني، مرجع سابق، ج1، ص 83 ) .

<sup>5</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، 139 .

علي ابن يوسف بن تاشفين<sup>1</sup> ، فرأى فيها من المنكـرات فزاد في أمره بالمعروف و نهي عن المنكر فكثر أتباعه ، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها و معها الجواري الحسان و هن مسفرات فأنكر عليهن و أمرهن بستر وجوههن ، و ضرب هو و أصحابه دوابهن فسقطت أخت الأمير عن دابتها<sup>2</sup> فدخلت على أخيها باكية لما نالها ، فلما تطاير خبره جمع له على بن يوسف الفقهاء للمناظرة فلم يكن فيهم من يعرف ما يقول حاشا رجل من أهل الأندلس اسمه مالك بن وهيب<sup>3</sup> كان قد شارك في جميع العلوم ، و لما سمع كلام ابن تومرت استشعر حدّة نفسه و ذكاء خاطره و اتساع عباراته فأشار على أمير المسلمين بقتله ، و قال هذا رجل مفسد لا تؤمن غثلته و لا يسمع كلامه أحد إلا مال إليه ، و إن وقع هذا في بلاد الصامدة ثار علينا منه شر كثير ، فتوقف أمير المسلمين في قتله فلشـار عليه بسجنه حتى يموت ، فقال أمير المسلمين : و هل السجن إلا أخ —و القتل ؟ و لكن نأمره أن يخرج عنا و ليتوجه حيث شاء<sup>4</sup> .

و يقال إنّ أمير المسلمين أراد حبسه فمنعه رجل من أكابر المسلمين يسمى بيان بن عثمان ، فأمر بلخـراجـه من مراكش فسار إلى أغمات<sup>5</sup> ، فسار حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة و غيرهم من المصامدة سنة 514هـ/1120م لبدأ المرحلة الأبرز في حياته<sup>6</sup> ، فأتوه و اجتمعوا حوله

---

<sup>1</sup> علي بن يوسف بن تاشفين : أمير المسلمين و ثاني ملوك دولة المرابطين ، ولد سنة 477هـ/1084م و يبيع سنة 500هـ/1106م بعد وفاة أبيه ، جاز إلى الأندلس مجاهدا و في عهده تم إحراق كتاب الإحياء للغزالي ، ظهـر في أيامه ابن تومرت فاضطربت أحوال البلاد ، مات في مراكش سنة 537هـ/1142م ( مجهول، الحلل الموشية، ص 84 . الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص33 ) .

<sup>2</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص 196 .

<sup>3</sup> مالك بن وهيب : مالك بن يحيى بن وهيب من أهل إشبيلية ، مولده بها سنة 453هـ/1060م ، أحد رجـال الكمـال و الإرتسام بمعرفة العلوم على تفاريعها و أنواعها ، توفي بمراكش سنة 525هـ/1130م ( ابن بشكـوال، الصلـة، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م، ج3، ص 897 ) .

<sup>4</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص140.

<sup>5</sup> أغمات : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، و هي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، و من ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى ( ياقوت الحموي ، مصدر سابق، ج1، ص 225 ) .

<sup>6</sup> R. Dozy, *Essai sur l'histoire de l'Islamisme*, traduit du hollandais par : Victor Chovin, Maison neuve, Paris, 1879, p 372.

و تسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه و حضر أعيانهم بين يديه<sup>1</sup> ، ليشرع في الثورة المنظمة التي ستغير وجه المغرب في كافة المجالات<sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص 196 .

<sup>2</sup> د/ عبد المجيد النجار، تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، الطبعة الثانية، 1415هـ / 1995م، ص 65 .

### ج- إدعاء ابن تومرت المهدوية :

ذكر ابن القطان أن بيعة الإمام المهدي كانت إما في سنة 514هـ/1120م على قول و إما في سنة 515هـ/1121م على قول آخر<sup>1</sup>.

و عن مجرياتها قال : " و لما استوثق المهدي من قبيلته و منقح موضعه لأتته مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشيها إلا راكب بعد راكب فيسد خللها أقل عصابة من الناس ، و لما فيه من التوعر في نفسه قصد إلى قريتي إيجيز تحتها ركن يظل تحتها على الماء ، فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن قام فيهم خطيبا فقال : الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء لا راد لأمره و لا معقب لحكمه ، و صلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل و أزيحل العدل بالجور ، مكانه المغرب الأقصى و زمانه آخر الزمان و اسمه اسم للنبي عليه الصلاة و السلام ، و نسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، و قد ظهر جور الأمراء و امتلأت الأرض بالفساد و هذا آخر الزمان و الاسم الاسم و النسب النسب و الفعل الفعل " <sup>2</sup>.

و الرواية نفسها نقلها صاحب الحلل الموشية مع تحديده تاريخها بشهر رمضان المعظم سنة 515هـ/نوفمبر 1121م<sup>3</sup> ، و زاد دقة ابن أبي زرع في تحديد تاريخ البيعة هذه فقال إنها كانت يوم الجمعة 15 رمضان سنة 515هـ/26 نوفمبر 1121م<sup>4</sup> ، أما ابن خلدون فقال إن ابن تومرت دعا المصامدة الى بيعته على التوحيد و قتال المرابطين دونه سنة 515هـ/1121م<sup>5</sup>.

و لما فرغ ابن تومرت من كلامه بادر إليه عشرة من رجاله في مقدمتهم عبد المؤمن بن علي فقال هذه صفة لا توجد إلا فيك فأنت المهدي ، فبايعناه على ذلك<sup>6</sup>.

و سمي هؤلاء بالعشرة و هم عبد المؤمن بن علي و أبو محمد البشير الونشريسي و أبو إبراهيم الهزرجي و أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي و أبو الربيع سليمان بن الحضري و أبو عمران موسى بن تمارا و أبو يحيى أبو بكر بن يجيت و أبو عبد الله محمد بن سليمان و أبو حفص عمر بن يحيى

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 123.

<sup>2</sup> نفسه، ص 124.

<sup>3</sup> مجهول، الحلل الموشية، ص 107.

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 176.

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 304.

<sup>6</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 125.



و عاشرهم عبد الله بن ملوية ، و هؤلاء العشرة المسمّون بأهل الجماعة ، و تابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا فسموا أهل خمسين ، ثمّ تابعهم سبعون رجلا فسموا أهل سبعين<sup>1</sup> .  
فأهل الجماعة أو العشرة يقطعون مع ابن تومرت في الأمور العظام دون غيرهم ، فإذا جاء أمر أهون أحضروا أهل خمسين ، فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا ، و فيما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره<sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> نفسه، ص 127.

<sup>2</sup> نفسه، ص 128 .

## د- حقيقة ادّعاء ابن تومرت المهدوية :

بهاية محمد بن تومرت إماما مهديا معصوما يبدأ مرحلة جديدة في مسيرته ، فهل كان حقيقة كما ادعى ؟ و هل وافقت أعماله أعمال المهدي المبشر به ؟ و هل مكن الله له في الأرض فأقام دولة العدل و الرشاد ؟

**د1- حقيقة نسب ابن تومرت :** للإجابة على هذه الأسئلة نبدأ بالحديث أولا عن نسبه ، فلقد نقلت في بداية الكلام عن ابن تومرت أقوالا كثيرة تتعلق بنسبه ، فالمثبتون له نسبا شريفا نراهم يتفقون أنه حسني النسب ، و هذا يدل على أنّ ابن تومرت اختار من النسب الشريف ما تؤيده الروايات السنية من أنّ المهدي يكون من ذرية الحسن لا من ذرية الحسين ، فاختار مهدي السنة لا مهدي الشيعة الإمامية ، فالبيئة التي سيدعو فيها إلى مهدويته بيئة سنية مالكية في غالبها عملت الدولة المرابطية على ترسيخها في بلاد المغرب و الأندلس ، فقد كانت المدن المغربية مراكز لدراسة المذهب المالكي و أنجبت البلاد الكثير من علماء المالكية الذين حفلت بهم المجالس و الندوات و دور العلم<sup>1</sup> .

فهذه أول خطوات ابن تومرت في دعوته و هي ادّعاء النسب الحسني ، و هو ادّعاء يشوبه الكثير من الشك و الريبة عمّقه تضارب طرقه في كتب أنصار الدعوى الموحدية الأولى— و اللاحقين ، و قد حصره الدكتور عبد المجيد النجار في أربع طرق<sup>2</sup> و قال إنه لا يوجد لحد الآن من الوثائق القطعية ما يثبت وقوع هذا النسب أو عدم وقوعه ، و لذلك فإنه من الأجدي طرح القضية على مستوى الإمكان لا على مستوى الوقوع<sup>3</sup> ، محاولا بعد ذلك بكل ما أوتي إقناع القارئ أنّ ابن تومرت يمكن أن يكون حسني النسب و مرجحا أنّه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب<sup>4</sup> ، و قد استأنس الدكتور النجار بالمؤرخ—ين الخبيرين بشؤون

<sup>1</sup> د/ حسن غلي الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس "عصر المرابطين و الموحدين"، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، 1400هـ / 1980م، ص 465 .

<sup>2</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص 24 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 28 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 29 .

المغرب و المتحرّرين حسبته من أيّ تأثير موحدى و هما المراكشي و ابن خلـدون الذين ساقا هذا النسب مساق التسليم به و التأييد له<sup>1</sup> .

و في السياق ذاته يؤكّد الدكتور هذا الرأي في كتاب —ه تجربة الإصلاح في حركة ابن تومرت فيقول : " فالله—دي هو محمد بن عبد الله تومـرت المكنى بأبي عبد الله و الملقب بالله—دي و المعروف عند المؤرخين بالفقيه السوسي ، و تثبت له كثير من الروايات نسبـا ينتهي إلى علي بن أبي طالب ، و يُروى أنّه منتحل بقصد تبرير المهدية التي ادّعاها ابن تومرت أو نسبت إليه ، و الحقيقة أنّ مطاعن هؤلاء لا تقوم على حجج قطعية ، و لذلك فإنّ صحة هذا النسب تبقى قائمة من حيث الإمكان التاريخي و الجغرافي و العقلي"<sup>2</sup> .

و لنسب ابن تومرت من المبررات و المؤيدات دائما حسب الدكتور أكثر ممّا عليه من النواقض و يبقى الاعتراض عليه محتاجا إلى المؤيدات المقنعة<sup>3</sup> ، و هذا بالنسبة إليه معنى كلام ابن خلدون في المقدمة عن ابن تومرت الذي نصه : " و أما إنكارهم نسبه من أهل البيت فلا تعضده حجة لهم ، مع أنّه ثبت أنّه ادّعاها و انتسب إليه فلا دليل يقوم على بطلانه لأنّ الناس مصدقون في أنسابهم"<sup>4</sup> . و سأحاول عرض النواقض المتبوعة بالمؤيدات التي قد تكون مقنعة لمن لا يرى رأي الدكتور عبد المجيد النجار و من قال مقالته و المبني أساسا على رأي ابن خلدون .

إنّ أهم دليل استدلل به عبد المجيد النجار على صحة نسب ابن تومرت أنّ سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الواقع نسب الكثير من بيته في المصامدة و أهل السوس كما قال ابن خلدون<sup>5</sup> اندمج في البربر و اكتسب عصبيتهم و منعته و صار في عدادهم فكانت أعقابه مصموديه القطيعة قرشية النسب<sup>6</sup> .

و ممّا يضعف رأي ابن خلدون هو أنّه من المتوقع من سليمان عندما حلّ بالمغرب أن يحافظ على نسبه و شرفه عندما عاش المصامدة و اختلط بهم ، فلمعروف أنّ الأشراف كانوا يحافظون على

<sup>1</sup> نفسه، ص 30.

<sup>2</sup> عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة ابن تومرت، ص 56 .

<sup>3</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص 30 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 34.

<sup>5</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 301 .

<sup>6</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص 30.

أنسابهم و انتمائهم القبلي أشد الاحتفاظ ، كما فعل أخ —وه إدريس<sup>1</sup> فإنه لما حلّ على بربر وليلى<sup>2</sup> بالمغرب الأقصى عزّفهم بنفسه و نسبهم فعظّموه و بايعوه أميرا عليهم و احتفظ بنسبه العلوي ، و معروف عند البربر تعظيمهم لآل البيت ممّا يجعل ذوبانهم فيهم بم فيهم سليمان المذكور مستبعدا جدا ، خاصة أنّه لم يذكر أنّ هذا الرجل تعرض و أولاده للإضطهاد ممّا يجعلهم يخفون نسبهم<sup>3</sup> .

و أما ما قاله ابن خلدون أنّ النسب الفاطمي كان خفيا قد درس عند الناس و عند عشيرته يتناقلونه بينهم<sup>4</sup> ، فهو مجرد ادّعاء لا دليل له لأنّه لم يقل لنا سبب نسيان الناس له بعد معرفتهم به و هو نسب شريف المعروف أنّ الناس يهتمون به و يعظّمونه ، و نسب هذا حاله لا ينساه الناس ععادة ، و إذا افترضنا أنّهم نسّوه و احتفظت به أسرة ابن تومرت فلماذا لم تدّكر به الناس و احتفظت به لنفسها و لها في إشاعته فضل و شرف و مكانة بين الناس ، و ربما يقال إنّ أسرته أخفت نسبها خوفا من العباسيين ، و هذا اعتراض وجيه لكنه لا يصلح تفسيراً لذلك لأنّ المغرب الأقصى زمن أسرة ابن تومرت لم يكن خاضعا للدولة العباسية<sup>5</sup> .

و أما قول ابن خلدون الناس مصدقون في أنسابهم فقد استخدمها في غير مكانه ا و بغير حجمها لأنّ الناس قالوا الغالب على أنساب الناس الصحة ، و لم يقولوا إنّّه قانون عام مطلق ، و قالوا ذلك في الظروف العادية حيث الأنساب معروفة بين الناس يصعب انتحالها و تبديلها لأنّها مشاهدة معروفة لديهم في الواقع ، لكنها لا تصدق في كل الحالات كحالات الحروب و الهجرات الفردية و الجماعية حيث يستطيع بعض الناس انتحال غير أنسابهم ، ففي هذه الظروف و غيرها يجب التحقيق في الأنساب خاصة الإنتساب إلى آل البيت لما يترتب عليه من أحكام خاصة كحرمة الصدقة عليهم<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> إدريس الأول : إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن حسن بن علي بن أبي طالب ، مؤسس الدولة الإدريسية في أقصى المغرب ، نزل بمدينة وليلى و كان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعزّفه إدريس بنفسه فأجاره ثمّ أقام دعوته ، و بايعه البربر فتّم له الأمر سنة 172هـ/788م فعظم أمره و غزا بلاد المغرب ، توفي مسموما بمؤامرة دبرها له هارون الرشيد سنة 177هـ/793م ( الناصري، مصدر سابق، ج1، ص67 . الزركلي، مرجع سابق، ج1، 279 ) .

<sup>2</sup> وليلى : مدينة بالمغرب قرب طنجة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص384 ) .

<sup>3</sup> د/خالد كبير علّال ، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتاب هالمقدمة ، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1432هـ/2011م، ص126 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص36 .

<sup>5</sup> د/ خالد كبير علّال، مرجع سابق، ص127 .

<sup>6</sup> نفسه، ص128 .

و قول ابن خلـدون الناس مصدقون في أنسابهم يلزمه تصديق كل أدعياء النسب الشريف ،  
و قد ذكر كثير منهم في كتابه و لم يُسَلِّم لهم بذلك ، فقد قال عن صاحب الزنج إنّه انتحل النسب  
الشريف و ادّعاه و ليس من أهله <sup>1</sup> .

و يعد الدكتور محمد عبد الله عنان من المحدثين الذين أنكروا نسب ابن تومرت الذي ادّعاه  
فقد قال إنّه من المحقق الذي لا يقبل ذرة من الجدل أنّ ابن تومرت بربري الجنس ينتسب إلى هرغة  
و مصمودة<sup>2</sup> ، و قال أيضا : " و نحن نرى في هذه النسبة العربية التي يدعيها ابن تومرت لنفسه إلا  
نحلة باطلة و ثوبا مستعارا أراد به ابن تومرت أن يدعم به صفة المهدي التي انتحلها شعارا لإمامته  
و رياسته الدينية و السياسية"<sup>3</sup> .

و النتيجة التي نصل إليها حول نسب ابن تومرت أنّه نسب يشوبه غموض كبير عملت الرواية  
الموحدية قبل غيرها على تعميقه و لم يستطع المتعاطفون معه إثباته علميا ، و كل ما فعلوه محاولات  
إيجاد مخارج نجدة مبنية على فرضيات زمانية و مكانية عجزت في نهاية الأمر على الجزم بأحقية ابن  
تومرت في النسبة إلى آل بيت النبوة الطاهر .

---

<sup>1</sup> ابن خلدون، العبر، ج4، ص 24 .

<sup>2</sup> محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس " العصر الثالث - القسم الأول عصر المرابطين و بداية الدولة  
الموحدية "، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/1990م، ص 159 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 160 .

**د2 - ادّعاء العصمة :** لم يكتف ابن تومرت بادّعاء المهديونية بل زادها ادعاءؤه العصمة ، و هي في نظر ابن خلدون الفتنة التي حُفظت عنه ، قال في تاريخه : " و لم يحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم " <sup>1</sup> .

و يجمع أهل السنة و الجماعة على وجـوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها و أما السهو و الخطأ فليس من الذنوب فلذلك ساغا عليهم ، و أجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة <sup>2</sup> ، فالعصمة من شروط النبوة و الرسالة و ليست من شروط الإمامة ، و إنّما يشترط في الأخيرة عدالة ظاهرة ، فمتى أقام في الظاهر على موافقة الشريعة كان أمره في الإمامة منتظما ، و متى زاغ عن ذلك كانت الأمة عيارا عليه في العدول به من خطئه إلى صواب أو في العدول عنه إلى غيره <sup>3</sup> .

أما ابن تومرت فإنّه يقول إنّ الإمام لا بد أن يكون معصوما من الفتن و من الجور و من البدع و من الكذب و العمل بالجهل و من الباطل <sup>4</sup> ، و اعتبر ابن القطان عصمة ابن تومرت كرامة من كراماته التي خصه الله بها ، و راح يروي بعض أخبار رحلة عودته إلى المغرب و ما حصل له أثناءها لا سيما عصمته من أهل الإسكندرية و منع أهل المركب من تغريقه و نجاته من صاحب المهديّة <sup>5</sup> ، و الشيعة الإمامية يفسرون العصمة كما قرره المجلسي المتوفى سنة 1111هـ/1699م في قوله: " اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة من الذنوب صغيرها و كبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلا لا عمدا و لا نسيانا و لا لخطأ في التأويل و لا للإسهاء من الله سبحانه " <sup>6</sup> .

و مفهوم العصمة عند ابن تومرت شرحها الدكتور النجار قائلا : " إنّها درجة أقل من العصمة التي يثبتها الشيعة لأئمتهم و التي تتصف بالشمول و الإطلاق ، في حين تتسع عصمة المهدي كما هو راجح لبعض الأخطاء و المعاصي في غير المجالات التي حدّدها ، و يبدو أنّ ما ذهب إليه ابن تومرت من عصمة الإمام ليس إلا تعبيرا عن الشروط التي اشترطها أهل السنة في الإمام ، و لكنّه تعبیر اكتسى صبغة الغلو بفعل القسوة في الأحداث التي أحاطت بابن تومرت في دعوته " <sup>7</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 305.

<sup>2</sup> البغدادي، أصول الدين، ص188 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 307 .

<sup>4</sup> ابن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق و تقديم: د/ عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، ص 297 .

<sup>5</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 91 و ما بعدها .

<sup>6</sup> المجلسي، بحار الأنوار، ج25، ص 211 . نقلا عن: د/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، 1415هـ/1994م، ج2، ص 775.

<sup>7</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص 250.

و إذا رجعنا إلى شروط الإمامة عند أهل السنة نجد الماوردي في الأحكام السلطانية قد جعله سبعة ، و هي العدالة على شروطه - الجامعة ، و العلم المؤدي إلى الاجتهاد في التوازن و الأحكام و سلامة الحواس من السمع و البصر و اللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها ، و سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة و سرعة النهوض ، و الرأي المفضي إلى سياسة الرعية و تدبير المصالح ، و الشجاعة المؤدية إلى حماية البيضة و جهاد العدو، و النسب و هو أن يكون من قریش لورود النص و انعقاد الإجماع عليه<sup>1</sup> .

فليس هناك أي ذكر للعصمة ضمن شروط الإمامة عند أهل السنة ، و هذا ما يناقض كلام ابن تومرت في ادّعاءه العصمة للإمام و التي لم يبين لنا مقصوده منها على وجه الدقة فتركها على الإطلاق فتبقى حينئذ على مفهومها العام ، و مسألة عقدية مهمة كهذه ينبغي التفصيل فيها لا الإجمال كي لا يلتبس الأمر على المسلمين .

---

<sup>1</sup> أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، تحقيق : د/ أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ / 1989م، ص 5.

### د3 - أعمال ابن تومرت :

يقول ابن خلكان أنّه رأى في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب أنّ محمد بن تومرت كان قد اطلع من علوم أهل البيت على كتاب يسمى الجف ر ، و أنّه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس و هو من ذرية رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو إلى الله يكون مقامه و مدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ( ت ي ن م ل ) ، و رأى فيه أيضا أنّ استقامة ذلك الأمـر و استيـلاءه و تمكـنه يكون على يد رجـل من أصحابه هجاء اسمه ( ع ب د م و م ن ) و يجاوز وقته المائة الخامسة ، فأوقع الله في نفسه أنّه القائم بأول الأمر و أنّ أوانه قد أزف<sup>1</sup> .

و حسب هذه الرواية فإنّ ابن تومرت يعتبر من القلائل الذين اطلعوا على كتاب الجفو هذا ، فما هو هذا الكتاب ؟

يقول ابن خلدون في تعريفه : " و اعلم أنّ كتاب الجفر كان أصله أنّ هارون العجلي و هو رأس الزيدية<sup>2</sup> كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، و فيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم و لبعض الأشخاص منهم على الخصوص ، وقع ذلك لجعفر و نظائره من رجالاتهم ، و كان مكتوبا عند جعفر في جلد نقش صغير فرواه عنه هارون العجلي و كتبه و سّمّاه باسم الجلد الذي كتب فيه و صار هذا علما على هذا الكتاب عندهم ، و كان فيه تفسير القرآن الكريم و ما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق ، و هذا الكتاب لم تتصل روايته و لا عرف عينه و إنّما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل "<sup>3</sup> .

و قيل إنّ الجفر عندهم عبارة عن العلم الإجمالي بلـوح القضاء و القدر ، و المحتوى على ما كان و ما يكون كلياً و جزئياً ، و ادعت طائفة أنّ الجفـر علـم يتوارثه أهل البيت و من ينتمي إليهم ، و يتخذ من المشايخ الكاملين و كانوا يكتمون كل الكتمان ، و لا يقف على هذا الكتاب إلا المهدي المنتظر<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلكان، مصدر سابق ، ج5، ص 47.

<sup>2</sup> الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قالوا بجوار إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، و لم يتبرأ زيد من الشيخين ، فلما سمعت شيعة الكوفة بمقالته رفضوه فسموا رافضة ، و مالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول و طعن في الصحابة طعن الإمامية ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص 153 ) .

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 415 .

<sup>4</sup> أبو حامد المقدسي ، رسالة في الرد على الرافضة، تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمان، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م، مقدمة المحقق، ص 83 .



و تعتبر الشيعة الإمامية من أهم فرق الشيعة و أكثرها عددا التي تقول بالجفو و تؤمن به ، فقد روى الكليني - و هو صاحب أهم مصدر للشيعة خاص بالحديث - عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال : " و إنّ عندنا الجفو و ما يدرهم ما الجفر ؟ قال : وعاء من آدم فيه علم النبيين و الوصيين علم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل " <sup>1</sup> .

و روى الكليني أيضا عن أبي العلاء قال : " سمعت أبا عبد الله - يقصدون به جعفر الصادق - يقول : إنّ عندي الجفر الأبيض ، قال : فقلت أي شيء فيه ، قال : زبور داود و توراة موسى و إنجيل عيسى و صحف إبراهيم و الحلال و الحرام و عندي الجفو الأحمر ، قال : السـلاح ، و ذلك إنّما يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل ، فقال له عبد الله بن أبي اليعفور : أصلحك الله أيعرف هذا بنو الحسن ؟ فقال : إي و الله كم يعرفون الليل أنّه ليل و النهار أنّه نهار ، و لكنهم يحملهم الحسد و طلب الدنيا على الجحود و الإنكار و لو طلبوا الحق بالحق لكان خيرا لهم " <sup>2</sup> .

و يقول البغدادي : " إنّ من أعجب الأشياء أنّ الخطابية من فرق الشيعة زعمت أنّ جعفر الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب و سمّوا ذلك الجلد جفرا ، و زعموا أنّه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم " <sup>3</sup> .

و الخطابية من أكثر فرق الشيعة غلوا ، قال في تعريفهم النوبختي : " هم أصحاب أبي الخطاب محمد بن الأجدع ، زعموا أنّه لا بد من رسولين في كل عصر لا تخلو الأرض منهما واحد ناطق و آخر صامت ، فكان محمد ناطقا و علي صامتا ، تأولوا ذلك في قوله تعالى : " ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتَرًا " <sup>4</sup> ، ثم ارتفعوا عن هذه المقالة إلى أن قال بعضهم هي آلهة و تشاهدوا بالزور ، ثم إنّهم افترقوا لما بلغهم أنّ أبا عبد الله جعفر بن محمد لعنهم و لعن أبا الخطاب ، و كان أبو الخطاب يدّعي أنّ جعفرا قد جعله وصيّه من بعده و أنّه علّمه اسم الله الأعظم ، ثمّ ترقى إلى أن ادّعى النبوة ثمّ

<sup>1</sup> الكليني، أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، ج2، ص 634 . نقلا عن : د/ صابر طعيمة، الأصول العقدية للإمام جعفر، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص 182 .

<sup>2</sup> الكليني، أصول الكافي، ج 1، ص 24 . نقلا عن : السيد حسين الموسوي ، الله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2007م، ص 69 .

<sup>3</sup> البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 252 .

<sup>4</sup> سورة المؤمنون، الآية 44 .

ادّعى الرسالة ثمّ ادّعى أنّه من الملائكة و أنّه رسول الله إلى أهل الأرض و الحجة عليهم ، و ذلك بعد دعواه أنّه جعفر بن محمد و أنّه يتصور في أي صورة شاء <sup>1</sup> .

ثمّ يعقب النوبختي بعد أن ذكر اختلاف الخطابية على أنفسهم و أقوالهم المنكرة قائلا : " فهذه فرق أهل الغلو و ممن انتحل التشيع ، و مرجعهم جميعا لعنهم الله إلى المزدكية و الزندقية و الدهرية ، و كلّهم متفقون على نفي الربوبية عن الله الجليل الخالق تبارك و تعالى عن ذلك علوا كبيرا و إثباتها في بدن الخالق ، دليل على أنّ البدن مسكن الله و أنّ الله تعالى نور و روح ينتقل في هذه الأبدان تعالى الله عن ذلك ، إلا إنّهم مختلفون في رؤسائهم الذين يتولّونهم و كلّهم يبرأ البعض من البعض و يلعن بعضهم بعضا" <sup>2</sup> .

فابن تومرت المدعي أنّه المهدي المنتظر قد وقف على كتاب وضعه غلاة الشيعة حسب رواية ابن خلكان و هو كتاب لا يعرفه أحد و لم يره أحد و لم يقرأه أحد من المسلمين ، بل قيل إنّّه لم نقل عليه المرض و أيقن بالموت دعا عبد المؤمن بن علي و أعطاه كتاب الجفر الذي صار إلّهم من قبل الإمام أبي حامد الغزالي <sup>3</sup> .

و بناء على ما تقدّم فإنّه ليس من المستبعد نسبة ابن تومرت إلى الخطابية غـلاة الشيعة ، أو على الأقلّ يصح القول أنّه قد وافق هؤلاء في الإيمان بخرافة الجفر هذه ، و يبقى في حكم المؤكد أنّ ابن تومرت قد استفاد كثيرا من رحلته المشرقية في دراسة أصول فرق الشيعة ، مستفيدا من كل ما من شأنه أن يخدم مشاريعه و أهدافه السياسية ، و هذا بيّن في أولى الخطوات التي خطاها في رحلة العودة إلى دياره ، و هي رجـم بالغيب أصله كتاب لا يوجد إلا في أذهان من اعتقد عقيدة هؤلاء الغلاة من الروافض .

و تنسب إلى ابن تومرت الكثير من أعمال القتل في حق من خالفه بعد ادّعائه المهودية و قد تناقلتها الكثير من المصادر التاريخية ، و من أقدمها المؤرخ الدمشقي المعروف بابن القلانسي ( ت 555هـ/1160م ) المعاصر لابن تومرت في كتابة ذيل تاريخ دمشق ، فقد ذكر عنه أنّه اعتمد الفساد و سفك الدماء و مخالفة الشريعة الإسلامية <sup>4</sup> ، و وصفه ابن أبي زرع بأنّه كان مقداما على

<sup>1</sup> النوبختي، مصدر سابق، ص 52 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 64 .

<sup>3</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 180 .

<sup>4</sup> ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1325هـ/1908م، ص 291 .

الأمر العظام سفاكا للدماء غير متورع فيها و لا متوقف عنها ، يهون عليه سفك دم عالم من الناس في هوى نفسه و بلوغ غرضه<sup>1</sup> .

و أما الشاطبي فقال عنه في الإعتصام : " فلما فرغ من كلامه بادر إليه من أصحابه عشرة فقالوا : هذه الصفة لا توجد إلا فيك فأنت المهدي فبايعوه على ذلك ، و أحدث في دين الله أحداثا كثيرة زيادة على الإقرار بأنّه المهدي المعلوم و التعظيم بالعصمة ، ثمّ وضع ذلك في الخطب و ضرب في السكك بل كانت الكلمة عنده — ثلاثة الشهادتين ، فمن لم يؤمن بها أو شك فيها فهو كسائر الكفار ، و شرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها و هي في نحو ثمانية عشر موضعا ، كترك امتثال أمر من سمع أمره و ترك حضور مواضعه ثلاث مرات و المداينة إذا ظهرت في أحد قتل و أنباء كثيرة<sup>2</sup> " .

و قال أيضا في موضع آخر عن ابن تومرت : " شرع المهدي المغربي الذي خالف به شرع رسول الله ، و قد وضع القتل شرعا معمولا به فجعله عقابا في ثمانية عشر صنفا ذكروا منها الكذب و المداينة ، و أخذهم أيضا بالقتل في ترك امتثال أمر من يستمع أمره و بايعوه على ذلك ، و كان يعظهم في كل وقت و يذكرهم و من لم يحضر أدب فإن تمادى قتل ، و كل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسوط المرة و المرتين فإن أظهر عنادا في ترك الأوامر قتل ، و من داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه أو المقدم عليه قتل ، و كل من يشك في عصمته قتل أو شك في أنّه المهدي المبشر به ، و كل من خالف أمره أمر أصحابه بغزوه فكان أكثر تأديبه الغزو<sup>3</sup> " .

و من المؤرخين الذين رووا أخبار ابن تومرت ابن الأثير الذين ذكر كيفية انتقاله إلى تينمل و استيطانه بها فقال : " إنّ رسل أهلها أتوه بطاعتهم و طلبوه إليهم ، فتوجه إلى جبل تينمل و استوطنه و ألف لهم كتابا في التوحيد و كتابا في العقيدة ، و نهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض و الإقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن ، و هو يحرضهم على قتال عدوهم ، و بنى مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو و جمع ممن معه و يدخل البلد بعد العشاء الآخر ، فلما رأى كثرة أهل الجبل و حصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه ، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ، ثمّ إنّ أمر أصحابه أن يقتلوهم فخرجوا عليهم و هم

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق ، ص 181.

<sup>2</sup> الشاطبي، الإعتصام، ضبط و تعليق و تخريج : مشهور حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، المنامة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م، ج2، ص 81 .

<sup>3</sup> نفسه، ج2، ص 439 .

غارون فقتلوه في ذلك المسجد ، ثم دخل المدينة فقتل من فيها و أكثر و سبي الحرم و نهب الأموال فكانت عدة القتلى خمسة عشر ألفا ، و قسّم المساكن و الأرض بين أصحابه ، و بنى على المدينة سورا و قلعة على رأس جبل عال" <sup>1</sup> .

و هذه الرواية مذكورة بنصها تقريبا في كتاب نظم الجمان لصاحبه ابن القطان وهو من كبار أولياء الدعوة التومرتية و جاءت كما يلي : " إنّ أهل تينملل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي يعلمونه بطاعة زميرة الجبل و أنّ مجيئه عندهم أصلح له و أقرب من تسامع الناس به فرحل إليهم بجميع من أطاعه ، و حصل بتينملل و أكرمه أهلها و أنزلوه في المدينة و أضافوه و أطاعوه و بايعوه ، فرأى من كثرتهم و منعة موضعهم و حسن بلدهم ما راقه ، فكان يخرج إلى الشريعة من خارجها و يجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة فيعظ الناس ، و كانت قبيلة هزيمة يمسكون العدة فقال لهم الإمام يوما : مالكم تمسكون العدة و أصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدّتهم زمانا ، و قد كان الإمام خاف من جهتهم لكثرتهم و منعتهم ، و كوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم ، فوصلوا في بعض الأييام إلى الوعظ دون عدة فما شع—روا إلا و أصحابه الموحدون معهم العدة قد أحاطوا بهم فقتل منهم في ذلك نحو من خمسة عشر ألفا ، و قتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك الي —وم بتينملل و سبي حريمهم و غنمت أموالهم ، فقسمت أرضهم و كرومهم بين الموحدين من أصحابه و أصفى ديارها جوائز لكل جائزة قبيلة" <sup>2</sup> .

و هذه الأعمال تؤكد ما نقله عن الشاطبي من أنّه شرع القتل في نحو ثمانية عشر موضعا ، و هؤلاء الذين قتلهم و عددهم بالآلاف الغالب عليهم أنّهم من المشكّكين في عصمته و في أنّه المهدي ، فلذلك حسب مبادئ ابن تومرت يجب التخلص منهم ، فكانت هذه باكورة أعمال القتل التي بدأت في معاقله و بين أتباعه .

و حسب ابن القطان فإن الفقيه الإفريقي الذي لم يسمّه و هو أحد العشرة أنكر هذا الفعل أي قتل أهل تينملل ، فكان جزاؤه القتل و الصلب لأنّه شك في عصمة الإمام المهدي <sup>3</sup> .

و من أشهر الوقائع التي جرت في أيام ابن تومرت ما يعرف بالميز ، و قد ذكر هذا المصطلح مؤرخ الدولة الموحدية البيّذق و هذا بعد حديثه عن الغزوة التاسعة لسيد المعصوم حيث قال : " ثم أقام أياما عديدة فأكرم الله المهدي بدعوة البشير فأمر بالميجز فكان البشير يخرج المخالفين و المنافقين

<sup>1</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص 197 .

<sup>2</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 139.

<sup>3</sup> نفسه، ص 142.

و الخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب و رأى الناس الحق عيانا ، و ازداد الذين آمنوا إيماناً و ذاق الظالمون النار فظنّوا أنّهم مواقعوها و ملّهم عنها من محيص ، و كان تمييز البشير للخلق من يوم الخميس إلى الجمعة بعد أربعين يوماً ، فمات يومئذ من الناس خمس قبائل بموضع يقال له إيكرون و سنان مات به إيسلد ابن نواه ناين و مات من هنتاندايمتزر كا و مات ابن ماغوس بموضع يقال له إيكرون آيث كوربيت مع أصادن و كدميوّة مشاع تاكوشت ، ثمّ ميّز البشير يريد الغزو على بركة الله تعالى " <sup>1</sup> ، و حصلت هذه المقتلة حسب البيذق دائماً سنة 523هـ/1128م <sup>2</sup> .

فكلام البيذق يشير صراحة إلى أن صاحب الميز أو التمييز هو أبو محمد البشير الونشريسي أحد العشرة السابقين من أصحاب المهدي ، فعبارة أكرم الله المهدي بدعوة البشير أعرض البيذق عن شرحها و قد بيّنها غيره ، و هي حيلها استعملها ابن تومرت ليثبت كرامة لصاحبه الونشريسي ليقوما بعد ذلك باستغلالها للتخلّص من معارضي الدعوة الموحدية ، فقد كان الونشريسي ممّن تهذب و قرأ على الفقهاء و كان جميلاً فصيحاً في لغة العرب و أهل المغرب ، و كان قد التقى ابن تومرت فصحبه ففاوضه فيما عزم عليه من القيام ، فوافق الونشريسي على ذلك أتمّ الموافقة ، فقال له ابن تومرت : أرى أن تستر ما أنت عليه من العلم و الفصاحة ما تشتهر به عند الناس ليظهر ما أنت عليه دفعة واحدة وقت الحاجة فيكون كالمعجزة و الكرامة فنصدق بما نقوله ، ففعل ذلك عبد الله <sup>3</sup> ، فلما كان سنة 519هـ/1125م و خاف المهدي من أهل الجبل خرج يوماً لصلاة الصبح فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب طيب الريح فأظهر أنّه لا يعرفه و قال : من هذا ؟ فقال : أنا أبو عبد الله الونشريسي فلنظروه و حققوا أمره ، فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدي : ما قصتك ؟ قال : إنني أتداني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي و علمني الله القرآن و الموطأ و غيره من العلوم و الأحاديث ، فبكى المهدي بحضرة الناس ثمّ قال له : نمتحن ، فقال : افعل ، و ابتداء يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سُئل و كذلك الموطأ و غيره من كتب الفقه و الأصول <sup>4</sup> فانقاد له كل صعب القياد و عجبوا من حاله ، فقال له ابن تومرت : فعجّل لنا

<sup>1</sup> البيذق، أخبار المهدي، ص 39 . و الواضح أنّ المصطلحات البربرية الواردة آخر هذا النص هي أسماء القبائل التي تمّ قتل أكثرها أيام التمييز.

<sup>2</sup> نفسه، ص 95 .

<sup>3</sup> محمد مقيدش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، تحقيق : علي الزواوي و محمود محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ج1، ص 455 .

<sup>4</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص 198 .

البشرى في أنفسنا و عرفنا أسعداء أم أشقياء ، فقال له : أما أنت فإنك المهدي القائم بأمر الله فمن تبعك سعد و من خالفك هوى<sup>1</sup> .

و خبر الونشريسي يذكره ابن القطان أيضا ممّا يدل على أنّ الرواية هذه ليست من نسج أعداء الموحدين حيث أرخها ابن القطان بسنة 519هـ/1125م ، و تذكر أنّ المهدي زعم أنّه لا يعرف الونشريسي حيث قال : " لما كان عام 519هـ/1125م خرج الإمام المهدي إلى الناس فقال : تعلمون هذا الشيخ البشير ؟ فقالوا له : و من البشير ؟ قال لهم : الونشريسي ، تعلمون أنّه أمّي لا يقرأ و لا يكتب و تعرفون أنّه لا يثبت على آية و قد جعله الله مبشرا لك -م مطلع- على أسراركم ، و هو من آيات الله في هذا الأمر ، فأول كراماته أنّه حفظ القرآن و علمه الركوب ثمّ استعرضه أمامهم فعرضه عليهم في أربعة أيام في كل يوم ربع ، و أجرى أمامهم حصانا أتقن ركوبه غاية الإتقان فاستغربوا أمـره و أعجبهم و صدّقوا ذلك تصديقا قويا ، ثمّ قام المهدي خطيبا فيهم فقال : قال الله تعالى " لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ " <sup>2</sup> ، و قال الله تعالى : " مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ " <sup>3</sup> ، و هذا البشير مطلع على الأنفس محدث و النبي صلى الله عليه و سلم يقول : " إنّ في أمّتي محدثين و إنّ عمر منهم " <sup>4</sup> ، و قد صحبنا أقواما أطلعه الله على ما في نفوسهم من النفاق ، و لا بد من النظر في أمورهم حتى يتمّ المراد من العدل في أحكام هذه البلاد ، فقالوا له : ما أمرت يُمتثل ، فنودي في الناس في جبل المصامدة المطيعين من كان مطيعا لله و رسوله و للإمام المهدي فليقبل ، فكانوا يأتون قبائل قبائل فيعرضون على البشير فيخرج قوما عن يمينه و قوما عن يساره ، فكل من يخرج عن يمينه يزعم أنّه من أهل الجنة و ما خرج عن يساره إلا شك في الأمر و في الإمام المهدي و اتفقت له فيهم عجائب ، منه -أنّه يؤتي برجل فيقول : ردّوا هذا على اليمين فإنّه تائب و قد كان قبل كافرا بهذا الأمـر - ثمّ أحدث البارحة أو اليوم توبة فيقول الرجل : كل ما حدّث به الإمام فهو حق ، و يطلق أهل اليسار و هم يعلمون

<sup>1</sup> محمود مقديش ، مصدر سابق، ج1، ص 460 .

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية 37 .

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية 11 .

<sup>4</sup> حديث صحيح رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمّتي أحد فإنّه عمر " ( البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، حديث رقم 3689، ج3، ص16 ) .

أنّه ليس لهم إلا القتل فلا يفـرّ منهم أحد ، و لكن إذا اجتمع منه كثير قتلهم قرابتهم يقتـل الأب ابنه والابن أبه و الأخ أخاه <sup>1</sup> .

و لخداع الناس و التسليم لمصيرهم فقد استعمل المهدي و الونشريسي حيلة يرويها ابن الأثير كما يلي : " ثمّ قال لهم الونشريسي : إنّ الله قد أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة ، و قد أنزل الله ملائكة إلى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقني ، فسار المهدي و الناس معه و هم يكون إلى تلك البئر و صلى المهدي عند رأسها و قال : يا ملائكة الله إنّ أبا عبد الله الونشريسي قد زعم لكيت و كيت ، فقال من بها صدق ، و كان قد وضع بها رجالا يشهدون بذلك ، فلما قتل ذلك من البئر قال المهدي : إن هذه مطهرة مقدّسة قد نزل إليها الملائكة و المصلحة أن تطمّ لئلا تقع فيه نجاسة أو ما لا يجوز ، فألقوا فيها الحجارة و التراب ما طمّها ، ثمّ نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان فحضروا للتمييز ، فكان الونشريسي يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا ، و إلى الشاب العرّ و من لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه ، فكان عدة القتلى سبعين ألف <sup>2</sup> .

و إذا رجعنا إلى رواية البيهقي التي تقول إن الميز استمر أكثر من خمسة أسابيع و مات من الناس خمس قبائل <sup>3</sup> فلنّ الرقم الذي ذكره ابن الأثير يصبح حينها غير مستبعد ، و لما قتل ابن تومرت من خالفه علم أنّ في الباقيين من له أقارب و أهل قتلوا و أنّه لا تطيب قلوبهم بذلك فجمعهم و بشرهم بانتقال ملك مراكش إليهم و اغتنامهم أموالهم ، فسرّهم ذلك و سلّاهم عن أهلهم <sup>4</sup> .

و نقل ابن الأثير رواية أخرى عن التمييز نسبها لجماعة من فضلاء المغاربة مفادها ما يلي : " إنّ ابن تومرت لما رأى كثوة الشر و الفساد من أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل و قال لهم : إنّكم لا يصلح لكم دين و لا يقوى إلا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إخراج المفسد من بينكم ، فابحثوا عن كل من عندكم من أهـل الشر و الفساد فأنهؤهم عن ذلك و إلا فاكذبوا أسماءهم و ارفعوها إليّ لأنظر في أمرهم ، ففعلوا ذلك و كتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ، ثمّ أمرهم بذلك مرة ثانية و ثالثة ، ثمّ جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرر من الأسماء فأثبتها عنده ،

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 146 و ما بعدها .

<sup>2</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص 199 .

<sup>3</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 38 .

<sup>4</sup> محمود مقديش، مصدر سابق، ج1، ص 460 .

ثمّ جمع الناس قاطبة و رفع الأسماء التي كتبها و دفعها إلى الونشريسي المعروف بالبشير ، و أمره أن يعرض القبائل و يجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال و من عداهم في جهة اليمين ، ففعل ذلك و أمر أن يُكفّ من على شمال الونشريسي فكفّوا و قال : إنّ هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم ، و أمر كل قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم ، فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز" <sup>1</sup> .

و قد تساءل أحد الباحثين عن المقاييس التي اعتمدها الونشريسي بأمر من المهدي للقيام بعمليات التصفية هذه ؟ و هل الأمر يحتاج لإراقة كل الدماء ؟ ليجيب صاحب التساؤل على نفسه بقوله : " و الإطار الذي نرجح اعتماد المهدي عليه إن لم يكن هو بالتأكيد مضمون إطار المرجعية الدينية المبنية على ما أتت به الآية الكريمة " لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ " <sup>2</sup> أو نظيرتها " مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ " <sup>3</sup> ، هذه إذا المرجعية التي انطلق منها المهدي ليؤسس له - ذا الفعل الذي لم يسبقه إليه أحد من قبل " <sup>4</sup> .

و إذا كان الباحث المشار إليه آنفا لم يجد مناصا من إثبات قيام ابن تومرت بالميز و سفكه الدماء مع إيجاد المبررات و المسوغات الشرعية لعمله هذا ، فإنّ الدكتور عبد المجيد النجار المتأثر جدا بشخصية المهدي نفى عنه أعمال القتل هذه جملة و تفصيلا ، و دليله أنّ الباحث في شخصية المهدي و ما كانت تقوم عليه من التقى و الورع و الزهد و التقشف يصعب عليه تصديق تلك الأحداث و الميل إلى تكذيبها ، خاصة و أنّ النقاد المعتدلين الحبيبين بشؤون المغربة مثل عبد الواحد المراكشي و ابن خلدون لم يوردوا تلك الأحداث ، و الأرجح أن تكون تلك المقاتل المنسوبة إليه من صنع الهوى ، إمّا من قبل أولئك المغالين فيه كره - ا و حسدا أو من قبل أولئك المغالين فيه حبا و تعظيما من العامة و ضعفه العقول ظنا منهم أنّه أمر غير قبيح ، بل لعله مستحسن مثلما يصنع بسطاء الصوفية الكرامات المزورة و ينسبونها إلى مشايخهم <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص199.

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية 37 .

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية 179 .

<sup>4</sup> عبد الرزاق أزيك، الميز و الاعتراف في دول -ة الموحدين على عهد المهدي و عبد المؤمن، مجلة أم -ل للتاريخ و الثقافة و المجتمع، منشورات أمل، السنة الثامنة، 1421هـ/2001م، العدد 22- 23، ص 248 .

<sup>5</sup> عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح، ص ص71- 72 .



و يزيد الدكتور ابن تومرت مدحا و إطرء موضحا لنا شيئا من زهده و ورعه قائلا : " و كان يمكن أيضا و قد تكاثر أنصاره و تقاطر عليه المؤيدون و الأتباع من كل فج عميق أن ينعم بشيء من الراحة و يظفر بشيء من النعيم الديني-وي و لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، و ظل طيلة عشر سنوات في إعـداد مستمر للثورة و تحفز دائم للمواجهة مع تقلل شديد في المأكل و المشرب ، و هو ما يقوم شاهدا على أنّ الرجل كان يؤمن خالص الإيمان بأنّه صاحب قضية حق ، هي إظهار الدين كما حصلت صورته في ذهنه بعد تعلمه بالمشرق " <sup>1</sup> .

و مواصلة لحملة الدفاع عن ابن تومرت يقول الدكتور النجار : " و أمّا ما روي عن المخـاريق و طرق الخداع ، فإننا إذا عرضناها بما وصفناه آنفا من صفة الإخلاص أصبح لا مناص من التسليم بأحد أمرين ، إمّا أن تكون صادقة فيؤدي ذلك إلى انطفء صفة الإخلاص و ثبوت الغش و الخداع ، و إمّا أن تكون من وضع المتحاملين و تزيـيدات بعض المؤرخـين فيؤدي إلى ثبوت الإخـلاص و الصدق ، و ليس من الغريب أن يسلك المهدي في سبيل جلب الأنصار بعض الحيل السياسية التي تتنافى مع الشرع ، و أن يعتمد في ذلك على براعته الخطابية و قدرته على التأثير مستغلا بساطة القوم و عصبيتهم القبلية ، أمّا أن يؤول الأمر إلى التمويه الفظيع الخارق للشرع فيرجح أنّه من مبالغات المؤرخين المناوئين للحركة الموحدية المتحاملين عليها إمعانا في تهجيتها و الطعن في أسسها ، خاصة و أنّ هذه الشناعات لم يوردها في صيغة التصديق بها إلا مؤرخون معروفون بمناهضة الدعـوة — الموحدية و بالأخص ابن عذارى و ابن الأثير و ابن أبي زرع أو من نقل عنهم ، فلا يستبعد أن يكون هؤلاء قد تساهلوا في نقلها دون عرضها على محك النقد لما تصادف في نفوسهم من ميل عن دولة الموحدين " <sup>2</sup> .

و الخطأ الوحيد الذي عدّه الدكتور النجار في تجربة ابن تومرت هو ادّعاؤه المهدوية و هذا لا سبيل لنفيه فقد أكّده كل المصادر الموالية و المعادية للموحدين ، و كعادته يحاول تبرير هذا الفعل بقوله : " فانتحال صفة المهدي المبرّظر في نطاق المنهجية السياسية قد يدرج في باب الذكاء و الحنكة السياسية ، و لكنّه بمعيار السياسة الشرعية يبقى عملا مجافيا للحق و يعتبر أحد أخطاء التجربة ، و إذا كنا لا نشك في أنّ المهدي لم يفعل ذلك لغاية شخصية إذ هو زاهد في الدينيـا و متاعها ،

<sup>1</sup> نفسه، ص 136 .

<sup>2</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص ص137- 138 .

و إنما فعله بغية تحقيق الأهداف النبيلة لمصلحة المجتمع ، فإن القـاعـدة الذهبية الغاية لا تبرر الوسيلة تبقى هي الفاصل في معايرة مثل هذه التصرفات " <sup>1</sup> .

لقد كان الأجدد بالدكتور أن يجعل السياسة الشرعية هي الفاصل في الحكم على أعمال ابن تومرت خاصة و أنه اعترف أن انتحال صفة المهدي عمل مجاف للحق و أنه خطأ ، و هذا الإنتحال هو أساس دعوة ابن تومرت فهي إذا بالمفـهـوم الشرعي دعـوة باطلة ، و ما بني على باطل فهو باطل ، و أضاف إليه — انتحال المهديوية — ادعاء العصمة و التي هوّن من شأنهـا ابن خلدون و اعتبرها فلتة بينما في حقيقة أمرها أكبر من ذلك بكثير فالعصمة انقطعت بانقطاع النبوة ، و أحاديث المهدي على كثرتها لم يأت فيها حديث واحد يذكر عصمة المهدي في مصادر أهل السنة ، و لكنّها الحنكة السياسية و الذكاء و لكن ليس بمعيار السياسة الشرعية التي لا يلتزم به الساعون إلى الوصول إلى الحكم إذا كانت عائقا في طريقهم ، أمّا بمعيار السياسة الباطنية إن صح التعبير التي لا تعترف بظاهـر الشرائع يمكن أن نصوّب دعـوة ابن تومرت و أعماله ، فلقد استفاد من الباطنية تلك الصرامة التي لم تكن تتورع في إراقة الدماء و إزهاق الأرواح آخذة بالظنة و مستعملة تلك الحيل التي كان يستعملها الحشّاشون <sup>2</sup> في المشرق ، و كان ابن تومرت قد خبر شؤونهم حين كان بالمشرق فسمع عنهم أو اتصل بهم ، إذ كانوا منبثين آنذاك في كل مكان <sup>3</sup> .

و الكلام عن إخلاص ابن تومرت ليس هذا محله ، و هذه من الأمور القلبية التي لا يعلمها إلا الله ، و من ثمرات الإخلاص الصدق في القول و العمل و الظاهر في سيرة ابن تومرت طلب السلطان طلبا حثيثا و السعي إليه أشدّ السعي ، و في سبيله لم يتردد في تكفير مخالفه من المسلمين و قتلهم و تشريدهم ، فإذا نفى الدكتور عنه القتل و سفك الدماء بحجة الإخلاص ، فهل بإمكانه نفي تكفير ابن تومرت للمرابطين و استباحة دمائهم ؟ و هل يعلم الدكتور ما يترتب عن التكفير من أحكام ؟ و الشيء المؤكد أن ابن تومرت كان مخلصا لمشروعه السياسي تمام الإخلاص ، و ما سوى ذلك فلا يعلمه إلا الله سبحانه .

<sup>1</sup> عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح، ص 134 .

<sup>2</sup> الحشّاشون : طائفة إسماعيلية نزارية مشرقية ، انشقت عن الفاطميين لدعوة إلى إمامة نزار بن المستنصر بالله و من جاء من نسله ، أسسها الحسن بن الصباح المتوفي سنة ( 518هـ / 1124م ) الذي اتخذ قلعة ألموت في فارس مركزا له ، و قد تميّزت هذه الطائفة باحتراف القتل و الاغتيال لأهـل داف سياسية و دينية متعصبة ( د/ مانع بن حماد الجهني، مرجع سابق، ج 1، ص 403 ) .

<sup>3</sup> محمد بن تاريت، مبادئ التشيع في الأدب الموحدي ، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، السنة الثامنة، شوال 1384هـ/ فيفري 1965م، عدد 4، ص 92 .

و أخبار الميز أو التمييز نقلها مؤرخو الدولة الموحدية قبل غيرهم و لم يجدوا حرجا في ذكره —  
و أوردوها بصيغة التصديق و قد عمدت إلى ذكرها كلّها كما وردت ، لا كما زعم الدكتور أنّ هذه  
الأعمال التي وصفها هو نفسه بالشناعات لم يوردها في صيغة التصديق بها إلا مؤرخون معروفون  
بمعادة الدعوة الموحدية ، فكل من يقرأ كتب البيذق و ابن القطان و من والاهما لا يشك مطلقا في  
أنّهم من المصدّقين تمام التصديق بما أقدم عليه ابن تومرت من أعمال قتل و سفك للدماء ، و أمام  
هذه الحقائق تنازل الدكتور قليلا مدعيا بأنّ المقاتل المنسوبة إلى ابن تومرت قد يكون مصدرها أولئك  
المغالين فيه حبا و تعظيما من العامة و ضعفه العقول<sup>1</sup> ، فإذا كان البيذق أحد أخلص أتباع المهدي  
ثمّ ابن القطان الموالي أشدّ الولاء للدعوة الموحدية من العامة و ضعف العقول ، فإذا كانا على هذه  
الصفة فإنّ من زرع فيهم — هذا الضعف هو ابن تومرت نفسه الذي نصّب نفسه هاديا مهديا  
معصوما ، و جعل كل من لم يؤمن به على هذه الحال و الصفة كافرا حلال الدم و المال ، فغرس في  
نفوس أتباعه محبته و تعظيمه ، و من تعظيمه تبرير أعماله و ادّعاءاته و إن كانت مخالفة للشرع لا  
يشك في ذلك من كانت له أدنى دراية بشرعية الإسلام الظاهرة الطاهرة .

و أما الادعاء بأنّ المؤرخين المعتدلين الخبيرين بشؤون المغربة مثل عبد الواحد المراكشي و ابن  
خلدون لم يوردوا تلك الأحداث<sup>2</sup> و أنّهما يعتبران من أكثر المؤرخين اعتدالا في موقفهما من  
الموحدين<sup>3</sup> ، يلزم مدعيه ردّ كل أخبار تاريخ بلاد المغرب التي جاءت في غير كتب هذين المؤرخين عن  
الدولة الموحدية و هذا لا يقول به أحد ، إضافة إلى هذا فليقّ ابن خلدون موقفه ليس معتدلا تجاه  
الموحدين بل هو أشدّ المدافعين عن عقيدتهم و زعيمهم فقد قال في المقدمة : " و يلحق بهذه  
المقالات الفاسدة ما يتناوله ضعفه الرأي من فقهاء المغرب من القدرح في الإمام المهدي صاحب دولة  
الموحدين و نسبته إلى الشعوذة و التلبيس فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق و النعي على أهل البغي  
قبله و تكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك حتى فيم — يزعم — الموحدون أتباعه من انتسابه في أهل  
البيت ، و إنّما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في نفوسهم من حسد على شأنه ، فليتهم لما رأوا  
من أنفسهم مناهضة في العلم و الفتيا و في الدين بزعمهم ، ثم امتاز عنهم بأنّه متبوع الرأي مسموع  
القول نفسوا ذلك عليه و غضوا منه بالقدرح في مذاهبه و التكذيب لمدعياته " <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح، ص 72 .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>3</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص 137، هامش 22 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 35.

و يبالغ ابن خلـدون في مدح ابن تومرت و يرفعه إلى مراتب عـالية من الزهد و الصـورع فيقول : " فنأدى في قومه و دعا إلى جهاد لم يقفه بنفسه فاقتلع الدولة من أصولها و جعل عاليها سافلها ، و هو بحالة من التقشف و الحصر و الصبر على المكاره و التقلل من الدنيا حتى قبضه الله و ليس على شيء من الحظ و المتاع في دنياه ، حتى الولد الذي ربما تجنح إليه النفوس و تخادع عن تمنيه فليت شعري ما الذي قصد بذلك إن لم يكن وجه الله ، فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره و انفسحت دعوته " <sup>1</sup> .

و من فرط تحيز ابن خلدون لابن تومرت و إعجابه به نسب إليه أعمالا مات دونها ، و لعل أهمها أنه هلك و لم يقو عيناه بدخول مراكش و القضاء على دولة المرابطين ، و هذه حقيقة تاريخية لا ينزع فيه أحد ، فمتى إذا اقتلع ابن تومرت الدولة المرابطية من أصولها و جعل عاليها سافلها ؟ و سبق أن ذكرت أن ابن خلدون لم ينقم على ابن تومرت شيئا إلا إدعائه العصمة التي عبر عنها بالفلق.

و أما عبد الواحد المراكشي الموحي المولد و النشأة و الذي عمل في خدمة أمراء الموحدين <sup>2</sup> فيقول في شأن ابن تومرت كلاما يرفعه به إلى م راتب عالية ، فهو حسبه في كل ما يريد لا يتعذر عليه مراد و لا يمتنع عنه مطلوب ، قد سخرت له الرعية و دلت له الجبابة <sup>3</sup> .

و حاول المراكشي و إن لم يذكر أحداث التمييز صراحة أن ينسب ظاهرة سفك الدماء المنتشرة عند المصامدة إلى فطرتهم المبحولة عليهم لا إلى ابن تومرت حيث قال : " و لم نزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر و فتنتهم به تشدد و تعظيمهم له يتأكد إلى أن بلغوا في ذلك إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبـادر إلى ذلك من غير إبطاء ، و أعانهم على ذلك و هوّنه عليهم ما في طباعهم من خفه سفك الدماء عليهم ، و هذا أمر جـلبت عيه فطرتهم و اقتضاء ميل إقليمتهم " <sup>4</sup> ، ثم قال : " و أما خفه سفك الدماء فقد شهدت أنا منه أيام كوني بسوس ما قضيت منه العجب " <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 36 .

<sup>2</sup> د/ عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل عصر الطوائف الثاني "510-546هـ/1116-1151م تاريخ سياسي و حضاري"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص 30 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 139 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 143 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 144 .

فقول عبد الواحد المراكشي عن المصامدة لو أمره أحدهم بقتل أخيه أو أبيه أو ابنه لفعل يقودنا إلى رواية ابن القطان حول التمييز ، و فيها أنه إذا اجتمع من أهل البيت كثير قتلهم قرابتهم ، يقتل الأب ابنه و الابن أباه و الأخ أخاه<sup>1</sup> ، و الفرق بين كلام الرجلين أن المراكشي ألمح إلى التمييز و سفك الدماء عند الموحدين بينما لم يتردد ابن القطان بالتصريح بها دون أدنى مواربة .

فكيف يكون المراكشي و ابن خلدون معتدلين في حديثهم عن ابن تومرت و ظاهر كلامه م و باطنه دفاع عن الموحدين و مهديهم المعصوم ؟

و فيما ذكرناه من سيرة محمد بن تومرت ، و أوله الحديث عن نسبه الذي لم يستطع مناصروه إثباته ، ثم أعماله التي أراد من خلالها أن يقيم لنفسه دولة يكون هو على رأسها ناسبا لنفسه الهداية و العصمة ، و ما أعقب ذلك من سفك الدماء بدءا ممن شك فيه من قومه و أتباعه و وصولا إلى أعدائه المرابطين ، و التي حاول المدافعون عنه و المتأثرون بشخصه كابن خلدون من القدماء و عبد المجيد النجار من المحدثين أن ينفوها عنه بحجة إخلاصه و تدينه ، كلها أعمال لا توافق أعمال المهدي المنتظر الذي لم يظهر بعد .

و مما يزيد دعوى ابن تومرت الهداية وهنا أن بعض خلفاء عبد المؤمن كانوا يرتابون في أمرها و منهم الخليفة أبو يوسف المنصور<sup>2</sup> ، الذي خرج حسب رواية عبد الواحد المراكشي الذي يعد في نظر الدكتور النجار من أكثر المؤرخين اعتدالا في موقفه من الموحدين<sup>3</sup> إلى تينملل للزيارة و معه الغز الأتراك الذين وردوا إلى المغرب من مصر في أول ولاية أبي يوسف ، فقعدوا تحت شجرة خروب مقابلة للمسجد ، و قد كان ابن تومرت قال لأصحابه فيما قاله لهم و وعدهم به ليبصرن منكم من طالت حياته أمراء أهل مصر مستظلين بهذه الشجرة قاعدين تحتها ، فلما جلس الغز على الصفة المتقدمة تحتها كان ذلك اليوم في تينملل يوما عظيما ، اتصل التكبير من كل جهة و جاء النساء يولولن و يضربن بالدفوف و يقلن ما معناه صدق مولانا المهدي نشهد أنه الإمام حقا ، فأخبرني من رأى

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 148.

<sup>2</sup> أبو يوسف المنصور : يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ثالث خلفاء الموحدين ، ولد بمراكش سنة 554هـ/1158م ، أمه أم ولد تسمى سحر ، بويع له في حياة أبيه و كانت سنه يوم صار الأمر إليه عام 580هـ/1184م اثنتين و ثلاثين سنة ، أمر بنيد كتب الفروع و حرقها ، خرج في أيامه ابن غانية فاستولى على بجاية فخ-رج إليه بجيش ضخم فهزمه سنة 583هـ/1187م ، و انتصر على النصارى في الأندلس في موقعة الأرك الشهيرة سنة 591هـ/1194م ، توفي سنة 595هـ/1198م ( عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 192 . ابن خلكان، مصدر سابق، ج 7، ص 3 . الزركشي، مصدر سابق ، ص 15. الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص 203 ) .

<sup>3</sup> عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص137، هامش 22 .

أمير المؤمنين أبا يوسف حين رأى ذلك يتسم استخفافاً لعقولهنّ لأنّه لا يرى شيئاً من هذا كلّه ،  
و كان لا يرى رأيهم في ابن تومرت<sup>1</sup> .

و لم يتردد المنصور في الطعن بعصمة ابن تومرت تصريحاً ، فيروي عبد الواحد المراكشي عن  
شيخ وصفه بالشيخ الصالح و اسمه أحمد بن إبراهيم بن مطرف المرّي قال له و هما بحجر  
الكعبة : " قال لي أمير المؤمنين أبا يوسف : يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز و جل أني لا  
أقول بالعصمة "<sup>2</sup> ، فالخليفة الموحي المنصور بموقفه هذا يطعن في المهدي و لا يؤمن بما جاء به من  
تعاليم و إن لم يشتهر هذا الموقف عنه .

في حين لم يتردد الخليفة الموحي الآخر المأمون<sup>3</sup> في الطعن في المهدي و في عصمته  
و في مذهبه ، فلمّا بايعه الموحدون كافة صعد المنبر بجامع المنصور و خطب للناس و لعن  
المهدي و قال : " يا أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم و ادعوه بالغوي المذموم فإنّه لا معصوم  
إلا الأنبياء و لا مهدي إلا عيسى و إنا قد نبذنا أمره النجس " ، ثمّ نزل فكتب إلى جميع بلادته بتغيير  
سيرة المهدي و ما كان ابتدعه الموحدون و جرى عليه عملهم و سير ملوكهم ، و أمر بإسقاط اسم  
المهدي من الخطبة و إزالته عن الدنانير و الدراهم و دُرّ الدراهم المركنة التي ضربها المهدي ، و قال  
كل ما فعله المهدي و تابعه عليه أسلافنا فهو بدعة و لا سبيل لإبقاء البدع<sup>4</sup> ، و منها قطعه النداء  
بعد الصلاة و النداء عليها بتأصّلت الإسلام و هي إقامة الصلاة باللسان البربري ، و كذلك  
سؤدود و ناردي و أصبح و لله الحمد و ما أشبه ذلك مما كان عليه العمل من أول دولة الموحدين<sup>5</sup> ،  
و في رسالته الموجهة للموحدين يذكر المأمون أنّ المنصور همّ أن يصدع بما صدع به فلم يساعده  
لذلك أجله<sup>6</sup> ، و هذا من أهم الأدلة على بطلان دعوى الهداية التي نسبها ابن تومرت لنفسه ،

<sup>1</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص ص 211-212 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 212 .

<sup>3</sup> المأمون : إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، بويغ سنة 624هـ/1226م ، ثمّ عدل عنه الموحدون إلى ابن عمّه يحيى  
بن الناصر ، فاستعان بنصارى الأندلس و دخل مراكش و قتل شيوخ الموحدين الذين نكثوا بيعته و كثرت الثورات في عهده ،  
توفي المأمون سنة 629هـ/1229م ( مجهول، الحلل الموشية، ص 123 . الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص 281 ) .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 251 .

<sup>5</sup> ابن عذارى، البيان المغرب "قسم الموحدين"، تحقيق : محمد الكتاني و محمد بن تاويت و محمد زنير و عبد القادر زمامة،  
دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1985م، ص 286 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 287 .

فبعض خلفاء عبد المؤمن كانوا سبّاقين قبل غيرهم إلى التشكيك فيها و نبذها قبل أن يحى رسم الدولة الموحدية التومرتية المؤمنية .

و تكاد تجمع المص — ادر التاريخية على أن وف — اة محمد ابن تومرت كانت سنة 524هـ/1129م<sup>1</sup> ، و وافق ابن خلدون ابن القلانسي فقالا إنّه توفي سنة 522هـ/1127م<sup>2</sup> ، فكنتم أصحابه وفاته و بايعوا عبد المؤمن بن علي بيعة السر<sup>3</sup> و دولة المرابطين لا تزال قائمة و دولة ابن تومرت لم ترفع لها راية بعد في هذه السنة ، و مات قبل أن يجني ثمار معجزاته كما ذكر أحد الباحثين الأجانب<sup>4</sup> ، فكيف يكون ابن تومرت إماما مهديا و لم تقم له دولة في المغرب الأقصى و لا تكاد سلطته قبل وفاته تتعدى مناطق جبال المصام — دة ؟ و أين هي الأرض التي م — لأها ع — دلا و قسطا ؟ و هل بايعه عامة المسلمين ؟ و هل ظهر المسيح الدّجال في زمانه ؟ و هل نزل عيسى عليه السلام و صلى خلفه ؟ الأكيد أن كلّ هذا لم يحدث .

و حسب أحد الباحثين فإنّ ادّعاء ابن تومرت المهدية و العصمة كانت أوهاما نفسية أراد بها السيطرة على عقول العامة من الناس فلحق الأساطير و الأكاذيب مع أصحابه فتّم له خداع الناس ، و إنّه لا يبالي أن يكذب و يزيّف الأحاديث النبوية ، و كان قليل الإكتراث بالدماء فعرض الكثير للقتل دون مبرر<sup>5</sup> .

و آخر ما يمكن أن يقال في هذا السياق أنّه إذا كان مهدي الشيعة الإسماعلية عبید الله قد قامت له قائمة و ملك الأرض و ظهرت له دولة امتدت مغربا و مشرقا و علت رايتهما و انتظم سلطانها فإنّ مهدي الموحدين لم يشهد شيئا من هذا ، و مع ذلك يصير أتباعه على وصفه بالإمام المهدي المعصوم ، و لو كانوا على قليل من الذكاء و الحنكة السياسية لسحبوا دعوى الهداية منه و نسبوه — لعبد المؤمن بن علي الذي مكّن لدعوة إمامه و أقام دولته و هزم أعداءه و بسط سلطانه و نفوذه على كامل بلاد المغرب و ما بقي من أرض الأندلس ، فإذا صحت دعوى المهدوية في الموحدين فالأولى بها عبد المؤمن بن علي و ليس ابن تومرت ، و كلاهما عنها بعيد نقلا و عقلا .

<sup>1</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص43 . ابن القطان، مصدر سابق، ص167 . ابن أبي زرع ، مصدر سابق، ص181 .

<sup>2</sup> ابن القلانسي، مصدر سابق، ص292 . ابن خلدون، العبر، ج6، ص305 .

<sup>3</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص170 .

<sup>4</sup> James Darmesteter, op.cit, p56 .

<sup>5</sup> د/عبد الكريم خيطان، المهدوية و العصمة و أثرهما على خلفاء الموحدين ، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد1، محرم-صفر1428هـ/آذار مارس2007م، ص166 .

#### 4- مهديو المغرب و الأندلس المغمورون :

##### أ- مهديو المغرب المغمورون :

يعتبر صالح بن طريف من الأوائل الذين ادّعوا المهديوية في ب —لاد المغرب إلى جانب ادّعائه النبوة ، فقد زعم أنّه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال و أنّ عيسى بن مريم يكون من أصحابه و يصلي خلفه و أنّه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا<sup>1</sup> ، و هذه الدعوى لم يعرف بها صالح بن طريف كثيرا لأنّه اشتهر عنه دعواه النبوة أكثر فمقامه ارفع و أجل .

و زعم أحد الباحثين الأجانب و اسمه غارسيا أرينال (Garcia Arénal) أنّ إدريس بن عبد الله انتحل المهديوية ، و أشار إلى قطعة نقدية تعود إلى سنة 197هـ/812م تحتوي على العبارات التالية محمد رسول الله و المهدي هو إدريس بن إدريس<sup>2</sup> ، و لا يخفى في المصادر التاريخية -في حدود ما اطلعت عليه- أنّ الأدارسة التفت نسبهم الشريف أنّهم ادّعوا المهديوية<sup>3</sup> .

و في سنة 299هـ/911م أظهرت كتامة الخلاف على عبيد الله الشيعي و قدّموا على أنفسهم حدثا يعرف بالمارطي و اسمه كادو بن معارك و جعلوه قبلة يصلون إليه و زعموا أنّه المهدي المنتظر، و كتبوا كتابا فيه شريعة زعموا أنّها نزلت عليه فقوي أمره و اشتدت شوكته ، فأخرج إليه عبيد الله ابنه أبا القاسم لمحاربته<sup>4</sup> ، فهزم كتامة و قتل منهم خلقا عظيما و أناب إليه عامتهم ، فأمنهم و أخذ الغلام الذي نصبوه و قتله<sup>5</sup> . و في عهد الخليفة المنصور العبيدي و عندما خرج لقتال أبي يزيد<sup>6</sup> ثار بالأوراس غلام أمرد ادّعى أنّه القائم بالحق و كان من أهل القيروان و كان ينظر في كتب الصوفية ، و تمكن جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة<sup>7</sup> من القبض عليه في أحد الحصون مع عدد من

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص 135 .

<sup>2</sup> غارسيا أرينال، المهديوية و تبيان المقال فيما بين التصوف و الشرف في المغرب من اتصال "المهدي المنتقد"، ترجمة: د/ عبد العزيز بل الفايدة و د/ محمد لغراب، ندوة السلطة و الفقهاء و المجتمع في تاريخ المغرب، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، القنيطرة، 1434هـ/2013م، ص 404 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 210 . ابن خلدون، العبر، ج4، ص 16 . ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 15 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 166 .

<sup>5</sup> القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 324 .

<sup>6</sup> أبو يزيد : مخلد بن كيداد الخارجي المعروف بصاحب الحمار، خرج بناحية أوراس و تلقب بشيخ المؤمنين ، سيطر على القيروان سنة 333هـ/944م و حقق عدة انتصارات في عهد القائم ، و في أيام المنصور أعاد الكرة عليه فهزمه و قتله سنة 336هـ/947م ( ابن حماد، مصدر سابق، ص 29 و ما بعدها ) .

<sup>7</sup> المسيلة : مدينة بالمغرب تسمى الحمدية اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة 315هـ/927م و هو يومئذ ولي عهد أبيه ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 130 ) .



أتباعه و سلّمه إلى المنصور الذي أمر بسلخه حيا و حشا جلده قطنا و جعله في تابوت ، و كان يصلبه في كل موضع يحل به ، و قطع أيدي أصحابه و أرجلهم و صلبهم<sup>1</sup> .

و بظهور دعوى ابن تومرت و انتشارها في أرجاء بلاد المغرب في القرن السادس الهجري تبعه آخرون في هذا الشأن و ادّعوا ما ادّعاه من الهداية ، و من هؤلاء محمد بن عبد الله بن هود خرج بناحية سوس و هو ثائر من سوقة سلا تلقب بالهادي و ظهر في رباط ماسة ، فأقبل إليه الشّرّاد من كل جانب و انصرفت إليه وجوه الأغمار من أهل الأفاق ، و أخذ بدعوته أهل سلجماسة و درعة و قبائل دكالة و ركراكة و قبائل تامسرت و هواره و فشت ضلالته في جميع المغرب ، فسرّح إليه عبد المؤمن عسكريا من الموحيدين فهزموا ، فسرّح إليه الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى و أشياخ الموحيدين فنهضوا إلى رباط ماسة ، و برز إليهم الثائر في نحو ستين ألفا من الرجال وسبعمئة من الفرسان فهزمهم الموحدون و قتل داعيتهم في المعركة مع كثرة أبتلعه ، و ذلك في ذي الحجة سنة 541هـ/ماي 1147م<sup>2</sup> .

و ظهر في بلاد جزولة<sup>3</sup> عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن الفرس من طبقة العلم —اء بالأندلس و يعرف بالمهر ، و كان حضر مجلس يعقوب المنصور الخليفة الموحيدي و تكلم بما خشي عاقبته و خرج من المجلس فاختلف مدة ، و بعد وفاة المنصور انتحل الإمامة و ادّعى أنّه القحطاني المراد في قوله صلى الله عليه و سلم : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملأها عدلا كما ملئت جورا"<sup>4</sup> ، و كان ممّا ينسب إليه من الشعر:

<sup>1</sup> ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص 37

<sup>2</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 310.

<sup>3</sup> جزولة : يدرجهم بعض النسابين و المؤرخين في مصمودة لقرب مواطن الفريقين ، فقد كانت مصمودة تسكن جبال درن و جزولة تسكن قريتهم بإقليم سوس و بجهاته كانوا يظعنون حتى زاحمهم به عرب المحقل و غلبوهم عليه بعد حروب ، فصارت جزولة خولا و أحلاف، و جزولة إخوة صنهاجة لأم ( عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ج1، ص 331 ) .

<sup>4</sup> الحديث أصله في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه" ( البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر قحطان ، حديث رقم 3517، ج2، ص 507 ) .

قال ابن حجر في الفتح : " و هذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه و لم يقع بعد" ، ثم ذكر آثار مفادها أنّ القحطاني يكون بعد المهدي ثم قال : " فإن ثبت فهو يكون في زمن عيسى بن مريم و استشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه و الأمر إنّما لعيسى؟ و يجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائبا عنه في أمور مهمة عامة" ( ابن حجر، فتح الباري، ج6، ص 546 ) .

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجلل  
قد جاء سيّد قحطان و عالمه- و منتهى القول و الغلاب للدول  
و الناس طوع عصاه و هو سائقهم بالأمر و النهي بحر العلم و العمل  
و بسادروا أمـره فالله ناصره و الله خـاذل أهـل الزيغ و الميل

فبعث الناصر<sup>1</sup> إليه الجيوش فهزموه و قتل ، و سيق رأسه إلى مراکش فنصب بها<sup>2</sup> .

و في مطلع القرن السابع الهجري و في أول عام 600هـ/1203م قام رجل يقال له العبيدي بجبال ورغة من أحواز مدينة فاس و ادّعى أنّه الفاطمي المهدي الذي ينتصر للإسلام و يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، فتابعه كثير من قبائل المغرب و بواديه و جميع جبال غمارة ، فظفر به و حمل رأسه إلى الناصر ، فأمر أن يهرد إلى مدينة فاس و يُعلق رأسه على بابها ، فعلق على باب الشريعة و أحرق جسده في وسط الباب المذكور بعد أن صلب خمسة عشر يوماً ، و كان حرقه في اليوم الذي تمّ فيه سور المدينة المذكورة بالتجديد و البناء و الإصلاح و ركبت مصارعه ، فسُمي به باب المحروق لأجل حرق العبيدي في وسطه يوم تمامه<sup>3</sup> .

و سمّاه الناصري في الاستقصا محمد بن عبد الله بن العاضد ، و العاضد<sup>4</sup> هو آخر خلفاء الشيعة في مصر، ثمّ ثار في سنة 610هـ/1213م ولد محمد بن عبد الله هذا بجبال غمارة و ادّعى أنّه الفاطمي و تابعه خلق كثير من أهـل الجبل و البادية ، فبعث إليه الناصر جيشاً فظفر به و قتل<sup>5</sup> .

و يذكر ابن خلدون الخبر عن ظهور الدّعي أبي عمارة و اسمه أحمد بن مرزوق من بيوتات بجاية الطارئین عليها من المسيلة ، نشأ به و كان يحدث نفسه بالملك لما كان يزعم أنّ العارفين يخبرونه

<sup>1</sup> الناصر: أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، بويغ يوم وفاة والده سنة 595هـ/1199م و تلقب بالناصر لدين الله ، و في أيامه كانت و قع العقاب المشهورة في الأندلس سنة 609هـ/1212م و عاد بعدها إلى مراکش ، توفي الناصر سنة 610هـ/1213م ( الزركشي، مصدر سابق، ص 17 . الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 145 ) .

<sup>2</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص336 .

<sup>3</sup> ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولـة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1392هـ/1972م، ص 38 .

<sup>4</sup> العاضد : أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر صاحب مصر خاتم الدولة العبيدية ، ولد سنة 546هـ/1151م ، و كان وزيره شاور السعدي فتغلّب عليه فاستدعى العاضد شريكه فتمكن من قتل شاور فتولى الوزارة ، غير أنّه توفي و خلفه ابن أخيه صلاح الدين الذي أنهى الحكم العبيدي و خطب لبني العباس ، توفي العاضد سنة 567هـ/1171م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص 207 . ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص 77 ) .

<sup>5</sup> الناصري، مصدر سابق، ج2، ص195 .

بذلك ، ثمّ اغترب عن بلده و لحق بصحراء س جلماسة و اختلط بعرب المعقل و انتمى إلى أهل البيت و ادّعى أنّه الفاطمي المنتظر و أنّه يحيل المعادن إلى الذهب بالصناعة ، فاشتملوا عليه و حدّثوا بشأنه أياما ، ثمّ لما زه —دوا فيه لعجز مدّعاه ذهب حتى رحل إلى جهات طرابلس و تفاقم أمره بها و دخل الكثير في طاعته ، ثمّ دخل تونس و استكمل بها ألقاب الملك و قسّم الخطط بين رجال الدولة بعد أن طرد السلطان الحفصي أب إسحاق بن أبي زكريا في شوال سنة 681 هـ / جانفي 1283 م ، و لما وصل الأخير إلى بجاية في ذي القعدة سنة 681 هـ / فيفري 1283 م خلعه —ه ابنه أبو فارس و دعا الناس إلى بيعته فبايعوه و تلقب بالمعتمد على الله ، و خرج من بجاية زاحفا إلى الدّعي الذي لما بلغه خبر استبداد الأمير أبي فارس على أبيه و استعداده للقائه تقبض على أهل البيت الحفصي فاعتقله —م ، و خرج من تونس في صفر 682 هـ / ماي 1283 م فأنته —ى إلى مرماجنة<sup>1</sup> ، و التقى الجمعان فانهزم أبو فارس و قتل في المعركة<sup>2</sup> في 3 ربيع الأول سنة 682 هـ / 31 ماي 1283 م ، ثمّ قطع رأسه و نخبته محلته و أخذت مضاربه و خزائنه و سيق برأسه إلى الدّعي فطيف بها على أطراف الرماح في الأسواق في تونس<sup>3</sup> .

و يخبر ابن أبي دينار في المؤنس أنّ الدّعي الذي خطب له على منابر إفريقية كان سقاكا للدماء خسيسا فاجرا كذابا ، و لما تمادى في جوره و كذبه مقتته الناس و مقتته جنده ، و ظهر المولى أبو حفص بن المولى أبي زكريا<sup>4</sup> و كان قد حضر واقعة مرماجنة مع الدّعي فخلص من المعركة راجلا و نجا إلى قلعة سنان معقل هواره<sup>5</sup> ، فتسامع العرب بمنجاته فأتوه ببيعتهم و قاموا بأمره ، و بلغ ذلك الدّعي فاتهم بطاقته و قتل وجوه دولته ، فتوجع لهم الناس و مقتوه و اضطرب أمره و خرج لقتل الأمير فخذله من معه فانهزم راجعا<sup>6</sup> ، و فرّ بنفسه إلى دار فران أندلسي فدلّت عليه امرأة فأحيط به و ضرب أسواط فاعترف بتدليسه و بنسبه ، و شهد عليه الناس بمحضر القاضي ثم طيف

<sup>1</sup> مرماجنة : قرية إفريقية لهواره قبيلة من البربر، بينه -ا و بين الأريس مرحلة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 5، ص 109 ) .

<sup>2</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 441 و ما بعدها .

<sup>3</sup> الزركشي، مصدر سابق، ص 48.

<sup>4</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 132 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 445 .

<sup>6</sup> أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقي في أمراء إفريقية، مطبعة بيكار و شركائه، تونس، الطبعة الثانية، 1323 هـ / 1905 م، ص 67 .

به على حمار، ثم قطع رأسه فكانت مدّته بتونس سنة و نصف ، و ذلك أواخر ربيع الآخر سنة 683 هـ/جويلية 1284م<sup>1</sup> .

و في آخر سنة 685 هـ/1286م ظهر رجل من بني جميل من صنهاجة في بادس<sup>2</sup> اسمه الحاج العباس بن صالح و ادعى أنّه رسول الفاطمي و أنّه قد قرب وقته، فأظهر دعوتهم يوم عشاء سنة 686 هـ/24 فيفري 1287م و دخل بادس عنوة و سبي و قتل ، و تمادى إلى المزمة<sup>3</sup> فقتل بها يوم 20 صفر 686 هـ/5 أفريل 1287م ، و صلبت جثته على باب المزمة و حمل رأسه فطيف به في بلاد المغرب<sup>4</sup> ، و أضاف ابن خلدون أنّه دخل مدينة فاس عنوة و حرق أسواقها و ارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة<sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 132.

<sup>2</sup> بادس : مدينة مـتـضرّة فيها أسواق و صناعات قلائل ، و غمارة يلجأون إليها في حوائجهم ، و هي آخـر بـبلاد غمارة ( الادريسي، مصدر سابق، ج2، ص 532 ) .

<sup>3</sup> المزمة : كانت قرية عامرة و مرسى ، بينها و بين بادس أربعون ميلا ( الادريسي، مصدر سابق، ج2، ص 533 ) .

<sup>4</sup> عبد الحق بن إسماعيل البادسي، المقصد الشريف و المنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق: سعيد أعراب ، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1416 هـ/ 1993م، ص 115 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 409 .

## ب- مهديو الأندلس المغمورون .

لقد عرفت الأندلس خلال تاريخها الإسلامي الكثير من الـ ثورات و قلاقل من زعماء هذه التورات من ادعى المهديونية ، و من أوائل الذين ادعوا النسب الفاطمي و ثاروا بالأندلس رجل من مكناسة العدو<sup>1</sup> سنة 152هـ/768م فتجمع له الغوغاء ، فخرج إليه الأمير عبد الرحمان بن معاوية<sup>2</sup> من قرطبة فأقبل الفاطمي و قتل عامل شنت برية<sup>3</sup> ، فكان الأمير يرسل إلى قتاله بعض الفيالق فيتعلق بالجلال ، و استمرت فتنته إلى سنة 160هـ/776م حيث اغتاله بعض أصحابه<sup>4</sup> . و ممن تسمى بالمهدي و ثار في هذه المنطقة في القرن الثالث الهجري و تحديدا سنة 288هـ/901م أحمد بن معاوية بن هشام الأموي المعروف بالقط منتزيا على الأمير عبد الله<sup>5</sup> داعي إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد ، و كان خروجه على يد المعروف بأبي علي السراج ، و زعم أحمد بن معاوية هذا أنه المهدي فائز الدين و عاصم المسلمين<sup>6</sup> .

و قد وجدت هذه الدعوة آذنا صاغية بين القبائل البربرية في نفس المنطقة التي انتشرت فيها الدعوات الشيعية من قبل أي منطقة الجوف على طول الثغر الأدنى و الحدود بين المملكة الإسلامية و المملكة المسيحية ما بين ماردة و وادي الحجارة<sup>7</sup> ، فانهال عليه أهـل تلك النواحي و أخرج رسله من هناك إلى جميع من بالجوف و العرب يدعون الناس إلى الجهاد معه و يعدونهم النصر على

---

<sup>1</sup> مكناسة : مدينة بالمغرب من بلاد البربر على البر الأعظم ، بينها و بين مراكش أربعة عشرة مرحلة ، و منها إلى فاس مرحلة واحدة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص181 ) .

<sup>2</sup> عبد الرحمان الداخل : عبد الرحمان بن هشام بن عبد الملك يكنى أبا المطرف ، مولده بالشام سنة 113هـ/731م و أمه أم ولد تسمى راح ، هرب لما ظهرت دولة بني العباس و أعاد بعث الدولة الأموية في الأندلس سنة 138هـ/755م ، فاتصلت ولايته إلى أن مات سنة 172هـ/788م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 28 ) .

<sup>3</sup> شنت برية : مدينة متصلة بحوز مدينة سالم و هي شرقي قرطبة و لها حصون كثيرة ، بينها و بين قرطبة ثمانون فرسخا ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 366 ) .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 54 .

<sup>5</sup> الأمير عبد الله : بن محمد أبو محمد ، مولده سنة 230هـ/844م ، ولي سنة 275هـ/888م و امتلأت الأندلس في أجليه بالفتن و صار في كل جهة متغلب ، فلم يزل كذلك طول ولايته إلى أن مات مستهل ربيع الأول سنة 300هـ/منتصف أكتوبر 912م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 32 ) .

<sup>6</sup> ابن حيان، كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس ، تحقيق : د/ إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م، ص 156 .

<sup>7</sup> محمود علي المكي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مطبعة المعهد المصري، مدريد، 1373هـ/1954م، ج2، ص 101 .

العدو ، فسار بهم يريد سمورة<sup>1</sup> و هو يتكهن لهم و يعدهم بفتحها ، و يقول لهم إنّه لن يأتي مدينة و يدنو إلى سورها إلا خرّ السور قدّامه و انفتحت له ، حتى فتن به كثير من الناس و جهلة أتباعه<sup>2</sup> .

و كان الاعتماد على الكرامات و إظهار الإحاطة بالعلوم من الأشياء التي حاول هذا المهدي أن يؤثر بها على أنصاره من البربر<sup>3</sup> ، و مرت وقائع كثيرة بين المدعو القط مدعي الهداية و النصاري انتهت بهزيمة الداعي الذي قتل في المعركة المعروفة عند أهل الثغر بيوم سمورة ، فجز رأسه و نصب على باب سمورة و عظمت المصيبة بكثرة من قتل من المسلمين ، و كانت هذه الواقعة لعشر بقين من رجب سنة 288 هـ/ 9 جويلية 901م<sup>4</sup> .

و في القرن السادس الهجري و عند اختلال الدولة المرابطية ظهّر أحمد بن الحسين بن قسي أبو القاسم أول الثائرين بالأندلس و تسمّى ثورته ثورة المريدين ، إذ كان هذا الرجل شيخا من مشايخ الصوفية المسمى أتباعهم بغرب الأندلس بالمريدين و له كتاب خلع النعلين و غيره ، و كانت هذه الطائفة قد كثرت يومئذ بغرب الأندلس و كثر خوضهم في الكتب الصوفية و موضوعات الغلاة من الباطنية و الكلف برسائل إخوان الصفا و أمثال ذلك<sup>5</sup> .

و قيل إنّ ابن قسي رومي الأصل من بادية شلب<sup>6</sup> ، نشأ مشغلا بالأعمال المخزنية ثم تزهد بزعمه و ساح في البلاد و لقي أبا العباس بن العريف<sup>7</sup> بالمرية<sup>8</sup> ، و أقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر و هو يستعجب أهل الشأن محرضا على الفتنة داعيا إلى الثورة في الباطن ، ثم ادّعى

---

<sup>1</sup> سمورة : دار مملكة الجلالقة على ضفة نهر كبير جدا خزار كثير المياه عميق القعر ، بينها و بين البحر ستون ميلا ( الحميري، مصدر سابق، ص 324 ) .

<sup>2</sup> ابن حنّان، مصدر سابق، ص 156 - 157 .

<sup>3</sup> محمود علي مكي، مرجع سابق، ص 103 .

<sup>4</sup> ابن حيان، مصدر سابق، ص 159 .

<sup>5</sup> ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام "القسم الثاني" ، تحقيق وتعليق : ليفي بروفنرال دار المكشوف، بيروت، 1375هـ/ 1956م، ص 249 .

<sup>6</sup> شلب : مدينة بغرب الأندلس و هي غربي قرطبة ، بينها و بين قرطبة عشرة أيام للفارس الحمد ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 357 ) .

<sup>7</sup> ابن العريف: أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي من أهل المرية ، يكنى أبا العباس و يعرف بابن العريف، توفي سنة 536هـ/ 1141م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص 137 ) .

<sup>8</sup> المرية : مدينة كبيرة من كثرة البيرة من أعمال الأندلس ، كانت هي و بجاعة بابي الشرق منها يحكب التجار ، و فيها مرسى للسفن ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 119 ) .

الهداية مخرقة و تمويها على العامة و تسمى بالإمام<sup>1</sup> بعد أن توجه إلى مرتلة من حصون الغرب بكورة شذونة و احتل بقصبتها المنيعه غرة ربيع الأول عام 539هـ/31 أوت 1144م ، و بت للحين عقيدته و كتب إلى البلاد يندب الناس للثورة على المرابطين ، و أجزل العطاء من غير عمل و لا خراج ، و كان إذ أعطى يخو بيده من غير عدد ، و كان أصحابه يقولون للناس إنّ المال يتكون عنده ، و من النوادر في ذلك أنّ رجلا من البادية قال لبعض أصحابه و قد أعطاه عجبا لهذا المال الذي يصل الإمام من السماء كيف عليه طابع المرابطين ؟ و لم يكن عليه طابع غير ذلك ، و نقل له هذا الحديث فكان آخر العهد بذلك الرجل<sup>2</sup> ، و كان ابن قسي صاحب حجيل و رب شعبدة ، و كان مع هذا يتعاطى صنعة البيان و ينتحل طريق البلاغة<sup>3</sup> .

ثمّ إنّ بعض أصحاب ابن قسي اختلفوا عليه و فسد ما بينهم و بينه ، فعزم على اللحاق بعبد المؤمن بن علي ، فخاطبه فلم يجد عنده قبولا لتعاليه في الخطاب عليه و جعل الحظ لنفسه بوصف الهداية بضاعة القوم ، فأعاد و اعتذر و تحرك في عقبها فكان لقاءه عبد المؤمن في ربيع الآخر عام 540هـ/سبتمبر 1145م ، فأكرم وفادته<sup>4</sup> .

ثمّ انصرف في المحرم سنة 441هـ/جوان 1146م صحبة الجيش الذي افتتح جزيرة طريف ثمّ الجزيرة الخضراء<sup>5</sup> ، و لما فتحت شلب ترك ابن قسي عليها واليا و منها كان قدومه في شهر رمضان من السنة مهناً بفتح إشبيلية<sup>6</sup> ، و كان فتحها يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان 441هـ/17 جانفي 1147م<sup>7</sup> .

و لما اضطربت الأحوال بالدولة المؤمنية بالماسي مدعي الهداية في دولته و انتفض عليه كثير من البلاد رجع عن دعوتهم ، و لم يكن إلا أن تاب أمرهم و قتل الداعي القائم عليهم بماسة ، فتورط بما

<sup>1</sup> ابن الأبار، مصدر سابق، ج2، ص 197 .

<sup>2</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص ص 250-251 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 155.

<sup>4</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 251 .

<sup>5</sup> الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالأندلس ، و قبالتها من بلاد البربر سبتة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 2، ص 136 ) .

<sup>6</sup> إشبيلية : مدينة كبرى عظيمة ، و هي غربي قرطبة ، بينهما ثلاثون فرسخا ( ياقوت الحموي، مصدر السابق، ج 1، ص 195 ) .

<sup>7</sup> ابن الأبار، مصدر سابق، ج2، ص 199 .

جناه من القطيعة ، و اضطر إلى مداخله صاحب قلمرية<sup>1</sup> من النصارى المعروف بابن الرنق<sup>2</sup> و ألطف مهاداته ، فألطف إجابته إلى مراده و بعث إليه بفرس و سلاح ، فأُنكس ذلك أهل شلب و فتكوا به<sup>3</sup> و رفعوا رأسه على الرمح المهدي إليه من قبل الروم ، و استقل ابن المنذر بشلب إلى أن صيرها في ملك الموحيدين ، و كان قتل ابن قسي في جلدى الأولى سنة 546هـ/أوت 1151م<sup>4</sup> .

و هكذا فإنّ أدعياء الهداية يكون هدفهم دائما طلب الملك و الرياسة ، فليحيا أن يهلكوا دونه أو يمتكنوا في الأرض ، فإذا حصل التمكين تكون دعواهم أقرب للتصديق عند الغوغاء من غيره —م الذين لم يقيم لهم دولة و انتهت دعوتهم في المهدي قبل أن ترم و و تكبر ، ثمّ تبيّن أنّهم أبعد ما يكونون عن المهدي المنتظر الذي سيصلي خلفه عيسى عليه السلام قاتل الأعور الدجال حسب معتقد طائفة كبيرة من أهل السنة ، و الأمر الجـامع بين كل هـ —ولاء إنزال الأحاديث و الآثار الخاصة بالمهدي على أنفسهم .

<sup>1</sup> قلمرية : بالأندلس من بلاد برتغال و هي على جبل مستدير، و هي صغيرة عامرة كثيرة الكروم و التفاح ، بينها و بين البحر اثنا عشر ميلا ( الحميري، مصدر سابق، ص 471 ) .

<sup>2</sup> ابن الأبار، مصدر سابق، ج2، ص 200، هامش 1.

<sup>3</sup> نفسه، ج2، ص 200 .

<sup>4</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 252 .



## 5- الآثار السياسية لادّعاء المهديّة في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م ) .

### أ- الدولة الفاطمية :

#### أ 1- قيام الدولة الفاطمية :

في نهاية القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي بلغ نشاط دعاة المذهب الإسماعيلي مبلغا عظيما ، و الذي يقوم في جوهره على بغض كثير من شعائر الإسلام حتى إنّه من أصول عقائد الدرزية و هم إسماعلية أنّ الحاكم بأمر الله<sup>1</sup> حين يرجع من غيبته سوف يهدم الكعبة و يجعل الخلق جميعا يدينون بدينه الذي يسمّونه دين التوحيد<sup>2</sup> ، و قد سخرت هذه العقائد لخدمة أغراضهم السياسية<sup>3</sup> .

و قد عهدوا إلى دعاةهم التكفل بهذه المهمة الخطيرة و كان هؤلاء الدعاة على قدر كبير من النشاط و الإخلاص ، و لا يدّخرون جهدا في سبيل خدمة الدعوة التي كانت سرية جدا ، و يعتبر الداعيان أبا سفيان و الحلواني من أقدم الدعاة الذين وصلوا إلى بلاد المغرب بأمر من الإمام جعفر الصادق سنة 145هـ/762م و قد نجحوا في زرع بذور التشيع لاسيما في قبيلة كتامة<sup>4</sup> ، و حسب أحد الباحثين فإنّ أبا سفيان و الحلواني لم يقوموا بالدعوة بالمعنى المعروف في المعنى الاصطلاحي الإسماعيلي و إنما قاما بشيء مختلف و أبسط من ذلك بكثير تمثل في نشر محبة آل البيت و فضلهم و الذي صاحبه دون شك نشر الأصول العامة للمذهب الشيعي ، و هو الذي أطلق عليه القاضي النعمان ظاهر علم الأئمة ، فيكون أبو سفيان و الحلواني رائدين بهذا المعنى و هيئا التربة للداعي الإسماعيلي<sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> الحاكم بأمر الله : أبو علي المنصور بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن عبيد الله ، ولد سنة 375 هـ / 985 م بالقاهرة ، ولي الخلافة سنة 386هـ/995م و كانت سيرته من أعجب السير، توفي 411هـ/1020م ( ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص213 ) .

<sup>2</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 223 .

<sup>3</sup> ك. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تعريب : نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1413هـ/1993م، ص 251 .

<sup>4</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 26 و ما بعدها .

<sup>5</sup> أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ص 46 .

و بعد عقود طويلة جاء أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب فتتمكن بفضل ذكائه و عزيمته أن يجد له سنداً قويا متمثلاً في قبيلة كتامة البربرية التي احتضنته و نصرت مذهبها و كوّن بفضلها جيشاً قويا ، و اشتهر في المنطقة بألقاب كثيرة ، فعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية<sup>1</sup> ، و عرف أيضا بالصوفي المحتسب<sup>2</sup> ، و عند القاضي النعمان أنه كان يقال له السيد بكتامة<sup>3</sup> ، و كان يدعى على منابر بني الأغلب بالصنعاني لأنه أظهر أمره لكتامة أنه صنعاني<sup>4</sup> ، و سمي بالمشرقي لقدمه من المشرق<sup>5</sup> ، و وصفه المؤرخون بصفات تبين علمه و فطنته ، و منهم المقرئ الذي قال عنه بأنه من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول و إقامة الممالك العظيمة من غير مال و لا رجال<sup>6</sup> .

و قد بدأ أبو عبد الله الشيعي أعماله العسكرية من منطقة جبال كتامة إلى مناطق الأغالبة في المغرب الأدنى ، و قد حاول زيادة الله الثالث الأغلبي<sup>7</sup> مقاومة هذا الهجوم ، فأرسل ثلاثة جيوش هزمت كلها و انتهى الأمر بفرارهم إلى مصر و دخول أبي عبد الله الشيعي القيروان ، فأمر و نهي و بت العمال في الأعمال ، ثم نزل رقادة مستهل رجب 296هـ / أواخر مارس 909 م و قتل من يخاف شره ، و أمر فنقش في السكة في أحد الوجهين بلغت حجة الله و في الآخر نفث أعداء الله<sup>8</sup> .

و قبل تحقيق هذا النصر العظيم و الحاسم كان أبو عبد الله قد بث عقيدة المهدي في الكتاميين و أخبرهم أن فج الأخيار الذي نزل فيه ما سمي إلا بكم ، و لقد جاء في الآثار أن للمهدي هجرة عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان ، و هو لا يذكر اسم المهدي<sup>9</sup> .

<sup>1</sup> المقرئ، اتعاط الحنفا، ج1، ص51 .

<sup>2</sup> غريب بن سعد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري (مطبوع مع تاريخ الطبري) ، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1388هـ / 1969م، ج12، ص 51 .

<sup>3</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 32 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 33 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 79 .

<sup>6</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 68 .

<sup>7</sup> زيادة الله الثالث: زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلبي التميمي أبو مضر آخر أمراء الأغالبة ، تولى إفريقية سنة 290هـ / 902م ، انهزم أمام الشيعي سنة 296هـ / 908م و فرّ إلى المشرق ، توفي زيادة الله سنة 304هـ / 916م بالرملة ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص 193 . الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 56 ) .

<sup>8</sup> المقرئ، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، بولاق القاهرة، 1270هـ / 1853م، ج2، ص 350 .

<sup>9</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة.

و ادّعى أول أمره أنّه معلم قرآن ثمّ لم يلبث أن جاهر بحقيقة أمره حينما أسرّ إلى شيخ كتامة بذلك قائلا : " لست معلم قرآن إنّما الأمر ما أخبركم به ، إنّما نحن أنصار أهل البيت و قد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة ، إنّكم أنصارنا و المقيمون لدولتنا و إنّ الله يظهر بكم دينه و يعز بكم أهل البيت و إنّّه سيكون إمام منهم أنتم أنصاره ، و إنّ الله سيفتح بكم الدنيا كلها و يكون لكم أجرا مضاعفا فيجتمع لكم خير الدنيا و الآخرة " ، فقال الشيخ : " أنا أرغب فيم - أرغبني إلي - و أبذل فيه مهجتي و مالي أنا و من اتبعني ، و أنا أطوع إليك من يدك فمر بما شئت أمثله " ، فقال الشيعي : " أدع الخاصة من بني عمك الأقرب فالأقرب " ، فنظر الشيخ فيما قاله و بث دعوته في أقاربه و من يختص به <sup>1</sup> .

و كان الشيعي قد أرسل وفدا من كتامة إلى عبيد الله يدعوه للقدوم إلى بلاد المغرب ، و كان متخفيا فجهز نفسه فتخفى في زي التجار لأنّ العباسيين كانوا يجدون في طلبه ، و حين وصوله إلى بلاد المغرب وجد أنّ الأغالبة مازالوا أصحاب البلاد و أنّ الداعي الشيعي ما زال يحاربهم ، فسار إلى سجلماسة في أقصى المغرب و هناك قبض عليه أميرها اليسع بن مدرار <sup>2</sup> بعد أن جاءته الكتب بأنّه المهدي الذي داعيته في كتامة <sup>3</sup> ، و في هذه الأثناء انتصر الشيعي على الأغالبة فسار من رقادة إلى سجلماسة يريد عبيد الله غازيا المغرب <sup>4</sup> ، و وجه إلى اليسع خادما له يسمّى شفيعا يعرفه أنّه إن أخرج إليه عبيد الله صرف عنه الجيوش و عن مدينته ، فامتنع ابن مدرار و قتل شفيعا الخ - آدم و أصحابه ، و بلغ ذلك أبا عبد الله فأرسل إليه رسولا آخر فامتنع ابن مدرار و عمد إلى الرسل فكبّلهم و حبسهم ، فعبا أبو عبد الله عساكره و دنا من المدينة فوقع القتال ، فلمّا جنّ الليل هرب اليسع في بني عمه و أهل بيته و لم يعلم أبو عبد الله و من معه بهروب اليسع حتى أصبحوا ، فخرج إليهم وجوه أهل البلد فأعلموهم بذلك و دلّوهم على مكان المهدي فاستخرجوه <sup>5</sup> ، و أوقف الدعاة

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 127 .

<sup>2</sup> اليسع بن مدرار : تولى الحكم في سجلماسة سنة 370 هـ/980 م و تلقب بالمنتصر ، زحف إليه أبو عبد الله الشيعي ففرّ أمامه ثمّ ظفر به فقتل - ه سنة 296 هـ/908 م و انقرضت بذلك دولة بني مدرار ( ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 157 ) .

<sup>3</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص 45 .

<sup>4</sup> M. Vonderheyden, **La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû'l-Arlab 800-909**, Librairie orientaliste, Paris, 1927, p 315.

<sup>5</sup> الداعي إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار"، تحقيق : محمد الهللاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ/1985 م، ص 159 .

على أنه الإمام الذي دعا إليه و عَزَفَ الجميع به ، و قال : هذا مولاي و مولاكم و ولي أمركم و إمام هديكم و مهديكم المنتظر الذي كنت أبشـر به ، قد أظهر الله عز و جل أمره كما وعـد و أَيْدَ حزبه و جنده <sup>1</sup> .

و أقام عبيد الله بسلجامة أربعين يوما ثم سار إلى إفريقية و أحضر الأموال من إيكجان<sup>2</sup> فجعلها أحمالا ، و سار بها إلى رقادة في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة 297هـ/909م ، و زال ملك بني الأغلب من إفريقية و ملك بني مدرار من سلجامة و ملك بني رستم من تـاهـرت<sup>3</sup> ، و ملك عبيد الله المهدي جميع ذلك<sup>4</sup> و بويـع له البيعة العامة و استقام أمـره و بث دعائه في الناس فحُابوا إلا قليلا عرض عليهم السيف ، و قسّم الأموال و الجواني في رجال كتامه و أقطعهم الأعمال و دَوّن الدواوين و جَبى الأموال و بعث العمال على البلاد<sup>5</sup> .

و على الرغم من أنّ الدولة الفاطمية تدين بظهورها لأبي عبد الله الشيعي فإنّ عبيد الله المهدي لم يلبث أن عمل على التخلص منه ، لأنّ أبا عبد الله كان موضع ثقة كثير من الكتّامين كما علت مكانته بين أهالي بلاد المغرب ممّا أثار عليه حنق عبيد الله المهدي عليه فحشي أن يفتن الناس به فيضعف بذلك نفوذه ، لذلك أمر بقتله و أخيه أبي العباس<sup>6</sup> و كان قتله بمدينة رقادة ، و قد صلّى عليه المهدي و قال : " رحمك الله أبا عبد الله و جزاك خيرا بجميل سعيك " <sup>7</sup> ، و ذكره بخير و لعن

<sup>1</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص 287 .

<sup>2</sup> إيكجان : تقع في مكان حصين يحده من الجنوب العين الكبيرة و من الغرب خراطة و من الشمال تكسانة و من الجنوب مزالة ، و تقع بالضبط شرق قرية بني عزيز على بعد 2 كلم ، و كانت في العهد الفرنسي تابعة إداريا لفتح مزاق لأنفسا من وطن فرجيوة و التي ورد اسمها في المصادر التاريخية بفتح الأخيار، و هو المكان الذي نزل به الشيعي أول الأمر، و هذه المنطقة تابعة إداريا الآن إلى دائرة عين الكبيرة بولاية سطيف ( محمد الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1403هـ/1983م، ص 40 ) .

<sup>3</sup> تاهرت : مدينة عريقة جنوب شرق تلمسان ، اتخذها عبد الرحمان بن رستم عاصمة، فاختط فيها أحيا جديدة و حصنها و أسماها تاهرت ، دخلها الفاطميون سنة 296 هـ/ 909 م و بعدها ملكها الحماديون ، ثم تعاقبت عليه الدول ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص 7 ) .

<sup>4</sup> المقرئ، إيعاظ الحنفاء، ج1، ص 66 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص 47 .

<sup>6</sup> محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، مدينة نصر(مصر)، ص 27 .

<sup>7</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 68 .

أبا العباس و قال فيه سوءاً<sup>1</sup> ، و يحق للمهدي أن يتهج عندئذ بتمكنه من إزالة عقبة كأداء كانت تعترض سبيله نحو الحكم المطلق و استبعاد أي خطر جسيم يمكن أن يهدد عرشه<sup>2</sup> .

لقد استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يقيم دولة شيعية إسماعلية في بلاد المغرب ، و وضع على عرشها سيده عبيد الله المهدي الذي أحكم قبضته على الدولة الفتية و مارس سلطاته بكل حزم و شدة ، مدلاً في طريقه كل العقبات التي اعترضته بدءاً بالقضاء على مؤسس دولته ، سالكا في سبيل ذلك كل المزالك التي من شأنها أن تخم أغراضه و تقم مركزه .

---

<sup>1</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 316 .

<sup>2</sup> فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، نقله إلى العربية : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م، ص 191 .

## أ 2 - رحيل الفاطميين إلى مصر:

رغم نجاح دعاة الإسماعيلية نجاحا باهرا في إقامة الدولة الفاطمية ، إلا أنّ هذا النجاح لا يخلو من مخاطر عديدة كادت تعصف بهذه الدولة في أيامها الأولى ، فقد كانت المنطقة تشهد صراعا مذهبيا عنيفا زاد من حدّته تلك المقاومة الشرسة التي أبدّاها أهل السنة و على رأسهم علماء المالكية للشيعة ، لذلك أدرك عبيد الله أنّ بلاد المغرب لن تحقق له هدفه الرئيسي و هو أن ينفرد بحكم العالم الإسلامي و يقضي على الخلافة العباسية في المشرق ليحل محلها <sup>1</sup> ، و لن يتحقق هذا الهدف إلا بالعبور عبر مصر ، و قد مدحه الشعراء و حثه البعض على غزو المشرق و منهم سعدون الوجيه الذي أنشد قائلا :

هذا الإمام الفاطمي و من به      أمنت مغاربنا من المخذور  
و الشرق ليس لشامه و عراقه      من مهرب من جنده المنصور  
حتى يفوز من الخلافة بالمنى      و يفاز منه بعدله المنشور<sup>2</sup>

و قد أرسل عبيد الله حملتين إلى مصر بقيادة ابنه و ولي عهده ، و في عهد القائم و المنصور توقفت محاولات الفاطميين لغزو مصر بسبب ثورة صاحب الحمار أبي يزيد التي هزت بلاد المغرب بأسره و استدعت تظافر الجهود و تسخير كامل إمكانيات الدولة للقضاء عليها ، و قد أثبت المنصور حزمه و حسن تدبيره حيث تمكن من إخماد الثورة و إرجاع الأمور إلى نصابها ، و من ثمّ الإعداد للفتح المنشود غير أنّ المنيّة عاجلته و كان قد عهد لابنه معد بولاية العهد ، و بتوليّ الخلافة المعز لدين الله سبيعت مشروع الدولة العبيدية الرئيسي من جديد ، و كان لثورات البربر المتتالية و الحركات الخارجية الثورية التي وجدت تأييدا مؤقتا من طرف بعض أهل السنّة و نجاح حملة جوهر في بلاد المغرب الأقصى<sup>3</sup> و التي جاءت بسبب امتداد النفوذ الأموي إلى المغرب الأوسط ، الأمر الذي دفع بالمعز لدين الله إلى إرسال قوات كبيرة سنة 347هـ/958م إلى المغرب الأقصى<sup>4</sup> ، و كان لهذا

<sup>1</sup> M.Bergé, **Les Arabes « histoire et civilisation des Arabes et du monde Musulman des origines à la chute du royaume de Grenade»**, Edition Lidis, Paris , p 123 .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 301 . الداعي إدريس عماد الدين ، مصدر سابق، ص 176 .

<sup>3</sup> د/ أيمن فؤاد السيد، مرجع سابق، ص 127 .

<sup>4</sup> H.Terrasse, **Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français**, Editions Atlantides, Casablanca, 1949, p 186 .

النجاح تأثير في علوّ شأن هذا المولى لدى الخليفة و أنّه هو القائد العسكري الفدّ الذي لم يعرف الفاطميون طيلة تاريخهم أكفأ منه دور مهم في الإعداد للحملة الكبرى و هي فتح مصر<sup>1</sup> .

لقد كانت مصر خلال عهد الإخشيديين<sup>2</sup> في يد كافور<sup>3</sup> الذي أصبح قائد جيوشهم و مدبر أمر مملكتهم و في آخر عهده ساءت أحوال البلاد الإقتصادية و دبّ الضعف في الدولة العباسية ، و جاءت وفاته في ظل الغلاء الشديد الذي أصاب البلاد<sup>4</sup> ، و لم يبق في مصر من تجتمع عليه القلوب<sup>5</sup> ، فزالت بوفاته عقبة مهمة أمام الفاطميين كانت حائلا بينهم و بين مصر ، كما ينبغي التذكير بالدور الذي قام به شيعتها في تأييد العبيديين ، فقد كتبوا إلى المعز يطلبون منه إرسال جيش لفتح البلاد ، و كان لابن كلّس اليهودي<sup>6</sup> الذي استوزره كافور ثم هرب إلى المغرب و اتصل بالمعز أثر كبير في بيان حال الضعف الذي ساد مصر إثر وفاة كافور و حتّ الخليفة الفاطمي على

<sup>1</sup> د/ أيمن فؤاد السيد، مرجع سابق، ص 127 .

<sup>2</sup> الإخشيديون (323 - 358هـ/934 - 968م) : مؤسس هذه الأسرة الحاكمة في مصر محمد بن طغج من أصل تركي الذي برز أثناء غزو العبيديين ، ثم منح لقب الإخشيد بطلب منه ليدعى له به على المنابر بعد أن نجح في صدّ الفاطميين ، و في سنة 349هـ/960م تولى الحكم أبو الحسن الذي حكم ست سنوات و كان المتصرّف في شؤون الدولة الحقيقي كافور و تولّاها مستقلا سنتين و أربعة أشهر و بوفاته انقطع أمر هذه الدولة في مصر سنة 357هـ/967م ( شاكّر مصطفى ، موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1413هـ/1993م ، ج1 ، ص 345 ) .

<sup>3</sup> كافور الإخشيدي : كافور بن عبد الله الإخشيدي أبو المسك ، كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة 312هـ/924م فنسب إليه ، ثم اعتقه فترقىّ عنده حتى تغلّب على مصر ، و كان فطنا ذكيا حسن السياسة و دعي له على المنابر بمكة و مصر و الشام إلى أن توفي سنة 357هـ/967م بالقاهرة ( ابن خلكان ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 99 ) .

<sup>4</sup> ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج7 ، ص 309 .

<sup>5</sup> جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ، 1386هـ/1967م ، ج1 ، ص 599 .

<sup>6</sup> ابن كلّس ( 318 - 380 هـ / 930 - 990 م ) : يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلّس أبو الفرج وزير من الكتاب ، اتصل بكافور الإخشيدي و كان يهوديا فأسلم سنة 356هـ/966م ، ثم انتقل إلى المغرب بعد مصادرة أمواله فخدم المعز و حرّضه على غزو مصر ، و كان يعقد المجالس في الجامع العتيق فيقرر المسائل على حسب مذهب الباطنية الإسماعيلي ، توفي سنة 380هـ/990م ( شمس الدين الذهبي ، السير ، ج16 ، ص 442 ) .

المبادرة بإرسال جيوشه لفتحها<sup>1</sup> ، و هذا ما يشكّل للفاطميين هدفا استراتيجيا في تعبيد طريق المشرق أمامهم<sup>2</sup> .

و قد بدأت الإجراءات العملية العبيدية للفتح المنشود ابتداء من سنة 355هـ/965م ، فقد أمر المعز بحفر الآبار في الطريق و أن يبنى له في كل موضع قصرا<sup>3</sup> ، و كشفت حفائر أثرية حديثة بمدينة أجدابية الليبية عن أطلال أحد هذه القصور الذي نقلت زخارفه الرائعة إلى أحد المتاحف الليبية<sup>4</sup> ، و في المحرم من سنة 358هـ/نوفمبر 968م جمع المعز قرب رقادة نحو مائة ألف فارس أغلبهم من القبائل البربرية خاصة كتامة و منحهم رواتبهم التي تراوحت بين عشرين دينارا إلى ألف دينار<sup>5</sup> ، و عين جوهرا أميرا على الجيش الذي أعدّ بعناية فائقة ، و حملت الأموال الضخمة لضمان نجاح الحملة و التي بلغت حسب بعض المؤرخين أكثر من مائتي و ألف صندوق مليء بالذهب و الفضة<sup>6</sup> ، و ذكر آخرون أنّ المبلغ الذي أنفق على الحملة بلغ أربعة و عشرين ألف ألف دينار<sup>7</sup> ، كما أنّ الحملة صاحبها أسطول مشتمل على المراكب المحملة بالحبوب المخصصة للسكان الجوعى في مصر<sup>8</sup> .

و هكذا كان مسير جوهـر الصقلي القائد باتجاه مصر يوم 14 ربيع الأول 358هـ/04 فبراير 969م في احتفال عظيم حضره الخليفة المعز لدين الله الذي ودّعه جوهـر مقبلا يديه و حافر فرسه ، كما قدّم المعز لجوهـر ما يليق بمكانه من التعظيم و التبجيل من كبار رجال الدولة و على رأسهم أبناء الخليفة<sup>9</sup> ، فتحقّق الفتح دون مقاومة تذكر و دخل جوهـر بجيوشه مصر يوم 17 شعبان

<sup>1</sup> حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، 1411هـ/1991م، ج3، ص 155 .

<sup>2</sup> د/ سوادي عبد محمد و د/ صالح عمار الحاج، تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص 147 .

<sup>3</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 62 .

<sup>4</sup> د/ أيمن فؤاد السيد، مرجع سابق، ص 138 .

<sup>5</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 62 .

<sup>6</sup> المقرئزي، الخطط، ج1، ص 378 . الداعي إدريس عماد الدين ، مصدر سابق، ص 666 .

<sup>7</sup> ابن سعيد المغربي و آخرون، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق : د/ حسين بصر، مطبعة دار الكتب، 1389هـ/1970م، ص 41 .

<sup>8</sup> ل. ا . سيمينوفا، تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة و تحقيق : حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، 1421هـ/2001م، ص 39 .

<sup>9</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص 375 .



358هـ/05 جويلية 969م و هرب أعيان الإخشيد إلى الشام و أقيمت الدعوة للمعز لدين الله<sup>1</sup> الذي بقي في قصره يتلقى أنباء الفتح ، و كانت أول بشارة وصلته في النصف من رمضان سنة 358هـ/01 أوت 969م فعمّه السرور و صار في كل وقت تصل إليه كتب القائد جوهر الصقلي تحته على الرحيل إلى مصر و أنّ الشام و الحجاز أصبحت تحت طاعته و قامت له الدعوة في تلك البلاد<sup>2</sup> .

و بعد أن تثبت المعز لدين الله من استقرار الفتح و ضمن تهدئة الأوضاع في إفريقية و بلاد المغرب و تنظيم شؤونه السياسية و الإدارية قرّر الرحيل ، فجمع أهل بيته و حاشيته و أعدّ موكبه الفخم تقدمه توابيت آبائه كناية عن الرحيل دون التفكير في العودة<sup>3</sup> ، و في سابع رمضان سنة 262هـ/10 جوان 973م دخل المعز القاهرة ، و ذكر ناصر خسرو أنّه دخل مصر و كبار حاشيته عن طريق البحر و عندما اقترب موكبه من القاهرة أمر بإخلاء تلك السفن و وضعها على اليابسة ليتفرّج عليها الناس ، و لم يأذن لأحد باستعمال تلك السفن بعد ذلك<sup>4</sup> ، و بذلك صارت مصر و بلاد المغرب مملكة واحدة .

و أضحت هذه المملكة أقوى من الدولة العباسية إلا أنّها ظلت دونها في المكانة ، لأنّ أسلوب الحكم الذي جرت عليه بعد انتقالها إلى مصر لم يكن أسلوب دولة عامة ، و قد كان من المنتظر مثلاً أن تتصدّى للجهاد و تحمل رايته و تكمل الهدف الذي كان المسلمون جميعاً يتطلبونه من دولة عامة جديدة و هو كسر الموجة الرومية التي تهدّد الإسلام بشرّ خطير أيام المقدونيين ، ثمّ الصمود إلى قلب دولة الروم و القضاء عليها و تأمين جهة الإسلام من هذه الناحية و فتح السبل أمامه للإنتشار ، و لو فعلت ذلك لانتقلت إليها راية الدولة العامة دون منازع<sup>5</sup> .

لقد تمكن العبيديون من تأسيس دولة قوية بقيادة عبيد الله الشيعي بسواعد قبيلة كتامة البربرية التي أثّرت فيها الدعوة الإسماعيلية الشيعية فحملت أثقالها و قاتلت لأجلها و آمنت بمهديها الذي لم يطل به العهد حتى تخلص من أبي عبد الله الشيعي الذي نصبه حاكماً ، فانفرد بالحكم

<sup>1</sup> ابن حماد، مصدر سابق، ص 37 .

<sup>2</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 62.

<sup>3</sup> د/ سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج3، ص 282 .

<sup>4</sup> أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي، سفر نامه " رحلة ناصر خسرو القبادياني "، ترجمة و تقديم : د/أحمد خالد البديلي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص 93 .

<sup>5</sup> حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته ، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ج2، ص 560 .

و مارس سلطاته كحاكم مطلق يستمد شرعيته من آباءه الذين ادّعى أنّهم من آل بيت النبي الطاهرين مدعيا أنّه المهدي المنتظر ، فقويت الدولة العبيدية في أيامه و اشتدت شوكتها و حاول فتح المشرق لكنه فشل في ذلك ، و بعد وفاته كادت تعصف بدولته ثورة الخارجي أبي يزيد صاحب الحمار في أيام ثاني خلفائهم القائم الذي توفي و هو محارب لهذا الخارجي ، و لما تولى المنصور استطاع القضاء على هذه الثورة الخارجية قضاء مبرما ، و بتولي المعز لدين الله عظم أمره و امتد سلطانه و سيطر على المغرب كله و هذا ما دفعه إلى بعث مشروع الدولة القديم و هو غزو المشرق و قد حصل له ذلك بفضل قائده جوهر الذي فتح مصر و بلاد الشام ، فلم يلبث المعز أن انتقل إلى مصر و جعل القاهرة قاعدة ملكه ، و ترك العبيديون بلاد المغرب بعد عقود من قيام دولتهم فيها و لم يستطيعوا رغم قوتهم و سطوتهم أن يجعلوا من التشيع الباطني الإسماعيلي دينا و مذهباً لسكان المنطقة الذين ظلوا على مذهب السنة المالكي .

## ب- الدولة الموحدية :

لقد استطاعت الدولة المرابطية أن تحقق وحدة المغرب الأقصى الذي ظل منقسما لعهود طويلة فقد كانت تحكمه أوائل القرن 5هـ/11م أربع طوائف تشبه الدويلات ، ففي الشمال قبائل غمارة و قد انحرفت عن الإسلام ، و في الساحل الغربي قبيلة برغواطة التي أسست دولة منذ القرن 2هـ/8م ، و في الجنوب أقليات مبعثرة من الشيعة الرافضة المعروفين بالبحليين و من الوثنيين الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة بنواحي الأطلس ، إنّ هذه المحنة السياسية و الدينية التي كان يعيشها المغرب مثلت تحديا صارخا للروح الإسلامية التي كانت لها الغلبة العامة على كامل المغرب و الأندلس منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي و التي تنزع إلى الوحدة السياسية تحت راية الإسلام عقيدة على الطريقة السلفية و شريعة على المذهب المالكي<sup>1</sup> .

و قد أثمرت حركة عبد الله بن ياسين الجهادية قيام الدولة المرابطية و التي اكتملت صورتها و كيانها السياسي في عهد يوسف بن تاشفين فأضحت القوة الأكبر و الوحيدة في المغرب الأقصى ، و امتد نفوذها إلى الأندلس فاستطاعت السيطرة عليها و اكتمل بذلك توحيد العدوتين تحت راية واحدة تمثل الاتجاه السني المالكي ، و كان الفقهاء السند القوي لأمرء هذه الدولة فعظم شأنهم و قوي نفوذهم و تصدورا المشهد السياسي ، و كان يوسف بن تاشفين و ولده من بعده لا يقطعان أمرا دون العودة إلى العلماء ، و هذه إحدى أهم مميزات المرابطين الذين قامت دولتهم على أساس دعوة إصلاحية سنية مالكية .

و مع تزايد الخطر النصراني في الأندلس بدأت الدولة المرابطية تفقد الكثير من المناطق لصالح النصارى ، فقد نجح ألفونسو الأول ملك أراغون في ضم سرقسطة سنة 512هـ/1118م و لم يستطع المرابطون استنقاذها ، كما تغلب ألفونسو على شرق الأندلس و استولى على أكثرها<sup>2</sup> ، و انهار بسقوط سرقسطة ثاني معقل للمسلمين في إسبانيا بعد أن لبث عندهم أربعمئة عام ، و اتخذ ملك أراغون سرقسطة عاصمة لملكه و حوّل مسجدها الجامع إلى كنيسة<sup>3</sup> .

و في هذه الظروف الخطيرة التي تعرفها الأندلس بدأ التصدّع الداخلي في المغرب الأقصى بظهور مدّعي الهداية محمد بن تومرت الذي كان يعتمد إلى التظاهر بالإصلاح و الأمر بالمعروف

<sup>1</sup> عبد الوهاب النجار، تجربة الإصلاح، ص45 .

<sup>2</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 162 .

<sup>3</sup> يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، ترجمة و تعليق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1417هـ/1996م، ج1، ص 152 .

و النهي عن المنكر ، و عندما وصل مراكش حاضرة المرابطين جمع له علي بن يوسف أمير المرابطين الذي خلف أباه الفقهاء و ناظرهم و كانت الغلبة له <sup>1</sup> ، لينصرف بعدها ابن تومرت إلى بلاد المصامدة داعيا إلى مذهبه مناديا بالخروج بعد أن ناداه أصحابه بإيعاز منه بالمهدي المعصوم سنة 515هـ/1121م<sup>2</sup> ، فبايعوه على التوحيد وفق معتقده كما بايعوه أيضا على قتال المرابطين <sup>3</sup> ، و هذا ما سيؤدي إلى فتن و اضطرابات سياسية كبيرة في المنطقة ستكون لها عواقب وخيمة خاصة على الأندلس حيث وجدت الدولة المرابطية نفسها مضطرة إلى مواجهة الخطر الداخلي المتصاعد ، فكان ذلك سببا لفقدان مزيد من أراضي الأندلس ، ففي سنة 519هـ/1125م غزا ألفونسو الأول شرق البلاد غزوة كبرى امتدت سنة كاملة و ثلاثة أشهر أحلى خلالها ديار بادية الأندلس و أكثر الأسر و الغنائم مع أنه لم يفتح مكانا مسورا صغيرا أو كبيرا <sup>4</sup> ، و استطاع الأمير تاشفين بن علي بعد أن ولّاه أبوه إمارة الأندلس سنة 523هـ/1128م أن يعيد للمسلمين هيبتهم و ظهرت له بارقة في النصر على النصارى و كان يهزمهم في أكثر الأوقات <sup>5</sup> ، غير أنه في سنة 531هـ/1136م أخذ في الحركة عن الأندلس إلى حضرة أبيه <sup>6</sup> ، فازداد اختلال أحوال المنطقة بعد رحيله عنها .

و أرجع عبد الواحد المراكشي أسباب سوء الأحوال السياسية في بلاد المغرب و الأندلس أيام علي بن يوسف إلى تحاذل المرابطين و ميلهم إلى الدعة و إثثار الراحة فاستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم ، و لم يغفل المراكشي قيام ابن تومرت بالسوس و اشتغال علي بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة <sup>7</sup> ، و يضيف أن المناكير ظهرت في بلاد علي بن يوسف بعد الخمسمائة و ذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد و دعواهم الاستبداد ، كما ذكر أيضا استيلاء النساء على الأحوال و إسناد الأمور إليهن ، و صارت كل امرأة من أكابر لمتونة و مسوفة مشتملة على كل مفسد و شرير و قاطع سبيل و صاحب خمر <sup>8</sup> ، و أمام هذا الفساد المستشري فإنّ موقف أمير المسلمين حسب المراكشي دائما هو القناعة بالإمارة و بما يرفع إليه من خراج و عكوفه

<sup>1</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 140 .

<sup>2</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 123 . مجهول، الحلل المشوية، ص 107 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 304 .

<sup>4</sup> مجهول، الحلل المشوية، ص 97 .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج 4، ص 79 .

<sup>6</sup> نفسه، ج 4، ص 96 .

<sup>7</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 154 .

<sup>8</sup> نفسه، ص 135 .

على العبادة و التبتل و إهماله أمور الرعية غاية الإهمال ، فاحتل لذلك عليه كثير من بلاد الأندلس و كادت تعود لحالها الأول لاسيما منذ قيام دعوة ابن تومرت<sup>1</sup> .

فبعد الواحد المراكشي الذي نشأ و خدم في البلاط الموحدي و الذي وزع هذه الإتهامات و رمى بها المرابطين فإنه لا يخفى ما لهذه الإتهامات من أغراض دعائية لصالح الموحيدين ، و الذي أثارها هو مؤسس دعوتهم ، فاستطاع ابن تومرت بذلك و دهاء أن يشيع مثل هذه الإتهامات فأتى بعض الناس السذج من ناحية العقيدة و رمى المرابطين بكل نقيصة ، و الناس على استعداد لفتح الآذان و سماع الأكاذيب و فضائح الآمنين ، و لكثرة هذه الترهات اختلطت الحقائق بالأكاذيب<sup>2</sup> . فإذا كانت النساء المرابطيات غالباً فعلاً على أمور الدولة ، أليس غريباً ألا يذكر اسم إحداهن ؟ و تغفل كتب التراجم و التاريخ و دواوين الشعر هذا الأمر ؟ خاصة إذا كانت مشتملة على كل مفسد و شرير و قاطع سبيل ، فالمصادر التي بين أيدينا لم تذكر إلا نساء فاضلات<sup>3</sup> و إن كنّ لا يتعدن أصابع اليد ، و الأكثر غرابة أن تمر مثل هذه الأمور على شعراء المهجاء الذين لم يجدوا نقيصة إلا ألصقوها بالمرابطين دون أن تصادر أشعارهم أو تصفى أجسادهم أو يتعرضوا لما كان يعرف عند الموحيدين بالتمييز<sup>4</sup> .

و إذا كان علي بن يوسف عاكفا على العبادة قانعا بالإمارة راضيا بما يصل إليه من خراج ، فكيف إذا يصفه المراكشي بصفات مناقضة للصفات الأولى التي أوردها نفسه ، فقد قال عنه إنه جرى على سنن أبيه في إثارة الجهاد و إخافة العدو و حماية البلاد ، و كان حسن السيرة جيد الطوية نزيه النفس بعيدا عن الظلم و كان إلى أن يعد في الزهاد و المتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك المتغلبين ، و اشتد إثارة لأهل الفقه و الدين و كان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، و كان إذا ولّى أحداً من قضاته كان يعهد إليه ألا يقطع أمراً و لا ييث حكومة في صغير من الأمور و لا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>2</sup> د/ عصمت عبد اللطيف دندش، كلمة حق في المرابطين من خلال المعجب ، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، عدد267، صفر 1408هـ/ سبتمبر-أكتوبر 1987م، ص 108 .

<sup>3</sup> منهن حواء بنت تاشفين و تاشفين هذا هو أخو يوسف بن تاشفين لأمه ، و كانت حواء هذه أديبة شاعرة حليمة ماهرة ( ابن عذاري، مصدر سابق، ج4، ص ص 56-57 ) .

<sup>4</sup> د/ عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص 108 .

<sup>5</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 130 .

فهذه الشهادة تبين أنّ علي بن يوسف كان من أعدل الحكام حكما و أشرفهم سيرة و أكثرهم عبادة ، و كل هذه الصفات لا تزيده إلا رفعة ، كما أنّها كافية لإبطال حجج الموحدين في الخروج على حاكم مسلم هكذا صفاته ، بل أوغلوا في تكفيره و من ولاه و أطلقوا عليهم ألقابا كثيرة تعريضا بهم ، فسّمّاهم ابن تومرت الزراجنة شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش يقال له الزرجان ، لأنّهم حسبته بيض الثياب سود القلوب ، كما سمّاهم أيضا بالمجسمين لأنّه ألزمهم بالذاكرة أنّهم يقولون بالتحسيم و المكان<sup>1</sup> ، و يسمون أيضا الحشم للثامهم كما يفعل النساء المتحشمت<sup>2</sup> .

فاضطربت بسبب هذه الدعوة التومرتية المرتدية ثوب الهداية و العصمة و الداعية إلى الخروج عن المرابطين المسلمين و قتلهم أحوال المغرب و الأندلس و اصطلى المسلمون بنار الفتن و كثر القتل و سفك الدماء و انعدم الأمن و اتصلت الحروب و عم الجذب و قلت المخابى و كثر على أهل الإسلام الخن بالعدوتين ، و وُجّه كثير من حماة الأندلس إلى العدو و نقل عنها كثير من أسلحتها و عددها فكان ذلك أعظم فساد حلّ بالأندلس ، و ألح النصارى بالضرب على جهات الأندلس حين علموا عجز الإمارة عن الدفاع عنها حتى تغلبوا على كثير من بلادها<sup>3</sup> ، و لم يزل أمير المسلمين علي بن يوسف يوالي الحروب على أصحاب ابن تومرت من جانب و يبعث الجيوش لمحاربتهم و الكتاب فدامت أكثر مدته في حروبه معهم<sup>4</sup> ، و يظهر أنّ أخبار الإضطرابات و الفتن التي كانت تبلغه كانت إحدى الأسباب التي عجّلت بوفاته ، فينقل ابن عذارى أنّ مهلك علي بن يوسف كان بمراكش سنة 537هـ/1142م بعدما بلغته أخبار أمرضته و أورثته همّا و غمّا أثر في جسمه فالتزم فراشه<sup>5</sup> .

و قد توالى إنتصارات الموحدين بعد وفاة ابن تومرت و هزيمة البحيرة التي هلك فيها عدد كبير من الموحدين و لم يسلم منهم إلا نحو أربعمائة ما بين فارس و راجل ، و كان من بين أبرز القتلى في هذه المعركة قائد الموحدين الشيخ أبو محمد البشير أحد العشرة من أصحاب

<sup>1</sup> ينقل البيهقي أنّ لقب المجسمين أطلقه ابن تومرت على المرابطين أثناء غزوته التاسعة حيث قال لأتباعه : ما يقولون ، فقالوا له : لقبونا ، قال : و كيف لقبوكم ؟ قالوا : يقولون خوارج ، قال : سبقونا بالقبيح لو كان خيرا أحجموا عنه و ما سبقونا إليه ، قولوا لهم أنتم أيضا المجسمون ، ففعلنا ( البيهقي ، أخبار المهدي ، ص 38 ) .

<sup>2</sup> ابن القطان ، مصدر سابق ، ص 132 .

<sup>3</sup> مجهول ، الحلل الموشية ، ص 119 .

<sup>4</sup> نفسه ، ص 111 .

<sup>5</sup> ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 101 .

المهدي<sup>1</sup> ، و نجما عبد المؤمن في نفر من أصحابه فلما جاء الخبر لابن تومرت قال : أليس نجما عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم ، قال : لم يفقد أحد<sup>2</sup> ، و تمكن عبد المؤمن بعد هذه الهزيمة من إعادة حشد قواته من إقامته بتينملل حيث كان يتألف القلوب و يحسن إلى الناس<sup>3</sup> ، و قد جاءت هزيمته لابن تاغيت القائد المرابطي سنة 525هـ/1130م و التي شاع ذكرها ببلاد المصامدة لتعطي له دفعا قويا حيث كثر الوافدون إليه خاصة مصامدة الجبل الذين بايعوه أجمعين<sup>4</sup> .

و توالى انتصارات الموحدين العسكرية و لم يفلق الأمير تاشفين بن علي الذي استقدمه والده من الأندلس لمداغة الموحدين في تحقيق أي نصر يذكر ، فخرج من مراکش بعد أن صار الأمر إليه سنة 537هـ/1142م و قد ملك الموحدون أكثر بلاد العدو و انتقل إلى تلمسان<sup>5</sup> و كتب إلى البلاد التي تحت يديه يستدعيهم لنصرته ، فوصله عسكر سجلماصة و عسكر بجاية و وصل من الأندلس إبراهيم بن تاشفين بعسكر فولاه أبوه عهده ، فاجتمعت تلك العساكر بتلمسان و كان عددهم كبيرا<sup>6</sup> لكنهم هزموا ، ثم فرّ الأمير تاشفين بن علي إلى جهة وهران و قد كتب إلى قائد الأسطول بالأندلس لينقذه ، و اضطر إلى الخروج عن محله بالجبل الذي كان فيه ليلا فأهوى به فرسه فهلك ليلة 27 رمضان 539هـ/22 مارس 1145م<sup>7</sup> ، و قطع الموحدون رأسه و وجهه عبد المؤمن إلى تينملل فغلّق في غصن الشجرة التي عند مسجد المهدي<sup>8</sup> .

و لما هلك تاشفين بن علي بايعت لمتونة ولده إبراهيم و كان شابا صغيرا ، فبقي أياما ثم بايعوا عمّه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين و كان ابن ثمانية عشر عاما<sup>9</sup> ، و في هذه الأثناء تابعت انتصارات الموحدين فسقطت تلمسان في أيديهم سنة 539هـ/1145م<sup>10</sup> ، ثم سقطت فاس بعد حصار لها دام تسعة أشهر ، و كان دخولها بمساعدة عاملها عبد الله بن خيار الجياني الذي

<sup>1</sup> مجهول، الحلل الموشية، ص 116 .

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 144 .

<sup>3</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج 9، ص 201 .

<sup>4</sup> ابن عذاري، مصدر سابق، ج 4، ص 85 .

<sup>5</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 264 .

<sup>6</sup> ابن عذاري، البيان "قسم الموحدين"، ص 19 .

<sup>7</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 264 .

<sup>8</sup> ابن عذاري، البيان "قسم الموحدين"، ص 20 .

<sup>9</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 265 .

<sup>10</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج 9، ص 202 .

اتفق مع جماعة من أعيان البلد على مكاتبة عبد المؤمن و طلب الأمان فأجابهم إليه<sup>1</sup> ، و لما فرغ عبد المؤمن بن علي من فاس و تلك النواحي التي افتتحها كطنجة و سلا و سبتة سار إلى مراكش التي دخلها سنة 541هـ/1146م<sup>2</sup> ، و بعد دخولها أعدم شيوخ المرابطين ، و حاول الأمير أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين استعطاف عبد المؤمن بعد أن رُقّ له و أشفق عليه لصغر سنه و همّ أن يعفو عنه و يسجنه ، فقال له بعض أشياخ الموحدين : أتحب أن تربى لنا فرخ سبع ؟ فقتله عبد المؤمن و قتل كل من معه<sup>3</sup> .

و بقيام دولة الموحدين أعلن حكامها عدم اعترافهم بالخلافة العباسية و اعتبروا أنفسهم خلفاء شرعيين ، فقد عدّ ابن تومرت نفسه إماما في موكب الأئمة من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه و سلم بتفويض من الله و اختيار منه ، و إمرة المؤمنين أو خلافة النبي لا تكون إلا بوصية من سلف أو اختيار من جماعة و إذا فهو ليس بخليفة للنبي و إن جاء ليحدد دينه و ليس بأمر للمؤمنين و إن وجب عليهم السمع و الطاعة له فهو إمام باختيار الله ، و لما كان المهدي معصوما من الباطل و الضلال و الفساد و البدع و الكذب و الجهل فقد وجبت طاعته في كل أمر ، إذ أنّ سلطاته مطلقة و لا يحدها إلا الكتاب و السنة<sup>4</sup> .

و كان ابن تومرت يهدف من إعلانه المهدوية إلى اكتساب الدعوة ثوب الشرعية ، فهو إنما يمثل لأمر إلهي كما امثل غيره من الرسل لتحقيق العدالة و حكم الشرع على الأرض ، كما يسعى لكسب الأنصار للدعوة الجديدة و ضمان الولاء و الطاعة لشخصه لما لمفهوم المهدية و الإمام المعصوم الذي يتصل نسبه بآل البيت من تأثير عاطفي على الناس ، و ما ينتج عن العصمة من طاعة له بين القبائل المتنافرة و توحيد كلمتها و جهودها تحت رايته ، كما ربط ابن تومرت الإيمان بالعقيدة الجديدة بالجهاد ضد المرابطين لإسقاط دولتهم ، فقد أعلن أنّ جهاد الملتزمين قد تعيّن على كل من يؤمن بالله و اليوم الآخر و لا عذر لأحد في تركه و لا حجة له عند الله<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ج9، ص 209 .

<sup>2</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 265 .

<sup>3</sup> مجهول، الحلل الموشية، ص 139 .

<sup>4</sup> عز الدين عمر موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 113 .

<sup>5</sup> فارس بوز، دراسة في فكر المهدي محمد بن تومرت ، دار حازم للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م، ص 107 .



و أكمل عبد المؤمن المسيرة فقضى على المرابطين قضاء مبرما و أقام دولة قوية ادّعت الخلافة التي جعلها وراثته في عقبه من بعده ، فكان من الطبيعي أن توضع المبررات الشرعية التي تثبت شرعية حكم آل عبد المؤمن الذين أكدوا أنّ خلافتهم إنّما كانت بوصية المهدي لعبد المؤمن ، و خلافة الأخير و أنجاله ليست باختيار من المهدي و إنّما هي بتوجيه من الله ، و نسج مؤرخو البلاط الموحدى قصصا في هذا السياق و صنفوا الرؤى و أنطقوا الطير و الشبل ، و على هذا فلا خليفة للمهدي غير عبد المؤمن<sup>1</sup> .

و لإيجاد مبرر آخر يستمد منه عبد المؤمن مزيدا من الشرعية فإنّه لم يجد حرجا في التنكر لقومه كومية مدعيا أنّه ذو نسب شريف فكان يقول إذا ذكر كومية : " لست منهم و إنّما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، و لكومية علينا حق الولادة بينهم و المنشأ فيهم و هم الأخوال " ، و بهذا استجاز الخطباء أن يقولوا إذا ذكروه بعد ابن تومرت قسيمه في النسب الكريم<sup>2</sup> .

و تميزت الخلافة الموحدية عن غيرها من دول الخلافة بأمرين ، فقد اتخذوا منذ أيام ابن تومرت البياض شعارا لدولتهم ، فقد كان يتقدم جيوشهم لواء أبيض و استمر هذا التقليد حتى نهاية دولتهم ، و الأمر الثاني هو أمر سياسي إذ جعلوا رمز الإعتراف بالمهدية التومرتية ذكر اسم المهدي في الخطبة و نقش اسمه في السكة و الترضي عنه في المكاتبات الرسمية و المناداة للصلاة بالبربرية عقب الأذان ، و لما أسقط المأمون هذه الرسوم اعتبره أشياخ الموحدين مارقا فحاربوه و رفضوا التعاون مع خلفه حتى أعاد تلك الرسوم<sup>3</sup> .

و كان لأشياخ الموحدين دور كبير في تعيين الخليفة فتعيين عبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت كانت برأي منهم ، و لكن براعة عبد المؤمن السياسية و قوة شخصيته مكنتاه من تحويل الخلافة إلى ملك وراثي في بنيه ، و قد واثته الظروف التي استجدت بعد قيام الدولة و اتساع رقعتها و دخول عناصر كثيرة فيها ، فخشي السابقون من الموحدين غلبة العناصر الجديدة فسالوا عبد المؤمن و سمعوا له و أطاعوا ، و لما سنحت لهم الفرصة بتدخلهم من جراء نزاعات بني عبد المؤمن على السلطة فرضوا إرادتهم في تولية من أرادوا فكان الإختيار في أيديهم في عصر الإنحلال<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 123.

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 148.

<sup>3</sup> عز الدين عمر موسى، مرجع سابق، ص 126 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 147 .

و لقد كان للموحدين رغبة مطلقة في السيطرة على الدنيا و إرغام الناس على الخضوع لدولتهم و الإحتماء بكنفهم لا بوصفهم السلطة الزمنية فحسب و لكن بوصفهم القيمين على تحقيق إرادة الله على الأرض و في عبادته ، و هم في هذا الأمر لا يكتفون بمجرد دعوة الناس و انتظار ما تسفر عنه مؤثرات الدعوة ، و إنما يعتقدون أنّ الناس عليهم أن يهتبلوا فرصة الإنضواء تحت لوائهم بوصف هذا الإنضواء نعمة من الله يجب شكرها و حمد القائمين على نشر ظلالها و الداعين لتعميم فضلها<sup>1</sup> ، و يوضح هذا ما جاء في رسالة موحدية إلى أهل قسنطينة يدعوهم فيها عبد المؤمن بن علي إلى الإنصياع و التسليم له ، و ممّا جاء فيها : "... و اعلموا أنّ الواجب عليكم و على جميع عمرة البسيطة إتيان هذا الأمر العزيز في محل قيامه و الهجرة إليه وقت ظهور دلائله و ارتفاع أعلامه و هجر الأوطان لطلب الرضوان به و اغتنامه ، فكيف به و قد أطلتكم في عقر دياركم رايته و تجلت بين أظهركم آيته و تأكدت في الوجوب عليكم و الزوم لكم ولايته ..."<sup>2</sup> .

لقد قامت الدولة الموحدية على أساس دعوة دينية استغلها ابن تومرت استغلالا سياسيا جيدا و حشد لأجلها أتباعا أكثر آمنوا بها رغبة و رهبة ، فكانت هذه الدعوة سببا مباشرا في إيقاد نار الفتن و الحروب و اضطراب أحوال بلاد المغرب و الأندلس لعقود طويلة ، فسقطت دولة المرابطين و قامت على أشلاء و جثث أمرائها و أتباعها من المسلمين الموحدين على طريقة السلف دولة الموحدين على طريقة الخلف فبسطت نفوذها و علت رايته و تمكنت أن تحقق وحدة المغرب الإسلامي السياسية التي لم يعرفها منذ القرن الثاني الهجري ، و لعل هذا الإنتصار السياسي الكبير يعد أهم عمل لم يتمكن غير عبد المؤمن بن علي من تحقيقه خلال المراحل اللاحقة التي عرفتھا المنطقة مع ما صاحبه من تحرير كامل لسواحل المنطقة من الإحتلال الصليبي .

<sup>1</sup> عبد الكريم التواتي ، مبادئ الموحدين السياسية و الدنيوية ، مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 225، ذو الحجة 1402هـ-محرم 1403هـ/ أكتوبر- نوفمبر 1982م، ص 48 .

<sup>2</sup> رسائل موحدية، ص 19 .

# الفصل الرابع : التنجيم والكهانة في المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى عهد الدولة الموحدية ( من القرن 1 هـ إلى 7 هـ / 7 م إلى 13 م ) .

- 1- تعريف التنجيم و الكهانة و العرافة و حكمها .
  - أ- تعريف التنجيم .
  - ب- تعريف الكهانة .
  - ج- تعريف العرافة .
  - د- حكم التنجيم و الكهانة و العرافة .
- 2- التنجيم في مرحلة الفتوحات الإسلامية ( القرن 1 هـ / 7 م ) .
- 3- التنجيم و الكهانة في عهد الأغالبة ( القرن 3 هـ / 9 م ) .
- 4- التنجيم و الكهانة في عهد الدولة الفاطمية ( القرن 4 هـ / 10 م ) .
- 5- التنبؤات و التنجيم عند الزييين ( 5 هـ - 6 هـ / 11 م - 12 م ) .
- 6- التنجيم في عصر المرابطين ( 5 هـ - 6 هـ / 11 م - 12 م ) .
- 7- الكهانة و التنجيم عند الموحدين ( 6 هـ - 7 هـ / 12 م - 13 م ) .
- 8- التنجيم و الكهانة في الأندلس ( من القرن 1 هـ إلى القرن 7 هـ / 7 م - 13 م ) .

الفصل الرابع : التنجيم و الكهانة في المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عهد الدولة الموحدية ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م إلى 13م ) .

من الأمور التي حاول الإنسان منذ القديم معرفتها و كشف أسرارها التطلع إلى ما يكون في المستقبل من حوادث ، و في سبيل ذلك فإنه لا يتردد في اللجوء إلى المنجمين و الكهنة و العرافين و كل من ادّعى أنّ له باعا في علم الحداث ، و هي كلها ممارسات أعرض المؤرخون القـدامى عن ذكر كثير من تفاصيلها و تتبع دقيق أخبارها ، و اعتبروها مظهرا من مظاهر الزندقة التي حرمها الإسلام ، و ما وصل إلينا من أخبار هؤلاء الدجالين و من اتبعهم و آمن بهم ف هي عبارة عن شذرات مختصرة و غير دقيقة غالبا .

### 1- تعريف التنجيم و الكهانة و العرافة و حكمها .

أ- علم التنجيم : هناك عدة تعريفات للتنجيم ، فقد عرّفه ابن سينا بأنه علم تخميني الغرض منه الاستدلال من أشكال النجوم و الكواكب بقياس بعضها إلى بعض و بقياسها إلى درج البروج ، و بقياس جملة ذلك إلى الأرض على ما يكون من أحـوال و أدوار العـالم و الممالك و البلدان و المواليد و الاختيارات و المسائل<sup>1</sup> .

و عرّفه ابن تيمية بقولـه : " هو الاستدلال على الحـوادث الأرضية بالأحـوال الفلكية و القويج بين القوى الفلكية و القوابل الأرضية"<sup>2</sup> . و قال ابن منظور إنّ المنجم الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها و سيرها<sup>3</sup> .

و أطلق ابن خلدون على التنجيم في المقدمة صناعة النجوم ، و حسبـه فإنّ أصحابها يزعمون أنّهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب و تأثيرها في المولدات العنصرية مفردة و مجتمعة ، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك و الكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية و الشخصية<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة و الطبيعيات، دار العرب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1409هـ / 1989م، ص 110 .

<sup>2</sup> ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع و ترتيب : عبد الرحمان بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، 1425هـ / 2004م، ج35، ص 192 .

<sup>3</sup> ابن منظور، مصدر سابق، ص 4358 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 714 .

و للتنجيم صلة وثيقة بعلم الفلك ، ذلك أنّ التنجيم كان أساس علم الفلك القديم أو قل علم الفلك هو أساس علم التنجيم إذ لا يمكن أبداً إنكار صفة تـ لازم الإثنين ، فالمنجم الحاذق يجب أن يكون ملماً بالفلك و الكواكب و مواقعها و أبعادها و مطارح شعاعاتها و مطالعها و مغاربهـا و بالأزياج و التقاويم و الجداول الفلكية على اختلافها ، إضافة إلى وجوب إلمامه بالحساب و تقسيم دائرة الفلك إلى أجزائها و معرفة ما يطلع من فلك معدل النهار مع أجزاء فلك البروج المعروضة من الأفق في كل موضع من المواضع في الأرض ، كذلك يجب أن يكون المنجم عارفاً بعروض البلدان و الأقاليم عارفاً بارتفاع الشمس و ما يمضي من النهـار من ساعة ، و بأبعاد الكواكب الثابتة و المتحركة عن فلك معدل النهار و بالدرجة التي يطلع معها كل كوكب من الكواكب<sup>1</sup> .

و خلاصة هذا الكلام أن يكون المنجم فلكياً باقتدار ، و مع هذا التلازم الوثيق بين العلمين علم الفلك و علم التنجيم فلننا نضع حداً فاصلاً بين الإثنين فنقول باختصار إنّ الهدف الأساسي للتنجيم هو استطلاع الغيب و قراءة المستقبل و التنبؤ بالأحداث قبل وقوعها عن طريق ملاحظة السماء و تتبع مدارات الكواكب و مواقعها في البروج و المنازل ، إذا التنجيم بحسب التعريفات الحديثة دراسة تأثيرات الكواكب بحسب مواقعها على ما يجري من حظوظ و أحداث ، أو هو التنبؤ بالأحداث عن طريق مراقبة النجوم ، أو هو الفن الذي به نتبين طبائع و أمزجة و حظوظ الناس عن طريق دراسة تأثير الكواكب ، أو هو الكشف عن المستقبل و تلمس خيوط تلك القوة السحرية المعروفة بالمانا (MANA) المتمثلة بسلطان النجوم الذي لا يقهر على جميع الكائنات ، و هذا كله بخلاف علم الفلك المجرد تماماً من جميع هذه التنبؤات و الخيالات و الأوهام<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> د/ يحيى الشامي ، علم الفلك صفحات من التراث العلمي العربي و الإسلامي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ / 1997م ، ص 204 .

J.R. Roy, **L'Astronomie et son histoire**, Edition masson, paris, 1982, p 85 .

<sup>2</sup> يحيى الشامي ، مرجع سابق ، ص 205 .

**ب- الكهـ-انـة :** المراد منه -ا مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة أي الجن و الشياطين ، و الإستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون و الفساد المخصوصة بالمستقبل ، و أكثر ما يكون في العرب <sup>1</sup> .

و الكهانة على وزن فعالة مأخوذة من الكهن و هو التماس الحقيقة بأمر لا أسـاس لها ، و كانت في الجاهلية صنعة لأقوام تتصل بهم الشياطين و تسرق السمع من السماء و تحدثهم به ، ثم يأخذون الكلمة التي نقلت إليهم من السماء بواسطة هؤلاء الشياطين و يضيفون إليها ما يضيفون من القول الباطل ثم يحدثون بها الناس ، فإذا وقع الشيء مطابقا لما قالوا اغترّ بهم الناس و اتخذوهم مرجعا في الحكم بينهم و استنتج ما يكون في المستقبل ، و لهذا نقول إنّ الكاهن هو الذي يخبر عن المعيّات في المستقبل <sup>2</sup> .

و قيل في الكاهن أنّه الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان و يدّعي معرفة الأسرار و مطالعة علم الغيب ، و كان في العرب كهنة يدّعون معرفة الأمور ، فمنهم من كان يزعم أنّ له رئيسا من الجن و تابعة تلقى عليه الأخبار و منهم من كان يدّعي أنّه يستدرك الأمور بفهم أعطيه <sup>3</sup> .

و قال ابن حجر في الفتح : " الكهانة بفتح الكاف و يجوز كسرهما ادّعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الإستناد إلى سبب ، و الأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن ، و الكاهن لفظ يطلق على العرّاف و الذي يضرب بالحصى ، و قيل الكاهن القاضي بالغيب ، و قيل إنّ العرب تسمّي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهنا ، و قال الخطابي الكهنة قوم لهم أذهان حادة و نفوس شريرة و طباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور و مساعدتهم بكل ما اتصل إليه قدرتهم " <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب و الفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص1524 .

<sup>2</sup> ماجد بن سليمان الرّسّي، تلاعب الشيطان بعقول السحرة و الكهان، دار نور للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م، ص 13 .

<sup>3</sup> الحسن بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م، ج12، ص182 .

<sup>4</sup> ابن حجر، الفتح، ج10، ص216 .

ج - العرّافة : هو معرفة الإستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشاهدة الخفية التي تكون بينهما أو الاختلاط أو الارتباط على أن يكونا معلولي أمر واحد أو يكون ما في الحال علة لما في الاستقبال ، و شرط كون الارتباط المذكور خفيا لا يطلع عليه إلا الأفراد و ذلك إما بالتجارب أو بالحالة المودعة في أنفسهم<sup>1</sup> .

و قيل إنّ العرّاف هو الذي يعرف مكان الشيء المسروق أو الضائع<sup>2</sup> ، و قيل أيضا هو الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، كالمسروق من الذي سرقه -ا و معرفة مكان الضالّة و تهيم المرأة بالزنى فيقول من صاحبها و نحو ذلك من الأمور<sup>3</sup> .

و جاء في فتح الباري أنّ العرّاف من يستخرج الوقوف على المغيبات بضرب من قول أو فعل<sup>4</sup> ، و قال ابن منظور إنّ العرّاف و المنجم و الحازي كلها بمعنى واحد و هو الذي يدّعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه<sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> حاجي خليفة، مصدر سابق، ج2، ص 1131 .

<sup>2</sup> Edmond.Doutté, **Magie et religion dans l'afrique du nord**, Typographie adolphe jourdan, Alger, 1909, p 30 .

<sup>3</sup> البغوي، مصدر سابق، ج12، ص 182 .

<sup>4</sup> ابن حجر، الفتح، ج10، ص 217 .

<sup>5</sup> ابن منظور، مصدر سابق، ص 2898 .

## د- حكم التنجيم و الكهانة و العرافة :

قال الخطيب البغدادي : " إنّ علم النجوم يشتمل على ضربين ، أحدهما مباح و تعلّمه فضيلة و هو العلم بأسماء الكواكب و مناظرها و مطالعها و مساقطها و سيرها و الاهتداء بها ، و انتقال العرب عن مياها لأوقاتها و تخييرهم الأزمان لنتاج مواشيهم و ضرابهم الفحول و معرفتهم بالأمطار على اختلافها و استدلالهم على محمودها و مذمومها و التوصل إلى جهة القبلة بالنجوم و معرفة مواقيت الصلاة و ساعات الليل بظهورها و أفولها ، و قد جاء كثير من ذلك في كتاب الله و في الآثار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عن أخيار الصحابة و التابعين و من بعدهم من العلماء" <sup>1</sup> .

و أما الضرب الثاني فيقول عنه الخطيب البغدادي : " و هو المحظور فهو ما يدعيه المنجمون من الأحكام ، و ليس أشد إتعابا للفكر و إنصابا للبدن و إضلالا للفهم منه ، فإذا أنفذ الناظر فيه عمره بإسهار الليل و شغل القلب عن المطعم و المشرب و اللذات و العمل للدنيا و الآخرة و تباعد من الله و رسوله و من عباده الصالحين ، و رماه الناس عن قوس واحدة بالكفر و الزندقة ، كان عرفه الذي انتهى إليه و زبدته التي مخض عنها علم كسوف الشمس و القمر متى يكون ؟ و في أي وقت يحدث من الليل والنهار ؟ و هذا علم لا ينفع الله به بوجه من الوجوه و لا يستدل به على أمر من الأمور <sup>2</sup> ، فإن استنزله الشيطان و أطمع في القضاء و الأحكام و اعتقد في الكسوف أنّه لموت أحد أو حياته أو حلول حادثة و وقوع جائحة ، فقد عقله الشيطان بالغرور و قطع أسبابه من الدين ، لأنّ الله استأثر بالغيب دون أنبيائه و ملائكته إلا ما أطلعهم عليه" <sup>3</sup> .

و قال ابن خلدون : " و الشرع يرد الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى و يبرأ ممّا سوى ذلك ، و النبوات أيضا منكورة لشأن النجوم و تأثيراتها ، و استقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله صلى الله عليه و سلم : " إنّ الشمس و القمر لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته" <sup>4</sup> ، و في قوله صلى

<sup>1</sup> الخطيب البغدادي، القول في علم النجـوم، تحقيق و دراسة : د/ محمد يوسف العيد ، دار أطلس للنشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م، ص 126 .

<sup>2</sup> قال محقق كتاب الخطيب القول في علم النجوم : " و لعل الصواب أنّ العلم بوقت الكسوف و الخسوف ليس من الغيب و إنما مما يدرك بالحساب " ( الخطيب البغدادي، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص 100 ) . و حاليا يتم حساب توقيت الكسوف و الخسوف بدقة و تحديد مكان مشاهدته بدقة أيضا و لا أحد من المسلمين يعتبرون ذلك دجلا و شعوضة بل هو من علم الفلك الذي تطور اليوم تطورا كبيرا .

<sup>3</sup> الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ص 168 .

<sup>4</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، حديث رقم 1043، ج1، ص 328 .



الله عليه و سلم : "أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر بي ، فأما من قال مُطَرنا بفضل الله و رحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، و أما من قال مُطَرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب"<sup>1</sup> ، فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع و ضعف مدارئها مع ذلك من طريق العقل مع مالها من المضار في العمران الإنساني بما تبعث من عقائد العوام من الفساد إذا اتفق الصدق في أحكامه— و ليس كذلك فيقع في رد الأشياء إلى غير خالقها ، ثم ما ينشأ عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع و ما يبعث على ذلك التوقع من تطاول الأعداء و المتربصين بالدولة إلى الفتك و الثورة ، و قد شاهدنا من ذلك كثيرا ، فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين و الدول"<sup>2</sup> .

و أضاف ابن خلدون : " و إنّ الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من أهل العمران لقراءتها و التحليق لتعليمها ، و صار المولع بها من الناس و هم الأقل و أقل من الأقل إنما يطالع كتبها في كسر بيته مستترا عن الناس و تحت ربة الجمه—ور مع تشعب الصناعة—و كثرة فروعها—و اعتياصها على الفهم ، فكيف يحصل منها على طائل"<sup>3</sup> .

و يكفّر المالكية المنجم ، قال ابن رشد في البيان و التحصيل : " إذا كان المنجم يزعم أنّ النجوم و اختلافها في الطلوع و الغروب هي الفاعلة بذلك كلّ و كان مستترا بذلك فحضرتة البيّنة قتل بلا استتبابه لأنّه كافر زنديق ، و إن كان معلنا—بذلك غير مستتر به يظهره و يحاج عليه استتيب ، فإن تاب و إلا قتل كالمرتد سواء ، و إن كان مؤمنا بالله عز و جل مقرا بأنّ النجوم—و اختلافها في الطلوع و الغروب لا تأثير لها في شيء مما يحدث في العالم و إنّ الله هو الفاعل لذلك كله إلا أنّه جعلها أدلة على ما يفعله ، فهذا يزجر عن اعتقاده و يؤدب عليه أبدا حتى يكف عنه و يرجع عن اعتقاده و يهتوب عنه ، لأنّ ذلك بدعة يجرح بها و تسقط إمامته و شهادته"<sup>4</sup> .

هذا حكم المنجم الذي يدّعي علم الغيب ، و أما من يقصده من عامة المسلمين فيقول فيهم ابن رشد أيضا : " و لا يحل لمسلم أن يصدّقه في شيء مما يقول ، و أنّي يصح أن يجتمع في قلب

<sup>1</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الآذان، باب يستق ط الإمام الناس إذا سلم، حديث رقم 846، ج 1، ص 272 . مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم 71، ص 59 . أبو داود، السنن، كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم 3906، ص 428 . كلهم عن زيد بن خالد الجهني .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 717 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 718 .

<sup>4</sup> أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، البيان و التحصيل، تحقيق : أحمد الجبالي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ / 1988م، ج 17، ص 407.

مسلم تصديقه مع قول الله تعالى : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ " <sup>1</sup> ،  
 وقوله : " عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ " <sup>2</sup> ، و روي عن النبي  
 صلى الله عليه و سلم أنه قال : " من صدق كاهنًا أو منجمًا فقد كفر بما أنزل على  
 قلب محمد " <sup>3</sup> ، و يمكن أن يصدق في بعض الجمل و ذلك من حبائل الشيطان ، فلا ينبغي أن  
 يغتر أحد بذلك و يجعله على صدقه دليلًا فيما يقول ، كما لا ينبغي أن يصدق الذين يعالجون  
 المجانين فيما يزعمون من أنهم يعالجون بالقرآن ، فلا يعلم الأمور الغائبة على وجوهها و تفاصيلها إلا  
 علام الغيوب أو من أطلع عليها علام الغيوب من الأنبياء ليكون ذلك دليل على صحة نبوته " <sup>4</sup> .  
 و قال ابن تيمية : " صناعة التنجيم محرمة بالكتاب و السنة و إجماع الأمة ، بل هي محرمة  
 على لسان جميع المرسلين في جميع الملل " <sup>5</sup> .

و روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من أتى عرافًا  
 فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " <sup>6</sup> ، و روى مسلم أيضا عن معاوية بن الحكم  
 السلمي قال : " قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان ، قال :  
 فلا تأتوا الكهان " <sup>7</sup> .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعقيبا على الحديثين : " و المنجم يدخل في اسم العراف و عند  
 بعضهم هو معناه ، فإذا كانت هذه حال السائل فكيف المسؤول ، و أما الحديث الثاني فإن النبي  
 صلى الله عليه و سلم نهي عن إتيان الكهان و المنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي و غيره

<sup>1</sup> سورة النمل، الآية 40 .

<sup>2</sup> سورة الجن، الآية 27 .

<sup>3</sup> الإمام أحمد، المسند، شرحه و وضع فهارسه : أحمد محمد شاكر و أكمله حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة  
 الأولى، 1416هـ/1995م، حديث رقم 9562، ج9، ص 240 . و عند أبي داود عن أبي هريرة : " من أتى كاهنًا  
 فصدقه بما يقول ثم اتفقا أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد " ( أبو داود،  
 السنن، كتاب الطب، باب في الكاهن، حديث رقم 3904، ص 428 ) .

<sup>4</sup> ابن رشد، مصدر سابق، ج17، ص 408 .

<sup>5</sup> ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج35، ص 192 .

<sup>6</sup> الإمام مسلم، الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، حديث رقم 2230، ص 917 .

<sup>7</sup> نفسه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان، حديث رقم 537، ص 916 .

العلماء و حكي ذلك عن العرب ، و عند آخرين هو من جنس الكاهن و أسوا حالا منه  
فلحق به من جهة المعني<sup>1</sup> .

و أعقب قائلا : " و قد تبين بما ذكرناه آنفا أنّ الأجرة المأخوذة على ذلك حرام على الدافع  
و الآخذ ، و أنّه يحرم على الملاك و الوكلاء إكراء الحوانيت المملوكة أو الموقوفة أو غيرها من هؤلاء  
الكفار و الفساق بهذه المنفعة ، إذا غلب على ظنهم أنّهم يفعلون فيها هذا الخبث الملعون ، و يجب  
على ولي الأمر و على كل قـادر السعي في إزالة ذلك و منعهم من الجلوس في الحوانيت  
أو الطرقات أو دخولهم على الناس في منازلهم لذلك ، و إن لم يفعل ذلك فيكفيه قول الله تعالى :  
" كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ "<sup>2</sup> ، و قوله سبحانه و تعالى : " لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ  
وَ الْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّخْتَ "<sup>3</sup> ، فإنّ هؤلاء الملاعين يقولون الإثم و يأكلون  
السحت بإجماع المسلمين ، و ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال : " إنّ الناس إذا رأوا  
المنكر و لم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه "<sup>4</sup> ، و أي منكر أنكر من عمل هؤلاء  
الأخايب سوس الملك و أعداء الرسل و أفراخ الصابئة عباد الكواكب ، فهل كانت بعثة الخليل صلاة  
الله و سلامه عليه إمام الحنفاء إلا إلى سلف هؤلاء ، فإنّ نمرود بن كنعان كان ملك هؤلاء و علماء  
الصابئة هم المنجمون و نحوهم ، و هل عبدت الأوثان في غالب الأمر إلا عن رأي هذا الصنف  
الخبث الذين يأكلون أهوال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج35، ص 193 .

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية 79 .

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية 63 .

<sup>4</sup> الإمام أحمد، المسند، حديث رقم 1، ج1، ص 165 . و عند أحمد أيضا عن أبي بكر الصديق مرفوعا : " إنّ الناس إذا رأوا

الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقابه " ( الإمام أحمد، المسند، حديث رقم 30، ج1، ص 181 ) .

<sup>5</sup> ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج35، ص 195 .

## 2- التنجيم في مرحلة الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ( القرن 1هـ / 7م ) :

تذكر الروايات التاريخية عن زهير بن قيس البلوي<sup>1</sup> أنّه لما بلغه ما جرى لعقبة بن نافع<sup>2</sup> رعب رعباً شديداً و أراد الانصراف إلى مصر ، فأتاه رجل يقال له ابن حيان الحضرمي و قال له لا تفعل فإنها هزيمة إلى مصر فكان أول من برز و ضرب خباه مبارزا للعدو ، فلما رأى زهير عزمه عزم معه ، و كان مع المسلمين في عسكرهم تبيع<sup>3</sup> فقال له زمير : لمن تتواها ؟ فقال أراه - لرجل من غسان و أنت من بلي ، فقال زهير : أنا و الله من نوافل العرب غسان ، جنى جدي جناية فلجأ إلى بلي فغلب عليهم نسبهم ، فقال عند ذلك لتبيع : ما علامة الفتح لنا ؟ قال : يطيش رجل من أصحابك فيستشهد ، فلما تدانت الخيل طاش رجل من مداد اليمن فقتل ، و يقال إن تبيعاً قال لزهير : علامة صاحب الفتح أن يفتض ذلك اليوم بكرا ، فأدنى إليه زهير و قال : إنّ لم يحف بعد و أنا طهرت من اقتضاض بكر الساعة ، فقال له تبيع : اخرج على بركة الله تعالى و عون<sup>4</sup> .

و قيل في تبيع هذا إنّ صاحب ملاحم<sup>5</sup> ، و وصفه موسى لقبال بأنّه جمع إلى الخبرة في الحرب المهارة في الكهانة<sup>6</sup> ، فهل حقا كان زهير بن قيس العابد الزاهد<sup>7</sup> يعتقد في تبيع و يصدق أخباره ؟ و هل كان لأخباره أثر في معارك زهير ضد كسيلة ؟

---

<sup>1</sup> زهير بن قيس البلوي : من فاتحي بلاد المغرب ، و لاه أمير مصر عبد العزيز بن مروان برقة سنة 69هـ/688م ، قتل كسيلة و في عودته إلى برقة لقي الروم فقاتلهم حتى قتل سنة 69هـ/688م ( ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 453 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 52 ) .

<sup>2</sup> عقبة بن نافع : بن عبد القيس الأموي الفهري ، من كبار قادة الفتح في بلاد المغرب ، ولي إفريقية من قبل معاوية للمرة الأولى سنة 50هـ/669م ، أسس مدينة القيروان ثم غُزل سنة 55هـ/674م ، و لما تولى يزيد بن معاوية بعثه إلى المغرب و البيا للمرة الثانية سنة 62هـ/681م ففتح البلاد حتى وصل إلى المحيط ، و أثناء رجوعه قُتل في تهودة سنة 63هـ/682م ( ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 19 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 241 ) .

<sup>3</sup> تبيع : بن عامر الحميري الحبر بن امرأة كعب الأخبار ، قرأ الكتب و أسلم في أيام أبي بكر أو عمر ، قيل عنه هو تبيع صاحب الملاحم ، توفي سنة 101هـ/719م بالإسكندرية ( ابن حجر ، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ج1 ، ص 195 . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج4 ، ص 413 ) .

<sup>4</sup> أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : د/ عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1425هـ/2005م ، ج1 ، ص 81-82 .

<sup>5</sup> الذهبي ، السير ، ج4 ، ص 413 .

<sup>6</sup> د/ موسى لقبال ، مرجع سابق ، ص 59 .

<sup>7</sup> ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 453 .

و الذي وقع أنّ زهيراً لم يكتب له الفتح كما أخبره تباع هذا حسب هذه الرواية ، حيث لم يلبث أن تمكن الروم من قتل زهير في جماعة من أصحابه في برقة<sup>1</sup> .

و تطالعنا المصادر التاريخية بتكهنات و نبوءات الكاهنة ملكة البربر بجبل أوراس<sup>2</sup> التي هزمت حسان بن النعمان الغساني<sup>3</sup> وأسرت جماعة من أصحابه ، فقد علمت بأنّ خالد بن يزيد الذي كان أسيراً لديها أنّه كان يرسل أخبارها إلى المسلمين ، فقد نقل ابن عبد الحكم أنّ حساناً بعث إلى خالد رجلاً فأتاه فقال له : إنّ حساناً يقول لك ما يمنعك من الكتابة إلينا بخبر الكاهنة ؟ فكتب خالد بن يزيد كتاباً و جعله في خبزة ثمّ دفعها إلى الرسول ليخفي فيها الكتاب و ليظن من رأى الخبزة أنّها زاد الرجل ، فخرجت الكاهنة و هي تقول : يا بني إنّ هلاككم فيما تأكله الناس<sup>4</sup> ، فافترقوا يميناً و شمالاً يطلبون الرجل ، فستره الله حتى وصل إلى حسان فكسر الخبزة فأصاب الكتاب قد أفسدته النار ، فقال له حسان : راجع إليه ، فقال : إني أخاف الموت فإنّ الكاهنة لا يخفي عليها شيء من هذا ، فقال حسان : أنا أخفيه في مكان لا يجده أحـد ، ثمّ عمد إلى قربوس سرجـه فنقر فيه و أدخل الكتاب و سد عليه بشمع ، و مضى الرجل حتى أتى ابن يزيد فدخل عليه و عرّفه أنّ الأول قد أحرقت النار ، فرد جوابه و وضعه في قربوس سرجه و مضى ، فخرجت الكاهنة ناشرة شعرهـا و هي تنادي : ذهب ملككم في شيء من نبات الأرض<sup>5</sup> ، فكررت ذلك و مضى حتى قدم حسان<sup>6</sup> .

و تنبأت الكاهنة بمصيرها و أنّها مقتولة لا محالة ، فعندما غزاها حسان خرجت ناشرة شعرها قائلة : يا بني انظروا ماذا ترون في السماء ؟ قالوا : نوى شيئاً من سحبـاب أحمر ، قالت : لا و إلهي و لكنها وهج خيل العرب ، ثمّ قالت لخالد بن يزيد : إنما كنت تبنيك لمثل هذا اليوم ، أنا مقتولة

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 33 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، العبر، ج4، ص 239 .

<sup>3</sup> حسان بن النعمان : ابن المنذر الغرّاني من ملوك العرب ، ولي المغرب فهذه و عمّره و كان مجاهداً لبيـلكبير القدر، بعد مقتل زهير بن قيس وجهّه عبد الملك بن مروان لإفريقية فكانت له وقائع كثيرة مع الروم و البربر ، دانت له البلاد بعد قتل الكاهنة ثمّ عزله الوليد بن عبد الملك ، توفي حسان بعد سنة 86هـ/704م ( ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 34 . الذهبي، مصدر سابق، ج4، ص 140 . الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص 177 ) .

<sup>4</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص 200 .

<sup>5</sup> الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق : د/ محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م، ص 48 .

<sup>6</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج2، ص 201 .

فأوصيك بأخويك هذين خيرا ، فقال خالد : إني أخاف إن كان ما تقوليـن حقا ألا يستبقيا ، قالت : بلى و يكون أحدهما عند العرب أعظم شأنًا منه اليوم ، فانطلق فخذ لهما أمانا<sup>1</sup> ، و في رواية أنّها قالت لابنها : إنيّ مقتولة ، و أعلمتهم أنّها رأت رأسها مقطوعة موضوعة بين يدي ملك العرب الأعظم الذي بعث حسّانا ، فقال لها خالد : فارحلي بنا و خلّي له عن البلاد ، فامتنعت و رآته عارا لقومها ، فقال لها خالد و أولادها : فماذا نحن صانعون بعدك ؟ فقالت : أمّا أنت يا خالد فستدرك ملكا عظيما عند الملك الأعظم ، و أمّا أولادي فسيدركون سلطانا مع هذا الرجل الذي يقتلني ، ثم قالت : اركبوا و استأمنوا إليه ، فركب خالد و أولادها في الليل و توجهوا إلى حسان فأخبره خالد بخبرها و إنّها علمت قتلها و قد وجهت إليك بأولادها ، فوكل بهما من يحفظهما و قدّم خالدا على أعنة الخيل ، و خرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت : انظروا ما دهمكم فإنيّ مقتولة ، ثمّ التحم القتال فانهمزمت الكاهنة و أتبعها حسان حتى قتلها<sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص ص 37-38 .

### 3 - التنجيم و الكهانة في عهد الأغالبة ( القرن 3 هـ / 9 م ) :

لقد عني الحكام و الأمراء و من بيدهم مقاليد السلطة بالتنجيم و بكل ماله علاقة بمعرفة الغيب ، فأكثرهـم يحرس على عرشهـم و على دوام جلوسهـم عليه سالكا في سبيل ذلك كل سبيل ، و قد كانت بضاعة التنجيم بضاعة نافقة منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي .

و من علوم الكهانة و التنجيم ما يعرف بعلم الحدثن ، و أكثر ما يعتني بذلك و يتطلع إليه الأمراء و الملوك في آحاد دولتهم لذلك انصرفت العناية إليه ، و كل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يترقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها ، و ما يحدث لهم من الحرب و الملاحم و مدة بقاء الدولة و عدد الملوك فيها و التعرض لأسمائهم<sup>1</sup> .

و كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى بن صالح من بني يفيث و له كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانتهم ، و فيها حدثان كثير و معظمه فيما يكون لزناة من الملك و الدولة بالمغرب و هي متداولة ، و هم يزعمون ثلثة أنه ولي و ثلثة أنه كاهن ، و قد يزعم بعض مزاعمهم أنه كان نبيا لأن تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير<sup>2</sup> .

و في أخريات عهد الأغالبة كثر الحديث عن قرب نهاية دولتهم و كان لكتب الحدثن دور بارز في إشاعة هذه الأخبار ، و مما يذكر عن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب<sup>3</sup> أنه أرسل في طلب حمديس المنجم ، و كان رفع إليه أنه قال لأبي عقاب بن أبي الغنائق محمد بن أحمد بن الأغلب أنك تلي الملك في وقت كذا ، فلما أدخل عليه حمديس قال له إبراهيم بن أحمد : أنت القائل لابني أنك تلي الملك ، فهـلا أعلمتك بنجومك بمـأنا صانع بك ؟ ثم قال قدّموه إليّ و هو قاعد على كرسي فضربه بطبرزين - الفأس من السـلاح - كان في يده و أمر به فقتل بين يديه<sup>4</sup> .

و في سنة 279هـ/892م قتل إبراهيم بن الأغلب فتiane ، ذلك أنه كان كثير الإصغاء إلى قول المنجمين و الكهنة و كانوا قالوا إنه يقتله رجل ناقص العقل و إنه يمكن أن يكون فتى ، فكان إبراهيم إذا رأى أحدا من فتiane فيه حركة و نشاط و حدّة يتقلّد سيفاً ثم يقول هذا صاحبي فيقتله ،

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 411 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 412 .

<sup>3</sup> إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب : ولي بعد وفاة أخيه أبي الغنائق محمد بن أحمد بن الأغلب سنة 261هـ/874م ، و كان أبو الغنائق قد عهد لابنه أبي عقاب و استخلف أخاه إبراهيم بن أحمد أن لا ينازعه ، و لكن أهل القيروان ولوا أمرهم إبراهيم لحسن سيرته فيهم عندما كان واليا عليهم ( ابن عذاري، مصدر سابق، ج 1، ص 116 . النووي، مصدر سابق، ص 274 ) .

<sup>4</sup> ابن الخطيب، أعمال الأعلام " القسم الثالث"، ص ص 32-33.

فلما قتل منهم جماعة وقع بقلبه أنه قد استفسد إليهم ، فضمه الحذر إلى قتل جميعهم  
و استخدم عوضا عنهم السودان ، ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبة فقتل السودان  
أجمعين<sup>1</sup> .

و كان إبراهيم بن الأغلب هذا قد أرعبته كتب الحدثان التي كانت تتحدث عن قرب ظهور  
دولة الشيعة فطلب من كان له أثر في هذه الكتب ، و انتهى إليه عن شيخ بقرية من قرى تونس  
يقال لها قرية الحريثين و أن قبله علم الحدثان و كان شاعرا فأمر بحمله إليه ، فسأله فاعتذر بالكبر  
و أنه سقط عنه علم أكثر ذلك ، فلاطفه و بذل له و قال لا بد أن تذكر لي ما عندك في ذلك ،  
فقال له شعرا كان قد فشا و كانوا يروونه و ينشدونه و عرض له فيه و لم يفصح<sup>2</sup> ، و قد نقل  
القاضي النعمان بعض هذه الأبيات الحدثانية و منها :

وجدت كتابا قد تقادم عهده	رواية أشياخ لكرام المناسب
رواية وهب عن سطيح و دنيال	مشايخ علم صادق غدير لاذب
تتابع رايات من الشرق سبعة	إلى الغرب سرود خافقات الذوائب
يسير بها خزر العيون تراهـم	مباسمهم سمط طوال الشوارب
ولاة بني العباس عشرون واليا	تدين لهم بالرغم أرض المغارب
و في الست و التسعين تهب راية	من الغرب في جمع لثيف المواب
يمزق أرض البربريـة جميعهـم	بخيل كأمثال القطا المشـارب
و تطلع شمس الله من غرب أرضهـ	فلا توبة تنجي هنالك لتائب
و يظهر من أبناء فاطمة امـرؤ	تقي نقي العرض جـم المواب
سني نبي الله و ابن صفـيـهـ	و أكرم مولود و أشرف طالب
فيملأ الأرض عدلا و رحمة	لأنجام صدق طيبات الملكـاسب
و بالأعور الدجال ينهدّ جمعـهـ	سوى عصبة في بلذخ الطود راتب
و يقتله من بعد عيسى بن مـريم	بقدره رب مالـهـ من مغلب
و من بعدها موت ابن مريم مقضيا	إلى الله في حكم من الله واجب <sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن عذاري، مصدر سابق، ج1، ص ص 122-123 .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 63 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 64 و ما بعدها .



و في سنة 278هـ/891م قتل إبراهيم بن أحمد رجال بلزمة<sup>1</sup> بمدينة رقادة، و كان قبل ذلك قد زحف إليهم و بارزهم بنفسه فلم يتمكن منهم فأظهر العفو عنهم و رجع ، ثم وفد عليه وفدهم فأنزلهم في رقادة في دار عظيمة كالفندق و أجرى عليهم نزلا واسعا و خلع عليهم و أكرمهم حتى اجتمع منهم نحو ألف رجل ، فأحاط بهم فامتنعوا و قاتلوا فقتلهم عن آخرهم ، فكان قتلهم سبب انقطاع دولة بني الأغلب لأنّ أهل بلزمة كانوا قد أذلّوا كتامة و اتخذوهم عبيدا و فرضوا عليهم العشور و الصدقات و أن يحملوا ذلك على أعناقهم ، فكان الذي صنع إبراهيم بأهل بلزمة ممّا أنقذ كتامة من تلك الذلة و أوجدتهم السبيل إلى القيام مع الشيعة<sup>2</sup> .

و كان بلزمة رجل من أهل نفطة<sup>3</sup> و كان شيعيا يذكر انقطاع أمر بني الأغلب فطلب فصار إلى بلزمة ، و كان شاعرا يقال له محمد بن رمضان يمدح بني مالك فحموه و منعوه ، فاتصل بهم قتل إبراهيم البلزميين و هو عندهم فقال في ذلك :

جل المصاب لئن كان الذي ذكروا      مما أتتنا به الأنبـاء و الخـبر  
عن ألف أروع كالآساد قد قتلوا      لساعة من سواد الليل إذا غدروا  
لو كان من بيّت الآساد أيقظهـم      حلت به منهم الأحداث و الغير  
قل لابن أحمد إبراہیم مالكة عن الخبر بما يـ      أي و ما يـذر  
عن المشرد في حب الأئمة من آل النبي و      خير الناس إن ذكروا  
أعلم بأن شـرار الناس أطولهم      يـدا بمكروه هم يومـا إذا قدروا  
لا سيما الضيف و الجار و الغريب و من      أعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا  
فما اعتذارك عن عـار و منقصة أتيتها عام      دا إن قام معتذر  
جرّعت ضيفك كأسـا أنت شاربه      عمّا قلـل و أمر الله ينتظر  
فدولـة القائم المهدي قد أزفت أيامها و      الذي أنـبأ به الأثـر  
عن النبي و فيه عـا قطع مدتلّم يا آل الأغلب أهل الغدر فاقصروا  
و قطع أمر بني العباس بعدكم و      قطع آل بني مروان إذا بطروا<sup>4</sup>

<sup>1</sup> بلزمة : قرب مدينة قسنطينة و بينهم يومان ، و هو حصن لطيف ( الحميري، مصدر سابق، ص 103 ) .

<sup>2</sup> النويري، مصدر سابق، ص 278 .

<sup>3</sup> نفطة : في قسطنطينية من بلاد الجريد في إقليم إفريقية و جميع أهلها شيعة ، و تسمى الكوفة الصغرى (الحميري، مصدر سابق، ص 578) .

<sup>4</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص ص 72-73 .

و لما انتهى هذا الشعر إلى إبراهيم سأل عن قائل — فأخبر بخبره فقال : " لعن الله من طلبه و سرده فما مثل هذا يؤذى و لو أتانا لصفحنا عنه و أحسنا إليه ، و لقد أحسن في الوفاء لمن أجاره و صنع المعروف إليه و مثل هذا تذكر عنده الصنائع و ما ينقم عنه تشيعه ، بل ذلك مما يقربه منا و يدنيه عندنا فأبلغوه عنا ذلك ، فإن أحب القدوم إلينا فهو آمن و له عندنا مع ذلك الجاه و الإكرام " . فأنتهى قوله إلى محمد بن رمضان فعلم إنما أراد أن يستدرجه<sup>1</sup> .

و من الملاحم الشعرية التي ذكرت قرب زوال ملك الأغالبة و بداية دولة الشيعة أبيات رواها القاضي النعمان عن شاعر يدعى ابن عقب و جاء فيها :

استمع الحق و دع عنك اللعب	و هاك قولا صادق غير كذب
إذا أرى الكوكب الطويل الذنب	فذاك حدث طاه — قد اقترب
في السرت و التسعين يأتيك العجب	بعدكم — ال المائتين من رجب
من جيجل ينقض جيش ذو لجب	أمضى من الجمر إذا الجمر التهب
من بربر يسع —ون في كل حذب	ركبا رج — الا ما يملون التعب
قد ملؤوا المشرق خوفا و رهب	و أنزلوا بالغرب ذلا و نصب
تسع —ون ألفا بين رأس و ذنب	سيماهم الحقد و إظهار الغضب
و فيهم خلط قريش و ع —رب	بكل سيف ق —اطع إذا ضرب
حتى إذا جازوا صع —ودا و صبب	في كل جيش راية من العصب
يغرزها الواكب في ع —ود الركب	يقودهم كهل علي —م بالكتب
يلوي إلى الحزم إذا الخطب اضطرب	و يأخذ الأمر البعيد من كتب
نقلب الدول —ة فيما نقلب	مهدي في نص أسفار الكتب

عن دانيال و سطيح في العرب<sup>2</sup>

فهذه النبوءات بقرب زوال دولة الأغالبة كانت لونا من الدعاية التي اتخذتها الدعوة الشيعية الإسماعلية في هذه المرحلة ، و كانت تشيعها لتحطم به معنويات الناس و تدخل بها اليأس إلى

<sup>1</sup> نفسه، ص 73 .

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 68-69 .

قلوبهم و الإيمان المطلق في قلوب آخرين ، فشدد من أزر هؤلاء و تهَيَّء أولئك لتقبل ما لا مناص منه ، ثم عرض هذه النبوءات في معرض فني بمثل هذا الشعر ، و هو مصنوع كله لهذه الغاية<sup>1</sup> .

و اعتزل إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب الملك ، و يذكر في سبب اعتزاله أنّ الخليفة العباسي المعتضد قد شكى إليه أهل تونس ما صنع بهم إبراهيم و قالوا : أهدى إليك نساءنا و بناتنا ، فغضب الخليفة و أمره أن يعتزل إفريقية و ولي عليها ابنه أبا العباس ، فكره إبراهيم المسير إلى المعتضد و أظهر التوبة و رفض الملك و لبس الخشن من الثياب ، و أمر بإخراج من في سجونهم و بعث إلى ابنه أبي العباس و هو بصقلية ليصير إليه الملك ، فقدم عليه في شهر ربيع الأول سنة 289هـ/فيفري 902م<sup>2</sup> .

و قيل في سبب اعتزاله غير ذلك ، فالرواية الشيعية تذكر أن إبراهيم خرج من إفريقية و ركب البحر في رجب سنة 289هـ/جوان 902م لما نظر إلى سنة 290هـ/903م التي جاءت بها الروايات الحداثية قد قربت ، و كان وصل إلى صقلية و هو يقول : " لا أرجع إلى إفريقية أبدا " فمات لعل البطن يوم السبت 13 ذي القعدة سنة 289هـ/18 أكتوبر 902 م ، و كان تساقط النجوم قبل موته لخمس ليال<sup>3</sup> ، و حسب الرواية الشيعية دائما كان قد أسرّ إلى ابنه أبي العباس و نّاه عن محاربة أبي عبد الله و قال له : " كن من أمره على وقاء ، فإن رأيت أنّه قصد إليك فخلّ بين يديه و الحق بي إلى بلد الروم فليس لك به طاقة و هو صاحب قطع دولتنا"<sup>4</sup> .

و لما تولى ابنه أبو العباس بن إبراهيم أظهـر التقشف و الجلوس على الأرض و إنصاف المظلوم و جالس أهل العلم و شاورهم و كان لا يركب إلا إلى الجامع ، فقال قوم إنّ أهل النجوم أمره بذلك<sup>5</sup> .

و نسب القاضي النعمان رواية لأحد الأغلبة و اسمه يعقوب بن المضاء يذكر فيه تنبؤه ببناء المهديّة ، فيروي أنّه كانت لهذا الرجل ضياع بالقرب منها و كان يأتي الجزيرة التي بنيت عليها المهديّة

<sup>1</sup> محمد طاهر الجابري، مرحلة التشيع في المغرب العربي و أثرها في الحياة الأدبية ، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص 29 .

<sup>2</sup> النويري، مصدر سابق، ص 282 .

<sup>3</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص ص 77-78 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 115 .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 133 .

فيقف بها و يدور فيها و ينظر إليها و يقول : " هذه صفة الجزيرة التي يقال إنّ المهدي يني عليها مدينته ، و الله ما أعلم على ساحل إفريقية موضعاً أشبه بما وُصف من هذا " <sup>1</sup> .

و رغم محاولة القاضي النعمان الإدّعاء بأنّ الأخبار و الأشعار في هذا كثيرة ، و أنّ الشيعة يروونها و يذكرونها و قد جاءت بها الروايات و بُشّرَ بها كما جاءت الأخبار بمبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل أن يبعث <sup>2</sup> و هو بذلك يستدل على صحتها و الإيمان بها ، فإنّه ربما قد فاته أنّ الكتب السماوية المقدسة المنزلة من الله تعالى على أنبيائه إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام هي من أخبرت عن مبعث نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، أما أخبار مهدي الشيعة فمصدرها كتب الحدّثان و أخبار المنجمين و الكهان .

---

<sup>1</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص 76 .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

#### 4- التنجيم و الكهانة في عهد الدولة الفاطمية ( القرن 4 هـ / 10م ) :

الإسماعلية من الفرق الباطنية التي أولت التنجيم و النبوءات و الكهانة أهمية كبيرة ، و اهتم بهذا الشأن أئمتهم و عامتهم على السواء حتى قيل إنّ علمهم بذلك سبب توصلهم إلى خلافتهم<sup>1</sup> ، و بعد قيام دولتهم في بلاد المغرب و نجاح دعوتهم بقيادة أبي عبد الله الشيعي استمر رجهم بالغيب ، فعيّد الله المهدي أكد لأتباعه أنه سيكون صاحب الدولة معتمدا على بعض الظواهر الفلكية ، و مع أنّ هذه الأمور قد يلجأ إليها بعض الزعماء لتشجيع الأتباع و إثارة حماسهم ، فإنها قد تقابل من المهدي و أتباعه على أنّها حقائق ثابتة<sup>2</sup> .

و لكي تكون المهدوية في شخص عبيد الله وحده نجد المصادر الإسماعلية قد تنبأت بفشل الحركات المهدوية التي ظهرت في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي ، فقد روى القاضي النعمان في شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ما جاء في هلاك من تشبه بالمهدي ، فعن أبي جعفر محمد بن علي أنّه سئل عن الفرّج متى يكون ؟ فقال : " إنّ الله عز و جل يقول : "فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ"<sup>3</sup> ، ثمّ قال : يرفع لآل جعفر بن أبي طالب راية ضلال ، ثمّ يرفع آل العباس راية أضل منها و أشر ، ثم يرفع لآل الحسن بن علي رايحات و ليست بشيء ، ثمّ يرفع لولد الحسين راية فيها الأمر " ، و عن أبي جعفر محمد بن علي أنّه قال : " كل خارج منا مقتول فلا تتبعوه - إنّ كان ابني هذا - و وضع يده على أبي عبد الله جعفر بن محمد - فلا تتبعوه حتى تروا ما تعرفون"<sup>4</sup> .

و هذا الفشل حسب هذه الروايات الشيعية سببه التشبه بالمهدي أو ادّعاء المهدوية ، و الثورة التي ستحرز النجاح هي التي سيقودها أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب<sup>5</sup> ، و لما قال الإسماعليون إنّ عبيد الله هو مهديهم فمن السهل الاستدلال على مهديته بأحاديث نبوية كثيرة أصلها ثابت مروي في كتب الحديث السنية الكثيرة مع إضافة لمسات شيعية تبدو واضحة في

<sup>1</sup> ابن طاووس، فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، دار الذخائر للطبوعات، قم، ص 175 .

<sup>2</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 128 .

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية 71 .

<sup>4</sup> القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجليلي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ج3، ص 356.

<sup>5</sup> بوية مجاني، مرجع سابق، ص 31 .

هذه المرويات<sup>1</sup> ، و منها ما رواه القاضي النعمان عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " المهدي من نسل فاطمة سيدة نساء هذه الأمة طالت الأيام أو قصرت ، يخرج فيملاً الأرض قسطاً كما ملئت جوراً و ظلماً ، قيل : و متى يخرج يا رسول الله ؟ قال : إذا كان زلزل في أطراف الأرض و ارتشت القضاة و فجرت الأمة ، يخرج من المغرب في ساقه شامة و بين كتفيه شامة فرداً غريباً ، قيل : و كيف يكون فرداً غريباً يا رسول الله ؟ قال : لأنه ينفرد عن أهله و يتغرب عن وطنه " ، و علّق القاضي النعمان راوي الحديث قائلاً : " و كذلك قام المهدي فرداً غريباً من المغرب " <sup>2</sup> .

و روى النعمان أيضاً حديثاً آخر يحدد تاريخ ظهور المهدي ، فعن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " لا بد من ولد فاطمة يقوم من المغرب بين الخمسة إلى السبعة يكسر شوكة المبتدعين ويقتل الضالين " ، ثمّ شرح الحديث قائلاً : " و كذلك قام المهدي عليه السلام في المغرب و ظهر فيه أمره بعد أن كان مستتراً بوصول صاحب دعوته المغرب بمجموع عساكر أوليائه المستجبين لدعوته إليه سنة 296هـ/908م ، و صار إلى دار مملكته بالمغرب بافريقية في سنة 297هـ/909م تتلوها " <sup>3</sup> .

و أورد النعمان حديثاً آخر في هذا الباب أكثر دقة من سابقه في تحديد تاريخ ظهور عبيد الله المهدي ، فقد نقل عن يحيى بن سلام صاحب التفسير مرفوعاً : " تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجري " ، و شرح الحديث عنده كالأتي : " و هذا حديث مشهور ، و لم تطلع الشمس من مغربها في هذا الوقت و لا بعده ، و إنما عني عليه الصلاة والسلام بذلك قيام المهدي بالظهور من المغرب ، و العرب تقول طلّع علينا فلان و طلع من مكان كذا و كذا إذا أقبل منه ، و يسمّون الرجل الفاضل شمساً ، و قد سمى الله نبيه سراجاً فقال الله تعالى : " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا " <sup>4</sup> ، و سمى الله تعالى الشمس سراجاً

<sup>1</sup> و أحاديث الشيعة بصفة عامة المروية في كتبهم يردها علماء السنة كما يرد الشيعة أحاديث كتب السنة ، قال أبو حامد المقدسي في ردّه على الرافضة : " و هم مع هذا كله يردّون أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم مثل أحاديث البخاري و مسلم و يرون أنّ شعر و شعراء الرافضة مثل الحميري و مهيار الديلمي خير من أحاديث البخاري و مسلم ، و قد رأينا في كتبهم من الكذب و الإفتراء على النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته و قرابته أكثر ممّا رأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة و الإنجيل " ( أبو حامد محمد المقدسي، مصدر سابق، ص 432 ) .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ج3، ص 363 .

<sup>3</sup> نفسه، ج3، ص ص 363-364 .

<sup>4</sup> سورة الأحزاب، الآيتان 45-46 .

فقال : " وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا " <sup>1</sup> ، و المهـ —دي هو المراد بالشمس التي ذكر رسول الله أ تها تطلع من المغرب على رأس الثلاثم —ائة من هجرتـهـ ، و كذلك طلع علينا هو عليه السلام في سنة 297هـ/909م ، و رأس الثلاثمئة ما دخل في عقد آخر عدها ، أعنى العشرة الآخرة من عدد الثلاثمئة ، و لم يطلع في ذلك الوقت و لا فيما قرب منه من قبلـهـ و لا من بعـدهـ شمس من المغرب " <sup>2</sup> .

و ممّا يدل على زيف هذه الروايات و بطلانها أنّ التأريخ بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة لم يكن معمولاً به في زمن النبوة ، و إنما وضعه المسلمون في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لسنتين و نصف من خلافته ، فكُتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب <sup>3</sup> ، فهل يعقل أن يحدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم تاريخاً لحدث بتقويم لم يكن يعمل به المسلمون في تلك الحقبة التاريخية المباركة ؟

و ممّن تنبأ بظهور عبّي الله و قيامه بالمغرب أبو القاسم المنصور ابن حوشب <sup>4</sup> باليمن من كبار الدعاة الإسماعيليين و هو الذي أرسل أبا عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب ، و قد ذكرت النبوءات الإسماعيلية أنّ صاحب اليمن أبو القاسم سيوطي للمهدي عند ظهوره ، و كان إذا سمع من يسميه المنصور يقول : المنصور إمام آل محمد ، أما سمعتم إلى قول الشاعر :

إذا ظهر المنصور من آل محمد فقل لبني العباس قوموا على رجل <sup>5</sup>

و لم يجد القاضي النعمان حرجاً في رفع هذه الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " و هذا ممّا ذكر أنّه من خبر ما يكون ، فإنّ ذلك لم يكن إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا آله عن الله " <sup>6</sup> .

و استمراراً لسلسلة التكهّنات و النبوءات التي مهدت لعبيد الله ، ما يروونه عن ابن حوشب فيما جرى له في اليمن عند وصوله إليها ، فعدهم عن أحد أصحـاب أبي القاسـم بن حوشب

<sup>1</sup> سورة النبأ، الآية 13 .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ج3، ص418-419 .

<sup>3</sup> الطبري، مصدر سابق، ج4، ص38 .

<sup>4</sup> ابن حوشب : الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي المعروف بمنصـور اليمـن ، وصل إلى اليمن سنة 268هـ/881م و بث فيه دعوته صحباً علي بن الفضل ، ثمّ تصارعاً فيما بعد بعد تحقيق انتصارات عسكرية في اليمن ، و مات ابن حوشب سنة 302هـ/914م ( الداعي إدريس عماد الدين ، مصدر سابق، ص59 و ما بعدها ) .

<sup>5</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ج3، ص403 .

<sup>6</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

أنّه قال : " بشرت مرارا بدعوة المهدي و بأيّ أقوم بها قبل أن أقوم بذلك ، فمن ذلك أني لما توجهت إلى اليمن قصدت صنعاء ، و إني لسائر يوما بقرب قرية من قراها إذا انقطع شمع نعلي ، فملت إلى صخرة كانت بقربي فجلست عليها لأصلحه ، فنظرت إلى شيخ قصد إليّ مسرعا حتى وقف عليّ و قد أدركه النفس فقال لي : ممّن الرجل ؟ فقلت له : رجل غريب ، فقال : هل معك خبر من المهدي ؟ قلت : و من المهدي ما أعرفه ؟ قال : إذا كنت لا تعرفه فأظن هذا شيء جرى باتفاق ، قلت : و ما هو ؟ قال : كان بهذه القرية شيخ لحقناه من الشيعة و كان يقول لنا سيدخل داعي المهدي هذا البلد و يمر بهذه القرية فينقطع شمع نعله فيجلس هذه يصلحه ، قلت : لكلام الشيعة كثير ، قال : إي و الله كثير ، و ولي عني و لم أر فيه قبول أفاتحه ، قال : دخلت صنعاء فقصدت المسجد الجامع بها ، فصليت ركعتين و قد أدركني كلل فلفقت ردائي و استلقيت و جعلته تحت رأسي و رفعت إحدى رجلي على الأخرى ، فلما اطمأن بي المكان حتى وقف علي الشيخ فرفسني برجله و قال : قم ، فانتهرني ، قلت : مالي أيها الشيخ قصدتني دون هؤلاء الجماعة في المسجد قد تضجعوا ، فقال : قم و لا تتشبه بمن له هذا المضجع ، قلت : و من هو ؟ قال : لأثر من شيوخ لنا أنّ داعي المهدي يدخل هذا المسجد فيضطجع على هذه الأسطوانة مثل هذا الإضطجاع لا ندع أحـدا يتشبه به ، فقممت و جلست و أقبل عليه رجل ، قال : ما أعجب أمرك أفترى هذا هو داعي المهدي ؟ و أخذ في الكلام مثل ذلك ، و لم أر فيهما قبولا فأفاتحهما و قممت و تنحيت عن المكان"<sup>1</sup> .

و لما قدم أبو عبد الله الشيعي كتامة أتى المسجد و فيه معلم يعلم الصبيان ، فقام إليه المعلم و سلّم عليه و هو راكب على بغلته الشهباء ، فجعل المعلم يطيل النظر إليه فاستراب لذلك أبو عبد الله و نزل عن دابته و دخل المسجد فقال له : لقد رأيتك تنظر إليّ كثيرا و إلى البغلة ، فقال له : ذلك لسبب أنا أقوله لك ، و ذلك إنّه كان فيما تقدّم رجل من كتامة كاهن يقال له فيلق ، كان إذا رأى تفانتهم يقول لهم إنّما ترون الحرب إذا جاءكم الرجل الشرقي صاحب البغلة الشهباء ، فلما رأيته تذكرت قوله ، فلما وقر ذلك في سمع أبي عبد الله استبشر<sup>2</sup> .

و عند القاضي النعمان كلام كثير جدا من هذا القبيل ملخصه أنّ دعوى المهدي عبید الله القائم بفریقة جاءت بها النبوءات و البشارات عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته و دعاة الشيعة و أنصارها و كلها مبثقة في كتابه شرح الأخبار ، و ما يناقض هذا أنّ النعمان نفسه

<sup>1</sup> نفسه، ج3، ص ص 404-405 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 126 .



قد روى في كتابه دعائم الإسلام حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم القائل : " من جاء عزافا فسأله و صدّقه بم قال فقد كفر بما أنزل على محمد" <sup>1</sup> ، و هذه الأخبار من ملاحم و علم حدثان و رؤى كله - تدخل في باب الكهانّة و العرافة و التنجيم ، و هي أخبار م نقطعة السند و أغلب رواها مجاهيل ، و لكن إذا علمنا أنّ الإسماعيلية فرقة باطنية فحينها يمكن أن نقول إنّ ما جاء في الدعائم من أحاديث فهي فقه الظاهر الموجه إلى عوام المسلمين و هو ليس بحجة على أئمتهم و أحبارهم الذين استأثروا بعلم الباطن الذي لا يظهرونه إلا لخاصتهم و المخلصين من أتباعهم .

و كان لعبيد الله المهدي حظ وافر من التكهنات فقد كان يتنبأ لنفسه بالملك و الخلافة ، فلما خرج من سلمية قاصدا المغرب انتهى إلى الرملة <sup>2</sup> و نزل عند عاملها الذي كان مأخوذا عليه عهد الإمام ، و لم يدر العامل من السرور بالإمام كيف يخدمه و قبّل يديه و رجله ، إذ ورد عليه النجّاب ناقل البريد الذي ورد من بغداد إلى دمشق بكتاب الخليفة العباسي بالقبض على الإمام - ذكر صفته ، فقرأه العامل و دفعه إلى الممّدي ، فلما وقف عليه انكب على رجلي المهدي يقبلهم - و يبكي ، فقال له الإمام : " طب نفسا و قر علينا فوالذي نفسي بيده لأملكّن ، و ليملك ولدي كثيرا من ممالك بني العباس ، فلا تخش فما ترى شيئا نكرهه " ، فكتب العامل إلى صاحب دمشق جواب الكتاب بأنّه ما رأى هذا الرجل و لا عرف صاحب هذه الصفة و لا علم بجوازه إن كان جاز و إن لم يكن جاز فنحن نرصده على جميع الطرق إن شاء الله ، فجدد الإمام ذلك اليوم البيعة على عامل الرملة و أقام عنده يومه و ليلته ، و سقطت في تلك الليلة النجوم و المهدي قائم على سطح دار العامل ، و قد انقلبت المدينة من الناس بالدعاء و الابتهاال إلى الله ، فشدّ على يد العامل و قال له : " هذه إحدى دلائلي و بعض غلاماتي" <sup>3</sup> .

و عندما همّ عبّيد الله بالرحيل إلى إفريقية حيث مقرّ حكمه بعد أن حرّره أبو عبد الله من سجنه كان بصحبته عدد من المنجمين ، فقد نظر بعضهم في أوان سير عبّيد الله عن طريق النجوم ثمّ

<sup>1</sup> القاضي النعمان، دعائم الإسلام و ذكر الحلال و الحرام و القضايا و الأحكام عن أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام، تحقيق: آصف بن علي فيضی، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ / 1991م، ص 483 .

<sup>2</sup> الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين كانت رباطا للمسلمين ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 69 ) .

<sup>3</sup> الداعي إدريس عماد الدين، مصدر سابق، ص 150 .

قال لسيده : يا مولانا لو أخرت المسير لرجوع صاحب الطالع و قوة المريخ ، فقال له عبيد الله : المسير على اسم الله و المريخ و الدولة لنا<sup>1</sup> .

و يُظهر بناء مدينة المهديّة مزيدا من علامات التكهن و العرافة و الرجم بالغيب التي عرف بها عبيد الله ، فقد خرج بنفسه يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ، و كان يجد في الكتب خروج أبي يزيد على دولته<sup>2</sup> و قال بنيتها ليعتصم بها الفواطم ساعة من نهار<sup>3</sup> ، و قال ابن حمّاد إنّ نسب المدينة إلى نفسه و كانت تسمى رحمة و جزيرة الفنار ، و كان له نظر في علم النجوم فاخبطها بطالع الأسد لأنّه برج ثابت و لذلك ثبتت و لأنّه بيت الشمس الذي هو دليل الملوك و لذلك كان الملك فيها ، و بنى بها قصره المعروف به و بنى قصرا لابنه و بنى دارا للصناعة و أمر بهدم قصور بني الأغلب بجميع بلاد إفريقية و طمس معالمها و مَحى آثارها و رسومها ، و جعل للمهديّة أبراجا من جهة البر و هي الجهة الغربية و جعل لها بابين من حديد صرف<sup>4</sup> .

و هذه المدينة عند الإسماعيليين هي المَثُور ذكرها في الكتب المعروفة عندهم بالبيضاء ، و هي التي قيل إنّ الدجال لا يدخلها فكانت كما جاءت الروايات فيها ، و كانت من أعجب الأُشْدار و رأى الناس معجزات ما هيأ الله في بنائها<sup>5</sup> ، و الذي تنبأ بعدم دخول الدجال إليها و المقصود به صاحب الحمار الذي جاءت فيه الروايات و أتى فيه الخبر حسب القاضي النعمان هو عبيد الله المهدي<sup>6</sup> ، فعندما تم البناء رمى بسهم من البداب إلى موضع المصلى و قال : " إلى ها هنا يبلغ صاحب الحمار و لو ساعة من نهار " ، يعنى ساعة وصول أبي يزيد إلى المصلى<sup>7</sup> .

و ذكر البكري فحص ترنوط على ستة أميال من المهديّة و قال إنّ بهذا الفحص كانت محلة أبي يزيد أيام حصاره المهديّة ، و أضاف أنّه في كتب الحدّثان إذا ربط الخارجي خيله ترنوط لم يبق لأهل السواد محلّول و لا مربوط ، و أهل السواد أهـل الساحل ، و فيه ويل لأهل السواد من مَخلد بن كيداد<sup>8</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 166

<sup>2</sup> المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 70 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 416 .

<sup>4</sup> ابن حماد، مصدر سابق، ص 21 .

<sup>5</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 327 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 332 .

<sup>7</sup> ابن حماد، مصدر سابق، ص 22 .

<sup>8</sup> البكري، مصدر سابق، ص 31 .

و في رواية النعمان أنّ عبيد الله كان إذا نظر إلى حصنها و أبوابها و إعجاب الناس بها يقول : " هذا كله عدة لساعة واحد من نهار " فكان ذلك كما قال ، و لما انتهى إليها مخلص اللعين وقف عليها ساعة و كان آخر عهده بها أن رفع مصلوبا على سورها <sup>1</sup> .

و يُذكر أنّه لما وصل أبو يزيد إلى المهديّة ضرب برمحه في بابها ، فدخل رجل القصر على إسماعيل المنصور فوجده يلعب ، فقال له : تلعب و أبو يزيد يركض برمحه بالباب ، فقال له : أوقد فعل ؟ قال : نعم ، قال : و الله لا عاد إليها أبدا و قد جاء حتفه ، كذا رأينا في كتبنا <sup>2</sup> ، و في رواية أخرى أنّ أبا يزيد قام ف ضرب أحد مصراعي باب المدينة ، و كان عند إسماعيل فيما له من علم الحدثان على ما زعموا أنّ أبا يزيد يخيب إذا ضرب في ذلك المصراع و يصيب إذا ضرب في المصراع الآخر ، فلما ضرب في جانب الخيبة قويت نفوس من في المدينة <sup>3</sup> .

و جعل الداعي إدريس عماد الدين بناء المهديّة و نبوءة المهدي بالدجال صاحب الحمار معجزة من معجزات الأئمة التي آتاهم الله علمها و ورثوا عن رسول الله معرفتها فلنسبوا بها قبل كونها ، و هذا نص ما قال : " و أمر المهدي ببناء مصلّى خارج المهديّة جعله علما و قال : إلى هاهنا ينتهي مخلص الدجال فكان الأمر في ذلك كما قال ، و هذا الحديث معروف مشهور مأثور مذكور، و قد ذكره الشريف الزبيدي بن علي بن عبد الله في تاريخه الذي سماه كنز الأخبار و أجمع عليه أهل السير و الأخلاق، و هذا من معجزات الأئمة التي آتاهم الله علمها و ورثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفته. فلنسبوا بها قبل كونها مما يشهد بفضلهم و علو قدرهم و سمو محلهم " <sup>4</sup> .

و عدّ ابن أبي دينار بناء المهديّة من كرامات العبيدين و أنّها من الدلائل على صدق نسبهم الشريف و ساق في ذلك أخبارا عن عبيد الله المهدي و المعز لدين الله متعلقة بهذه المدينة و هي تكهنات و ادّعاءات غيبية ، فأما ما تعلق بالمهدي فيذكر أنّه لما أراد بناء المهديّة و وضع أول حجر فيها أمر أن يرمي بسهم من عند الحجر إلى ناحية المغرب فأنتهى إلى المصلّى ، فقال المهدي : " إلى هاهنا يبلغ صاحب الحمار " ، و أمر بقيس مساقاة الرمية فكانت مائتين و ثلاث و ثلاثين ذراعاً فقال : " هذا عدد ما تقيم بأيدينا " ، و البناء سنة ثلاثة و ثلاثمئة و أخذت سنة ثلاث و أربعين

<sup>1</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص 328 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 219 .

<sup>3</sup> أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب ، حققه و قام بطبعه : إبراهيم طلاوي، مطبعة البعث، قسنطينة، ج1، ص 102 .

<sup>4</sup> الداعي إدريس عماد الدين، مصدر سابق، ص 210 .

و خمسمائة ، فاتفق الحساب كما قال تقريبا أو تكون سن ين شمسية ، فالحال بينهما قريبة على ما أخبر به<sup>1</sup> .

و أمّا تعلق بالمعز لدين الله فينقل عنه نفس ما قاله جده عبيد الله عن المهديّة تقريبا ، فالمعز لما أراد أن يتوجه إلى مصر قال لب لكين : " يا يوسف ، اعلم أنّ المهديّة دار ملكك و صيانّة ذريتك و ملكك ملتصق بملكنا ، فمّتى خرب ملك المهديّة خرب ملكنا " <sup>2</sup> .

ثمّ يّختم ابن أبي دينار كلامه حول المهديّة بالتسليم المطلق لهذه الروايات التي تكلف كثيرا في شرحها بإحصاء السنين و الملوك في دولة بني عبيد و دولة بني زيري و توافقهما قائلا : " و هذا علم لا يعلمه إلا الله ، و ما ذكرت هذا الكلام لأنّ مثله لا يصدر إلا بإلهام من الله أو إخبار من مصدق ، و إن ثبت هذا الكلام عن هؤلاء القوم فهم عندي من أهل بيت النبوة بلا شك و الله حسيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثابت ، و هذه الأخبار تكون لهم من الكرامات " <sup>3</sup> .

فالداعي الإسماعيلي أثبت لمهدي ه عبيد الله المعجزات و السني ابن أبي دينار أثبت له الكرامات ، فالمهدي عند هذا و ذاك في درجة بين الولي و النبي ، و قد سبق ذكر أفعال عبيد الله بعد ولايته و التي تخرجه من دائرة النبوة و الولاية و تضعه في دائرة الحكام و الأمراء الذين تدور أعمالهم بين العظمة و الدناءة و بين العدل و الظلم ، فيحكم التاريخ عليهم بما غلب عليهم من سيرتهم ، فإن كانت أعمالهم أقرب إلى العظمة و العدل فذلك المطلوب و يّجهد صاحبه من الحكام المهديين بهدي الله تعالى ، و إن كانت أعمالهم أقرب للدناءة و الظلم و ذلك غير مرغوب فيعد صاحبه من الحكام الظالمين .

و قال الداعي إدريس عماد الدين نق—لا عن القاضي النعمان عن المعز لدين الله قال : " و لقد أنحض المهدي بالله قرّة عينه و مهجة نفسه القائم إلى مصر كرتين و هو يعلم بأنّها لا تفتح على يديه و لكنه أراد تأكيد حجة الله عليهم بدعوته ، و أن لا يدع شيئا من المجهود إلا بلغ منه ما في نفسه ، و إن كان ذلك قد أدخل الشك على بعض المستضعفين في أمره " <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 93.

<sup>2</sup> نفسه، ص 94 .

<sup>3</sup> نفسه، نفس الصفحة . و نص ابن أبي دينار حول استدلاله بتكهنات عبيد الله عند بنائه المهديّة بشأن مدة بقاء دولته على صدق دعواه في النسب ينظر في الملحق رقم "1" .

<sup>4</sup> الداعي إدريس عماد الدين، مصدر سابق، ص 208 .

و قد تساءلت الدكتورة بوبة مجاني تعقيبا على هذا الخبر الذي يدعي أنّ المهدي يعلم الغيب فقالت : " هل كان ذلك علما بالغيب أم حسن تقدير و القدرة على الاستشراق ؟ أم هو تأويل للأحداث لصالح الدعوة ؟ أم هو في الأخير غلوّ الدعاة ؟ " <sup>1</sup> .

و الإجابة نجدها عند القاضي النعمان فقد قال في تأويل الدعائم ما يلي : " و جاء عن أولياء الله من الإخبار عما كان و يكون من أمر العباد ما يخرج ذكره عن حد ما بسطناه لطوله ، و ذلك مما أطلعهم عليه و أمدهم به على سبيل ما قدمنا ذكره على قدر طبقاتهم و درجاتهم و ما أعطوه من ذلك ، حتى إنّ الولي من أوليائهم دون المأذون له شيء من أمور الدين قد يصفو جوهره بقدر ما فيه من الإيمان و الإخـلاص فيظنّ الظنّ و يتوهـم التوهـم و يقدر الأمر فيكون ذلك كما ظنّ و توهم " <sup>2</sup> .

فأولياء الإسماعيلية و المهدي على رأسهم يخبرون أبتلعهم بالغيب ما مضى و ما سيأتي ، و يؤكد هذا داع إسماعيلي آخر قائلا : " إن أولياء الله الأئمة الطاهرون يعلمون من أمر المبدأ و العباد ما حجبته الله عن كافة العباد بموادهم الإلهية و قواهم النفسية ، و بكونهم عقول هذا العالم لتعلق عقول الناس بهم و خروجهم من حد القوة إلى حد الفعل بمواردهم و إسنادهم إلى رسول الله الحال في علمه محل العقل الكلي في عالمه ، فلا تكاد تغيب عنهم غائبة ما يصلح شأن العباد في دينهم باكتساب صور المعاد ، لاق بهم اسم الشهادة لأنهم شهدوا خلق السموات و الأرض ببصائرهم لا بأبصارهم الجسمية الكثيفة ، و كان ذلك منفيا عن أضدادهم الذين انتحلوا الإمامة أسماء و لم ينالوا من فوائدها قسما ، فشهادتهم كذب لأنها بغير علم " <sup>3</sup> .

و يقول القاضي النعمان إنّ القائم ثاني الخلفاء الفاطميين كان يخبر قومه بأيام و مدة و وقت أبي يزيد الخارج عليه <sup>4</sup> ، ثمّ يخبرنا النعمان في كتابه المجالس و المسابير أنّ القائم يعلم الغيب بشهادة حفيده المعز الذي قال : " إنّ القائم بأمر الله كأن يأخذني و أنا في سن الأطفال فيضميني إلى صدره و يقبل ما بين عيني و يقول : أنت أبو تميم و يحمد الله ، و ما كانت أدري يومئذ ما

<sup>1</sup> بوبة مجاني، مرجع سابق، ص 31.

<sup>2</sup> القاضي النعمان، تأويل الدعائم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م، ج 1، ص 113 .

<sup>3</sup> المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، المجالس المـؤيدية، تحقيق و تعليق : محمد عبد الغفار، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ص 302 .

<sup>4</sup> القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص 33 .

يريد بذلك ، ثم قال : أفمن أودعه الله علم ما يكون يُجهل فضله أو يُشكل أمره ؟ لو أنّ قائلاً قال إنّ هذه النطفة يكون منها بشر من حاله كيت كيت فكان ذلك من قوله إذا كان ما يبهر ، فكيف بمن علمه الله علم ما يكون مما لم يكن بعد ؟ <sup>1</sup> .

و يُظهر النعمان دائماً المنصور الإسماعيلي بمظهر الملهم المحدث المخالف لأحكام النج —وم رغم كونه عالماً بها فيقول : " ذكر المنصور بالله النجامة و كان بعلمها ماه —را ، فقال لي : و الله ما طلبتها و تعلمتها لشيء ممّ يراه الناس من القضايا ، و لقد وافقت في مواقف الحروب التي وليتها أيام الفتنة إلى حين انقضائها فما وقفت قط موقفاً باختيار العلم من النج —وم ، و لكثيراً ما كان الأمر يقع بقلبي و يتحبب لي و قضايا النجوم تخالفه و تمنع منه فلا ألقى لتلك القضايا بالا و لا ألتفت إليها و أعمل ما يقع بقلبي و يتحبب إلي ، فيكون في ذلك التوفيق و النصر و ضد ما يوجهه القول بالنجوم ، و الله ما طلبنا هذا العلم إلا لما يدلنا عليه من توحيد الله جل ذكـره و تأثير حكمته في منفعلاته ، فإياك أن تشغل نفسك بغير هذا و لا تلتفت إليه " <sup>2</sup> .

و من المفارقات و التناقضات العجيبة في كتاب القاضي النعمان هذا أنّه ينسب القول بادّعاء الأئمة الغيب إلى الدعاة ، فقد نقل عن القائم أنّه قال في قوم من الدعاة بلغه أنّهم غلبوا فيه و في آباءهم و قالوا إنّهم يعلمون الغيب ، فلعنه —م و قال : " هؤلاء الصادون عنا الكاذبون علينا " <sup>3</sup> ، ثم يشرح النعمان بعض ذلك الغيب الذي يعلمه الأئمة بقول المعز : " الغيب الذي تعلمه الأئمة هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهم الله إياه و استحفظهم سرّه ، فأما الغيب الذي قال جل ذكره : " قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ " <sup>4</sup> فلا يحلمه إلا هو كما قال عز و جل " <sup>5</sup> .

و المعز لدين الله كان ينظر في النجوم ، فذكر أنّه لما أراد بناء قصره المعروف بقصر البحر بالمنصورية كان يحتاج أن يكون الإبتداء بعد شهر فرأى في نومه ك أنّ رجلاً دخل عليه و قال له : أتيتك لأسألك عما تريد أن تصنع ، قال : قلت فمن أنت ؟ قال : بطليموس ، قلت : أي بطليموس أنت ؟ قال : بطليموس المعروف المذكور ، قلت : صاحب الحساب و التنجيم ؟ قال :

<sup>1</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 404 .

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 131-132 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 84 .

<sup>4</sup> سورة النمل، الآية 65 .

<sup>5</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص 84 .

نعم ، قلت : فما كان دينك و مذهبك ؟ قال : توحيد الله ، قلت : فماذا صرت إليه ؟ قال : إلى خير بحمد الله ، ثم قال ابتداء في القصر يوم الثلاثاء ، قلت : أي ثلاثاء ؟ قال : هذا الآتي ، قلت : سبحان الله ما تهيأ لي أن أقيس الموضع في هذه المدة فضلا عن أدبر ما أردته ، فقال : ابدأ فيه يوم الثلاثاء على كل حال بما أمكن من العمل فإنه يوم صالح ، فانتبهت و قلت لأنظرني في قول أهل النجوم في الاختيار و في هذا اليوم الذي قاله ، فنظرت فلم أر يوما على ما قالوه إلي مدة أحسن في الاختيار عندهم من اليوم الذي قاله هو أعني يوم الثلاثاء فابتدأت به" <sup>1</sup> .

إن ادّعاء الغيب عند أئمة الشيعة الإسماعيلية لم يكن تنجيما و لا كهانة و لا استشرافا للمستقبل و لا غلو دعاة و إنما كان عقيدة راسخة يعتقدونها القوم ، و لا يشكون إطلاقا أنّ أئمتهم المطلعون على علوم الباطن العارفين بالأسرار الكونية غير قادرين على التطلع إلى المستقبل و التنبؤ بأحداثه .

---

<sup>1</sup> القاضي النعمان، مصدر سابق، ص325 . ابن طاووس، مصدر سابق، ص 174.

## 5- التنجيم و التنبؤات عند الزيريين ( 5هـ-6هـ / 11م-12م ) :

عندما رحل الفاطميون إلى مصر جعلوا على إفريقية يوسف بن بلقين بن زيري الصنهاجي حاكما على هذه البلاد ، و يقال إنّ أول من دخل بلاد المغرب من الزيريين الملقب بن مسور و الذي جعله النويري عربي الأصل من حمير<sup>1</sup> ، و كان سبب دخوله أنّه سار إلى الشحر<sup>2</sup> فوجد بها كاهنًا من حمير ، فلما رأى المثني سلم عليه و سأله عن خبره و ما الذي أتى به ، فأعلمه أنّ الحبشة غلبتهم على ملكهم ، فقال له الكاهن : اذهب إلى المغرب و اتخذ قرارا فوالله ليكوننّ لولـدك فيه شأن و ليتمكن منهم جماعة و يتوارثوه بطول ملكهم ، فهاج ذلك المثني على دخـول المغرب فدخله و أعلم بينه بذلك و أعلم بنوه بهم<sup>3</sup> .

فالكاهن العربي قد تنبأ بأن يقوم للزيريين ملك في بلاد المغرب منذ زمن بعيد ، و لم يفت جدّهم الأول أن يسعى لنشر هذه النبوءة بين أبنائه الذين ورثوا ها هم كذلك لأبنائهم ، و تواصل الرواية التاريخية ذكر ما آلت هذه النبوءة فتقوي أنّ بني المثني ما زالوا يتوقعون الملك إلى أن ولد مناد بن منقوش و نشأ فجاء شديدا القوة كثير المال و البنين ، فأخذ في الإفضال على من يمر به فاشتهر ذكره و شاع خبره بين الناس ، و كان له مسجد يطرقه كل من يأتي إليه فإذا خرج إلى الصلاة سلم على من ينزل المسجد من الأضياف و حمله إلى داره و يكرمه ، فإنّه على ذلك إذا آتاه آت فقال له : إنّ في المسجد رجـلا وصل هذه الساعة و هو يذكر أنّه جاء من الحج و كان وقت صلاة الظهر ، فخرج مناد إلى المسجد فصلى و سلم على الرجل و سأله عن حاله و من يكـون و من أين أقبل ؟ فقال إنّ رجـل من المغرب و أنّه انصرف من الحج و خرج عليه لصوص و أخذوا ما كان معه فانقطع عن أصحابه و وصل إلى إفريقية ، فسمع ما كان يفعل مناد مع أبناء السبيل فقصده ليعينه على الوصول إلى أهله ، فقال له مناد : لقد وصلت فأبشـر بالخـير إن شاء الله ، و مضى به مناد إلى منزله فأكل و نام<sup>4</sup> .

و بعد هذا الإكرام من مناد و بعد أن أمن الرجل القادم من الحج على نفسه أظهر كهانته عبر نظره في كتف الشاة ، و هو أسلوب من أساليب الكهانة و العرافة و يتمثل في أخذ عظم كتف شاة

<sup>1</sup> النويري، مصدر سابق، ص 300 .

<sup>2</sup> الشحر: هو شحر عمان و هو ساحل اليمن ، و هو ممتد بينها و بين عمان ( الحميري، مصدر سابق، ص 338 ) .

<sup>3</sup> النويري، مصدر سابق، ص 300 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 301 .



و إمعان النظر فيها و قراءة ما تتضمنه من رموز لمعرفة ما سيحدث في المستقبل<sup>1</sup> ، فلقد أمر مناد بشاة فذبحت و عمل طعام و أيقظ الرجل و أتي بالطعام ، فأكل منه و نظر إلى كتف الشاة فأخذه و قلبه و نظر فيه و إلى مناد و أقبل يتعجب ، فقال له مناد : لأي شيء تنظر في الكتف و تنظر إلي ؟ فقال : لا شيء ، فعزم مناد أن يخبره مم تعجبه ، فقال : تلك إمـرأة حامل ؟ فقال : بلى ، قال : فلك منها أولاد ؟ قال : لا و لكن من غيرها ، قال : فاعرضهـم علي ، فعرضهم مناد عليه ، فقال : ألك غير هؤلاء ؟ قال : ليس لي إلا من رأيت ، فقال : احتفظ بالمرأة الحامل فوالله لتلدن ولدا يملك المغرب جمعيهـو يملك بنوه من بعده ، فقال له مناد : و الله ما زلنا نتولف زمان هذا القائم منا رواية عن أسلافنا و كنا لا نعلم من أي فخذ من أفخاذنا يكون ، و الآن قد أنبأتني نبأ ما كنا ننتظر من هذا العلم<sup>2</sup> .

فكهانة هذا الحاج التي لم تخبره بأن اللصوص سيأخـذون ما عنـده و يقطعونه عن أصحابه و أخبرته بخبر ما يكون من ملك في بني مناد و التي جاءت مصدقة لرواية الكاهن العربي الأول ما زاد في رسوخ الاعتقاد بهذه الأخبار عند مناد و قومه ، و لا يستبعد أن يكون للشيعـة العبيدية دور في الترويج لهذه النبوءات و الكهانات في نفوس الزيريين خاصة إذا علمنا أن مصطلح القائم من المصطلحات الشيعية التي تعني المهدي المنتظر ، و كما سبق فإن العبيديين كانوا من أشد الناس عناية بالتنجيم و إدعاء بمعرفة الغيب .

و وضعت زوجة مناد حملها فجاء ذكرها فسماه أبوه زيري ، فلما تكامل شبابه و قوي أمره جمع إليه جماعة من بني عمه و من كان له نجدة ، فكان يشن بهم الغارات على القبائل من زناتة فيقتل و يسبي و يقسم على أصحابه فلا يؤثر نفسه بشيء ، فحمده كثير من قبائل صنهاجة لأن كل قبيل كان يطمع أن يكون القائم فيهم ، فلما تحققوا أنه القائم اجتمعت القبائل من صنهاجة على زيري و حاربوه و طالت الحرب بينهم فظفر بهم و قتل و سبا و رجع بالغنائم إلى الجبل<sup>3</sup> .

و قد تمكنت الخلافة الفاطمية من كسب ولاء صنهاجة ، فأضحت هذه القبيلة البربرية الركيزة الأساسية للنظام العبيدي لاسيما و قد ضعفت العصبية الكتامية في خدمة الدولة و بالخصوص أثناء قتال القبائل الخارجية التي انضمت إلى أبي يزيد ، فأتى حينها دور الصنهاجيين الذي مازالت قوتهم

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيس ، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1426هـ / 2006م ، ص 11 .

<sup>2</sup> النويري ، مصدر سابق ، ص 302 .

<sup>3</sup> نفسه ، ص 303 .

سليمة و عصبيتهم شديدة لبسط سلطانهم على إفريقية لحساب الفاطميين و التصدي للزناتيين في المغرب الأوسط<sup>1</sup> ، و يُذكر عن زيري أنّه كان مرتزقا و كان على استعداد لأن يضع سيفه في خدمة من يدفع له<sup>2</sup> ، و تبدأ أولى خدماته للخلافة الفاطمية في محاولة فك الحصار الذي ضربه أبو يزيد الخارجي على المهديّة<sup>3</sup> ، و هذا الأخير كان له حظ أيضا في نبوءات الملك ، فيذكر ابن حماد أنّ كيداد والد أبي يزيد كان يختلف في التجارة إلى بلاد السودان فاشترى جارية تسمى سبيكة فحملت منه و ولدت أبا يزيد و هو أعرج و في لسانه شامه ، فذهب به أبوه إلى عراف بمدينة كوكو<sup>4</sup> فأراه أبوه إياه ، فقال : ليكون له شأن و ليملكن<sup>5</sup> ، و قد يكون هذا الكلام قد وصل سمع أبي يزيد فلعله كان من العوامل التي دفعته إلى الثورة على الفاطميين حتى يصير ملكا ، لكن نبوءة العراف السوداني أخطأت و انتهى أمر أبي زيد إلى القتل .

و لما قتل زيري بن مناد سنة 360هـ / 970م أيام المعز لدين الله خلفه ابنه بلكين على رأس صنهاجة و انتقم من زناتة قتلة أبيه<sup>6</sup> ، و مما جاء في ابتداء أمر بلكين بن زيري ما رواه ابن بسام أنّه لم تغلب آل عبيد الله الناجمين بإفريقية على مصر دعا المعز لدين الله زيري بن مناد و كان له عشرة من الولد ، فقال له : ادع بنيك فقد علمت رأيي فيهم و فيك ، و كان أصغرهم سنا و أهونهم عليه شأنًا بلكين ، فدعا ولده ما عداه ، و كانت من المرح زعموا أثارة من علم الحدثان قد عرف بها مصاير أحواله و أهل الغناء من أعيان رجاله و كانت عنده لخليفته على إفريقية إذ صار إليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، فنظر في وجوه بن زيري فأنكرها حين تفقد العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرت من بينك أحدا فلست أرى لمن هاهنا منه -م أيدا و لا يدا ؟ فقال له : إلا غلام و طفق يصغر من شأنه ، فقال المعز : لا أراك حتى آراه فلست أريد سواه ، فلما رآه عرفه و فوّض إليه من حينه و استخلفه<sup>7</sup> .

<sup>1</sup> فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص 403 .

<sup>2</sup> L.Golvin, **Le Meghrib central à l'époque des zirides**, Arts et métiers graphiques, Paris, p 28 .

<sup>3</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص 192 .

<sup>4</sup> كوكو: مدينة مشهورة الذكر في بلاد السودان كبيرة على ضفة النهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ( الحميري، مصدر سابق، ص 502 . ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 495 ) .

<sup>5</sup> ابن حماد، مصدر سابق، ص 30 .

<sup>6</sup> النويري، مصدر سابق، ص 308 و ما بعدها .

<sup>7</sup> ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق : د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ / 1997م، القسم الرابع، المجلد الأول، ص 613 . التجاني، مصدر سابق، ص 16.

فكان ابتداء الدولة الزيرية الصنهاجية في إفريقية بقيادة بلكين ابن زيري<sup>1</sup> بعد الفراغ من توديع المعز سنة 362 هـ / 972 م ، فأمر بلكين بعقد الولايات العامة و باشر أعمال الدولة و طيّب قلوب الناس من إقامته بالمنصورية<sup>2</sup> .

و استمر الملك في عقبة إلى أن صار إلى الأمير تميم بن المعز بن باديس<sup>3</sup> ، و قبل وفاته بمدة يسيرة دعا ولده يحي<sup>4</sup> و كان في دار الإمارة مع خاصته و جلسائه ، فمضى يحي و من معه إليه فوجدوا تميما في بيت المال فأمرهم بالجلوس ثم قال لأحدهم : قم فادخل ذلك البيت و خذ منه الكتاب الذي صفته كذا في مكان كذا ، فقام و أتى به فإذا هو كتاب ملحمة ، فقال له : عد من أوله كذا و كذا ورقة و اقرأ الصفحة التي تنتهي إليها فقرأها و إذا فيها : الملك المغدور و هو الطويل القامة الذي على وركه الأيمن خال و في جنبه الأيسر شامة ، فقال الأمـير تميم : أطبق الكتاب و اردده إلى موضعه ففعل ، ثم قال تميم : أما العلامتان فقد رأيتهما و بقيت الثالثة ، قم أنت يا شريف و أنت يا فلان حتى تحققا عندي خبر العلامة الثالثة ، فقاموا و قام يحي معهم إلى موضع مستور عن تميم ، فكشف لهم عن جسمه فأروا شامة على جنبه الأيسر هلالية الشكل ، فأتوا تميما فعرفوه ، فقال : أنا لم أعطه شيئا الله تعالى الذي أعطاه ، ثم قال : إني أخبركم بحديث عجيب ، و ذلك أنه عرض علي النحاس والدته فاستحسنتها و مالت نفسي إليها فاشتريتها و سلمتها إلى خدام القصر و أمرت النحاس أن يرجع إلي ليقبض ثمنها ، ثم دبرت في مال طيب حلال أخرج ثمنها منه ، فبينما أنا مفكر في ذلك إذا سمعت السائل يصيح و يرفع صوته في الإذن على مطالعتي ، فأخرجت رأسي من الطاق و قلت له : ما شأنك ؟ قال : كنت الساعة أحفر في قصر المهدي إذ وجدت صندوقا عليه قفل فتركته على حاله و جئت مطالعا بأمره فلنفتحت معه من أثق به ، فإذا فيه أثواب مذهبات الأعلام قد أفناها الدهـر ، فأمرت بسبك أعلامها فلم تزد و لم تنقص عن ثمن

<sup>1</sup> حول حياة بلكين بن زيري ينظر: المهدي بوعبدلي، العيد الألفي للجزائر و المدينة و مليانة و حياة مؤسسها بلقين بن زيري، محاضرات و تعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1391هـ / 1972م، ص 349 .

<sup>2</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص 286.

<sup>3</sup> تميم بن المعز: بن باديس بن المنصور أبو يحي الصنهاجي ، ولد بالمنصورية سنة 422هـ / 1030م و ولي الملك بعد وفاة أبيه المعز سنة 454هـ / 1061م ، استولى النورمان على صقلية في أيامه سنة 484 هـ / 1091م ، توفي تميم سنة 501هـ / 1108م ( ابن الخطيب، أعمال الأعلام " القسم الثالث"، ص 77 . الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص 88 ) .

<sup>4</sup> يحي بن تميم : بن المعز بن باديس أبو طاهر ، ولد سنة 457هـ / 1065م و ولي بعد وفاته أبيه سنة 501هـ / 1108م ، توفي بالمهديّة سنة 509هـ / 1116م ( ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 77 . الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص 88 ) .

الجارية فتعجب الحاضرون من ذلك و دعوا له ، ثم أمر لهم بدنانير و كساء و انصرفوا ، قال عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز : و قد أدركت هذا الكتاب المشار إليه عند السلطان الحسن بن علي بن يحيى<sup>1</sup> ، و حلّني عن الكتاب أسرار و قضايا ذكر أنّها ستكون و كانت كما ذكر<sup>2</sup> . و يظهر أنّ هذا الكتاب الحداثي قد يكون من كتب الشيعة العبيديين المشهورين بهذه الكتب المدعومة معرفة الغيب ، و هذا ربما ما أدى بالأمر يحيى بن تميم إلى الاعتناء بالنجوم ، فقد قال عنه بن أبي دينار أنّه كان عالماً بالنجوم<sup>3</sup> ، و ذكر ابن خلكان أنّه كان له نظر حسن في صناعة النجوم و الأحكام و أنّ نعته في الملاحم الملك المغدور<sup>4</sup> .

و في سنة 509 هـ/1115م توفي يحيى فجأة و ذلك أنّ منجمه قال له يوما : إنّ تسيير مولدك في هذا النهار عليك عكس فلا تركب فامتنع من الركوب ، و خرج أولاده و رجال دولته إلى المصلى ، فلما انقضت الصلاة و حضر رجال الدولة على ما جرت به العادة للسلام و قرأ القرآن و أنشد الشعراء و انصرفوا إلى الإيوان فأكل الناس ، و قام يحيى إلى مجلس الطعام فلما وصل إلى باب المجلس أشار إلى جارية من حظاياها فاتكأ عليها ، فما خطا من باب البيت سوى ثلاث خطوات حتى وقع ميتا<sup>5</sup> ، و هذا يوضح أنّ الأمير الزيري يحيى بن تميم كان منصتا لأقوال المنجمين مصدّقا بما يقولون ، فلم يمنعه عدم ركوبه إلى المصلى و الصلاة يوم العيد من إغفله أجل الله فيه . و بعد وفاة يحيى بن تميم خلفه ابنه علي<sup>6</sup> و في سنة 510 هـ/1116م أرحف العوام بأنّه سيكون خطب عظيم و حادث كبير و قطع على الدولة شديد و أنّ السلطان سيموت فيه ، و فشا القول بذلك فيهم و انتشر فأكذب الله قولهم و عطّل إرجافهم و عملت الشعراء في ذلك<sup>7</sup> .

---

<sup>1</sup> الحسن بن علي : بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، ولي بعد وفاة أبيه سنة 515 هـ/1121م ، و لم تطل مدته حتى تغلب الروم على المهديّة ، و هو آخر ملوك الدولة الزيّية لإفريقية ( ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 83 . ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 89 ) .

<sup>2</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج6، ص 214 .

<sup>3</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 88 .

<sup>4</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج6، ص 214 .

<sup>5</sup> نفسه، ج6، ص 215 .

<sup>6</sup> علي بن يحيى بن تميم : تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 509 هـ/1115م ، و كان مقيما بصفاقس فوصل ثاني يوم وفاة أبيه ، و استمر في الحكم إلى أن توفي سنة 515 هـ/1121م ( ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 83 ) .

<sup>7</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 62 .

و الأكيد أنّ عناية الأمراء بعروشهم و سعيهم إلى الحفاظ عليها و البقاء فيها لأطول وقت ممكن دفعهم إلى استطلاع الغيب و محاولة كشف أخباره عن طريق تقريب المنجمين و الكهان الذي يخطئون في أحكامهم كثيرا و إن أصابوا قليلا فذلك مما يزيد الأمير أو السلطان ارتباطا بهم ، و في ديننا و من صميم عقيدتنا أنّه لا يعلم الغيب إلا الله ، و هذا ما غاب يقينا عن الذين يلهثون وراء أخبار المنجمين .

## 6- التنجيم في عصر المرابطين (5هـ-6هـ / 11م - 12م) :

احتل علم التنجيم و التنبؤ بالمستقبل حيزا مهما في خارطة الثقافة و العلوم السائدة في الغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي<sup>1</sup> ، كما عرفت المنطقة خلال هذه المرحلة الملاحم و هي ما يكتب في حدثان الدول منظما و منثورا و رجزا بعضها في حدثان الملة على العموم و بعضها في دولة على الخصوص ، و من هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مّرانة و هي متداولة بين الناس و تحسب العامة أنّها من الحدثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر و المستقبل ، و هي مخصوصة بدولة لمتونه لأنّ الرجل كان قبيل دولتهم و ذكر فيها استيلاءهم على سبقت من يد موالي بني حمود و ملكهم لعدوة الأندلس<sup>2</sup> .

و ينقل ابن عذارى عن شخص اسمه أبو محمد عبد العزيز بن الإمام أحد خواص الأمير محمد بن عباد<sup>3</sup> قال : كنت في عسكر الأمير أبي القاسم عندما وجهه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب الأقصى إلى لقاء أذفونش<sup>4</sup> أول غزوة غزاها المرابطون بالأندلس ، و كان الناس ينزلون بنزوله و يرحلون برحيله تقريبا و رعا لمكانه من السن و عظم القدر و وفور العدد و جودة الرأي ، قال : فسمعنا طوبوله تضرب و قيل أمير المسلمين يتقدم إلى العدو ، فأمر الأمير أبو القاسم منجمه بتحقيق طالع الوقت و النظر فيه ، قال : فوجده بحسب ما تقتضيه أصول هذه الصناعة أنّ الدائرة تكون على المسلمين و أنّ النصر و الغلب للمشرّكين ، فأشفق من ذلك و كره إعلام يوسف لنفاره من الاستدلال بالنجوم و العمل بها و لم يمكنه غير مساعدته و الانتقال معه ، فبينما هو يحاول ذلك إذ خفقت الأصوات و هدأت الضجة ، و جاء من أخبر أنّ يوسف قد بددا له الانتقال من هنا ،

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 112 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 42.

<sup>3</sup> محمد بن عباد : المعتمد أبو القاسم محمد بن عباد ، خلف أباه بعد وفاته سنة 464هـ/1071م ، و كانت إشبيلية أقوى مملكة من ممالك الطوائف ، شارك في الزلافة ثمّ خلعه يوسف بن تاشفين ، توفي المعتمد سنة 488هـ/1094م (الذهبي، مصدر سابق، ج 19، ص 58) .

<sup>4</sup> أذفونش : ألفونسو السادس ملك قشتالة و ليون و جليقية ، وخذ هذه الممالك بعد صراع مع إخوته و كان والده فرناندو قبيل وفاته قسم مملكته الكبيرة بين أولاده الثلاثة ، فخص سانشو ولده الكبير بقشتالة و خص ألفونسو بليون و خص أصغرهم غرسية بجليقية و البرتغال ، و بعد إنتصار ألفونسو على إخوته انتعشت حروب الاسترداد النصرانية و تمكن من احتلال طليطلة سنة 478هـ/1085م ، و في السنة الموالية انهزم في معركة الزلافة أمام المرابطين ، و لم يلبث أن استعاد أنفاسه و قوته و استمر في الحكم إلى أن توفي سنة 502هـ/1109م بعد أن حكم المملكة النصرانية المتحدة سبعا و ثلاثين سنة ( محمد عبد الله ع لان، دولة الإسلام في الأندلس " العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م، ص 389 و ما بعدها ) .

فلما كان بعد ساعات من ذلك اليوم بعينه عادت الأصوات و ضربت الطبول ، فأمر الأمير أبو القاسم منجمه بأخذ طالع الوقت و النظر فيه ، فوجده أوفق طالع و أسعد نصبة و أدلها على أنّ الظفر للمسلمين و الدائرة للمشركين حسب ما جرى عليه الأمر ، قال : فتعجب من ذلك و من قوة سعادة يوسف و قال : و هذا من المصنوع لهم المعنى بأمرهم المثلثين إلى رشدهم الذين لهم التوفيق و يخدمهم السعد ، و ذلك كله بمشيئته الله تعالى و سابق علمه و نافذ حكمه<sup>1</sup> .

فمحمد بن عباد أحد ملوك الطوائف لم يستطع أن يفارق منجمه ، و أخذهم معه في حربه ليطالع له المستقبل في هذه المعركة الحاسمة ، فأخبره بأن الدائرة على المسلمين ثم عاد بعد حين فتغيرت أقواله فيصبح النصر للمسلمين و الدائرة على الكافرين ، و هذا من تحبط المنجمين و عدم صدق أحكامهم .

و في عهد الأمير علي بن يوسف ثاني أمراء المرابطين تذكر المصادر أنّ أحد وزاريه و يحيى مالك بن وهيب و كان قد شارك في جميع العلوم إلا أنّه كان لا يظهر إلا ما ينفق في ذلك الزمان ، و كانت لديه فنون من العلم و له تحقق بكثير من أجزاء الفلاسفة<sup>2</sup> ، و كان أول من تنبأ بأمر ابن تومرت و أشار على أمير المسلمين بقتله و قال له : هذا رجل مفسد لا تؤمن غائلته و لا يسمع كلامه أحد إلا مال إليه و إن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شر كبير ، فتوقف علي في قتله ، فلما يئس مالك مما أراده من قتل ابن تومرت أشار عليه بسجنه حتى يموت ، فقال : أمير المسلمين : علام نأخذ رجلا من المسلمين نسجنه و لم يتعـين لنا عليه حق ؟ و هل السجن إلا أخو القتل ؟ و لكن لأمره أن يخرج عنا من البلد و ليتوجه حيث شاء<sup>3</sup> .

و من خطاب مالك بن وهيب لأمر المسلمين علي بن يوسف قوله : " أبقاك الله ، هذا الرجل اجعله في بيت من حديد و إلا فستنفق عليه بيتا من ذهب"<sup>4</sup> .

و يصف ابن خلدون مالك بن وهيب بأنّه كان حزاء ينظر في النجوم ، و كان الكهان يتحدثون بأن ملكا كائن بالمغرب لأمة من البربر، و يتغير فيه شكل السكة لقران بين الكوكبين

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص ص 62-63.

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 139 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 140.

<sup>4</sup> مجهول، الحلل المشوية، ص 101.

العلويين من السيارة يقتضي ذلك في أحكامهم ، فقال : " احتفظوا بالدولة من الرجل فإنه صاحب القرآن " <sup>1</sup> .

و ينقل البيذق عن ابن وهيب أنه قال لعلي بن يوسف بن تاشفين : " تقف يا أمير المسلمين لأن هذا هو صاحب الدرهم المكن ، اجعل له كبلا كي لا تسمع له طبلا ، لهذه صفة صاحب الدرهم المكن " <sup>2</sup> ، يقول المهنوزي في أرجوزته :

فقيه لابن يوسف علي	هذا الذي ندعوه بالمهدي
صاحب الدرهم المكن	ملكك إن بويح لم يؤمن
إن أنت لم تضع له كبولا	يكون فيها فاستمع طبولا <sup>3</sup>

و يعرف الدرهم المكن أيضا بالدهم المربع قال ابن خلدون في المقدمة : " و لقد كان المهدي فيما ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع ، نعتة بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحمهم عن دولته " <sup>4</sup> ، و قال في تاريخه : " و الدرهم المربع في كلام سفساف بسجع سوقى يتناقلها الناس نصه : اجعل على رجله كبلا لئ — لا يسمع طبلا ، و أظنه صاحب الدرهم المربع " <sup>5</sup> .

و يذكر القلقشندي أنّ الكهّان الذين كانوا يتحدثون بظهور دولة بالمغرب لأمة من البربر هم من صرف القول في ذلك إلى ابن بقرم <sup>6</sup> .

كما تذكر بعض المصادر أنّ علي بن يوسف استوزر إسحاق بن ينتان بن عمر بن ينتان و ما بلغ عمره ثمانية عشرة عاما و كان يتوقد ذكاء و عقلا و فهما ، فأعجب به إعجابا كثيرا و جعل إليه النظر في المظالم و الشكايا ، و كان مع ذلك في طبعه و مولوده مثل الكاهن يأتي بغرائب من

<sup>1</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 304 .

<sup>2</sup> البيذق، أخبار المهدي، ص ص 27-28 .

<sup>3</sup> أبو فارس عبد العزيز المهنوزي، نظم السلوك في الأنبياء و الخلفاء و الملوك، المطبعة الملكية، الرباط 1382هـ / 1963م، ص 53 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 324 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 304 .

<sup>6</sup> القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص 191 .



الأخبار ، و مما يؤثر عنه أنّ تاشفين بن علي<sup>1</sup> قال له : يا إسحاق إن الناس تكلموا في أم —رك و خاضوا في حديثك و في الذي يؤثر من المغيبات فمنهم من صدقك و منهم من كذبك ، فقال الفتى : اختبرني و أسألني عما شئت مما سمعته ، فقال تاشفين : قد غبت من أمسك أخبرني عما فعلته أمس بعدما قمت من مجلسي هذا و فارقته —ك و دخلت داري ، فقال له : دخلت دارك و جلست في مجلسك فقدم لك طبق فيه خ —وخ فتناولت واحدة و أكلتها حتى انتهيت على آخره —ا ، ثم تناولت أخرى فعضضت فيها عضة و صرفتها إلى الطبق ثم قمت ، أفتحب أن أخبرك بما فعلت ؟ قال تاشفين : اقطع الكلام هنا<sup>2</sup> .

فهذا النص يجعل من الوزير إسحاق هذا كاهنا يحدث الناس بما يفعلون و هناك نص آخر يزيد هذا الأمر إيضاحا ، فذكر أنّه جرى يوما ذكره في مجلس علي بن يوسف ، فقال لهم : عزمت على أن أختبره و لم يكن حاضرا في ذلك الخبر ، ثم قام علي بن يوسف و دخل فأخبره القوم : اليوم تفتضح فيما تدعيه من علمك مع أم —ير المسلمين ، فقال : أخبركم ، فقالوا : أخبرنا ، فقال لهم : قام بنفسه يريد أن يكتب بطائق فيها اسمي و اسم أمي فكتبها و وضعها في ثني الوسادة إلى أن يحين خروجه ، فإذا حان و يريد أن يخرج خرج و يسألني عما خبّأ لي فينساها عند خروجه و يخرج إليكم دونها فإذا رأيته تذكر ، فيدعو بأحد عبيده و يسأله في أذنه أن يخرجها إليه و يناوله إياها من كفه لئلا يطلع على ذلك ، فما لبث أن خرج علي بن يوسف من داره و دخل مجلسه ، فلما وقعت عينه عليه دعا بالغلام فسأله في الأذن و دخل الغلام الدار ثم خرج مسرعا بالبطاقة فناوله إياها من كفه إلى كفه ، فابتدر القوم و قالوا لعلي بن يوسف : يا أمير المسلمين قد أعلمنا بجميع ما أردت ، و قصوا عليه الحديث كما كان حد نهم و قالوا له : قد علمنا صدقهم في كل ما يدعيه و يؤثر عنه ، فعجب علي بن يوسف من ذلك<sup>3</sup> .

فإذا كان الوزير يمثل هذه الدقة في الكهانة و ادعائه معرفة الغيب ، فلماذا لم يستعمله المرابطون في كشف و تتبع أخبار الموحدين الذين يتربصون بهم ؟ أم إنّ كهانه هذا الوزير قاصرة فقط على كشف بعض ما يدور في قصور المرابطين دون غيرهم ؟

<sup>1</sup> تاشفين بن علي : ثالث ملوك المرابطين ، بويح له يوم وفاة والده علي سنة 537هـ/1142م ، حاصره الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي ، قتل في وهران بعد أن انقلب به جواده سنة 539هـ/1144م ( ابن الخطيب ، رقم الحلل ، ص 53 . مجهول ، الحلل الموشية ، ص 121 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 82 ) .

<sup>2</sup> ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 101 .

<sup>3</sup> نفسه ، ج4 ، ص 102 .

و من أهم الطرق الشائعة لقراءة أحداث المستقبل خلال العصر المرباطي ما يعرف بخط الرمل<sup>1</sup> ، و هي ظاهرة فرضت نفسها في الكتب الفقهية فصدرت في شأنها فتاوى منها فتوى ابن رشد الفقيه ، و هي فتوى تكشف الارتباط بين هذه الظاهرة و الأوضاع الإقتصادية إذ جاء فيها أنّ معرفة ما يستتر به الناس من أسرارهم و ما ينطوون عليه من أخبارهم و ما يحدثه الله من غلاء الأسعار و رخصها و نزول المطر و وقوع القتل و حلول الفتن و ارتفاعها و غير ذلك من المغيبات تكذيب للآيات المنزلات ، و من هذه الفتوى يستشف أنّ علم التنجيم كان يلاقي معارضة من طرف الفقهاء بسبب اختلاطه بعلم الغيب الإلهي<sup>2</sup> ، و قد انتشر ضرب الرمل بصفة أكثر في جنوب المغرب الأقصى حيث اشتهرت به إحدى القبائل و هي قبيلة أزقار<sup>3</sup> .

---

<sup>1</sup> حول ضرب الرمل ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 140.

<sup>2</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 109 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 110 .

## 7- الكهانة و التنجيم عند الموحدين (6هـ-7هـ / 12م-13م) :

إنّ أخبار ابن تومرت حافلة بادعاءاته الغيبية ، فهو الذي حاز كتاب الجفر الذي يحوي علوم الغيب عند من يعتقد وجوده و الذي زعم أتباعه و خاصته أن أبا حامد الغزالي أعطاه إياه ، و في هذا السياق يقول الملزوزي في أرجوزته :

و كان قد حاز كتاب الجفر من الفقيه ذي العلوم الح — بر<sup>1</sup>

و قال أيضا :

لما أتى المهدي أرض الغرب      بسيرة و حيلة و مذهب  
و كان بالعلوم ذا اشتغال عند أبي حامد — الغزالي  
له ذكاء و انتقاد و فطن و      إنه لمحنة من المحن  
كان أبو حامد المذكور إذا رآه ق — ال ذا يثور  
لابد أن يربح الدراهم — و      سرى في المغرب العظام  
فقد رأيت ذاك في صفاته — و      إنه في الدهر من آفاته  
فعلم المهدي أنّ عنده جفرا بما قال —      وعدّه  
فاحتال حتى فاز بالكتاب      و انقض في المغرب كالشهاب  
و كان ما ذكرته من حاله — و ح — ال متونة في إقباله  
فشرع المهدي ما قد شرعا — من الأم — و سنة أو بدعا  
و مهد الملك لعبد المؤمن — و من جنا ثمر الع — لا لم يجتن  
و حتى أتاه القدر المق — و      موته و أمره مشهور<sup>2</sup>

و يزعم الموحدون أنّ الغزالي دعا بأن يزيل الله ملك المرابطين على يد ابن تومرت فكان يحدث نفسه بالقيام عليهم ، و لما لقي عبد المؤمن بن علي في بجاية عرفه بال — لامات التي كانت عنده<sup>3</sup> ، و أضاف إلى هذه العلامات حديثا نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال

<sup>1</sup> الملزوزي، مصدر سابق، ص 53 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 56 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 136 .

لأصحابه : " هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه و سلم فقال : إنّ الله تعالى ينصر هذا الدين  
برجل من قيس سليم"<sup>1</sup> .

و ذكر الذهبي أنّ محمد بن تومرت كان حاذقاً في ضرب الرمل<sup>2</sup> الذي يعدّ ضرباً من ضروب  
الكهانة ، و قال عنه المراكشي إنّّه كان أوحده عصره في علم خط الرمل ، و أنّه وقع بالمشرق على  
ملاحم من عمل المنجمين و جفور من بعض خزائن بني العباس أوصله إلى ذلك كله فـرط اعتنائه  
بهذا الشأن و ما كان يحدث به نفسه<sup>3</sup> ، و برع ابن تومرت في الكهانة عن طريق كتف الشاة<sup>4</sup> ،  
و كان يزعم أنّه مأمور بنوع من الوحي و الإلهام ، و كان يتحلل القضايا الإستباقية و يشير إلى  
الكوائن الآتية<sup>5</sup> .

و ذكر ابن القطان أنّ ابن تومرت قد ذُكر في كتب الحدثان الأندلسية ناقلاً عن كاتب  
أندلسي يدعى أبو عبد الرحمن بن طاهر كتب رسالة إلى عبد المؤمن بن علي مدعياً أنّه يثبت فيها  
أمر المهدي ابن تومرت بالدليل و البرهان على طريق المنازعة بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة  
بالسوء<sup>6</sup> ، و قد نقلها ابن القطان كاملة و ممّا جاء فيها : " و أمّا ما وقع في كتب الحدثان ، فإن  
جعلنا ذلك اقتناعاً فقد وقع بأيدي كثير من أهل هذه الجزيرة أصلحها الله تعالى و سدّدها و نظمها  
عجلاً بسيرة المهدي كتاب صغير في حجمه يحتوي على عظام في علمه ، يذكر أنّه المهدي يخرج في  
جبل درن فيفعل و يصنع ، و عدّد أشياء كثيرة صدرت كلها من فعل المهدي ، و وجدت صنعه  
بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوة ، و ذكر أنّ أتباعه و أنصاره مصمودة ، و ذكر أنّه سيسبي  
حتى يبلغ السبي في بلاد البربر أن تباع الجارية البربرية بخمسة دراهم"<sup>7</sup> .

و هذا ما لم يحدث في حياة ابن تومرت فقد توفي و الحرب مستعرة بين أتباعه و المرابطين ،  
مما يدل على زيف هذه التكهّنات التي وضعها أولياء الدعوة الموحّدية لكسب الأنصار و الأتباع من  
عامة الناس الذين قد ينساقون بسذاجة لمن يدّعي مثل هذه الإدّعاءات .

<sup>1</sup> جمال الدين أبي الحاسن يوسف بن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ج5، ص248 .

<sup>2</sup> الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص 422 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 137 .

<sup>4</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 11 .

<sup>5</sup> ابن الخطيب، رقم الحلل، ص 57 .

<sup>6</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص101 .

<sup>7</sup> نفسه، ص 119 .

و نسب الموحدون أبياتا حدثانية لغازي بن قيس<sup>1</sup> أحد نقلة موطأ الإمام مالك<sup>2</sup> الأوائل  
للأندلس للتلبيس على أهل المغرب المالكية و كسب تعاطفهم ، قال البيذق إنّهـا في عبد المؤمن  
و هي كما يلي :

يخلق فيهم رجل أغر	مجتمع الخلق عليـه بشر
عليه سيما كلها بهاء	و سحنة يقطر منهـا الماء
من مرّة في النسب الكريم	و من ذرى عيلان ذي الحلوم
يفتح ذاك الخالف المؤيد	من نول حتى تلتقيـه الألف <sup>3</sup>

و كذلك نسبوا أيضا لابن عبد ربه الأندلسي<sup>4</sup> أبياتا حدثانية قالوا إنّهـا في عبد المؤمن بن  
علي و قد نقلها البيذق في المقتبس و هي :

و يرجع الأمر إلى عدنـان	لماجد قد خص من عيـلان
رب الفتوح صاحب الملاحم	و قانع الأعراب و الأعاجم
مدوّخ الأرض إلى أقصـاها	و فاتح الشام و ما ولاهـا
و عندما يفضي إليه الأمر	يقصده التأيـد ثمّ الظفـو
يكون مخصوصا بزين الحلم	مرفعا أهل التقى و العلـم
يفتح أرض الغرب دارا دارا	فلا يدع في عقـرها جـبلوا

<sup>1</sup> غازي بن قيس : من أهل قرطبة ، سمع الموطأ من مالك و هو أول من أدخل الموطأ و قراءة نافع إلى الأندلس ، توفي غازي بن  
قيس سنة 199هـ/814م ( القاضي عياض ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 114 ) .

<sup>2</sup> الإمام مالك : مالك بن أنس بن أبي دينار بن عمرو بن الحارث إمام دار الهجرة ، صاحب أحد المذاهب الأربعة ، ولد بالمدينة  
سنة 93هـ/711م ، ألف كتاب الموطأ ، روى عن غير واحد من التابعين و حدّث عنه خلق كثير ، قال البخاري أصح الأسانيد  
مالك عن نافع عن ابن عمر ، قيل فيه : لا يفتى و مالك بالمدينة و مناقبه كثيرة ، قال عن نفسه : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون  
أني أهل لذلك ، و كان إذا أراد أن يحدّث تنظف و تطيّب و لبس أحسن ثيابه و كأن يلبس حسنا و سرح لحبه ، و كان  
مع غزارة علمه متواضعا ، فعن خالد بن حداش قال : قدمت على مالك بأربعين مسألة فما أجابني إلا في خمس مسائل ، توفي  
الإمام مالك سنة 179هـ/795م ( القاضي عياض ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 104 ) .

<sup>3</sup> البيذق ، المقتبس ، ص 19 .

<sup>4</sup> ابن عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، من أهل العلـم و الأدب و الشعر ، و لـه  
الكتاب الكبير المسمى كتاب العقد في الأخبـار و هو مقسم على معان ، مولـده سنة 246هـ/860م و وفاته سنة  
328هـ/939م ( الضبي ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب الحرري - دار  
الكتاب اللبناني ، القاهرة - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1410هـ/1989م ، ج1 ، ص 191 ) .

و يقتل البربر و المصامدا و كل جبار كفور عاندا<sup>1</sup>

و جاء في المقدمة أنّه وضع في القرانات الكائنة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق و ذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس ، و قد وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير ، و الظاهر أنّه وضع لبني عبد المؤمن لذكر الأولين من ملوك الموحدين<sup>2</sup> .

و بعد أن تمكن الموحدون من إحكام سيطرتهم على المغرب بقيادة عبد المؤمن بن علي أكملوا سيطرتهم على الأندلس ، فيذكر ابن الخطيب في ترجمته لقاضي قرطبة أحمد بن حمدين المتوفي سنة 546هـ/1151م أنّه لما استولى الموحدون على مالقة نبشوا لحده و صلبوه و هو بحاله لم يتغير بعد عشرين شهرا ، و زعم بعض المؤرخين أنّ المنجمين في زمانه حكموا على مولده بأنّه يصلب و كان الحديث بذلك فاشيا بين أعدائه بقرطبة ، فصدقته الأيام لكن بعد وفاته<sup>3</sup> .

و انتشرت في العهد الموحي الملاحم ، و منها قصيدة تسمى التبعية و أولها :

طربت وما ذاك من طرب و قد يطرب الطائر المغتصب  
و ما ذاك مني للهو أراه و لكن لتذكّر بعض السبب

و هي قريب من خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ، ذكر فيها كثيرا من أخبار الدولة الموحدية و أشار فيها إلى الفاطمي و غيره و الظاهر أنّها مصنوعة ، و من الملاحم بالمغرب أيضا شعر زجلي منسوب لبعض اليهود ذكر فيها أحكام القرانات لعصره العلويين و النحسين و غيرهما ، و ذكر ميته قتيلا بفاس و كان كذلك فيما زعموه و أوله :

في صبغ ذا الأزرق لشرفه خيارا فافهموا يا قوم هذي الإشارة  
نجم زحل أخبر بذي العلاما و بدّل الشكل و هي سلاما  
شاشية زرقا ببدل العماما و شاش أزرق ببدل الغرار

<sup>1</sup> البيذق، المقتبس، ص ص 20-21 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 420 .

<sup>3</sup> ابن الخطيب، أعمال الأعلام "القسم الثاني"، ص 254 .

و أبياته نحو الخمسمائة و هي في القـرانات التي دلت على دولة الموحدين و يقول في آخره :

قد تم التجنيس لإنسان يهودي يصلب في بلدة فاس في يوم عيد  
حتى يجيه الناس من البوادي و قتلـه يا قوم على الفـراد<sup>1</sup>

و ثمة طريقة أخرى للتنجيم و معرفة حوادث المستقبل تعرف بالزايـرجة المسماة بزايـرجة العالم المعزوة إلى أبي العباس السبتي من أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة بمراكش و لعهد المنصور الموحدي ، و هي غريبة العمل صناعة و كثير من الخواص يولعون بإفادة الغيب منها<sup>2</sup> ، و قد بيّن ابن خلدون كيفية العمل بها و وضّح شكلها و رسمها ، و ذكر أنّ في حافاتها أبيات من عروض الطويل على رويّ اللام المنصوبة ، و في بعض جوانبها بيت من الشعر منسوب لمالك بن وهيب الوزير المرابطي و الذي وصفه ابن خلدون بأكابر أهل الحدثان بالمغرب ، و هذا البيت المتداول عندهم يستعملونه في استخراج الجواب من السؤال في هذه الزايـرجة و غيرها<sup>3</sup> . و في سنة 589هـ/1192م كان ظهور الأشل ببلاد الزاب بالمغرب و دعا لنفسه و اجتمع له أصناف من الناس و شاع ذكره في تلك البلاد ، و كان يلقي بالغايات لزعمه من الحدثان بأنّه موعود بأمره و أنّ الأراجيز نصت على خبره ، و لم يطل أمره حيث تمكن الموحدون من قتله في سنة ظهوره و احتمل رأسه إلى بجاية و علق على بابها<sup>4</sup> .

لقد كانت دعوة الموحدين منذ قيامها قائمة بشكل كبير على أخبار الشعوذة و التنجيم ، و عندما ملكوا الأندلس كان المنجمون حسب رواية ابن عذارى يقولون لبعض أمراء عبد المؤمن إنّ قائما يقوم عليكم بتلك البلاد يكون من صنف الأجناد اسمه محمد بن يوسف ، فقتلوا بسبب ذلك شخصا بجيان<sup>5</sup> تسمّى بذلك الاسم و ظنوا امتحاء ذلك الرسم<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص ص 421- 422 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 145 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 146 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، البيان " قسم الموحدين "، ص 215 .

<sup>5</sup> جيان : مدينة بالأندلس بينها و بين بياسة عشرون ميـلا ، و هي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم و العسل ، و جيان في سفح جبل عال و قصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة ( الحميري، مصدر سابق، ص 183 ) .

<sup>6</sup> ابن عذارى، البيان "قسم الموحدين"، ص 276.

و حكى هذا أيضا ابن الخطيب عند ذكره دولة السلطان أبي عبد الله بن هود الجذامي<sup>1</sup> الذي ملك مرسية<sup>2</sup> و قرطبة و إشبيلية و غرناطة و مالقة ، و كان يدعى بأمير المسلمين و يلقب بالمتوكل على الله ، و كان خروجه من مرسية تاسع رجب 625هـ/13 جوان 1228م ، و كان الناس يستشعرون ذلك و يرتقبون ظهور طالب للأمر اسمه محمد و اسم أبيه يوسف ، و جرى على الناس بسبب ذلك في زمن الموحدين امتحان سقي به قوم ممن وافق هذا الاسم أسماءهم أو أسماء آبائهم<sup>3</sup> .

و أورد ابن عبد الملك في الذيل و التكملة قصة الطفل العثماني و أبيه ، و كان هذا الطفل يزعم أنه يُحدث بما يؤول إليه أمره و ما يبلغه ملكه و من يقوم بسلطانه ، و زعم أيضا أن ابتداء أمره يكون سنة 630هـ/1232م و كماله سنة 633هـ/1235م و أنّ عمره إحدى و ثمانون سنة ، و انتهى الأمر بهذا الطفل إلى القتل رفقة أبيه<sup>4</sup> ، و من خلال السياق الذي وردت فيه هذه القصة يترجح أنها كانت في عهد المنتصر الموحدي<sup>5</sup> .

لقد قامت دولة الموحدين على أساس دعوى الهداية و التي لم تكن لتمنع ابن تومرت من ممارسة الكهانة و ادّعاء معرفة الغيب ، و قد عملت الدعاية الموحدية على نشر و بث تكهناته و نبوءاته بين الناس سالكة في سبيل ذلك كل الطرق الموصلة لتحقيق هذه الغاية ، و الهدف من ذلك كله تصويب ما قام به مهديهم المعصوم ، و سار على خطاه ثوار آخرون حاولوا الوصول إلى السلطة عن طريق الكهانة و الحدثان غير أنّ مصيرهم كان القتل .

<sup>1</sup> ابن هود : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود آخر ملوك بني هود في الأندلس ، ثار على الموحدين و تلقب بالمتوكل على الله سنة 625هـ/1238م و تنازع الملك مع ابن الأحمر ، قتل ابن هود سنة 635هـ/1238م ( الناصري، مصدر سابق، ج1، ص 298 . الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 149 ) .

<sup>2</sup> مرسية : مدينة بالأندلس اختطها الأمير عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 107 ) .

<sup>3</sup> ابن الخطيب، أعمال الأعلام"القسم الثاني"، ص 278 .

<sup>4</sup> ابن عبد الملك ، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، تحقيق : د/ محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، السفر الثامن، ص 179 و ما بعدها .

<sup>5</sup> المرصع : أبو يعقوب يوسف بن الناصر بن المنصور ، تولى بعد وفاة أبيه سنة 610هـ/1312م و سنه عشرة أعوام ، توفي مسموما سنة 620هـ/1224م ( الزركشي، مصدر سابق، ص 19 ) .



## 8- التنجيم و الكهانة في الأندلس ( من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م - 13م ) :

عندما وصل الإسلام إلى بلاد المغرب اعتنق أهله و هم البربر هذا الدين ، و لما هم المسلمون بالعبور إلى الشمال لاستكمال ع مليات الفتح كان البربر في طلائع الجيوش العابرة إلى الأندلس ، و خلال هذه المرحلة و بعدها تطالعنا بعض المصادر التاريخية بأخبار استعانة الفاتحين المسلمين بالمنجمين و الكهنة ، فقبل بداية العمليات العسكرية الأولى في جنوب الأندلس يذكر عبد الملك بن حبيب في تاريخه أنّ موسى بن نصير وجه مولاة طارق بن زياد إلى تلمسان و أمره أن يتعاهد سواحل البحر و مراسيه و يجعل عليها رسدا لعله أن يهيب من سفن الروم فيجد فيها شيئا عنده علم ففعل ، فظفر به فقال له : هل تعرف في علمك من يفتح الأندلس ؟ قال : يفتحها قوم يقال لهم البربر و هم على دينكم<sup>1</sup> .

و هذه الرواية لمؤرخ أندلسي متقدم نسبيا تجعل موسى بن نصير معتقدا بالحدثان و الكهانة ، فهو لم يقدم على بدء الفتح إلا بعد إخباره بمصير مشروعه من طرف كاهن رومي ، و واصلت الرواية أخبارها بالإدعاء أنّ طارقا كان من أعلم الناس بالنجوم و موسى كذلك و مما جاء فيها : " فكتب طارق بذلك إلى موسى فحشد البربر و بعث إليه منهم ألف رجل ، و كتب موسى إلى طارق و كان من أعلم الناس بالنجوم : إنّك ستنتهي إلى صخرة على شاطئ البحر — فاشحن سفنك عنده — اطلب فيمن عندك رجلا يعرف أسماء الشهور بالسريانية ، فإذا كان يوم أحد و عشرين من أيار و هو بالحساب الأعجمي ما به فأجسر على بركة الله و عونيه و امض على تأييده و نصره ، حتى يستقبلك جبل أحمر في أسفل عين شرقية إلى جانبها تمثال ضخمة على صورة ثور ، فاكسر ذلك التمثال و اعمد إلى رجل طوال أشقر بعينه قَبَل و يديه شلل فاعقد له على مقدمتك ، فلما انتهى الكتاب إلى طارق كتب إلى موسى : إني سأنتهي إلى ما أمرتني به ، و أمّا صفة الرجل الذي أمرتني به فلم أجد صفته إلا في نفسي"<sup>2</sup> .

و يروي الحميري أنّ طارق بن زياد أصاب عمجوزا من أهل الجزيرة قالت إنّّه كان لي زوج عالم بالحدثان ، و كان يحدث عن أمير يدخل بلدنا هذا و يصفه ضخمة الهامة و أنت كذلك ، و منها

<sup>1</sup> عبد الملك بن حبيب ، كتاب التاريخ ، اعتنى به : عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى،

1429هـ/2008م، ص 143.

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

أنّ بكتفه الأيسر شامة عليه ا شعر فإن كانت بك هذا الشامة فأنت هو ، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة على كتفه كما ذكرت العجوز ، فاستبشر بذلك هو و من معه <sup>1</sup> .

و بذلك يكون طارق قد اكتشف في نفسه صفة البطل الأسطوري المحدث عنه ، ذلك أنّ شطرا من نبوءة موسى قد تحققت في طارق نفسه قبل غيره و البدايات عنوان النهايات ، و لم يبق إلا الشطر الأخير و هو الإنزال ، إذ كان على الجيش رجل أخبر به علم النج —وم و تحققت صفته فيه فلم يبق إلا النصر المؤكد ، و نفذ طارق بن زياد أوامر موسى المبنية على علم المحدثان الرومي و علم النجوم <sup>2</sup> .

و روى ابن قتيبة أنّ موسى بن نصير لما قدم الأندلس قال أسقف من أساقفتها إنا لنجدك في كتب المحدثان عن دانيال بصفتك صيادا بشبكتين ، رجل لك في البر و رجل لك في البحر تضرب بهم هاهنا و هاهنا فتصيد ، فسّر بذلك موسى و أعجبه <sup>3</sup> ، و يضيف عن موسى رواية أخرى لا يمكن تصنيفها إلا في خانة الكهانة و الإطلاّع على الغيب فيقول : " إنّ موسى أرسل أناسا في مراكب فأمرهم أن يسيروا حتى ينتهوا إلى صنم يشير بأصبعه أمامه في جزيرة في البحر ، ثمّ يسيروا حتى يأتوا صنما آخر —ر في جزيرة يشير بأصبعه أمامه ، ثمّ يسيروا الليالي و الأيام و يجدّوا في السير حتى يأتوا صنما آخر في جزيرة في البحر فيها أناس لا يعرف كلامهم ، قال : فإذا بلغت ذلك فارجعوا ، و ذلك في أقصى المغرب ليس وراءه أحد من الناس إلا البحر المحيط " <sup>4</sup> ، و هذه من الخرافات المنسوبة لموسى بن نصير أثناء ولايته المغرب .

و مما يروى عن موسى بن نصير أنّه دعا برجل أسير من الأعاجم و كان عنده علم فقال له : أدخل يدك في جوف عصفور مذبوح مشقوق البطن فانظر ماذا ترى ، فأدخل يده في جوف العصفور فحرّكه ثمّ قلبه ثمّ قال للترجمان بلسانه : إنّّه ليس يموت هاهنا و لكنه يموت بالشرق في بلاد العرب ، فنظر إليه موسى ثمّ قال له : قاتلك الله ما أعلمك ، ثمّ أمر به فقتل <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 35 .

<sup>2</sup> جعفر بن الحاج السلمي، الأسطورة و المغرب الأقصى، جمعية تطوان، تطوان، الطبعة الأولى، 1435هـ/2013م، ص 93 .

<sup>3</sup> ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، ج2، ص 94 .

<sup>4</sup> نفسه، ج2، ص 100 .

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 118 .

و يؤكد عبد الملك بن حبيب أنّ موسى بن نصير كان بصيرا بالنجوم حيث ينقل أنّ سليمان بن عبد الملك<sup>1</sup> حجّ و خرج موسى معه و كان موسى من أعلم الناس بعلم النجوم ، فلما حل بالمدينة قال موسى لبعض من يعز عليه ، ليموتن يوم غد رجل قد بلغ ذكره المشرق و المغرب فمات موسى في اليوم الثاني<sup>2</sup> .

و هذه من أشد الأخبار نكارة و غرابة في هذا الباب ، فلم نعلم أنّ المنجمين على كثر تهم يتنبؤون بيوم وفاتهم ، و قد حشى عبد الملك بن حبيب هذا كتابه بكثير من الأخبار التي يغلب عليها طابع الأسطورة ، و سنأتي على ذكر طرف منها عند الحديث عن الأفكار الخرافية في الأندلس .

و من أخبار الحدثان ما كان يشاع عن عبد الرحمان الداخل من تغلبه على الأندلس قبل وصوله إليها ، فقد كان قومه يتحینون له ملكا بالمغرب و يرون فيه علامات يؤثرونها عن مسلمة بن عبد الملك<sup>3</sup> و كان هو قد سمعها منه مشافهة<sup>4</sup> حيث يقول : " لما أئنا و شاع ذلك ركبت متنزها فوقع بهم و أنا غائب ، فرجعت إلى منزلي فنظرت فيما يصلح أهلي و يصلحني ، و خرجت حتى صرت في قرية على الفرات و أنا و الله ما أريد إلا المغرب و كنت قد بلغتني رواية ، كان والدي قد هلك في زمن جدي و كنت صبيا إذ هلك ، فأقبل بي و بإخوتي إلى الرصافة إلى جدي و مسلمة بن عبد الملك لم يمت بعد ، فنحن وقوف ببابه على دوابنا إذا سأل مسلمة عنا ، فقليل : أيتام معاوية ، فاغرورقت عيناه بالدمع ، ثم دعا بنا الإثنین فالإثنین ، فأقبل يدعـو بنا حتى قدمت إليه فأخـذني و قبلني ثم قال للقيم : هاتـه ، فأنزلي عن دابتي و جعلني عن أمامه و جعل يقبلني و يبكي بكاء

---

<sup>1</sup> سليمان بن عبد الملك : أبو أيوب كان من خيار ملوك بني أمية ، ولي الخلافة سنة 96هـ/714م ، قيل فيه: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بلحاظه الصلاة لمواقبتها و اختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز، توفي عاشر صفر سنة 99هـ/21 سبتمبر 717م ( جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م، ص 370 ) .

<sup>2</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 153.

<sup>3</sup> مسلمة بن عبد الملك : من كبار أمراء بني أمية و له فتوحات كثيرة ، سار لغزو القسطنطينية أيام أخيه سليمان و كان أولى بالخلافة من سائر إخوته ، توفي سنة 120هـ/737م ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص241 . الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 224 ) .

<sup>4</sup> ابن خلدون، العبر، ج4، ص 155 .

شديدا فلم يدع بعدي من كان أصغر من إخوتي و شغل بي فلم يفارقني ، فأنا أمامه على سرجه حتى خرج جدي فلما رآه قال : ما هذا يا أبا سعيد ؟ فقال : بني لأبي المغيرة رحمه الله ، ثم دنا من جدي فقال له : تداني الأمر هو هذا ، قال : أهو ؟ قال : إي و الله قد عرفت العلامات و الأمارات بوجهه و عنقه<sup>1</sup> ، فكان عبد الرحمان يحدث نفسه بذلك فخلص إلى المغرب<sup>2</sup> .

و يذكر المقرئ نقلا عن ابن حيان المؤرخ الأندلسي أنّ والي إفريقية عبد الرحمان بن حبيب الفهري كان عنده يهودي حدثاني ، كان يتكهن له و يخبره بتغلب القرشي المرواني الذي هو من أبناء ملوك القوم و اسمه عبد الرحمان و هو ذو ظفيرتين يملك الأندلس و يورثها عقبة ، فاتخذ الفهري عند ذلك ظفيرتين أرسله ما رجاء أن تناله الرواية ، فلما جيء بعبد الرحمان و نظر إلى ظفيريته قال لليهودي : ويحك هذا هو و أنا قاتله ، فقال له اليهودي : إنك إن قتلتها فما هو به و إن غلبت على تركه إنه لهو ، و نقل فلي بني أمية على ابن حبيب صاحب إفريقية فطرد كثيرا منهم مخافة و طلب عبد الرحمان فاستخفى<sup>3</sup> .

و استطاع عبد الرحمان بن معاوية أن يقيم له و لبنيه من بعده دولة في الأندلس ابتداء من سنة 137هـ/754م ، و استطاع أن يوحد هذه البلاد بعد أن طحنها التكاليف حول الحكم ، إلا أنّ طريقه نحو تحقيق وحدة الأندلسيين كانت شاقة و عسيرة ، و كان عليه أن يكرّس كل حياته على مدى اثنتين و ثلاثين عاما قضاه —ا في الإمارة القضاء على سلسلة متصلّة من الثورات و حركات التمرد و الصراعات القبلية و العنصرية و مؤامرات الطامحين إلى السلطان و الراغبين في الإمارة<sup>4</sup> .

و لم يمنع نبذ العلماء و العامة في الأندلس للتنجيم و الإشتغال به الأمراء من الإستعانة بالمنجمين و تقرييهم منهم ، فقد ذكر أنّه كانت للعلّوم في الآنـدلس حظ و اعتناء إلا الفلسفة و التنجيم ، فإنّه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلق عليه العامة اسـم

<sup>1</sup> مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م، ص ص 53-54 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، العبر، ج4، ص 155.

<sup>3</sup> أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نقح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : د/ إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج3، ص ص 28-29 .

<sup>4</sup> د/ عبد المجيد نعنعي، الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 150.

زنديق و قيدت عليه أنفاسه ، فإن زل في شبهة رجوه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان ، أو يقيله السلطان تقرباً لقلوب العامة<sup>1</sup> .

و لما ولي هشام بن عبد الرحمان الإمارة حكى عنه أنه بعث في طلب منجم يدعى الضبي مقيم بالجزيرة الخضراء فقال له : لست أشك أنك قد غيت بأمرى إذا بلغك ، فناشدتك الله إلا أخبرني بما ظهر لك ، فقال له الضبي : ناشدتك الله إلا أعفيتني من هذا ، فأعفاه فلما كان بعد أيام كشف عنه ، فقيل له : خاطر، فبعث فيه و قال له : إن الذي أسألك لست و الله أصدق به على الحقيقة و لكن أريد أن أسمعك ، و لئن أوردت علي مـا يغمي لأحبونك و لأكسونك و أكافئك كما كنت أكافئك على أن تورده ما يسرني ، فقال له الضبي : ما بين الستة إلى السبعة ، فأطرق عنه ساعة ثم رفع رأسه إليه فقال لهـ : يا ضبي ، و الله لو أنها في سجدة الله لهانت ، و كساه و حباه و صرفه إلى بلده<sup>2</sup> .

و في رواية المقرئ أنّ الضبي منجم معروف ، و كان في علم النجوم و المعرفة بالحركات العلوية بطليموس زمانة ح ذقا و إصابة ، و كان ممّا قاله للأمير هشام بن عبد الرحمان : اعلم أيها الأمير أنّه سوف يهتقر ملكك سعيدا جدّك قاهرا لمن عاداك ، إلا أنّ مدتك فيه فيما يحلّ عليه النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها ، فأطرق ساعة ثمّ رفع رأسه و قال : يا ضبي ما أخوفني أن يكون النذير كلمني بلسانك ، و الله لو أنّ هذه المدة كانت في سجدة الله تعالى لقلت طاعة الله ، و وصله و خلع عليه و زهد في الدنيا و التزم أفعال البر<sup>3</sup> .

و عندما وصل عبد الرحمان الأوسط<sup>4</sup> إلى الحكم في الأندلس ، دفع بأهلها إلى الاهتمام بعلوم الأوائل و ما يتصل بها من علم التنجيم ، إذ كان لقدم نظره في علم الهيئة مطالعته للكتب القديمة صاغيا إلى علم التنجيم واقفا على سنن التعديل ، يسأل علماءه عن دلائله مولعا بالوقوف

<sup>1</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 221 .

<sup>2</sup> ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م، ص61 .

<sup>3</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 335 .

<sup>4</sup> عبد الرحمان الأوسط : عبد الرحمان بن الحكم يكنى أبا المطرف ، ولي و له ثلاثون سنة و كان ذلك عام 206هـ/821م ، اتصلت ولايته إلى أن مات سنة 238هـ/852م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 30 ) .

على أقوالهم في أحكامه مقرّبا لحذاق المنجمين في زمانه أنيسا بهم محسنا إليه -م<sup>1</sup> ، و هو أول من أدخل كتب الزيجات و كتب الفلسفة و الموسيقى و الحكمة و الطب و النجوم إلى الأندلس<sup>2</sup> .  
و من المنجمين الذي قرّهم إليه الأمير عبد الرحمان عبد الله بن الشمر<sup>3</sup> الذي احتل مكانة رفيعة عند الأمير لأنّه كان منجما حاذقا دقيق النظر صائب القياس صادق الوفاق في الأقضية ، فكان أعلم الناس بأسرار الأمير<sup>4</sup> و كان نديهم و شاعره<sup>5</sup> ، و ذكر أنّه كان قد بشر عبد الرحمان بأنّ الأمر سيصير إليه من جهة التنجيم ، فلما كان كذلك أحسن جـ زاءه و أجـرى عليه رزقا للتنجيم و رزقا للشعر<sup>6</sup> .

و غَضَّ الأمير عبد الرحمان يوما من علم المنجمين و قال إنّهُ مخرفة و رجم بالغيب ، فأراد ابن الشمر أن يقيم له برهانا على صحته بأن قال للأمير : اختبر في مقامك بما شئت ؟ فقال : إن أنبأتنا على أي باب من أبواب هذا المجلس أخرج في قيامي صدّقت بعلمك ، فكتب ابن الشمر في ورقة محتومة ما اقتضى له الطالع ، و دعا الأمير من فتح له بابا محدثا في غارب المجلس الذي يلي مقعده ثمّ خرج منه و ترك الخروج من أبواب المجلس الأربعة و فتح الورقة ، فوجد ما فعله الأمير فتعجب و وصله<sup>7</sup> .

و من أخبار ابن الشمر أنّ عبد الرحمان نزل بفحص السرادق أعلى قرطبة و قد قفل من غزاة مزمعا على الدخول إلى قرطبة صباح غده في تعبئة كاملة فقال له ابن الشمر: لتعلم أنك مغلول على ذلك و لا بد لك الليلة من المبيت في قصـرك ، فقال : و الله لا أدخلـه ، فقال لتدخلنه

<sup>1</sup> ابن حيان، المقتبس، مخطوط مكتبته الأكاديمية التاريخية لمـدريد . نقلا عن : د/حياة قارة، عبد الله بن الشمر شاعر أمير الأندلس عبد الرحمان بن الحكم و نديهم و منجمه، مجلة الذخائر، العدد 5، 1421هـ/ 2001م، ص 110 .

<sup>2</sup> مجهول، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق و ترجمة : لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1403هـ/ 1983م، ج1، ص 138 .

<sup>3</sup> عبد الله بن الشمر : بن نمير القرطبي ، كان أبوه النمر من موالي بني أمية و من أهل العلم بالعربية ، نشأ عبد الله جامعا لفنون من العلم و الأدب ، صحب الأمير عبد الرحمان قبل أن يلي الإمارة ، و عند ولي صار نديهم و شاعره و منجمه ، توفي عبد الله بعد سنة 225هـ/ 840م ( الضبي، مصدر سابق، ج2، ترجمه رقم 847، ص 410 . عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/ 1984م، ج4، ص 102 ) .

<sup>4</sup> د/ حياة قارة، مرجع سابق، ص 111 .

<sup>5</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج6، ص 613 .

<sup>6</sup> علي ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1429هـ/ 2009م، ج1، ص 125 .

<sup>7</sup> نفسه، ج1، ص 126 .

مكرها ، و لأكونن في هيئتي شبهك في طريقك إليه و سوف ترى فغضب و وكل به ، و كان ذلك اليوم مشمسا صائفا فما هو إلا أن دنا المساء فأنهمل من المطر و هب الريح ما ضج له الناس و تداعوا للدخول إلى قرطبة ، و لم يجد الأمير بدا من مبادرة قصره و ركب في نفر من خاصته و ابن الشمر إلى جانبه يسايره ، فوطئت دابة ابن الشمر مسمارا فلم تنهض فأمر لـه بفرس من جنائنه بسرجه و لحامه فركبه و شكا نفوذ الماء لغفارته التي كان يتوقاه بها و وصوله إلى جسده ، فأمر له الأمير بممطر خز من ممطره ( ثوب صوف يتوقى به من المطر ) و قنزعة من قنازعه ( ما يتخذ على الرأس ) صبا عليه فاستوى و الأمير في لبوسه و مضى يسايره ، فلما نزل قال له : يا مولاي كيف رأيت قولي ؟ فقال : انطلق بما عليك و تحتك و الصلة لاحقة بك ، و كتب ابن الشمر في الحين رقعة فيها :

تجرك حـين حرّكـه      لوقت إيابـه القـدر  
فيـا من دونـه الحـجـا      ب و الأسـلـو و الحـجر  
لئن كنت امرؤا تخشـى      بـوادـر زجـره البشـر  
فما يخشـاك بهـرام      و لا زحـل و لا قـهر<sup>1</sup>

و أصبح عبد الله ابن الشمر لتفوقه في التنجيم رئيس المنجمين بالأندلس<sup>2</sup> ، و يُنقل عنه أيضا أنه قال للأمير عبد الرحمان صبحه ذات يوم أنّ الطالع ليدلني على أنه لا بد أن يراق من دمك اليوم شيء فكن على حذر و الله يقيك ، فغاضه قوله و أمر بحبسـه في بيت المركوب كيما يمتحن قوله و اشتغل به باله جدا ، فانفرد في مجلس بأقصى قصره في خاصة من نسائه يرتقب مضي ساعات نهاره و لا يسلو و لا يطعم ، فلما انتصف النهار و لم يبد له شيء مما حدّره أوصى إلى ابن الشمر بيكته بتخـرّصه عليه و يتبجح لسلامته ، فقال للرسول : قل له يحمد الله على ما مضى من يومه و لا يستبطئ ما تخوفـه عليه بقيته فإنّ الأمر آتية و الله غالب على أمره ، فلما جاء وقت العصر و ولى النهار و السلامة راهنة عنده أعاد الإيصاء إلى ابن الشمر و التقرير له ، فأعاد مثل جوابه الأول و قال لرسوله : لا يستبطئ وقاه الله فوالله لو لم يبق من النهار إلا دقيقة لجاءه ما به أنذرته هونه الله عليه ، فقرب المساء و جنحت الشمس فجـد بالأمير نساؤه في الأكل و أنكرن عليه تغليبـه لسوء الظن و انقياده لقول أفـاك متخـرّص يفترى على الله ما لا يعلمه ، و جددن به في

<sup>1</sup> نفسه، ج1، ص ص 126 - 127 .

<sup>2</sup> نفسه، ج1، ص 127 .

أخذ الغداء و قد كان أجاج نفسه فأمر بإدلاء الطعام إليه ، فأدنى الخدم الوضوء منه بانكمـاش و عجلة أهوى الأمير خلالها إلى الطست بيده يريد غسلها ، ففرع أنبوب الإبريق الطويل جبهته قرعة شجتها و أقبل الدم على وجهه ، فبودر علاج قطعه و رباطه و هو يتعجب لصدق إصابة ابن الشمر و دقة نظره و حمد الله على ما هون من الخطب عليه ، ثم أرسل إلى ابن الشمر رسولا يغالطه عنه و يقول له : امضي لسبيلك أفاكا أثيما فقد انقضى النهار و جاء الليل و نجى الله بفضلته مما خوفت منه ، فقال للرسول : إليك عني ، ليدعني الأمير أصلحه الله من هذا التوهيم فالصدق أولى به ، و تالله لقد أصابه ما قلت له ، فقيل : فقد كان بعضه و هذه وصلتك ، فانطلق راشدا لسبيلك<sup>1</sup> .

و هذه الأخبار التنجيمية ضرب من ضروب الكهانة ، و التي إن وقعت فإنها لا تزيد المسلم إلا إيمانا ببطان دعاوى المنجمين و تسليما لله عز وجل بإحاطته بالغيب وحده ، و هذا من أهم مقتضيات توحيده جل و علا .

و قبل قيام الدولة الشيعية الإسماعلية في بلاد المغرب يذكر أنّ دعوة المهدي قد راجت في الأندلس ، حتى إنّ بعض فقهاء كانوا يعتقدون صحة النبوة القائلة بظهور أحد أبناء فاطمة و حكمه بلاد الأندلس و استيلائه على القسطنطينية و قتله مسيحي قرطبة<sup>2</sup> .

و في عهد الخلافة يُذكر أنّ الحكم المستنصر كان لشدة نظره في الحدثان يتخيل في محمد بن أبي عامر<sup>3</sup> أكثر الصفات المجتمعة إلى النسب و البلدة ، و كان يجد القائم عليهم من الجزيرة الخضراء أصفر الكفين فيقول لخاصته : ألا ترون صفرة كفيه ، فإذا قالوا : أرح نفسك منه ، يقول : لو كانت

<sup>1</sup> ابن حيان، المقتبس، مخطوطة مكتبة الأكاديمية التاريخية بمدرّيد . نقلا عن: د/ حياة قارة، مرجع سابق، ص ص 111-112.

<sup>2</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 254، هامش 1.

<sup>3</sup> المنصور بن أبي عامر : محمد بن أبي عامر ، أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد ، ورد شابا على قرطبة ، فطلب العلم و كانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور ، ثم علت حاله في أيام الحكم المستنصر ، و لما ولي هشام المؤيد تغلب عليه و تلقب بالمنصور ، و دانت له الأندلس كلها و أمنت به ، و كان ذا همة عالية في الجهاد مواصلا لغزو الروم ، فقد غزا أكثر من خمسين غزوة ، و وصل إلى مواقع جمّة امتنعت على من كان قبله ، و كان كلما انصرف من قتال العدو يأمر بنفض غبار ثيابه التي حضر فيها معركة القتال و أن يجمع و يحتفظ به ، فلما حضرته منيته أمر بما اجتمع إليه من ذلك أن ينشر على كفيه إذا وضع في قبره ، توفي المنصور بن أبي عامر في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة 393 هـ / 1002 م (الضيبي، مصدر سابق، ج 1، ص 152) .



به شجة لكأنت تكملة صفاته ، فكان من قدر الله أن حدثت الشجة بمحمد بعد مـ سوت الحكم و بها تم الأمر<sup>1</sup> .

و مما يروى عن الحكم المستنصر ما جاء في بناء مدينة الزاهرة<sup>2</sup> ، فقد وقف في الأثر على البقعة التي بنيت فيها و كانت ملوك المروانية تتخوف ذلك ، و كان ألمجهـم بشأنها الخليفة الحكم ، فنظر في أمرها و هي البقعة المعروفة بألش و هي بغربي قرطبة و وجد انتقال الملك إليها ، فأمر حاجبه جعفرًا بالسبق إليها و الشروع في بنائها طمعا في مزية سعداها و أن لا يخرج الأمر عن يد ولده و أنفق عليها ما لا عظيمًا ، فكان من غريب الأمور أن محمد من بن أبي عامر تولى النظر في شأنها ، ثم رفع إلى الحكم أن البقعة بغير ذلك الموقع فأنفذ من يقف عليها ، و انتهى إلى أحد المنازل فأصاب عجزًا مسنة قالت له : سمعنا أن مدينة تبني هنا و يكون على هذا البئر نزول ملكها ، فلم تطل المدة حتى بناها ابن أبي عامر ، و زعموا أن المنصور كان على ثقة من سرعة انتقال الملك إليه لا يشك في ذلك لأنه تمكن من مطالعة ما كان عند الحكم<sup>3</sup> .

و يناقض هذه الرواية ما ذكر عن المنصور بن أبي عامر أنه كان من أشد الناس في التغيير على من علم عنه شيء من الفلسفة و الجـدل في الاعتقاد و التكلم في شيء من قضايا النجـوم و أدلتها<sup>4</sup> ، و بلغ المنصور عن رجل يقال له محمد بن أبي جمعة بقول من الإـرجاف في القطع على انقطاع دولته ، فقطع لسانه ثم قتله و صلبه فخرست ألسن جميعهم لذلك<sup>5</sup> .

و لم يكن هشام المؤيد<sup>6</sup> كوالده الحكم فقد تغلب عليه وزيره المنصور بن أبي عامر و ولداها من بعده ، و لما تيقن هشام من انصرام دولته بما مني به قديما و حديثا صير إلى علي بن حمود<sup>7</sup> ولاية عهده و أوصى إليه بالخلافة من بعده ، و راسله بذلك إلى سبته أيام تردده عليها بمعنى الاستمـداد

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص257 .

<sup>2</sup> الزاهرة : مدينة متصلة بقرطبة بناها المنصور بن أبي عامر ( الحبري، مصدر سابق، ص 283 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 258 .

<sup>4</sup> نفسه، ج2، ص 292 .

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 293 .

<sup>6</sup> هشام المؤيد : هشام بن الحكم بن الناصر لدين الله ، يكنى أبا الوليد ، أمه أم ولد تسمى صبح ، ولي بعد وفاة أبيه و كان طول مدته قد تغلب عليه المنصور بن أبي عامر ، و قتل هشام في قرطبة سنة 403هـ/1012م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 37 . الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص 85 ) .

<sup>7</sup> علي بن حمود : الناصر، تسمى بالخلافة بعد قتل سليمان بن الحكم سنة 407هـ/1016م ، و استتب له الأمر سنة و عشرة أشهر ، و خرج عليه الموالي الذين قاموا بنصرته فخلعوه و قتل سنة 408هـ/1017م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 42 . الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 283 ) .

و جمعه طوائف البرابرة للجهاد ، و استئذنه السر فيه إلى أوانه و بلوغ زمانه<sup>1</sup> ، و من الأسباب التي دفعت بهشام إلى اتخاذ هذا القرار أنّه كان يقول حسب ابن بسام برموز الملا حم و كتب الحدثان ، و خامر نفسه في ذكر قائم بسبته أول اسمه عين<sup>2</sup> .

و ممّا يروى عن هشام أنّه كانت له جارية من أحسن ما تقع عليه العين ، فلما أراد أن يستفضّها وجدها ثيبا فسألها فقالت : بينما أنا ذات يوم راقدة تحت الشجرة الفلانية في البستان و إذا بمن نزه الله ذكره عن هذا المكان قد جـامعني و استفضني فاستيقضت و خفت الفضيحة و كتمت ذلك ، فبكى هشام و قال : أبلغت أنا من العارية عند الله أن يأتي من أتاك إلى بستاني و يستفض جارياتي أنت حرة لوجه الله ، و أمر في الحين أن تبنى بذلك الموضع رابطة يتعبد فيها<sup>3</sup> .

و في أواخر المائة الرابعة ظهرت الفتنة في الأندلس و كان لأهل التنجيم قولهم فيها ، فمن غريب ما قاله هؤلاء في مبتدأها و كنه تأثيرها على أصولهم و زعمهم أنّ القرآن الشنيع الحادث في سنة 397هـ/1006م المؤذن بها كان في برج ذي جسدتين قيل له السنبلة ، فأنذروا بذلك بأن تكون لمن قام بالملك في هذه الفتنة دولتان لا محالة<sup>4</sup> .

و ذكر عبد الملك بن حبيب عن خراب دولة بني أمية هذه الخرافة الحدثانية : " إذا خرجت دولة بني أمية و وليها رجل من الموالي أو البربر تكون في دولته الضمة و في دولة أخرى من بني أمية تكون القرمونية ، ثم تحرب قرطبة حتى لا يسكنها إلا الغربان و ينتقل الملك إلى إشبيلية ، و تخرج الخلافة من ولد العباس و يصير الأمر إلى بني طالب حتى يخرج الدجال ، و يدخل الداخل من قريش من ولد فاطمة فيبرأ إليه أهل الأندلس بالأمر ، ففي زمان هذا الفاطمي تفتح القسطنطينية ، و على يدي الفاطمي يقتل النصارى بقرطبة و كورها فلا يبقى نصرائي و يقع السبي في ذرايعهم حتى يؤخذ الخادم بهماز و الأمرد بسوط"<sup>5</sup> .

و يذكر الحميري أنّ من آثار مدينة قادس الجزيرة التي بالأندلس الصنم المنسوب إليها ، و كان أهل العلم بالحدثان يقولون يوشك أن يقع من يد هذه الصورة أحد المفتاحين فيكون بذلك

<sup>1</sup> أبو الحسن علي بن بسّام الثنتريني، مصدر سابق، القسم الأول- المجلد الأول، ص 37 .

<sup>2</sup> نفسه، القسم الأول- المجلد الأول، ص 43 .

<sup>3</sup> ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج1، ص 196.

<sup>4</sup> ابن الخطيب، أعمال الأعلام"القسم الثاني"، ص 127 .

<sup>5</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 156 .

تحرك الفتن في الأندلس ثم يقع الآخر بعد فيكون خراب الأندلس<sup>1</sup> ، و يضيف أنّ بعض المؤلفين لغرائب الحدثان ذكروا أنّ هذا الصنم جعل رأسه إلى طليطلة و صدره لقرطبة و كذلك أعضاؤه قسمها عضوا عضوا على بلاد الأندلس ، فمتى أصاب عضوا من هذه الأعضاء آفة حلت بذلك القطر الذي من قسمته آفة ، و في بعض التصانيف إذا هدم صنم قادم استولى النصارى على بلاد الأندلس ، فنظروا فإذا الوقت الذي هدمه أبو الحسن علي بن عيسى بن ميمون دخل فيه النصارى قرطبة<sup>2</sup> ، و علي هذا قائد البحر المنتزي على المرابطين بقادس و كان قصد عبد المؤمن بن علي الذي أمره أن يتوجه إلى الجزيرة و أن يهدم الصنم الذي فيها و ذلك أول عام 540هـ/1145م<sup>3</sup> ، و قيل إنّ هدم علي للصنم لأنّه خيل إليه أنّه على كنوز ضخمة و أنّ داخله محشوا تبرا ، و كان يقال إنّ من يهدم الصنم يموت مقتولا<sup>4</sup> ، و قد تمكن فعلا المرابطون من قتل علي بن عيسى في سبتة و صلبه في برج المدينة<sup>5</sup> .

و هذا التوافق فيما أخبر به هؤلاء المنجمون و ما حدث قد يدفع الكثير من العوام إلى مزيد من التصديق بأخبار الكهنة و العرافين و المنجمين ، و في الوقت ذاته لا يزيد المؤمنين إلا يقينا بكذب و افتراءات من نصّب نفسه قادرا على معرفة الغيب و التنبؤ بأحداثه .

و قل ابن مرزوق في مسنده عن المؤرخ الكاتب الشاعر أحمد بن محمد بن عبد ربه أبو عمر أنّه قال : دخلت على الوزير ابن جهور<sup>6</sup> إثر الصيف و كان القحط قد تهادى و الغيث قد احتبس و اغتم الناس و تحدّث المنجمون بتأخير الغيث مدة طويلة ، و كان عند الوزير المنجم ابن عزراء و جماعة من أصحابه ، و قد أقاموا الطالع و عدلوا و قضاوا بتأخير المطر شهرا ، فقلت للوزير : إنّ

<sup>1</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 448 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 449 .

و قد دخل النصارى قرطبة بتحالفهم مع القاضي أحمد بن حمدين الذي كان في صراع مع ابن غانية المرابطي في 10 محرم 540هـ/ 23 ماي 1146م ، و قد عاثوا فسادا في المدينة و استباحوا المسجد الجامع و مزقوا المصاحف و نزعوا المنار من الصومعة و كان من الفضة الخالصة و أحرقوا الأسواق ( ابن الخطيب، أعمال الأعلام "القسم الثاني"، ص 252 و ما بعدها . عبد الله عنان، مرجع سابق، العصر الثالث - القسم الأول، ص 314 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى، البيان "قسم الموحدين"، ص 34 .

<sup>4</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 449 .

<sup>5</sup> البيهقي، أخبار المهدي، ص 67 .

<sup>6</sup> ابن جهور : جهور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن الغافر بن أبي عبدة رئيس قرطبة ، ولد سنة 364هـ/974م ، صار إليه تدبير أمر قرطبة فانفرد بالرياسة فيها إلى أن توفي سنة 435هـ/1043م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص 215 ) .

هذا من أمور الله الغيبية و أرجو أن يكذبهم الله بفضله ، ثم خرجت عنه و أتيت داري ، فجاء أول الليل و السماء قد غيمت و نمت ساعة فما أيقظني إلا نزول الماء <sup>1</sup> ، و يبدو أن هذا المؤرخ الكاتب الشاعر كان ممن يذم المنجمين و لا يتردّد في تكذيبهم ، فيذكر أنَّهُ لما أصبح دعا بالدواة و القلم فنظم أبياتا صاحب بها الوزير ابن جهور فسرّ بها و هي :

ما قدّر الله هـ	و الغالب	ليس الذي يحسبه الحـ	اسب
قد صدق الله رجـ	اء الورى	و ما رجـ	اء عنه خائب
و أنزل الغيث على راغب		رحمته إذا قنـ	ط الـ راغب
قل لابن عزراء السخيف الحجي		أزرى عليك الكوكب الشاقب	
و قل لعباس و أشيـ	اعه	كيف ترى قولكم كـ	اذب
خانكم كيـ	وان في قوسه	و غركم في لونـ	ه اللائب
فكلكم يكـ	ذب في علمه	و علمكم في أصله كـ	اذب
ما أنتم بشيء و لا علمكـ	م	قد ضعف المطلوب و الطالب	
تغـ	البون الله في حكمه	و الله لا يغلبـ	ه غالب
فخبرت الخـ	بر الذي ماله	في فهمه ندّ و لا صاحب	
قد أشهـ	د الله على نفسه	بأنني من جهلكـ	م تائب <sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد بن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تحقيق : د/ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م، ص 442 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 443 .

و قد قرب بعض ملوك الطوائف المنجمين و جعلوهم من خاصتهم ، فابن الخياط أبو بكر بن أحمد الذي برع في علم الهندسة و العدد ثمّ مال إلى أحكام النجوم و برع فيها و اشتهر بعلمه- و خدم بها سليمان بن الحكم<sup>1</sup> زمن الفتنة و غيره من الأمراء ، و آخر من خدم بذلك المأمون بن ذي النون<sup>2</sup> ، و بقي ابن الخياط سنة 447هـ/1055م في طليطلة<sup>3</sup> .

و المعتضد بالله<sup>4</sup> الذي يعتبر من أقوى ملوك الطوائف و أشدهم بأسا كان في كل وقت يستطلع أخبار المغرب الأقصى لما كان يقرأه في ملاحم كانت عنده تنذر بزوال ملكه على يد من يملك تلك البلاد ، فيروي المراكشي عنه أنّه كان يقول : هل نزل البربر رحبة مراكش ؟ و ذلك لما يراه في ملحمة كانت عنده أنّ هؤلاء القوم خالعوه أو خالعو ولده و مخرجوه من ملكه ، فلما بلغه نزولهم جمع ولده و جعل ينظر إليهم مصعدا و مصوّبا و يقول : يا ليت شعري من تناله معرفة هؤلاء القوم أنا أو أنتم ؟ فقال له أبو القاسم ابنه : جعلني الله فداك و أنزل بي كل مكروه يريد أن ينزله بك<sup>5</sup> .

و أما المعتمد بن عباد ملك إشبيلية فقد قرّب إليه علماء الهيئة و المنجمين و على رأسهم أبو بكر الخولاني المنجم ، و قد خابت بعض توقعاته و أحكامه فخاطبه المعتمد بأبيات تدل على ذلك و منها :

أرمدت أم بنجومك الرمد قد ع —اد ضداكل ما تعد  
هل في حسابك ما تؤمل —أم قد تصرم عنك الأم —  
قد كنت تهمس إذ تخاطبني و —تخط كرها إن عصتك يـد  
فالآن لا عـين و لا أثر أترك غيب شخصك البـل —د  
و تراك بالعـذراء في عرس أم إذ كذبت سطا بك الأس —د

<sup>1</sup> سليمان بن الحكم : المستعين بالله من ملوك الدولة الأموية ، ببيع سنة 399هـ/1008 و دخل قرطبة سنة 400هـ/1009م ، قتله علي بن حمود سنة 407هـ/1016م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 39، ص 123 ) .

<sup>2</sup> المأمون : يحيى بن إسماعيل بن ذي النون من ملوك الطوائف ، كان صاحب طليطلة و ليها بعد وفاة أبيه سنة 435هـ/1043م ، توفي المأمون سنة 460هـ/1067م ( الذهبي، مصدر سابق، ج 18، ص 220 ) .

<sup>3</sup> ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق و شرح : د/نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ، ص 497 .

<sup>4</sup> المعتضد بالله : عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي أبو عمرو صاحب إشبيلية في عهد الطوائف ، ولي سنة 433هـ/1041م و أبقى الخطبة في مملكته باسم هشام المؤيد ثم أعلن وفاته سنة 451هـ/1059م و أخذ البيعة لنفسه ، طالت مدته و توفي سنة 461هـ/1069م ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج 6، ص 23 . الزركلي، مرجع سابق، ج 3، ص 257 ) .

<sup>5</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 76 .

الملك لا يبقى على أحد و الموت لا يبقى له أحد<sup>1</sup>

و ممن برع في النجوم و تكلم عن طالع<sup>2</sup> من الأمراء و الملوك عبد الله بن بلقين<sup>3</sup> حاكم غرناطة ، ففي مذكراته نجده لم يستعن بالمنجمين كغيره من ملوك الطوائف بل برع في دراسة النجوم حيث قال : " و كل شيء إنما ينطبع في النشأة و حين المولد و لقد طالعت من مولدي أشياء ميزتها من طبائعي و أخلاقي ، على أن واضعيه ألقوه و نحن في حال الطفولة لم يوصل إذاك إلى معرفة شيء من أحوالي و كتمه عني سماحه مدة ، حتى وقع السفر إلى يدي على غير ظن ، فشق ذلك عليه خوفاً عليّ من العجب بما كان فيه منصوصاً من السعادة "<sup>4</sup>.

ثم يواصل الأمير عبد الله حديثه بلغة العالم المتبصر بلغة النجوم و العالم بالهيئة و الأفلاك فيقول : " إذ كان المولد رسدي و كان الطالع الحوت بأربع درج و صاحبه المشتري في الحادي عشر مع الزهرة ، وسقطت الشمس في الدلو مع عطارد و اتفق النحسان في الثور بيت الأخوة و القرابة ، و صار القمر هيلاجاً إذا كان في السابع من البروج ، فصلح لذلك الأجل لأجل سقوط نير النوبة و الزهرة ، و الزهرة كدّ خذاه - هكذا ورد- دلت بمكانها و الله أعلم على قولهم على سنها الوسطى خمس و أربعون سنة يزيد لها المشتري سنه الصغرى اثني عشر عاماً فجميع ذلك سبعة و خمسون عاماً ، و الله بغيه أعلم "<sup>5</sup> ، و كلام من هذا القبيل يصعب فهمه لمن ليس دراية بعلم التنجيم ، ثم يقول : " كل هذا قد علمناه من أنفسنا ك أنه حاضر معنا و مطلع علينا فلم نشك في صحته بإذن الله ، فسبحان مصرف الأيام و مجرى الأفلاك "<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ابن بسام، مصدر سابق، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 56 .

<sup>2</sup> طالع الشخص : يقوم به المنجم و هو في لغتهم يعني الكشف عن المخبوء و استخراج المكنون ، و يتم باتخاذ المنجم خريطة في توضيح لدائرة البروج و للكوكب الذي يكون في حالة صعود لدى ولادة الشخص ثم قراءة ما تخبر به الحالة ، بحيث يزعم المنجم أنه قادر على تحديد طباع الشخص و معرفة ما قد يتعرض له في المستقبل من حوادث سارة أو ضارة ( د/ يحيى الشامي، مرجع سابق، ص 104، هامش 2 ) .

<sup>3</sup> عبد الله بن بلقين : بن باديس بن حبوس الصنهاجي آخر ملوك غرناطة في أيام الطوائف بالأندلس ، وليها بعد وفاة جده باديس بن حبوس سنة 465هـ/1072م ، خلعه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة 483هـ/1090م و توفي بعد هذه السنة بأغصات ( ابن خلدون، العبر، ج4، ص 206 . الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 75 ) .

<sup>4</sup> عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان (مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بن زيري في غرناطة)، تحقيق و نشر: ليفي برونفيسال، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ/1955م، ص 179.

<sup>5</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>6</sup> نفسه، ص 180.

و بعد ذلك يبدي رأيه في التنجيم و كغيره من المنجمين الذين يدعون معرفة الغيب ثم يعقبون بعد ذلك بأنّ الغيب لا يعلمه إلا الله فيقول : " و لا يعلم الغيب إلا الله ، غير أنّ أهل العقل منهم يقولون إنّما دلائل على الخير و الشر و لا تعلم بها الجلية"<sup>1</sup> .

إنّ كلام عبد الله بن بلقين الأخير هو عين الكلام الذي يردّه دائما المنجمون الذين يرجعون بالغيب و الذي دائما يكون المدخل الرئيسي لقلوب العامة و من بإيمانه ضعف لكي يصدقوا كذب و دجل الكهان و العرافين .

و لما بدأ الضعف يسري في دولة الموحدين ثار عليهم في الأندلس محمد بن يوسف بن هود الجذامي ، و كان ابتداء ظهوره في شرق الأندلس في رجب سنة 625هـ / جوان 1228م<sup>2</sup> بمرسية و ظهر بالصخور من جهاتها ، و كان الناس يستشعرون ذلك و يرتقبون ظهور طالب للأمر اسمه محمد و اسم أبيه يوسف و جرى على الناس بسبب ذلك في زمن الموحدين امتحان سقي به قوم ممن وافق هذا الاسم أسماءهم أو أسماء آبائهم<sup>3</sup> ، و من أسباب قيامه عليهم إصغاؤه للمنجمين و من يدّعي علم الحداث ، فقد لقي شخصا منجما يدّعي ذلك العلم بزعمه و يحكم بما يراه في نجمه ، فنظر إليه و قال له : يا أبا عبد الله أنت سلطان الأندلس فانظر لنفسك و انج برأسك ، فإني رأيت فيك علامة الملك و تصييره إليك و أنا أدلك على من يقيم لك ملكك ، فانفض إلى المقدم الغشتي و معه يقوم أمرك و حالك و تكون جماعته خدامك و رجالك ، و كان الغشتي رجلا صعلوكا ذاعرا يقطع الطريق و قد اشتهر أمره ، فعرض عليه محمد بن يوسف الأمر فارتبط معه على أن يوليه قيادة الأسطول بالأندلس إذا تمّ له الأمر و قال : نستفتح الأمر بمغاورة إلى أرض العدو باسمك و على سعدك ، ففعلوا و جلبوا كثيرا من الغنم و الأسرى ، و انضاف إلى ابن هود طوائف من مثل هؤلاء و بايعوه<sup>4</sup> ، و استمرت دولته في الأندلس تسعة أعوام و ثلاثة أشهر حيث كان مقتله على يد عامله على ألمرية ابن الرميحي في 24 جمادى الأولى سنة 635هـ / 11 جانفي 1238م<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 181 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، البيان "قسم الموحدين"، ص 276 .

<sup>3</sup> ابن الخطيب، أعمال الأعلام "القسم الثاني"، ص 278 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 279 .

<sup>5</sup> ابن عذارى، البيان "قسم الموحدين"، ص 341 .

و الأندلس كغيرها من جهات الغرب الإسلامي لم تكن بمعزل عن ممارسة التنجيم  
و الكهانة طيلة مراحلها التاريخية المتعاقبة ، و هذه إحدى أهم المظاهر السلبية التي مارسها المسلمون  
و آمنوا بها على اختلاف طبقاتهم و مكانتهم الاجتماعية .  
و الخلاصة أنّ الحكام و السلاطين و الأمراء كان الكثير منهم لا تخلو مجالسهم من منجمين  
يتسامرون معهم و يتخذونهم أحراراً من دون الناس لعلهم يخبرونهم بما يُقوِّي أملهم و يشدّ عضدهم  
من أخبار مستقبلية ، فإن كان الذي قالوه أصدقوا عليهم من أموال المسلمين و ازدادوا تمسكاً بهم ،  
و إن كان غير الذي أخبروا به لم يزد هؤلاء الحكام إلا تخبّطاً و انصرفوا إلى غيرهم ، فالذي يقترّب  
منجماً و يجعله نديمه و صاحبه لا شك أنّه يعتقد بالنجوم و أحكامها و إن ادّعى غير ذلك ،  
و حينها يكون قد وقع في المحذور الذي يورد صاحبه المهالك .



الباب الثاني : مقام الزندقة الدينية والاجتماعية في بلاد المغرب والأندلس ( س القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م - 13م ) .

الفصل الأول : الرمي بالزندقة و استحلال المحرمات في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 2 هـ إلى 7 هـ / 8م - 13م ) .

الفصل الثاني : السحر في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م - 13م ) .

الفصل الثالث : الأفكار الخرافية و الأساطير في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م - 13م ) .

## الفصل الأول : الرمي بالزندقة واستحلال المحرمات في المغرب والأندلس ( من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م - 13م ) .

- 1- الرمي بالزندقة في بلاد المغرب و الأندلس .
- 2- استحلال المحرمات في المغرب و الأندلس .

الفصل الأول : الرمي بالزندقة و استحلال المحرمات في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 2 هـ إلى 7 هـ / 8م-13م ) :

لقد ظهرت في بلاد المغرب و الأندلس كثير من الإنحرافات العقدية و العملية تبناها أشخاص و جماعات جاهرُوا بها و دعوا إليها غير آبهين بعواقب ما يقدمون عليه ، و لا يختلف اثنان حول من يعتنق مثل هذه الإنحرافات من أنَّهُ لا يمكن تصنيفهم إلا في خانة الزنادقة الذين لا تحمّل أقوالهم و أفعالهم إلا على ظاهرها المخالف للإسلام .

## 1- الرمي بالزندقة في المغرب و الأندلس :

تعتبر الإباضية<sup>1</sup> من الفرق الإسلامية التي تواجدت في بلاد المغرب منذ بدايات القرن الثاني الهجري و كان لها إسهامات بارزة في صنع أحداث تاريخه، و استطاع أتباع هذا المذهب تأسيس دولة لهم عمّرت عقود طويلة في وسط المغرب و هي الدولة الرستمية ، و الإباضية كغيرها من المذاهب عرفت انقسامات كثيرة نتج عنها ظهور فرق عديدة بعضها يقترب من أصول المذهب و بعضها خرج عن أصوله و مبادئه ، و من الفرق التي خالفت المذهب و رميت بالزندقة فرقة تعرف بالسكاكية نسبة إلى السكاك حسب رواية الدرجيني<sup>2</sup> ، و في سير الأئمة لأبي زكريا ورد أنّ اسمه الشكاس<sup>3</sup> ، و كان يكنى أبا عبد الله و كان أبوه رجلاً صالحاً و كان قد توجه إلى الحج قبل مولد ابنه أبا عبد الله ، فلما كان في سفره رأى فيما يرى النائم أنّه قد ولد — عنده شيطان ، فلما رجع إلى أهل —ه و كان مسكنه بقنطرة<sup>4</sup> وجد وُلدَ عنده فسماه أبا عبد الله ، فنشأ الغلام فلما احتلّم الأدب أدخله أبوه في الكتاب فقرأ و حفظ ، فلما اشتد و بلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلوم ،

<sup>1</sup> الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباح الذي خرج أحياء مروان بن محمد ، قال إنّ مخالفينا من أهل القبلة كفّار غير مشركين و مناكحتهم جائزة و موارثتهم حلال و غنيمة أموالهم عند الحرب حلال و ما سواه حرام ، و قد تمكنوا من تأسيس الدولة الرستمية في المغرب الأوسط ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص 156 ) .

<sup>2</sup> الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص 118 .

<sup>3</sup> أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم "تاريخ أبي زكريا"، تحقيق و تعليق : إسماعيل العربي، المکتب الوطنیة، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص 134 .

<sup>4</sup> قنطرة : قرية تاريخية في جبل نفوسة الليبي لا تزال آثارها موجودة في شكل حجارة متراكمة ، كانت لها مكانة أيام الدولة الرستمية ، داهمها إبراهيم بن محمد بن الأغلب فأباد أهلها و حطم أبنيتها و أزالها من الوجود ، لتبعث بعد ذلك في منطقة الجريد في تونس قريبا من منطقة نفطة بنفس الاسم ( محمد الأصغر، الرستميون يعودون في رواية، مجلة الدوحة، تصدر عن وزارة الثقافة و الفنون و التراث، قطر، العدد 90، جلدي الثانية 1436هـ/ أبريل 2015م ، ص 107 ) .

فلما بلغ منها منيته دعتة نفسه و سولت له مسائل خالف فيها الإباضية<sup>1</sup> ، و الرجل على ما توضح سيرته و سيرة أتباعه قد أغـراه المال الذي توفر لديه من مهنة الصياغة التي كان فيها صائغا ماهرا على أن يكتسب مع المال شهرة و سمعة حتى و لو كانت على حساب دينه فاعتنق جملة من المقالات و دعا إليها ، و هي على الجملة لا تخرجه من الإباضية و تضعه بين فرقها فحسب بل تخرجه من الإسلام<sup>2</sup> ، و قال عنه مؤرخ الإباضية علي يحي معمر إنّ الشيطان أغراه و سولت له نفسه أن يعمل للظهور فخالف المسلمين في مقالات قطعوا فيها عذره فحكموا عليه بالشرك ، و تساهل بعضهم قليلا فحكموا عليه بالنفاق<sup>3</sup> .

و المسائل التي خالف فيها السكاك أو الشكاس و ظهر فيه مذهبه هي كما يلي :

- الأولى : إبطال سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و إبطال رأي المسلمين و أنّ الله أغنى بكتابه أهل العقول عن غيره فليس من رأي و لا سنة .
- الثانية : الصلاة بالجماعة بدعة .
- الثالثة : الأذان بدعة فإذا سمع هو و أصحابه أذان الصلاة قالوا نهيئ الحمار .
- الرابعة : الصلاة عنده لا تجوز بشيء من القرآن إلا بما عرف معناه و تفسيره .
- الخامسة : الأجنة نجسه لما يعترجها من سماد بني آدم.
- السادسة : الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل.
- السابعة : بول الـدواب في الأندر حين درسها إياه نجس فلا يطهر ما بالت عليه إلا بالغسل<sup>4</sup> .

و عند أبي زكريا أنّه حدّث أبو الربيع سليمان بن يخلف عن أبي يعقوب يوسف بن نفا ث قال : أدركنا بقية أصحاب أهد الله الشكاس إذا قرب وقت الصلاة خرجوا متخبين عن الناس فذهبوا لأنفسهم فصاروا يصلون فرادى ، و بهذا الإسناد أخبرنا قال : أدركنا جماعة من المشائخ بقسطالية<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو زكريا، مصدر سابق، ص 134 .

<sup>2</sup> د/صابر طعمية، الإباضية عقيدة و مذهباً، دار الجبل، بيروت، 1406هـ/ 1986م، ص 64 .

<sup>3</sup> علي يحي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم و الحديث، وزارة التراث القومي و الثقافة ، مسقط، الطبعة الرابعة، 1421هـ/ 2000م، ج2، ص 34 .

<sup>4</sup> أبو زكريا، مصدر سابق ، ص 134 . الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص 118 .

<sup>5</sup> قسطالية : و هي مدينة قسطلية مدينة كبيرة في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص

يصلون على موتى أهل القبلة كلهم إلا أصحاب الشكاس ، فإذا مات منهم أحد جعلوا في رجله مرابط فيجرونه إلى موضع يوارونه فيه<sup>1</sup> ، و حكى أبو الربيع سليمان بن يخلف عن أبي يعقوب يوسف بن نفاث أنه قال : إنّ من العلماء من يقول إنهم مشركون و منهم من يقول إنهم منافقون ، و كان مذهب الشكاس لم يجاوز قسطنطينية بل لم يجاوز قنطرة و لم تكن لهم بقية حتى فنوا عن آخرهم<sup>2</sup> ، و لم تحدد المصادر التاريخية الإباضية تاريخ ظهور السكاس هذا و يرجّح أنه ظهر بعد سقوط الدولة الرستمية في القرن الرابع الهجري ، حيث ورد ذكره عند الدرجيني بعد أن أنتهى من ذكر الحوادث الذي كانت زمن إمامة الظهور الرستمية .

و عرفت الأندلس الزندقة و قد تولى كبرها من كان على مذهب الشيعة غالبا ، و لعل من أشهرهم الداعية الذي لا يعرف عنه غير كنيته و هو أبو الخير و كان معاصرا للخليفة الأموي الحكم المستنصر ، و إذا كان ظاهر الأمر أنّ الإتهام الموجه إلى هذا الداعية هو الخروج على الدين بأفعال توصف بالزندقة فإن حقيقة الواقع تخفي وراء هذا المظهر أمورا أشد خطورة ، إذ أنّ الدعوة الموصوفة بالزندقة إنما الهدف منها قلب نظام الحكم بتسميم الأفكار و استمالتها نحو المذهب الشيعي تمهيدا لتكوين تكتلات تناصر الخليفة الفاطمي ، و قد كشفت هذه الزندقة عن أسلوبين في الدعاية يتخذ أولها صورة دينية و الثاني صورة سياسة ، أما الصورة الدينية فتتجسد في الخروج على العقيدة الرسمية التي هي المذهب المالكي ، و أما الصورة السياسية فإنها تقوم على تنظيم حركة دعائية في الأندلس لصالح الفاطميين لبث مبادئهم ، و كان تنظيم هذه الدعاية يجري أساسا في الخفاء إذ سكت المصادر الشيعية عن الإفصاح عن أسماء القائمين بالدعاية و عملاء الفاطميين المكلفين ببثها في الأندلس<sup>3</sup> .

و يظهر أنّ أبا الخير حاول جاهدا الدعوة إلى مذهبه و نشره في الأندلس و في سبيل ذلك اتصل بمجموعة كبيرة من مختلف طبقات المجتمع ، يؤكد هذا أنّ عدد الشهود الذين شهدوا عليه كان

<sup>1</sup> أبو زكريا مصدر سابق، ص 134 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 135.

<sup>3</sup> القاضي أبو الأصبح عيسى بن سهل الأندلسي، ثلاث وثلاثين في محاربة الأهواء و البدع في الأندلس "مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى"، دراسة و تحقيق : محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م، مقدمة المحقق، ص 52 .

كبيراً ، قبل منها قاسم بن محمد<sup>1</sup> صاحب الشرطة شهـادة ثمانية عشر من هؤلاء الشـهـود و أجازها لمعرفته بهم<sup>2</sup> .

و تبعاً لذلك فقد أصدر الفقهاء قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي<sup>3</sup> و إسحاق بن إبراهيم<sup>4</sup> و صاحب صلاة الجماعة أحمد بن مطرف<sup>5</sup> و غيرهم فتواهم فيه و عدّوه ملحدًا كافرًا و جب قتله من غير إعدار بعد أن يـنهـى ذلك إلى أمير المؤمنين ، و أشار بعض أهل العلم بأن يعذر إليه ، فأخذ الناظر بأمـره محمد بن قاسم بقول من رأى أن يقتل بغير إعدار إليه إذ كان ذلك رأيـهـ أيضاً و مذهبه فيه ، و أنهى قاسم بن محمد إلى أمير المؤمنين جميع ما نظر به من ذلك ، فرأى الحكم أنّ الصواب في قول من أشار بقتله بلا إعدار بما استفاد من إحداه و انتشار ذلك عنه ، فأمضى ذلك فيه و أمر بصلبه<sup>6</sup> ، و لما نفذ الأمر بصلب أبي الخير ظهر من سرور العامة و الخاصة بذلك و تبادلوا التهاني فيما بينهم ، و هذا ما بيّنه الفقيه إسحاق بن إبراهيم في رسالة وجهها إلى الخليفة الأموي الحكم<sup>7</sup> .

---

<sup>1</sup> قاسم بن محمد : من أهل قرطبة يكنى أبا محمد ، كان معنياً بحفظ رأي مالك و أصحابه ، ولاه الحكم المستنصر أحكام الشرطة و قضاء إشبيلية و كان محموداً فيما تولاه ( ابن الفريسي ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، القاهرة ، 1385هـ / 1966م ، ترجمة رقم 1073 ، ص 368 ) .

<sup>2</sup> ابن سهل ، ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام و قطر من سير الحكم ، تحقيق : يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 1428هـ / 2007م ، ص 720 .

<sup>3</sup> منذر بن سعيد البلوطي : ولي قضاء الجماعة سنة 339هـ / 950م و الصلاة فكان صلباً صارماً غير هَيَّاب و لا جبان ، و لما ولي المستنصر أقره على خطته ، توفي منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي سنة 355هـ / 965م و هو ابن أربع و ثمانين سنة ( الحشني ، قضاء قرطبة ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ، القاهرة - بيروت ، الطبعة الثانية ، 1410هـ / 1989م ، ص 237 . أبو الحسن النباهي ، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا " تاريخ قضاء الأندلس " ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1403هـ / 1983م ، ص 66 ) .

<sup>4</sup> إسحاق بن إبراهيم : من أهل قرطبة و أصله من طليطلة يكنى أبا إبراهيم ، كان حافظاً للفقـه على مذهب مالك و أصحابه متقدماً ، توفي بطليطلة سنة 352هـ / 962م و كان قد خرج غازياً مع المستنصر و سنه يومئذ خمس و سبعون سنة ( ابن الفريسي ، مصدر سابق ، ترجمة رقم 235 ، ص 72 ) .

<sup>5</sup> أحمد بن مطرف : بن عبد الرحمان بن قاسم بن علقمة بن جابر بن بدر الأزدي من أهل قرطبة ، يعرف بلبن المشاط و يكنى أبا عمر ، كان معنياً بالآثار و السنن و ولي الصلاة بقرطبة بعد محمد بن عبد الله بن أبي عيسى إلى أن توفي سنة 352هـ / 962م ( ابن الفريسي ، مصدر سابق ، ترجمة رقم 143 ، ص 44 ) .

<sup>6</sup> ابن سهل ، مصدر سابق ، ص 720 .

<sup>7</sup> نفسه ، 721 .

و فيما يتعلق بتاريخ إعدام هذا الداعية فلم يحدد هابن سهل ، و لكن من خلال الرجوع إلى سيرة الفقهاء الذين أصدروا حكمهم فيه و من بينهم إسحاق بن إبراهيم المتوفى سنة 352هـ/ 962م<sup>1</sup> يمكن القول إنّ تاريخ الإعدام كان في مطلع ولاية الخليفة الحكم المستنصر ما بين سنتي 350هـ و 352هـ/ 960م و 962م ، و كان دم أبي الخير هذا أول دم أمر بسفكه الخليفة المستنصر<sup>2</sup> .

و قد وجهت إلى أبي الخير هذا تهم كثيرة وفقا لما جاء به الشه —ود يمكن تقسيمها إلى ما يلي :

### أولا : الدعوة إلى التشيع و الخروج على الحكام .

— قوله بمذهب المشاركة يعنى الشيعة الإسماعيلية و أنّ المعز الذي كان يحكم الدولة الفاطمية آنذاك هو أمير المؤمنين ، و فخر عنده أنّ جرایة الشيعي عليه و على أصحاب جارية<sup>3</sup> ، و مما يبيّن ولاءه للفاطميين بإفريقية أن عبد الله بن محمد الأموي و هو أحد الشه —ود عند قدومه من المشرق سأله أبو الخير : من أكثر بالمشرق ؟ فقال : لقد ظهر الآن العلويون ، فقال له أبو الخير : هذا حق كأنك ترى الأولوية خارجة من داري<sup>4</sup> .

— دعواه أنّ علي بن أبي طالب أحق بالنبوة من محمد صلى الله عليه و سلم ، و أنّ محمد صلى الله عليه و سلم غصبه إياها<sup>5</sup> ، و كان يسب أبا بكر و عمر و غيرهما<sup>6</sup> و كان يقول بلعن عائشة<sup>7</sup> و يرميها بالبهتان<sup>8</sup> .

<sup>1</sup> ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 72 .

<sup>2</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص 721 .

و قد ورد هذا في رسالة إسحاق بن إبراهيم إلى المستنصر يمدحه فيها و يظهر فيها سرور العامة بعد إعدام أبي الخير ، ينظر ما جاء في الرسالة في الملحق رقم "2" .

<sup>3</sup> نفسه، ص 719 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 717 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 716 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 714 .

<sup>7</sup> نفسه، ص 715 .

<sup>8</sup> نفسه، ص 717 .

– الدعوة إلى الخروج على ح كم بني أمية و قتلهم ، و كان يقول إنّ السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم ، و ما كان أُملي في الدنيا إلا خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزه راء و أقتل من بها و أقوم فيها بدعوة أبي تميم ، و كان لا يرى إمامة أحد من المسلمين<sup>1</sup> .

– الدعوة إلى قتل المسلمين فقد كان يقول في السوق و قد تزاحم الناس : " ما يستحق هذا الخلق إلا السيف"<sup>2</sup> .

**ثانيا : الطعن في القرآن الكريم و سب الله تعالى و ادّعاء الغيب و الإستهزاء بشعائر الإسلام .**

– كان يقول عن القرآن نصفه الأول لا بأس به و أما الثاني فخرافات ، و لو شئت لقلت قرآنا خيرا منه<sup>3</sup> .

– سب الله تعالى بكلام كثير و التكلم في الديانة و الإنتقاص منها<sup>4</sup> ، و إنكــــــــــــــــاره البعث و الحساب فقد كان يقول إنما الناس كالعشب رطب و يابس ثمّ لا حساب عليهم و لا عقاب<sup>5</sup> .

– ادعاؤه أنّه يعلم كيل البحار و وزن الجبال و عدد الذر و إنكاره الشفاعة و قوله بتخليد المذنبين في النار<sup>6</sup> ، و القول بأنّ الملائكة برأت الله<sup>7</sup> .

– الإستهزاء بالصلاة و المصلين و كان يقول عنهم يا لهؤلاء القوم يرفعون أستارهم و يخفضون رؤوسهم بالعجمية ، و كان يسمى الجامع دار البقر ، و كان يقول عن الكعبة المشرفة لو استطعت أن أقلع الكعبة و أترك المسلمين بلا قبلة لفعلت<sup>8</sup> ، و كان يقول أيضا فيمن يقصد بيت الله : ما أحق الذين يتبعون أبدانهم و يخرقون ثيابهم و يقصدون حجارة صماء<sup>9</sup> .

---

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 714-715 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 719 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 714 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 716 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 714 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 718 .

<sup>7</sup> نفسه، ص 715 .

<sup>8</sup> نفسه، ص 716 .

<sup>9</sup> نفسه، ص 715 .



### ثالث: استحلاله المحرمات .

- استحلال الخمر و يرى ذلك في كتاب الله محتجا بقوله تعالى : " تَتَعَذُّونَ مِنْهُ سَكْرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا"<sup>1</sup> ، و يرى أنّ من قال بغير هذا فهو كاذب ، و يضيف أنّ محمدا صلى الله عليه و سلم قد ظلم في تحريمها<sup>2</sup> ، و أوصى أبو الخير فقال : إذا مت فاغسلوني بها<sup>3</sup> .

- ترك الصلوات الخمس في المساجد و عدم حضور الجمعة و أكله لحم الخنزير و تحلله من دين الإسلام ، فقد سأل نصرانيا أن يأتيه بلحم خنزير فقال له : كيف تأكله ؟ فقال أبو الخير: لست على دين محمد و لا اعتقده<sup>4</sup> .

- كان يقول بجواز إتيان الذكران و يرى حلّ ذلك<sup>5</sup> .

لقد تعاملت السلطة الحاكمة في الأندلس بكل حزم و شدة مع الداعية الشيعي أبي الخير الذي تمادى في الجهر بمذهبه و الدعوة إليه لسنين طويلة ، و يترجح أنّه قبل قتله قد يكون أعذر إليه و استتيب ففعل و هذا بإقراره ، حيث أقرّ لأحد الشهود عندم — أنكر عليه ما يقـوم به من إتيان المنكرات ، فردّ عليه بأنّ توبته إنما كانت تقية و خوفا و لو أمن لناظر على أكثر مما كان عليه<sup>6</sup> .

فلإصرار أبي الخير هذا على نشر مذهبه و كثرة الشهود عليه كان تنفيذ حكم الإعدام فيه بأمر الخليفة الحكم أمرا لا مفر منه في بيئة محافظة لا تعرف غير مذهب الإمام مالك و الإنتصار له في العقيدة و الأحكام ، و في الوقت ذاته فإنّ الخلافة الأموية لم تكن لتسمح لدعاة الشيعة بأي نشاط مناهي لها داعٍ إلى الولا ء الفاطميين و الذين امتد نفوذهم إلى المغرب الأقصى الأمر الذي يشكل تهديدا كبيرا للأمويين ، فكانت محاكمة أبي الخير و إعدامه إحدى حلقات الصراع السني الشيعي في المغرب و الأندلس .

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية 27 .

<sup>2</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص 715 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 718 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 716 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 718 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 717 .

و بعد سقوط الدولة الأموية و بداية عصر ملوك الطوائف في الأندلس و الذي شهد انحلالا سياسيا خطيرا ، فقد انتزى كل أمير بمدينة و ادعى أنه الخليفة و حارب إخوانه في الدين و العقيدة ، و في خضم هذه الإنزلاقات و الخلافات العميقة فإنّ الأندلسيين و لاسيما العلماء قد حافظوا على وحدتهم المذهبية و حاربوا أصحاب النحل المنحرفة ، و من الأمثلة على ذلك مسألة الزنديقي ابن حاتم الطليطلي و اسمه عبد الله بن أحمد بن حاتم الأزدي الطليطلي الذي أقيمت عليه دعوى الإلحاد في طليطلة سنة 457هـ / 1064م عند قاضيها أبي زيد بن الحشاء<sup>1</sup> ، و قد كان ابن حاتم مقبول الشهادة عند القاضي المذكور<sup>2</sup> ثم انتكس و بدل ، و شهد عليه نحو ستين شاهدا بأنواع من التعطيل و الإستخفاف بحق النبي صلى الله عليه و سلم و حق عائشة و عمر و علي ، و كان يقول عن النبي صلى الله عليه و سلم اليتيم و يتيم قريش و قال خشن حيدرة ، و قال عنه عليه الصلاة و السلام لو استطاع على رقيق الطعام لم يأكل خشينه<sup>3</sup> ، و أنّ زهده لم يكن عنده قصد ، و إنّ عمر و علي رضي الله عنهما كـانا أحقين لعنه الله ، و قال لا يجب في الجناية غسل و أنكر القدر و أشياء غير ذلك قبيحة<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> أبو زيد بن الحشاء : عبد الرحمان بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمان يعرف بابن الحشاء ، كان من أهل العلم و النباهة ، من بيت علم و فضل ، استقضاه المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة سنة 450هـ / 1058م ثم صرفه عنه سنة 460هـ / 1067م إلى طرطوشة و استقضى بها ، ثم صرف و استقضى بدانية إلى أن توفي بها سنة 473هـ / 1080م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 734، ج2، ص 502 ) .

<sup>2</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص 710 .

<sup>3</sup> نقل الونشريسي في حكم من سب النبي صلى الله عليه و سلم أو عابه أو تنقصه ما نصه : " قال ابن القاسم : من سب النبي أو عابه أو تنقصه فإن كان مسلما قتل و لم يستتب و ميراثه للمسلمين ، و روى ابن وهب عن مالك أنّه قال : من قال النبي صلى الله عليه و سلم وسخ و أراد به عيبه قتل ، و روى ابن وضاح عن ابن أبي مريم فيمن عير رجلا بالفقر فقال : تعيرني بالفقر و النبي صلى الله عليه و سلم قد رعى الغنم ، فقال مالك : قد عرض بذكر النبي في غير موضعـه أرى أن يحؤدب ، فالكتاب و السنة يوجبان أنّ من قصده بأذى أو بنقص معرّضا أو مصرّحا و إن قلّ فإنّ قتله واجب إذا ثبت ذلك بينة عدلة ( أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار الموعود و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية بالمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ / 1981م، ج2، ص 327 ) .

<sup>4</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص 710 .

و قد تولى الإحتساب على ابن حاتم محمد بن لييد المرابط على سبيل الحسبة<sup>1</sup> ، و ثبت ذلك عند القاضي أبي زيد و فرّ ابن حاتم إلى بطليوس<sup>2</sup> ، و شاور أبو زيد فقهاء طليطلة و كانوا حينئذ أربعة أبو جعفر أحمد بن سعيد اللورنكي<sup>3</sup> و أبو جعفر أحمد بن مغيث الصدي<sup>4</sup> و أبو عبد الله محمد بن قاسم بن مسعود القيسي<sup>5</sup> و أبو المطرف عبد الرحمان بن سلمة<sup>6</sup> ، فاجتمعوا على قتله بعد الإعذار إليه ، و سجل بذلك أبو زيد و أخذ به من قولهم و قضى به و ح كم ، و نص في التسجيل أجوبتهم جوابا جوابا كما نص شهادة كل واحد من الشهود و جعل السجل نسخا كثيرة ، و أخذ ابن لييد منها نسخا و خرج إلى مدن الأندلس و أخذ أجوبة الفقهاء بكل حاضرة بما يلزم ابن حاتم فيما شهد به عليه بما تضمنه التسجيل<sup>7</sup> .

و يبدو أنّ ابن حاتم كان كبش فداء في الصراع بين الطائفتين المتنازعتين على السلطة في طليطلة ، و أنّه ربما كان من طائفة بني الحديدي و هي عائلة من الوجهاء كانت على صلة بمجموعة من العلماء الذين درسوا العلوم الإسلامية التقليدية ثمّ أصبحوا مهتمين بعلوم الأوائل ، أما ابن لييد متولي الحسبة فقد يكون من أعوان الطائفة المعادية لبني الحديدي و الذي يكون قد فعل ذلك أيضا

<sup>1</sup> الحسبة : كانت تطلق على حسابات الدولة و على دار المحاسبة و الموارث و على ديوان مراقبة الموازين و المكايل أي أنها كانت مصطلحا إداريا عاما ، ثمّ خصصت لمعنى الشرطة و بنوع أخص لشرطة الأسواق و الآداب ، فالحسبة نظام للرقابة على سير الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بطريقة تجعلها في إطار قواعد الشرع الإسلامي و في نطاق المصلحة العامة للمجتمع ( موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشرته و نظورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1390هـ/1971م، ص 20 ) .

<sup>2</sup> بطليوس : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهـر آنة غربي قرطبة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 1، ص 447 ) .

<sup>3</sup> أبو جعفر أحمد بن سعيد اللورنكي : يكنى أبا جعفر و يعرف بابن اللورنكي ، كان من أهل الأدب و الفيلاض و اللغة ، من أهل طليطلة ، توفي سنة 469 هـ / 1076م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 136، ج1، ص 113 ) .

<sup>4</sup> أحمد بن مغيث الصدي : من أهل طليطلة يكنى أبا جعفر ، من أهل البواعة و الرياسة في العلم ، غلام بالحديث و علله و بالفرائض و الحساب و اللغة و التفسير ، مولده سنة 406هـ/1015م و وفاته سنة 459هـ/1066م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 124، ج1، ص 106 ) .

<sup>5</sup> محمد بن قاسم بن مسعود القيسي : من أهل طليطلة ، يكنى أبا عبد الله ، كان من أهل العناية بالعلم و الفقه و الفتيا مشاورا في الأحكام ، توفي سنة 466هـ/1073م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 1206، ج3، ص 802 ) .

<sup>6</sup> عبد الرحمان بن سلمة : عبد الرحمان بن محمد بن سلمة الأنصاري من أهل طليطلة يكنى أبا المطرف ، كان حافظا للمسائل وقورا وسيما و كان ثقة فيما رواه ، مولده سنة 400هـ/1010م و توفي في بطليوس سنة 478هـ/1085م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 738، ج2، ص 505 ) .

<sup>7</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص 710 .

انطلاقاً من حرصه على عدم السماح لزنديق بأن ينجو من العقاب<sup>1</sup> ، و تصميم صاحب الحسبة على تتبع ابن حاتم يحيل على الاتجاه العام السائد في الأندلس المحارب لكل الانحرافات العقائدية و العمل على محاكمـة أصحابهـا و الداعـين إليها و ذلك رغم الإنحلال السياسي الذي يطبع المنطقة .

و كان ابن حاتم قد استقر ببطليوس و اطمأنّ بها و ظهرت له حال عند رئيسها المظفر أبي بكر<sup>2</sup> و ضمّه إلى أن يقرأ الكتب عليه ، فلما وصل ابن لبيد إليها و كتب التسجيل عند قاضيها تبرا المظفر من ابن حاتم ، و خاف ابن حاتم ظفر ابن لبيد به فاستخفى حتى خرج إلى شنترين<sup>3</sup> بالغرب و كان بها مدة ثم سار إلى سرقسطة ، فحفزه القضاء إلى موضع منيته قرطبة و وردّها في ربيع الآخر سنة 464هـ/ جانفي 1072م و قاضيها أبو بكر محمد بن أحمد بن منظور<sup>4</sup> ، فسمعت المختصة بوروده فقصدوا محله و ساقوه إلى القاضي حافيا مقرر الرأس ، فأمر بسجنه حتى ثبت عنده ذلك التقييد و ثبت بذلك عنده تسجيل أبي زيد عليه و استحضره ، و تم التشاور هل يعذر إليه أم يقتل دون إعدار؟<sup>5</sup>

و بعد سنوات من فرار ابن حاتم الطليطلي تمكن ابن لبيد متولي الحسبة من القبض عليه و تقديمه للمحاكمة ليعاد طرح قضية الإعدار من عدمه ، فأفتى بعض الفقهاء بعدم الإعدار إليه و منهم الفقيه ابن عتاب<sup>6</sup> مستدلاً على ذلك بأقوال الفقهاء الذين أفتوا بقتل الزنديق أبي الخير دون

<sup>1</sup> ماريا إيزابيل فييرو، **الزندقة و البدع في الأندلس** ( الحضارة العربية في الأندلس، تحرير : د/ سلمى خضراء الجيوسي )، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ج2، ص 1251 .

<sup>2</sup> المظفر أبي بكر : محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الأ فطس ، ولي بعد أبيه و تلقب بالمظفر سنة 437هـ/1045م و كان شاعراً أديباً عالماً و له التأليف المسمى بالمظفري ، نافس في الملك ابن عباد و ابن ذي النون ، توفي المظفر سنة 460هـ/1067م ( ابن الأبار، مصدر سابق، ج3، ص97 . ابن عذارى، مصدر سابق، ج3، ص 236 ) .

<sup>3</sup> شنترين: مدينة متصلة بأعمال باجة غربي الأندلس ثم غربي قرطبة و على نهر تاجة قريب من انصبابه في البحر المحيط ، بينها و بين قرطبة خمسة عشر يوماً ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 367 ) .

<sup>4</sup> أبو بكر محمد أحمد بن منظور: من قضاة قرطبة ، يكنى أبا بكر و هو من إشبيلية ، استقضىاه المعتمد محمد بن عباد بقرطبة ، و كان حسن السيرة في قضائه ، توفي سنة 464هـ/1072م ( النباهي، مصدر سابق، ص 96 ) .

<sup>5</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص 713 .

<sup>6</sup> ابن عتاب : عبد الرحمان بن محمد بن عتاب آخر الشيوخ الأجلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد و سعة الرواية ، كان من أهل الفضل و الحكمة و التواضع ، جمع كتاباً حافلاً في الزهد و الرقائق سماه شفاء الصدور، ولد سنة 433هـ/1041م و توفي سنة 520هـ/1125م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 753، ج2، ص 512 ) .

الإعذار إليه بعد موافقة الخليفة الأموي الحكم على هذا الرأي<sup>1</sup> ، أما ابن سهل صاحب الأحكام الذين نقل إلينا أخبار ابن حاتم فقال بالإعذار و ردّ على ابن عتاب و غيره ، و حجته أنّ الحكم الذي أصدره القاضي أبي زيد على ابن حاتم يقول بالإعذار فلا يجوز لمن يأتي بعده أن يعرض له و لا ينقضه ، و لا اختلاف في هذا في شيء من المذهب<sup>2</sup> ، و في النهاية فقد أخذ الجميع بقول ابن سهل و رأوه صواباً بعد أن كان الرأي السائد هو عدم الإعذار و تعجيل قتل ابن حاتم<sup>3</sup> ، و الرأي الذي أخذ به هذه القضية يقوم على عدالة إنسانية و حق من الحقوق الأصلية لكل إنسان في الدفاع عن نفسه ، لأنّ الأصل فيه البراءة درءاً للشبهات و المكائيد التي تحفز إليه - ضغائن أو أحقاد - أو عداوات بين الشهود و المشهود عليه و هذا أدنى إلى العدالة و أقوم للحق ، و هو من الخصائص المميزة للقضاء في الإسلام<sup>4</sup> .

و تم الإعذار لابن حاتم بالإتفاق شهرين أولهما لليلتين بقيتا من ربيع الآخر 464هـ / 22 جانفي 1072م و صرف للسجن و كبل ، و في هذه المدة توفي القاضي أبو بكر بن منظور و ولي مكانه عبد الرحمان بن سوار<sup>5</sup> ، و تم الإجماع بعد تمام الأجل عند المعتمد و أحضر ابن حاتم في كبله و سئل هل أمكنه شيء مما أخر له ؟ فقال : لم يمكنني من يسعى لي في ذلك ، فاستمرت العزيمة على قتله ، و خرج المعتمد و من معه إلى رأس القنطرة و صلب هناك لثلاث خلون من رجب سنة 464هـ / 25 مارس 1072م و طعن بالرمح<sup>6</sup> .

و لا سبيل في هذه الواقعة لمن يشكك في محاربة أهل البدع في الأندلس و الإدعاء بأنّ المحاربة ما كانت إلا لخدمة أغراض سياسة فقط الهدف منها استعطاف العامة و الفقهاء و كسب ولائهم ، قد يكون لهذا الكلام وجه من الصحة في محاكمة الزنديق أبي الخير لارتباطه بالدولة الفاطمية و ولائه لها ، لكن الأمر ليس كذلك مع ابن حاتم الذي لم يظهر منه أي شيء من هذا القبيل ، بل لا نكاد نعرف الداعي الذي دفعه إلى الإلحاد و الزندقة بعد أن كان محمود السيرة مقبول

<sup>1</sup> ابن سهل، مصدر سابق، ص ص 710 - 711 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 712 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 713 .

<sup>4</sup> ابن سهل ، ثلاث وثائق في محاربة البدع ، تعليق الحق ، ص 108 .

<sup>5</sup> عبد الرحمان بن سوار: قاضي الجماعة بقرطبة يكنى أبا المطرف ، استقضاه المعتمد بقرطبة سنة 464هـ / 1072م و كان محمود السيرة ، توفي سنة بعد ولايته القضاء بأشه - ر في 12 ذي القعدة سنة 464هـ / 30 جويلية 1072م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 724، ج2، ص 498 ) .

<sup>6</sup> ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى، ص ص 723 - 714 .

الشهادة عند القاضي في طليطلة ، و هذا يدل على أنّ محاربة الزنادقة و أهل البدع كان دافعه الأول الحفاظ على الوحدة المذهبية السنية السائدة في الأندلس و إن كان للسياسيين فيها مـآرب أخرى و هذا ما لا يمكن إنكاره .

و في السياق ذاته ينقل ابن سهل في أحكامه خبر امرأة نصرانية تسمى زبيجة زعمت أنّ عيسى هو الله و قالت كذب محمد فيما ادّعاه من نبوته عليه السلام ، فأفتى بوجوب قتلها و قال : " إن قال الذّمّي ليس محمد بنبي و لم يرسل و لم ينزل عليه قرآن و إنما هو شيء تقوّله فالقتل لا شك فيه ، و إن قال المسلم عن النبي عليه السلام شبه ذلك قتل أيضا"<sup>1</sup> .

و ذكر أيضا مسألة العشار الذي يضيق على الناس و اتّهامه بالخط من قيمة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قد نقل عنه قوله: إذا كنت قد سألت فقد سأل النبي صلى الله عليه و سلم ، و قال أيضا : إن كنت جهلت فقد جهل النبي صلى الله عليه و سلم ، و شهد عليه بذلك جماعة من المسلمين ، و شهد عليه رجل سمعه يقول لرجل كان قد فتش عليه أد ما عليك و اشتك إلى النبي ، و أنكر العشار ذلك كله و أعذر إليه فلم يكن عنده مدفع ، و أفتى في هذه المسألة ابن عتاب بعد استعراض الأدلة بأنّه يجب على هذا العشار الأدب الموجه و التنكيل و السجن الطويل حتى تظهر توبته<sup>2</sup> .

و إذا كان هؤلاء الزنادقة قد قدموا إلى المحاكمة و أعدموا بعد أن أدينوا بتهمة الزندقة ، فإنّ كثيرين قبلهم و بعدهم قد اتهموا بهذه التهمة الخطيرة لكنهم نجوا من المحاكمة التي قد تكون عاقبتها الموت ، و الأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها لذلك سأذكر بعضها مما وقفت عليه ، فالأندلس كما معروف عنها تعتبر من أهم قلاع المذهب المالكي و أهلها كما ينقل عنهم المقدسي في كتابه أنّهم لا يعرفون إلا كتاب الله و موطأ مالك ، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه و إن عثروا على معتزلي أو شيعي و نحوهما ربما قتلوه<sup>3</sup> ، فكان تقليد مذهب الإمام مالك شائعاً في الأندلس ،

<sup>1</sup> نفسه، ص 707.

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 708-709 .

<sup>3</sup> المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ، ليدن، الطبعة الثانية ، 1323هـ/1906م، ص 231 .

فبقي بن مخلد<sup>1</sup> الذي بلغ مبلغا عظيما من العلم كان مهجورا في بلاده حتى مات<sup>2</sup> ، و لئاد يقتل و وشي به إلى الأمير محمد بن الحكم<sup>3</sup> الذي نبشت في أمره و طالع ما عنده فاستحسنه<sup>4</sup> ، و سبب هذا أنه لم يرتبط بمذهب أحد<sup>5</sup> ، و اتهم أبو الوليد الباجي<sup>6</sup> و هو من كبار علماء الأندلس في دينه بسبب قوله أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قد كتب بيده يوم صلح الحديبية ، و وضع رسالة في ذلك سماها تحقيق المذهب ، فأكثر القالة فيه حتى أطلق عليه اللعنة غلاتهم و ضمنوا البراءة منه في أشعارهم و قال فيه أحدهم :

برئت ممن شرى دنيا بآخرة و قال إنّ الرسول قد كتبنا<sup>7</sup>

و طعن فيه و رمي بالزندقة و سب على المنابر ، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه و كتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه<sup>8</sup> .

و عُدد كل تفكير عقلي في مسائل الدين على أنّه زندقة<sup>9</sup> ، فأنكر الناس على المعتزلة<sup>10</sup> و اتهموهـم ، و مما يذكر عن عبد الأعلى بن وهب ( ت 261هـ/874م ) أنّه كان يطالع كتبه ـم

<sup>1</sup> بقي بن مخلد : أبو عبد الرحمان من حفاظ الحديثين و أئمة الدين ، رحل إلى المشرق و روى عن الأئمة و أعلام السنة كأحمد بن حنبل و ابن أبي شيبة و رجع إلى الأندلس فملأها علما ، توفي سنة 276هـ/889م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 284، ج1، ص 195 ) .

<sup>2</sup> أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق : د/ عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص 366 .

<sup>3</sup> محمد بن الحكم : محمد بن عبد الرحمان بن الحكم ، يكنى أبا عبد الله و أمه أم ولد تسمى تهتر ، كان محبا للعلوم مؤثرا لأهل الحديث ، ولي بعد وفاة أبيه سنة 238هـ/852 م و توفي سنة 273 هـ/886 م ( الحميدي، مصدر سابق، ص 31 ) .

<sup>4</sup> ابن طملوس، المدخل لصناعة المنطق، مطبعة الأبيرق، مدريد، 1333هـ/1919م، ص 11 .

<sup>5</sup> ابن العربي، مصدر سابق، ص 366 .

<sup>6</sup> أبو الوليد الباجي : سليمان بن خلف من أهل قرطبة يكنى أبا الوليد ، رحل إلى المشرق ، ولد سنة 403هـ/1012م و توفي سنة 474هـ/1081م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 457، ج1، ص 317 ) .

<sup>7</sup> أبو الوليد الباجي، تحقيق المذهب، تحقيق : أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، مقدمة المحقق، ص 116 .

<sup>8</sup> نفسه، مقدمة المحقق، ص 136 .

<sup>9</sup> أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة : حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 324 .

<sup>10</sup> المعتزلة : و يسمون أنفسهم أهل العدل و التوحيد ، نشأ المعتزلة في البصرة في القرن الثاني الهجري على يد واصل بن عطاء و كان تلميذا للحسن البصري ، و للمعتزلة خمسة أصول يتفقون عليها و هي: العدل ، التوحيد ، الوعد والوعيد ، المنزل بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و هم عدّة فرق أهمها الواصلية و الهذيلية و النظامية و الجاحظية ( الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص 43 . د. جيمارات، دائرة المعارف الإسلامية، ج30، ص 9384 ) .

و ينظر في كلام المتكلمين و نسب إلى القدر<sup>1</sup> ، و أما خليل بن عبد الملك المعروف بخليل الفضلة المنسوب إلى الاعتزال فإنه بعد وفاته أتى جماعة من الفقهاء و أخرجوا كتبه و أحرقوها إلا ما كان فيها من كتب المسائل ، و كان خليل مشهورا بالقدر لا يستتر به ، و كان بقي بن مخلد قد طرده من مجلسه بعد مساءلة له أدرك من خلالها حقيقة مذهبه و اعتزاله<sup>2</sup> ، و تعرض محمد بن أحمد بن أبي بردة الشافعي إلى النفي بسبب ما نسب إليه من الاعتزال سنة 373 هـ / 983 م<sup>3</sup> ، و كان منذر بن سعيد البلوطي منحرفا إلى مذهب أهل الك — لام<sup>4</sup> لذلك حمل عليه بشدة أبو بكر بن العربي و رماه ببدعة القدرية<sup>5</sup> في الاعتقاد<sup>6</sup> .

و أما محمد بن مسرة المتهم بالزندقة فقد خرج فارا من الأندلس و تردد بالمشرق مدة ، فاشتغل بملاقة أهل الجدل و أصحاب الكلام و المعتزلة ، ثم عاد إلى بلاده فأظهر نسكا و ورعا فاغتر الناس بظاهره فسمعوا منه ثم ظهوروا على سوء معتقده و تمادى في صحبته من غلب عليهم الجهل فدانوا بنحلته<sup>7</sup> ، لذلك فابن العربي نبذه إلى جانب مسلمة بن القاسم<sup>8</sup> و عدّهم من القوم الضلال ، و إنهم حسبه جـاؤوا بكل مضرة و معرة و أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا<sup>9</sup> ، و كانت له إشارات غامضة و مقالات ردية ، فتبعت مصنفاته بالحرق<sup>10</sup> .

<sup>1</sup> ابن الفريسي، مصدر سابق، ترجمة رقم 837، ج1، ص 281 .

<sup>2</sup> نفسه، ترجمة رقم 419، ج1، ص 139 .

<sup>3</sup> نفسه، ترجمة رقم 1403، ج2، ص 114 .

<sup>4</sup> نفسه، ترجمة رقم 1454، ج2، ص 144 .

<sup>5</sup> القدرية : النسبة إلى القدر قدرية ، و سموا كذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها و استقلالها دون الله تعالى ، و نفوا أن تكون الأشياء بقدر الله و قضائه ، و أول من قال بالقدر معبد الجهني في عصر التابعين و يقال أيضا غيلان الدمشقي ، و تسمى المعتزلة قدرية لقولهم بهذا القول ( جمال الدين القاسمي، تاريخ الجهمية و المعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م، ص 71 و ما بعدها ) .

<sup>6</sup> ابن العربي، مصدر سابق، ص 368 .

<sup>7</sup> ابن الفريسي، مصدر سابق، ترجمة رقم 1204، ج2، ص 39 .

<sup>8</sup> مسلمة بن القاسم : يكنى أبا القاسم من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق و كف بصره بعد قدومه ، كان صاحب رقي و نيرانجات، توفي سنة 353هـ / 963 م ( ابن الفريسي، ترجمة رقم 1432، ج2، ص 128 ) .

<sup>9</sup> ابن العربي، مصدر سابق، ص 368 .

<sup>10</sup> الفتح ابن خاقان، مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، مطبعة الجوائب، قسنطينة، الطبعة الأولى، 1302هـ/1884م، ص 58 .



و لما أظهر ابن حزم مذهب الظاهرية في الأندلس شتّع عليه الفقهاء و طعنوا فيه و أقصاه الملوك و أبعدوه عن وطنه<sup>1</sup> ، و لم يتردد ابن عربي في وصفه بالسخيف من بادية بلدنا<sup>2</sup> ، و أحرق المعتضد بن عباد كتبه في إشبيلية فأنشد ابن حزم :

دعوني من إحراق رق و كاغد      و قولوا بعلم كي يرى الناس من يدري  
فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي      تضمنه القرطاس بل هو في صدري  
يسير معي حيث استقلت ركائي      و ينزل إن أنزل و يدفن في قبري<sup>3</sup>

و أما الفلسفة فيبدو أنّ الإشتغال بها كان من المحرمات و كل من سعى إلى تحصيلها فإنّ العامة تطلق عليه اسم زنديق<sup>4</sup> ، و اتهم أهل الأندلس كل من يتكلم في المنطق في دينه<sup>5</sup> ، و قد استمر الوضع على ذلك إلى مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي على الأقل ، فابن طملوس المتوفى سنة 620هـ / 1223م يذكر أنّ صناعة المنطق كانت مرفوضة مطروحة ، و كان الأندلسيون لا يخجلون بها و لا يلتفتون إليها و ينفرون عنها و يرمون العالم بها بالبدع و الزندقة ، و إنّ هذا الأمر كان مشتركا بين العلماء و الدهماء<sup>6</sup> .

و عماد المنصور بن أبي عامر أول تغلبه على هشام المؤيد إلى خزائن أبيه الحكم المستنصر بمحضر خواص من أهل العلم بالدين و أمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق و علم النجوم و غير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب و الحساب ، فأمر بإحراقها و إفسادها ، فأحرق بعضها و طرح بعضها في آبار القصر و هيل عليها التراب و الحجارة فعل ذلك تحببا للعامة<sup>7</sup> ، فاضطر كثير ممن يشتغل بالفلسفة إلى الهرب و منهم عبد الرحمان بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدي و كان متقدما في علم الهندسة معنيا بصناعة المنطق ، حتى رحل إلى المشرق أيام ابن أبي عامر<sup>8</sup> ، و نالت المحنة في هذه المرحلة أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم

<sup>1</sup> المقري، مصدر سابق، ج2، ص 78 .

<sup>2</sup> ابن العربي، مصدر سابق، ص 78 .

<sup>3</sup> المقري، مصدر سابق، ج2، ص 82 .

<sup>4</sup> نفسه، ج1، ص 221 .

<sup>5</sup> أنخل جنتال بالتيا، مرجع سابق، ص 324 .

<sup>6</sup> ابن طملوس، مصدر سابق، ص 8 .

<sup>7</sup> صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1329هـ/1912م، ص 66 .

<sup>8</sup> نفسه، ص 68 .

المعروف بالحمار السرقسطي و كان مشغلا بالفلسفة ، و سجن مدة و بعد خروجه انتقل إلى صقلية و توفي بها<sup>1</sup> ، و كذلك الأمر مع إبراهيم بن محمد الإفيلي<sup>2</sup> الذي لحقته تهمة في دينه في أيام هشام المرواني في جملة من تتبع وقتها و سجن ثم اطلق ، و قال فيه الشاعر :

و خلعت ربق الدين عرك منابذا و لبست بثب الزبغ و التعطيل  
و أقمت للجهال مثلك في الغب علما مشيت أمامهم — برعيل<sup>3</sup>

و في عصر ملوك الطوائف نشط تلاميذ ابن مسرة و أتباعه و كان من أبرزهم إسماعيل بن عبد الله الرعيني ، و الذي أعلن حسب أحد الباحثين أنه الوحيد الذي كان يدرك المفهوم الأصلي و الباطني للفكر المسري<sup>4</sup> ، و لكن ابن حزم ذكر عنه أنه أتى بأقوال برئت لأجلها منه سائر المسرية و كفروه ، و منها قوله إن الأجساد لا تبعث أبدا و إنما تبعث الأرواح ، و كان يقول إن العالم لا يخفى أبدا بل يكون هكذا الأمر بلا نهاية<sup>5</sup> ، و نسب إليه القول باكتساب النبوة ، و يضيف ابن حزم أنه رأى من أصحابه من يصفه بفهم منطق الطير و بأنه كان ينذر بأشياء قبل أن تكون ، و كان أتباعه يعتبرونه إماما واجب الطاعة يؤدون إليه زكاة أموالهم ، و كان يذهب بأن الحرام قد عم الأرض و أنه لا فوق بين ما يكتسبه المرء من صناعة أو تجارة أو بين ما يسلبه من الرفاق ، و كان يرى حسب من عرف باطنهم أن الدار دار كفر مباحة دماؤه م و أموالهم إلا أصحابه فقط ، و كان يقول بنكاح المتعة<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 98 .

<sup>2</sup> إلهيم بن محمد بن الإفيلي : كان متصدرا في علم الأدب و له كتاب في شـرح المتنبي، توفي سنة 441هـ/1049م (الضري، مصدر سابق، ترجمة رقم 487، ص 260) .

<sup>3</sup> ابن بسام، مصدر سابق، القسم الأول، المجلد الأول، ص 282-283 .

<sup>4</sup> ميغيل كروز هيرنانديس، الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ( الحضارة العربية في الأندلس، تحرير : د/ سلمى خضراء الجيوسي )، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ج2، ص 1092 .

<sup>5</sup> ابن حزم، الفصل، ج5، ص 66 .

<sup>6</sup> نفسه، ج5، ص 67 .

و بعد الرعيني أصبحت المرية مركزا للصوفية في الأندلس ، فهي تمثل في جوهرها انبعثا جديدا للحركة المسرية<sup>1</sup> و تتكلم بأراء تتجه نحو وحدة الوجود و فيه — ظهر أبو العباس بن العريف و من تلاميذه في غرناطة أبو بكر الميوري<sup>2</sup> و ابن برجان<sup>3</sup> .

و مّن أخذ بأراء ابن مسرة محي الدين بن عربي ( ت سنة 638هـ/1240م ) نزيل دمشق صاحب التوايف الكثيرة منها كتاب الفصوص الذي قال عنه الذهبي : " إن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر " ، و قد عظّمه جماعة و تكلفوا بما صدر منه ببعيد الاحتمالات<sup>4</sup> ، و مّن دافع عن ابن عربي المقرري في نفحة فقد زكّاه و رفعه مقاما عليا و قال إنّ كلامه مؤول و أنّّه لا يقصد ظاهـره و إنّما له محامل تليق به ، ثمّ قال مقررا إحدى أهم قواعد الصوفية في الإنقياد المطلق لمشايخهم : " و أحسن الظن به و لا تنتقد بل اعتقد " ، ثمّ أعقب المقرري هذا بكلامه عن تأليف ابن عربي مجموع ضمّنه منامات رأى فيها النبي صلى الله عليه و سلم و ما سمع منه<sup>5</sup> ، فهل سمع ابن عربي من النبي صلى الله عليه و سلم ؟

و هذا السؤال نجد إجابته عند ابن عربي فقد زعم أنّ كتابه فصوص الحكم قد ناوله إياه رسول الله صلى الله عليه و سلم في رؤيا رآها في دمشق سنة 627هـ/1229م فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقال ابن عربي : السمع و الطاعة لله و رسوله و أولي الأمر منا كما أمرنا ، ثم يواصل فيقول : و حققت الأمنية و أخلصت النية و جرّدت القصد و الهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّده لي رسول الله من غير زيادة و لا نقصان<sup>6</sup> . فهل يمكن لمسلم أن يعتقد هذا و لا ينتقده ؟ و هل ابن

<sup>1</sup> د/ عبد الحميد حسين أحمد السامرائي ، مدرسة المرية الصوفية بين الواقع و الخيال " 503- 546 هـ / 1109م - 1151م ، مجلة سر من رأى ، المجلد 4 ، العدد 10 ، السنة الرابعة ، جمادى الأولى 1429هـ / أيار مايو 2008م ، ص 143 .

<sup>2</sup> أبو بكر الميوري : محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن بشر المعروف بالميورقي ، سكن غرناطة و رحل إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس ، امتحن بالقبض عليه مع ابن برجان و ابن العريف و تخلص دوّنها و أقام ببجاية و حدّث بها سنة 537 هـ / 1142 م ( ابن الأبار ، المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصديقي ، مطبعة روخس ، مدريد ، 1302هـ / 1285م ، ص 139 ) .

<sup>3</sup> ابن برجان : عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال الإفريقي الإشبيلي ، له تواليف منها تفسير القرآن الكريم و كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، توفي سنة 536 هـ / 1141م ( الصفدي ، مصدر سابق ، ج18 ، ص 260 ) .

<sup>4</sup> الذهبي ، السير ، ج23 ، ص 48 .

<sup>5</sup> ينظر ترجمة ابن عربي عند المقرري ( المقرري ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 161 و ما بعدها ) . و قد جمع د/ دغش بن شبيب العجمي في كتابه حول ابن عربي أقوال علماء الأمة فيه من أهل الحديث و الفقه على المذاهب الأربعة من القرن السادس الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري و كلها تدمه ( د/دغش بن حبيب العجمي ، مرجع سابق ، ص249 و ما بعدها ) .

<sup>6</sup> محي الدين ابن عربي ، فصوص الحكم ، تعليق : أبو العلا عفيفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص 47 .

عربي أفضل من أبي بكر و عمر و عثمان و علي و بقية العشرة و من شهد بدرا و من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان و من أسلم قبل الفتح و قاتل و من أسلم بعده و الصحابة أجمعين الذين رضي الله عنهم من فوق سبع سموات و أنزل ذلك في كتابه العزيز و لم يحصل لهم شيء مما حصل لابن عربي .

و بالعودة إلى أخبار ابن العريف و صاحبيه فإنه نتيجة انتحالم هذه النحلة فقد استدعاهم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين و أمر بأشخاصهم إليه بعد أن اتفق فقهاء بلد ابن العريف على إنكار مذهبهم<sup>1</sup> ، و كان ممن سعى به القاضي ابن الأسود<sup>2</sup> الذي كان بالمرية فوفد علي ابن يوسف بمراكش و خوَّفه من ابن العريف غاية التخويف ، لكن علي بن يوسف أكرمه بعد وفادته عليه ، فلما رأى ابن الأسود ما حصل لابن العريف من الحظوة صنع له طعاما و سمَّه به حسب رواية اللطلي في التشوف ، ثم ذكر أنّ السلطان لما علم بما حصل اقتص من ابن الأسود فبعه إلى السوس الأقصى و أمر أن يسقى سما فمات هناك<sup>3</sup> .

و لا يمكن أن نغفل حادثة إحراق كتاب الأحياء للغزالي و اتهمه في دينه في أيام علي بن يوسف بن تاشفين سنة 503هـ/1109م بإجماع من فقهاء قرطبة ، فلُحرق الكتاب على باب الغربي من رحبة المسجد بعد إشباعه زيتا بمحضر جماعة من أعيان الناس و وجه إلى جميع البلاد بإحراقه<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> ابن الأبار، مصدر سابق، ص 19 .

<sup>2</sup> ابن الأسود: محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أسود الغساني من أهل المرية ، يكنى أبا بكر و له رحله إلى المشرق ، توفي سنة 536هـ/1141م ( ابن بشكوال، مصدر سابق، ترجمة رقم 194، ج3، ص 849 ) .

<sup>3</sup> ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السيتي ، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1417هـ/1997م، ص ص 119- 120 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 59 .

و في عهد الموحدين شجع الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن دراسة الف لسفة فقد كان يحيط نفسه بأصناف من الفلاسفة و منهم ابن طفيل<sup>1</sup> و ابن رشد الحفيد<sup>2</sup> الذي انصرف إلى دراسة كتب أرسطو و شرحها بطلب من الخليفة الموحدي<sup>3</sup> ، ثم وقع التباعد بين الخليفة و ابن رشد ، و أرجع المراكشي سبب ذلك إلى ما وقع من ابن رشد أثناء شرحه كتاب الحيوان لأرسطو عند ذكره للزرافة ، فقال و قد رأيتها عند ملك البربر جاريا في ذلك على طريقه العلماء في الإخبار عن ملوك الأمم و أسماء الأقاليم غير ملتفت بما يتعاطاه خدمة الملوك من الإطراء فكان هذا مما أحقنهم عليه<sup>4</sup> ، و استمر الأمر على ذلك إلى أن سعي به عند الخليفة الذي أمر بلعنه و إبعاده و إبعاد من يتكلم في شيء من هذه العلوم ، و كتبت الكتب عنه إلى البلاد في أمر الناس على تركها و بإحراق كتب الفلسفة كلها<sup>5</sup> .

و لا يستبعد أن يكون غلو ابن رشد في الإفصاح عن خواتمه التي لم تكن تأتلف تماما مع العقيدة و التي بحثها جماعة من الفقهاء و انتهوا إلى الحكم على تعاليمه بالمروق و اتهمه بالزندقة علنا من الأسباب التي أدت إلى ما حصل له<sup>6</sup> ، و قد يكون هذا ما دفع ابن رشد إلى التصريح بعدم تبين حقيقة مذهب التأويل الذي يعتقده للعامة أي جمهور المسلمين لأنهم ليسوا مؤهلين لفهمها و تقبلها حيث قال في فصل المقال : " إنَّ التأويلات يجب أن لا تثبت إلا في كتب البراهين لأنَّها إذا

---

<sup>1</sup> ابن طفيل : محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل أبو بكر ، كان طبيبا للسلطان أبي يعقوب يوسف ، ولد سنة 494هـ/1100م و توفي سنة 581هـ/1185م ، من مؤلفاته حي بن يقظان ( عبد الواحد المراكشي ، مصدر سابق ، ص 176 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج6 ، ص 249 ) .

<sup>2</sup> ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، مولده و نشأته بقرطبة ، كان من أهل العلم و التفنن في المعارف ، كان الغالب عليه العلوم القديمة فترك الناس الأخذ عنه و امتحن بسبب ذلك ، توفي سنة 598هـ/1201م ( النباهي ، مصدر سابق ، ص 11 ) و ذكر ابن أبي أصيبعة أنَّ وفاة ابن رشد كانت سنة 595هـ/1198م ( ابن أبي أصيبعة ، مصدر سابق ، ص 532 ) .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي ، مصدر سابق ، ص 179 .

<sup>4</sup> نفسه ، ص 224 .

<sup>5</sup> نفسه ، ص 225 .

<sup>6</sup> أنخل جنثال بالنيثا ، مرجع سابق ، ص 355 .

كانت في كتب البراهين لم يصل إليها إلا من هو أهل البرهان " <sup>1</sup> ، و لم يلبث أن عاد الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى أول رأيه و جنح إلى علم الفلسفة و عفل عن ابن رشد <sup>2</sup> .

لقد كان الرمي بالزندقة و الإلحاد في بلاد المغرب و الأندلس وجهًا من وجوه صراع فكري ديني حاول فيه كل طرف أن ينتصر لرأيه و فكره بكل ما أتيح له من وسائل ، و كثيرا ما كانت العامة تجنح للفقهاء ، لذلك فلنّ السلطة السياسية هي الأخرى قد تضطر إلى مسaire هذا الاتجاه ليشاع أنّها دافع عن الدين ظاهرا و لتضمن سيطرتها و بقاءها في الحكم باطنا .

---

<sup>1</sup> أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الإتصال ، تقديم و تعليق : د/ ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1387هـ/1968م، ص 48 .

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 225 .

## 2 - استحلال المحرمات في المغرب و الأندلس :

لقد ظهر في مجتمع بلاد المغرب الإسلامي بعد استكمال عمليات الفتوحات الإسلامية خلال عهوده التاريخية المتعاقبة كثير ممن استحل المحارم التي أجمع المسلمون على تحريمها ، و يمكن أن نعرض لنماذج من هؤلاء تبين مدى انغماسهم في هذا المستنقع الآسن غير مبالين بنتائج ما يقدمون عليه من أفعال لا يمكن تبريرها بحال من الأحوال .

يعتبر عصر الولاة في بلاد المغرب من العصور التي ساد فيها الإضطراب و كثرت فيها الفتن ، ففي سنة 138هـ / 755م قام البربر بإفريقية على حبيب بن عبد الرحمان بن حبيب و كتب بعض أهل القيروان إلى عاصم بن جميل أمير ورفجومة لأتّم ظنوا أنّه يريد أن يدعو للعباسيين ، فدخل ورفجومة القيروان فاستحلوا المحارم و ارتكبوا الكبائر، ثمّ تغلب على إفريقية بعض القبائل الصفريّة بعد قتل حبيب و عاصم سنة 140هـ / 757م فدخلوا القيروان و ربطوا دوابهم في المسجد الجامع و قتلوا من كان بها من قريش و عذبوا أهلها و أساءت ورفجومة لأهل القيروان<sup>1</sup> ، و كان تغلبها على القيروان سنة و شهرين<sup>2</sup> .

إنّ دخول ورفجومة القيروان و استبدادها بشؤون إفريقية لم يكونا إلا مظهرًا لقوة الخوارج الصفريّة ، و كانت سيادة هذه القبيلة شرًا خالصًا على إفريقية و أهلها لأنّ كراهيتهم للعرب بلغت مبلغًا جعلهم يستبيحون كل محرم ، و كانت دعوة الصفريّة قد اتّهم و لم يتمكن الإسلام من نفوسهم بعد فأضلتهم و أخرجتهم عن الإسلام جملة<sup>3</sup> .

و ذكر مؤرخو الإباضية أنّ فرقة انشقت عنهم تعرف بالحسينية نسبة إلى أبي زياد بن الحسين الأطرابلسي الذي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، قالوا إنّ فرقته تمتزج مع فرقة أخرى تسمى العمدية و يبدو أنّ أصلهما واحد<sup>4</sup> ، و الذي يهمنا من مذهبهم في هذا السياق هو إباحتهم الزنا و أخذ الأموال لمن أكره على ذلك يتقي بها و يغرم بعد ذلك ، و سموا المتأولين مشركين و أجازوا السبي منهم و أحلوا النكاح منهم<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 70 .

<sup>2</sup> نفسه، ج1، ص 71 .

<sup>3</sup> حسين مؤنس، فجر الأندلس، دار المنهل، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م، ص 242 .

<sup>4</sup> علي يحي معمر، مرجع سابق، ج2، ص 31 .

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 32.

و ممن اشتهر من الأمراء في عهد الدول المستقلة بالإسراف في القتل مستحلاً له الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، فلم يسلم من سيفه أحد قريباً كان أم بعيداً ، و قد فاق في ذلك أحد أجداده بكثير و هو زيادة الله بن الأغلب<sup>1</sup> الذي أساء السيرة في الجند و استبد عليهم و أمعن في سفك دمائهم ، و قد حملة على ذلك سوء ظنه بهم لو ثوبهم على الأمراء قبله ، و كان أكثر سفكه و سوء فعله إذا سكر<sup>2</sup> .

و ينقل المؤرخون روايات كثيرة تبين مدى جرائم القتل التي كان يرتكبها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب هذا ، قد يكون النقلة بالغوا في عد ضحاياها لكن لا يسعنا إلا ذكرها و وضعها في باب استحلال المحرمات ، فليس أعظم عند الله من قتل مسلم واحد بلا بينة فكيف يكون الخ ال بمن قتل العشرات بل المئات و قد يتجاوز ذلك ؟

و كان إبراهيم بن الأغلب المذكور قد بد أمره بحسن السيرة و سلوك المذاهب الحميدة ، ثم عاد في الخافرة و انقلب إلى ضد ما كان عليه ، فأسرف في القتل و أفسد أصحابه و كتابه و حجاب<sup>3</sup> ، بل قتل أقرب الناس إليه و هم أولاده ، و في ذلك يروي النويري أنه قتل ابنه المكنى بأبي الأغلب لسوء ظنه به فضرب عنقه بين يديه صبراً ، و قتل ثمانية إخوة كانوا له رجالاً ضربت أعناقهم بين يديه صبراً ، و كان أحدهم ثقیل البدن فسأله و استرحمه ، فقال له : لا يجوز أن تخرج عن حكم الجماعة ، و قتلهم ثم قتل بناته و أتى بأمور لم يحأ بها أحد قبله و لم يتقدمه إلى مثلها ملك و لا أمير<sup>4</sup> .

و كانت أمه إذا ولدت له ابنة من إحدى جواريج أخفتها و ربتها حتى اجتمع عندها منهن ستة عشر جويبة ، و قالت و قد رأت منه رقة : يا سيدي قد ريت لك و صائف ملاحاً أفترشط الآن تراهن ؟ قال : نعم ، فريبتهن و أدخلتهن إليه فاستحسنهن ، فقالت له : هذه بنتك من فلانة و بنتك من فلانة حتى عدتهن ، فلما خرج قال لخدام أسود كان سيفاً يقال له ميمون : امض فجئني برؤوسهن ، فتوقف استعظماً لذلك ، فقال : امض ويلك و إلا قدمتك قبلهن ، فلما

<sup>1</sup> زيادة الله بن الأغلب : زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم رابع الأغالبة ولي سنة 201هـ/816م ، في عهده كان فتح صقلية سنة 212هـ/827م ، و هو أول من تسمى بزيادة الله من الأغالبة ، توفي سنة 223هـ/838م ( الباجي المسعودي ، مصدر سابق ، ص 26 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 56 ) .

<sup>2</sup> ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 96 .

<sup>3</sup> ابن الخطيب ، أعمال الأعلام "القسم الثالث" ، ص 29 .

<sup>4</sup> النويري ، مصدر سابق ، ص 286 .



دخل على أمه كبر ذلك عليها و قالت : راجعه و قل له لا سبيل إلى ذلك ، و وقف السياف على ما يراد لمن فصحن و استغث و قلن : يا سيدي و ما الذي أذنبنا أما ترحمنا ، فلم يغن ذلك شيئا ، و أخذ رؤوسهن فجاء بها معلقة بشعورهن فوضعها بين يديه<sup>1</sup> ، و أعقب ابن الخطيب هذه الرواية بالدعاء عليه قائلا : " اللهم لا ترحمه و ضاعف عليه سخطك و عذابك الذي لا يعقبه رضاك و لا تمنحه رحمتك"<sup>2</sup> .

و في رواية أخرى للنويري أنه قتل بناته و جـواريه بأنواع من العـذاب ، منهن من بنى عليها البناء حتى ماتت جوعا و عطشا و منهن من أمر بخنقها و منهن من ذبحها حتى لم يبق في قصره أحد<sup>3</sup> ، و قيل إنه افتقد منديلا صغيرا كان يسمح به فمه من الشراب و قد سقط من يد بعض جواريه و ألقاه خادم له فقتل بسببه ثلاثمائة خادم و هذا في غاية الجور و نهاية الظلم<sup>4</sup> ، و كان يقول بجهله و قلّة رحمته : " إن الملوك إذا استرحموا قتلوا"<sup>5</sup> .

و دخل يوما إلى أمه فقامت إليه و دعت بطعام و شراب فتناول منهما و تحدث ، فلما رآته انبسط قالت له : إنّ عندي وصيفتين أدبتهما لك و ادخرتهما لمسرتك و قد طال عهدك بالأنس بعد قتلك الجوّاري و هما يحسنان القراءة بالألحان ، فهل لك أن أحضرهما للقراءة بين يديك ؟ فقال : افعلي ، فأمرت بإحضارهما ، فحضرتا فأمرتهما بالقراءة فقرأتا أحسن قراءة ، فقالت له : فهل ترى أن تشنّداك الشعر؟ قال : نعم ، فأمرتهما ففعلتا ، فقالت له : هل لك في الغناء ؟ قال : نعم ، فغنتا ، ثم قالت : فهل لك في أن يغنيان بالعود ؟ قال : نعم ، فغنتا بالعود و الطنبور أبدع غناء حتى أخذ فيه الشراب و أحب الإنصراف ، فقالت له : هل لك أن يمشيا خلفك حتى تصل مكانك فيقفَا على رأسك يؤنسَانك فقد طال عهدك بالأنس ؟ فقال : نعم ، و مضى و هما خلفه ، فلم يكن إلا أقل من ساعة حتى أقبل الخادم و على رأسه طبق و عليه منديل ، فظنت أنّه وجه هـرإليه ا بتحقق ، فوضع الغـلام الطبق بين يديه ـ ا و نحى المنديل فإذا برأس الجـارتين ، فلما رأتهما

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 133 . النويري، مصدر سابق، ص 286 .

<sup>2</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 30 .

<sup>3</sup> النويري، مصدر سابق، ص 287 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 286 . ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 132 .

<sup>5</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 32 .

صرخت صرخة شديدة و خرت مغشية عليها ، فما أفاقت إلا بعد ساعة طويلة و هي تلعنه و تدعو عليه<sup>1</sup> .

و من قبح أفعاله ما كان عليه من أمر الأحداث و كان له نيف و ستون حدثا و قد رتب لكل واحد منهم مرقدا أو لحافا ، فإذا جاء وقت النوم طاف عليهم الموكل بهم فسقى كل واحد منهم ثلاثة أرطال و ينام كل واحد منهم في مكانه ، فبلغه أنّ بعضهم يمشي في الليل إلى بعض فجلس بباب القصر على كرسي و أمر بإحضارهم ، فبعضهم أقر و بعضهم أنكر حتى مرّ به صبي كان يحبه فقال : و الله يا مولاي ما كان من هذا شيء ، فضربه بعود من حديد فطار دماغه ، و أمر بتنور فأحمي فكان يطرح في كل يوم خمسة أو ستة حتى أفناهم ، و أدخل عددا منهم الحمام و أغلق البيت السخن فماتوا من ساعتهم<sup>2</sup> .

و في سنة 268هـ/881م كان فتك إبراهيم بن الأغلب بأهل الزاب فقتلهم و قتل أطفالهم و حملوا على العجل إلى الحفر فألقوا فيها<sup>3</sup> ، و في سنة 279هـ/892م قتل من أهل إفريقية من قتل بطرا و شهوة ، فممن قتل في هذه السنة إسحاق بن عمران المتطبب<sup>4</sup> المعروف باسم ساعة قتله و صلبه ، و منهم حاجبه فتح ضربه بالسياط حتى مات ، و قتل فيها جميع فتيان به بسبب إصغائه إلى أقوال المنجمين و استخدم عوضا عنهم السودان ، ثمّ عرض لهم ما عرض للفتيان الصقالبة فقتل السودان أجمعين<sup>5</sup> .

و في سنة 280هـ/893م كان تمنع البلاد و مخالفتها على السلطان إبراهيم بن أحمد ، فأخرج إلى الخارجين عنه في نواحي و مدن إفريقية ميمونا الحبشي فقاتلهم حتى هزمهم و قتل منهم خلقا كثيرا حتى سيق القتلى في العجل إلى القيروان ، ثمّ دُخلت تونس بالسيف لعشر بقين من ذي الحجة 280هـ/1مارس 894م فأنّهب الأموال و سُبيت الذرية و استحلّت الفروج<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 33-34.

<sup>2</sup> النويري، مصدر سابق، ص ص 286-287 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 119 .

<sup>4</sup> إسحاق بن عمران : طبيب مشهور و عالم مذكور مسلم النحلة بغدادى الأصل ، دخل إفريقية في دولة زيادة الله بن الأغلب ، و به ظهر الطب بالمغرب و عرفت الفلسفة ، له عدة كتب منها المعروف بنزهة النفس ، قتله إبراهيم بن الأغلب و صلبه ( ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 478 . الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص 295 ) .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص ص 122-123 .

<sup>6</sup> نفسه، ج1، ص ص 123-124 .

و في سنة 284هـ/897م كانت وقعت بنفوسة<sup>1</sup> لأبي العباس بن إبراهيم<sup>2</sup> فقتل منهم مقتلة عظيمة و أسر منهم نحو ثلاثمائة ، فلما وصل بهم إلى والده إبراهيم بن أحمد دعا بهم ، فقرب إليه شيخ منهم فقال له إبراهيم : أتعرف علي بن أبي طالب ؟ فقال له : لعنك الله يا إبراهيم على ظلمك و قتلك ، فذبحه إبراهيم و شق عن قلبه و أخرجه بيده و أمر أن يفعل ببقية الأسارى كذلك حتى آتى على آخرهم ، و نظمت قلوبهم في حبال و نصبت على باب تونس<sup>3</sup> .

و لما أكثر إبراهيم بن أحمد الجور و القتل أملى أبو الأحوص أحمد بن عبد الله المكفوف المتعبد رسالة إلى إبراهيم جاء في فصل منها : " يا فاسق يا جائر يا خائن ، قد حدث عن شرائع الإسـلام و عن قريب تعالين مقعدك من جهنم " ، و بعث به إليه فلما قرأه غضب و بعث إلى أبي الأحوص من قال له : عذرناك لفضلك و دينك و لكن ابعث إليّ الذي كتب الكتاب ، و بالله لئن لم تفعل لأقتلن فيه من أهـل سوسة<sup>4</sup> كذا و كذا و يكـون إثم ذلك في عنقـك ، فقال أبو الأحوص للرسول قل له : لئن شئت قتلت ألفا لا يكون إثمهم إلا عليك و لو عملت ما عملت ما أعلمتك بالرجل فتب إلى خالك و ارجع عن جورك ، فأمسكه الله عنه و مات أبو الأحوص في هذه السنة<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> نفوسة : جبال بالمغرب بعد إفريقية عالية ، بين جبل نفوسة و طرابلس ثلاثة أيام و بينه و بين القيروان ستة أيام ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 297 ) .

<sup>2</sup> أبو العباس بن إبراهيم : عبد الله بن إبراهيم ، ولي بعد وفاة أبيه سنة 289هـ/901م ، قوي أمر أبي عبد الله الشيعي في أيامه ، قتل على يدي بعض غلاة نـزحـريـض من ابرهـز لجة الله سنة 290هـ/902م ( الباجي المسعودي، مصدر سابق، ص 33 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 130 .

<sup>4</sup> سوسة : مدينة بنواحي إفريقية بينها و بين المهديّة ثلاثة أيام ، و هي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاثة نواح ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 282 ) .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 130.

و كان جور هذا الأمير الأغلي و استحلاله سفك الدماء بهذه الصورة إحدى الأسباب التي ستؤدي إلى سقوط دولة الأغالبة و التي كان آخر أمرائها زيادة الله بن أبي العباس بن إبراهيم قد التحزم التنزه على البحر و منادى الشطار<sup>1</sup> و العيَّار<sup>2</sup> ، و كان إذا فكر في زوال ملكه و غلب عدوه على أكثر مواضع عمله يقول لندمائيه : إملاً و اسقني من القرن ما يكفيني ، و اشتد كلفه بسلام له يسمى بخطاب ، فكتب اسمه في سكة الدنانير و الدراهم ثم وجد عليه فحبسه و قيده ، فغنت له جارية تستعطفه على خطاب فرضي عنه و أعاده إلى منزله<sup>3</sup> .

و عند القاضي النعمان أنّ زيادة الله فشا عنه شرب الخمر و أظهر الغناء و المعازف و جمع أهل اللهو و المخنثين و المضحكين و كان لا يقلع عن شرب الخمر و لا يكاد إلا أن يرى سكران ، و اتخذ ندماء يتصاقعون بين يديه و يفحشون في القول عنده و يأتون ما لا ينبغي أن يذكر فضلاً عن أن يعمل به ، و كانوا يتخذون مثاليت الغنم منفوخة مربوطة و يجعلها تحت بساطه ، فإذا دخل عليه الجليل من رجاله فجلس تفعمقت تحتة فيضحك و يضحك أصحابه في كثير من العبث و المجانسة و الخلاعة<sup>4</sup> .

و ممن استحل القتل في تاريخ بلاد المغرب الموحدون لا سيما في بدايات تأسيس دولتهم خاصة بعد تكفيرهم للمرابطين ، و قد مر عند الحديث عن ابن تومرت كيف بدأ بقتل من شك فيه من أتباعه قبل أعدائه ، فقد كان مقدماً على الأمور العظام سقاًكا للدماء غير متورع فيها و لا متوقف عنها<sup>5</sup> .

و سار على هديه تابعه عبد المؤمن الذي حاصر مراكش حصاراً شديداً و طال على أهلها فاشتد الجهد بهم ، و لكثرة خيلهم و رجلهم نفذ طعامهم و فنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم و مات

---

<sup>1</sup> الشطّار : جمع شاطر و هو الذي أعى أهله و مؤدبه خبثاً ، و يقال فلان شاطر معناه أنه أخذ في نحو غير الإستواء ( ابن منظور، مصدر سابق، ص 2263 ) .

<sup>2</sup> العيَّار: جمع عيَّار ، يقال رجل عيَّار كثير المجيء و الذهاب في الأرض ، و حلى الفيلء رجل عيَّار إذا كان كثير الطواف و الحركة ذكياً ، و العرب تمدح بالعيَّار و بقم به ، يقال غلام عيَّار نشيط في المعاصي و غلام عيَّار نشيط في طاعة الله تعالى ( ابن منظور، مصدر سابق، ص 3187 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج 1، ص 144 .

<sup>4</sup> القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 156 .

<sup>5</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 181 .

منهم بالجوع ما ينيف على مائة و عشرين ألفا ، و أكل بعضهم الجيف و أكل أهل السجن بعضهم بعضا و عذمت الحيوانات كلها و الحنطة بأسرها و اختبرت المخازن فلم يوجد بها شيء<sup>1</sup> .

و لما دخل الموحدون مراكش في 18 شوال 541هـ/19 مارس 1247م استمر القتل على أهلها ثلاثة أيام و عد القتلى بما ينيف على سبعين ألف رجل<sup>2</sup> ، و قسّمها عبد المؤمن بن علي على الموحدين و قسّم عليهم ديارها و بيع عيالها و أولادها بيع العبيد<sup>3</sup> ، و بقيت مراكش ثلاثة أيام لا يدخلها داخل و لا يخرج منها خارج ، و أبي الموحدون دخولها لأنّ ابن تومرت كان يقول لهم لا تدخلوها حتى تُطهروها ، فسأل الموحدون الفقهاء عن ذلك فقالوا لهم تبنون أنتم مسجدا آخر ، فبنى عبد المؤمن بدار الحجر مسجدا آخر جمع فيها الجمعة ، و شرع في بناء المسجد الجامع و هدم الجامع الذي كان أسفل المدينة الذي بناه علي بن يوسف<sup>4</sup> .

لقد كان هذا القتل و هذه الجرائم عن عقيدة اعتقدها أتباع ابن تومرت استحلوا بها دماء و أموال مخالفيهم في المذهب ، فكان في ذلك إفناء لسنوات و عقود طويلة في الإقتتال بين أهل القبلة ، و هذه حلقة من الحلقات السوداء التي عرفها تاريخنا الإسلامي.

و قد يتفق كثير من الباحثين على أنّ وصول الأفكار الباطنية إلى بلاد المغرب دفعت الكثير إلى استحلال كثير من المحرمات و التي أخذت أبعادا طائفية واضحة تجلت مظاهرها في ممارسات فرق الشيعة الغالية التي كان لها مواطن قدم في كثير من مناطق بلاد المغرب .

و يكاد ينعقد إجماع الباحثين و العلماء المحققين أنّ الباطنية هي كبرى حركات التحريف في تاريخ الإسلام ، و قد اتبع أتباعها أساليب خطيرة لنقل مخاطبيهم من مرحلة إلى أخرى لي نسلخ المدعو نهائيا من دينه و يؤمن بدين جديد<sup>5</sup> ، و العقائد الباطنية مزيج من مجموعة المذاهب و الديانات و الآراء الفلسفية القديمة التي انتشرت في البلاد الإسلامية بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة و الآراء المتباينة ثم صبغها أصحابها صبغة إسلامية ، حتى إنّ الباحث

<sup>1</sup> مجهول، الحلل المشوية، ص ص 137-138 .

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 138 - 139 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 143 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 144 .

<sup>5</sup> د/ محسن عبد الحميد، الإتجاه الباطني في تفسير القرآن الكريم ، مجلة دعوة الحق ، تصدرها وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط، السنة 24، عدد 232، صفر 1404هـ/نوفمبر 1983م، ص 32 .

يستطيع أن يتعقب أكثر عقائد الباطنية و يردّها إلى أصولها القديمة مثل عقائد المصريين القدماء و كتب الآباء المسيحيين و غيرهم<sup>1</sup> .

و كما احتال الباطنية في أصول الدين احتالوا في خداع أتباعهم و استعالة قلوبهم ، فأباحوا لهم اللذات و الشهوات و أباحوا لهم نكاح الأخوات و أسقطوا عنهم فرائض العبادات و تأولوا أركان الشريعة ، فقالوا معنى الفرائض موالاة زعمائهم و أئمتهم و معنى المحرمات تحرّم موالاة أبي بكر و عمر و كل من خالف مذهب الباطنية ، و كانوا يؤولون الملائكة على دعا تهم الذين يدعون إلى بعتهم ، و قالوا إنّ الشياطين هم الذين لا يكونون على مذهبهم من المسلمين من علماء أصحاب الحديث و الرأي ، و كانوا يسمون موافقيهم على بدعهم المؤمنين و مخالفهم الحمير و الظاهرية<sup>2</sup> ، و لذلك عد بعض علماء الإسلام فتنه الباطنية على المسلمين شر من فتنه المسيح الدجال<sup>3</sup> ، و أنّها ما توصلت إلى كيد الإسلام و إخراج الضعفاء عنه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة<sup>4</sup> .

و الإسماعيلية من أهم فرق الشيعة الباطنية الغالية التي أسست دولة في بلاد المغرب الإسلامي ثم انتقلت إلى المشرق و هي الدولة العبيدية أو الدولة الفاطمية ، و من أركان عقيدتهم تقديس أئمتهم و الغلو فيهم فهم عندهم أوتاد الأرض و أركان الدين في كافة الأدوار و الأكوار ، و إنّ الإمام الموجود للآنـام في كل عصر و زمان لا يغيب عن العيان و هو قلب العالم و مدبره و ممدّه ، فبمعرفة طاعته و التخلي عن ضده صـلاح المؤمنين ، و هو فرد الحقيقة و مرتب الدوام و موجد النظام و هو القائل عن نفسه ظاهرنا إمامة و باطنا غيب لا يدرك<sup>5</sup> ، و الإمام أيضا حسب اعتقادهم هو الصراط المستقيم و الركن الرباني و الفيض الإلهي الحامل للأسرار ، فهو ملك الملائكة و أصل الموجودات و صاحب المعارف الخفية الوارث حقائق العلوم المستوفى صـورة الخلق و الدين و الكمال و التمام ، المكلف بحمل ما عجزت عن حمله جميع الموجودات<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 33 .

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 142-143 .

<sup>3</sup> أبو المظفر طاهر بن محمد الاسفراييني ، التبصير في الدين و تمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق : كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، ص 140.

<sup>4</sup> ابن حزم، الفصل، ج5، ص 98 .

<sup>5</sup> أبو فراس شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي المينقي ، مطالع الشموس في معرفة النفوس "مطبوع ضمن أربع رسائل إسماعيلية"، تحقيق : عارف تامر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1397هـ/1978م، ص 15 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 32 .

و من مظاهر غلو الإسماعيلية في أئمتهم قوله — بأن وجه الله هو وجه الإمام — وكذلك اليد وغيرها من الصفات و ينسبون ذلك لعلي ابن أبي طالب ، فقد روى عنه الداعي إدريس عماد الدين قوله : " و أنا عبد من عباد الله فلا تسمونا أربابا و قولوا في فضلنا ما شئتم ، لأن أبواب الله و حججه و أمانؤه على خلقه و خلفائه و أئمة دينه و وجه الله و جنبه و أمره و صراطه ، بنا يعذب و بنا يثيب " <sup>1</sup> ، و قال المؤيد في الدين داعي دعاة الإسماعيلية في ديوانه مادحا الخليفة الفاطمي المستنصر بالله :

أمستنصرا يا ولي الإله ب هـ ماجدا مالكا للرقاب  
فوجهك وجه الإله المنير و نورك من نوره كالبحر-اب  
يداك يدا الله مبسوطتان و أنت له الجنب غير ارتياب  
و إنك برهانه في الأمام و إنك صمصامه في النصاب <sup>2</sup>

و يقول أيضا :

شهدت بأنك وجه الإله وجوه المـوالى به ناضرة <sup>3</sup>

فما يقوله المسلمون عن الله جعله الإسماعيلية على العقل الكلي الذي هو الخالق عندهم ، فإذا عرفنا هذا يمكن القول أنهم لم يأتوا بهذه الآراء الفلسفية عبثا بل جاؤوا بها لإسباغ صفة خاصة على الإمام الذي قالوا إنه من البشر ، ذلك أنهم ذهبوا إلى أن العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام من العالم الجسماني ، و معنى هذا عندهم أن الأسماء و الصفات التي خلعت على العقل الكلي هي أيضا صفات و أسماء الإمام ، فأسماء الله التي قالوا إنها أسماء العقل الكلي هي أسماء للإمام ، فلإمام إذا هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار <sup>4</sup> ، لذلك نجدهم يسجدون عند ذكر الإمام ، حيث جاء في رسالة الدستور للداعي الطيبي أنه إذا وصل إلى ذلك — الإمام سجد

<sup>1</sup> إيفانوف، المنتخب من كتب الإسماعيلية، ص ص 99- 100.

<sup>2</sup> المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران، ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم و تحقيق : محمد كامل حسن، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1368هـ/1949م، ص 231 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 286.

<sup>4</sup> د/محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1378هـ/1959م، ص ص 158-159 .

و سجدوا<sup>1</sup> ، و ادّعى القاضي النعمان أنّه لا يسجد للأئمة إلا من جهل حقهم من الرعايا الذين لا يعقلون ، و أضاف أنّ المنصور لما استقضاه بالمنصورية كان إذا وقف للسلام عليه قبل الأرض بين يديه تعظيما و إجلالا له و زعم أنّ المنصور نهاه عن ذلك ، و رأى النعمان أنّ هذا النهي ليس بنهي كراهة و دليله أنّ المعز كان يفعله و من دونه من الخاصة و سائر الناس<sup>2</sup> .

و لكون هذه الأفكار و المعتقدات من الإلحاد يجب أن نلاحظ أنّ هذه الصفات التي أسبغوها على أئمتهم و جعلتهم مثلا للعقل الكلي لم يستطيعوا أن يصرحوا بها للعامة أو المبتدئين من المستعربين ، بل لم يكن يعرفها إلا من استمع إلى داعي الدعاة نفسه في المجالس التي كان يعقدها للخاصة فقط ، أما أمام جمهور الناس فلم يكن الدعاة بقادرين على الإبانة عن هذه العقائد و الإشارة إليها<sup>3</sup> ، و ينقل مؤلف رسالة الدستور المشار إليها أنفا كيفية من سمّاه المرشد في دعوة الناس إلى مذهبه و ما يلقي عليه من أقوال بحضور جماعة من أتباعه ، و بعد استجابة الشخص له يقسم بالإخلاص للمذهب الإسماعيلي ظاهرا و باطنا ، و في آخر هذا القسم يلتزم بكتمان عقيدته و دينه فيقول : " و إني إذا فهمت أمرا و عرفت سرّا كتمته و أخفيت عنه لا أعتقد معتقدي و لا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول و لا بينة و لا إشارة و لا عبارة و لا تكتبه يداي و لا ينطق به لساني"<sup>4</sup> .

و في رسالة مطالع الشمس ورد ما يلي : " المرتبة السابعة في العهد و الميثاق المأخوذ على حفظة الأسرار ، اعلم أيها الأخ البار الرشيد أنّ الغاية من تصنيف هذه المرتبة هي تأكيد الأيمان المغلظة على من وقعت إليه هذه الرسالة أن يصونها كل الصيانة و يحافظ عليها كل المحافظة ، فإنّها الأمانة الكبرى و الحقيقة العظمى و الحكمة الدينية المثلى التي يجب كتمانها إلا عن أهلها"<sup>5</sup> .

و يذكر كاتب سيرة جوذر أنّ المنصور الفاطمي أخرج إلى جوذر كتب كثيرة تحتوي على علوم شتى من ظاهر و باطن ، فأثبت في كتابه ما يجب ذكره و أباح الله و وليه إظهاره و ترك ما سوى ذلك كراهة اكتساب الآثام و التجاوز المحظور<sup>6</sup> ، فالإسماعلية يعتبرون نشر كتب الباطن السرية من

<sup>1</sup> شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي ، الدستور و دعوة المؤمنين للحضور "منشور ضمن أربع رسائل إسماعيلية"، تحقيق : عارف تامر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1397هـ/1978م، ص 57 .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 57 .

<sup>3</sup> سليمان بن عبد الله السلومي، مرجع سابق، ج2، ص 424 .

<sup>4</sup> الطيبي، مصدر سابق، ص 54 .

<sup>5</sup> شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي، مصدر سابق، ص 34 .

<sup>6</sup> المنصور الجوذري، مصدر سابق، ص 53 .



أعظم الآثام و أخطر التجاوزات ، و دعا الإسماعيلي المعاصر عارف تامر الكتاب المسلمين الذين يحاولون دراسة عقائد طائفته و يدعون معرفتها بأن يدعوا هذا الأمر و يتركوه لرجال الطائفة الذين لهم القدرة التامة على الكتابة عنها و تفهيم نصوصها و أحكامها و تأويلها كاملة صحيحة ، مضيفا أن الإسماعيلية فكرة فلسفية سامية و رسالة تعليمية مثلى ذات برامج و أحكام و أصول و فروع ليس من السهل استيعابها ، كما أنّها لم تكن يوما من الأيام مشاعا بين الناس <sup>1</sup> .

و يقول الإسماعيليون بعصمة أئمتهم و يردّون على من يقول إنّ إمامهم الذي ينتسبون إليه هو إسماعيل بن جعفر الصادق شرب الخمر بأنّه لا جناح عليه و أنّه فعل ذلك لحكمة لا يديرها أحد و لذلك كان من الواجب أن لا يعترض إنسان على فعل الأئمة ، و يقرّر الإسماعيلية أنّه من يولد إمام لا يمكنه أن يقترف جريمة و أنّ شرب الخمر غير محرّم على الأئمة و أنّ هؤلاء ليسوا مجبرين على الصوم أو الصلاة أو الحجّ أو غير ذلك لأنّهم من الخاصة ، و أنّ تكاليف الشريعة مقصورة على العامة وحدهم ، و أنّه لا تنطبق أوامر الشريعة الظاهرة على عالم الحقيقة المطلقة التي ينتمي إليها هؤلاء الأئمة ، و يجرى الإسماعيلية فوق ذلك أنّ الأئمة قادرون على نسخ أوامر الشرائع السابقة ، و غلا بعضهم في ذلك فقالوا إنّ الإمام معصوم حتما على حين لا يعصم غيره حتى الأنبياء أنفسهم <sup>2</sup> .

و يؤكّد المعز لدين الله أحد الأئمة الإسماعيلية العصمة له و لغيره بقوله : " و لكنّ الله بفضلهم و إحسانه إليّ عصم ني من أن أشتهي شيئا حرّمه عليّ ، فالحمد لله الذي منّ علينا بالعصمة و لم يجعل لنا فيما حرّمه علينا شهوة " <sup>3</sup> . و مما قاله أحد الشعراء في إثبات عصمة الأئمة ما يلي :

إنّ الإمام قائم بالحكم بين الورى مؤيد بالعصمة  
و كل ما ما يفعله صواب لا شك في ذلك و ارتياب <sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد بن علي حسن الصوري، القصيدة الصورية، تحقيق و تقديم : عارف تامر، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، 1374هـ / 1955م، مقدمة المحقق، ص 8 .

<sup>2</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 283 .

<sup>3</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسابير، ص ص 417 - 418 .

<sup>4</sup> محمد بن علي حسن الصوري، مصدر سابق، ص 65 .

و دعوى الباطنية تطابق نقله المقالات قاطبة على أنه لم يفتتحها منتسب إلى ملة و لا معتقد لنحلة معتضد بنبوة ، فإنّ مساقها ينقاد إلى الإنس-لال من الدين كانس-لال الشعرة من العجين<sup>1</sup> .

و نجحت طائفة الإسماعيلية في التمكين لمذهبها و تأسيس دولتها التي عرفت بالدولة الفاطمية و أظهر زعمائها و دعاؤها حقدهم على مخالفينهم في الإعتق-اد ، ففي سنة 296هـ/908م زحف أبو عبد الله الشيعي إلى الأرسى<sup>2</sup> و نازلها و بها إبراهيم بن أبي الأغلب في عساكر إفريقية فقاتلها حتى أخذها عنوة و دخلها بالسيف ، فهرب إبراهيم و نجا في جماعة من القواد و الجند و لجأ أهل الأرسى و من كان اجتمع فيها من فلاّ العسكر إلى جامعها فقتلهم الشيعي أجمعين حتى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد ، و قيل إنّه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل ، و كان قتلهم بعد صلاة العصر إلى آخر الليل ، فلما أصبح و قد فرغ من القتل و النهب و السبي نادى بالرحيل إذ خشي أن يحاشد عليه أهل إفريقية<sup>3</sup> .

و كانت بداية عهد عيسى الله أول حاكم لهم بداية دموية ، فبعد أن أمر بذكر اسمه في الخطبة يوم الجمعة و أن يلقب بالمهدي أمير المؤمنين في جميع البلا د ، فبعد الصلاة جلس رجل يعرف بالشريف و معه الدعاة و أحضروا الناس و دعوهم إلى مذهبهم و قتل من لم يوافق<sup>4</sup> .

و كتب عبيد الله المهدي إلى زعيم القرامطة سليمان بن الحسن القرمطي رسالة جاء فيها : " أوصيك بتشكيك الناس في البقوة و الإنجيل و القرآن ، و أوصيت إليك بأن تعرف مخاريق الأنبياء و الأمور التي ناقضوا فيه كما قال عيسى لليهود أنا لا أرفع شيئاً من شريعتكم و لا أنسخ ثم رفع السبت و وضع بدله الأحد و غير قبلة موسى ، فلما عثر اليهود منه على هذه المناقضة قتل—وه ، و ينبغي أن تكون كصاحب الأمة المنكوسة لما سأله عن الروح لم يدر ما يقول فقال " وَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"<sup>5</sup> و هم قبلوا منه ذلك ، و ينبغي أن لا تكون كموسى ادّعى ما ادّعاه و لم يكن له برهان سوى المخارقة و حيل الشعوذة ، و أعجب من هذا في دينهم أنّ الواحد منهم تكون له ابنة حسن—اء يحرمه—ا على نفسه و يبيحها للأجنبي ،

<sup>1</sup> الغزالي، مصدر سابق، ص 18 .

<sup>2</sup> الأرسى : مدينة و كورة بإفريقية، بينها و بين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 136 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 146 .

<sup>4</sup> المقرئ، اتعاط الحنفا، ج1، ص 66 .

<sup>5</sup> سورة الإسراء، الآية 85 .

و لو كان له عقل لعلم أنه أولى بها من الرجل الأجنبي ، و لكنهم قوم خدعهم رجل بشيء لا يكون أبدا خوفهم بالقيامة و النار و مناهم بالجنة ، إنك و إخوانك هم الوارثون الذين و رثوا الفردوس و هو نعيم الدنيا و لذاتها التي حرّمها على هؤلاء الجهال الذين تمسكوا بشرائع قوم المتنبيين ، هنيئا لكم الراحة التي وصلتهم إليها و الخلاص من التكاليف التي ابتلوا بها"<sup>1</sup> .

و قد بيّن الإمام الغزالي حقيقة مذهب الباطنية في القيامة و المعاد و التكاليف الشرعية ، و هي عينها التي دعا إليها عبيد الله القرامطة أتباعه في هذه الرسالة ، فأما عن إنكاره — م قيام القيامة — و المعاد فيقول في فضائح الباطنية : " و قد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة و أولوها و قالوا إنّها ترمز إلى خروج الإمام و قيام قائم الزمان و هو السابع الناسخ للأمر المُغيّر للشرع ، و أما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء و لم يثبتوا الحشر و النشر للأجساد و لا الجنة و النار ، و لكن قالوا معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله "<sup>2</sup> ، و أما فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فقال الغزالي : " إنّ المنقول عنهم الإباحة المطلقة و رفع الحجاب و استباحة المحظورات و استحلالها و إنكار الشرائع ، إلا أنّهم بلّغهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم ، و إنما الذي يصح من معتقداتهم فيه أنّهم يقولون لا بد للانقياد للشرع في تكاليفه على التفصيل الذي يفصله الإمام من غير متابعة الشافعي<sup>3</sup> و أبي حنيفة<sup>4</sup> و غيرهما ، و إنّ ذلك واجب على الخلق و المستحبين إلى أن ينالوا رتبة الكمال في العلوم ، فإذا أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور و اطلعوا على بواطن هذه الظواهر انحلت عنهم القيود و انحطت عنهم التكاليف العملية ، فإنّ المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم ، فإذا ناله استعد للسعادة القصوى فيسقط عنه تكليف الجوارح ، و إنما تكليف الجوارح في

<sup>1</sup> أبو المظفر الإسفراييني، مصدر سابق، ص ص 143 – 144.

<sup>2</sup> الغزالي، مصدر سابق ، ص 44 .

<sup>3</sup> الشافعي: محمد بن إدريس أحمد الأئمة الأربعة ، ولد في غزة سنة 150هـ/767م ، ثمّ سكن مصر و توفي به سنة 204هـ/820م ، برع في الفقه و القراءات و علم الأصول و كان أعرف الناس بالشعر ، من أشهر مؤلفاته كتاب الأم ( تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمد محمود الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلّو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج1، ص 192 . الزركلي، مرجع سابق، ج6، ص 26 ) .

<sup>4</sup> أبو حنيفة : النعمان بن ثابت ، ولد سنة 80هـ/699م ببغداد ، صاحب المذهب المشهور، أدرك جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و رأى أنس بن مالك ، توفي رحمه الله سنة 150هـ/767م ( محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ، مناقب الأئمة الأربعة، تحقيق : سليمان مسلم الحرش، دار المؤيد، الرياض، ص58 ) .

حق من يجرى جهله مجرى الخمر التي لا يمكن رياضته — إلا بالأعمال الشاقة ، و أما الأذكىاء و المدركون للحقائق فدرجتهم أرفع من ذلك" <sup>1</sup> .

و ينقل غريب بن سعد في صلته لتاريخ الطبري عن عبيد الله أنه كان يعرف أول دخوله القيروان بآبن البصري فأظهر شرب الخمر — و الغناء ، فقال المحتسب ما على هذا خرجنا و أنكر فعله ، فـدس عليه عبيد الله رجلا من المغاربة فقتله <sup>2</sup> ، و كلام غريب بن سعد على قدر كبير من الأهمية إذ كان معاصرا لمرحلة حكم الفاطميين في بلاد المغرب ، و يضيف أن عبيد الله ملك البلاد و أقبل جيشه يريد مصر و قدم الإسكندرية و خطب فيه خطبا كثيرة محفوظة لولا كفر فيها لاجتلب بعضها <sup>3</sup> .

و يصف الأستاذ حسن إبراهيم حسن هذه الرواية بأنها غلو من بعض السنيين الذين يرمون المهدي عبيد الله بالإسراف في العبث بالشرعية الإسلامية و خروجه على الدين الإسلامي ، مغلّفا بأن يكون أبا عبد الله الشيعي لم يرضه — هذه السياسة و اجتمع على المهدي فكان ذلك سبب قتله <sup>4</sup> ، و بعد ذلك يكون تعليقه مناقضا لوصفه الأول ضد بعض أهل السنة ، فيصف الإسماع طيبة بوصف أكثر غلوا و تطرفا فيقول : " و لا يعقل أن يثور أبو عبد الله على رئيسه تمسكا منه بالشرعية الإسلامية ، لأنّ الجميع يؤمنون بمذهب واحد يقصدون فيه رؤساءهم ، و يرون أن لا عيب مطلقا إذا شربوا الخمر ، كما أنّ المشهور عن أبي عبد الله أنّه كان ينادي بمبدأ الحلول و يرى أنّ المهدي حلول لأدم فمحمد صلى الله عليه و سلم" <sup>5</sup> .

و في هذا السياق فقد حاول أبو عبد الله الشيعي مناظرة علماء أهل السنة حول عقيدة ختم النبوة ، و كان أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني من علماء السنة الذين ناظروا الشيعي حول هذه العقيدة التي لا يقول بها الإسماعطيون ، و مما نقل عن إحدى هذه المناظرات قول الشيعي : القرآن يقر بأنّ محمّد ليس بخاتم النبيّين ، فقال له سعيد : أين ذلك ؟ فقال له : في قوله تعالى : " وَ لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ " <sup>6</sup> ، فخاتم النبيّين غير رسول الله ، فقَالَ

<sup>1</sup> الغزالي، مصدر سابق، ص ص 46-47 .

<sup>2</sup> غريب بن سعد القرطبي، مصدر سابق، ص 51 .

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 51-52 .

<sup>4</sup> حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 264 .

<sup>5</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>6</sup> سورة الأحزاب، الآية 40 .

سعيد : هذه الواو ليست من واوات الإبتداء و إنما هي من واوات العطف كقولـه تعالى : " وَ هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " <sup>1</sup> ، فهل من أحد غير الله يوصف بهذه الصفات <sup>2</sup> .

فإذا كان الشيعي و أتباعه يناظرون في قضية لا يختلف حولها المسلمون كهذه فلا يستبعد إذا أنّ تكون لرواية ابن عذارى حظها من الحقيقة التاريخية ، و التي يروي فيها أنّ أبا عبد الله الشيعي و أخيه أبا العباس كانا يدّعيان أنّ عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين رسول الله ، فالرواية تذكر أنّ عبيد الله المهدي لما وصل إلى مدينة رقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بالفقيهين العالمين ابن البرذون <sup>3</sup> و ابن هذيل <sup>4</sup> ، فلمّا وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالسا و عن يمينه أبو عبد الله الشيعي و عن يساره أبو العباس ، فقال لهما أبو عبد الله و أخوه : أتشهدان أنّ هذا رسول الله ، فقالا جميعا بلفظ واحد : و الله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا و الشمس عن يمينه و القمر عن يساره و ينطقان فيقولان إنّ رسول الله ما قلنا إنّّه هو ، فأمر عبيد الله عند ذلك بذبحهما و ربطهما في أذنان الخيل <sup>5</sup> .

و الواضح من خلال ما سبق ذكره عن مذهب الإسماعيلية أنّ ما يقوم به أئمتهم هو خروج ظاهر عن الشريعة الإسلامية و استحلال حرّيات الله و أنّ ما نقله أهل السنة عنهم أقرب للحقيقة ، و قد وصف ابن حزم الإسماعيلية و القرامطة بأنّهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة ، و ردا عليهم قال : " إنّ الدين ظاهر لا باطن فيه و جهر لا سر تحته ، و أنّ كل من ادّعى أنّ الله ديانته سرا و باطنا فهي دعاوى و مخارق ، و أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكتّم من الشريعة كلمة فما فوقها ، و لا أطلع أخصّ الناس به من ابنة أو ابن عم أو زوجة أو صاحب على شيء من الشريعة كتّمه عن الأحمر و الأسود و رعاة الغنم ، و لا كان عنده عليه السلام سر و لا رمز و لا

<sup>1</sup> سورة الحديد، الآية 3 .

<sup>2</sup> المالكي، مصدر سابق، ج2، ص 62 .

<sup>3</sup> ابن البرذون : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي الشهيد ، كان فقيها بارعا بالعلم قويا في المناظرة و إقامة الحجة على مخالفه ، قتله الشيعة في مطلع دولتهم ( الدباغ، مصدر سابق، ج2، ص 143 ) .

<sup>4</sup> ابن هذيل : أبو بكر بن هذيل ، سمع من رجال سحنون منهم عيسى بن مسكين ، كان فقيها زاهدا صالحا متقشفا ، قتله الشيعة مع ابن البرذون ( الدباغ، مصدر سابق، ج2، ص 146 ) .

<sup>5</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 273 .

باطن غير ما دعـا الناس كلهم إليه ، فلـو كنتمهم شيئاً لما بـلّغ كما أمـر ، و من قال هذا فهو كافر" <sup>1</sup> .

و قد أطرى الشعراء المهدي عبيد الله بأبيات يمدحون هـ فيها ، فاستجاز ما فيها من غلو في شخصه ، و منها ما نقله ابن عذارى عن الشاعر محمد البديل الذي قال في عبيد الله :

حلّ برقـادة المسيح حلّ بهـا آدم و نوح

حلّ بها أحمد المصـفى حلّ بها الكبش و الذبيـح

حلّ بهـا الله ذو المعالي و كل شيء سـواه ربح <sup>2</sup>

و في رواية وردت هذه الأبيات كما يلي :

حل بها الله ذو البرايا فكل خلق سـواه ربح <sup>3</sup>

و كانت أيمان كتامة أول دخـولهم إفريقية : " و حق غـالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة " ، حتى كتب بعض أحداث القيروان هذين البيتين و تلطفوا في وصولها إلى عبيد الله من حيث لا يعلم و هي :

الجـور قد رضينا لا الكفر و حماقة

يا مدعي الغيوب من لـائب البطاقة

فاشدد ذلك عليه لما وصل إليه ، و كشف سرّاً عن كاتب ذلك فلم يقع له على خبر <sup>4</sup> .

و لما بنى عبيد الله المهديّة و التي لم تكن بالنسبة إليه غير ملجأ مؤقت فأنظاره كانت صوب المشرق <sup>5</sup> انتقل إليها و جعلها عاصمة دولته فعظّمها أولياؤه ، و قال القاضي النعمان إنّها المأثور ذكرها في الكتب المعروفة بالبيضاء التي قيل إنّ الدجال لا يصل إليها و لا يدخلها ، و كان انتقاله إليها سنة 308هـ/920م <sup>6</sup> .

<sup>1</sup> ابن حزم، الفصل، ج2، ص ص 274 - 275 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص160.

<sup>3</sup> أبو بكر بن العربي، مصدر سابق، ص 58 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص160.

<sup>5</sup> James Darmesteter, **Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'a nos jours**, Ernest leroux, Paris, 1885, p 52 .

<sup>6</sup> القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص327 .

و قال بعض شعراء افريقية في انتقاله إليها و اسبغوا بها من الشعر أبياتا ليستدل بما فيها على ما كان يستحله و يحوز عنده من الأشعار ، و منها :

حططت الرحل في بلد كريم	رغته لك الملائكة الكرام
لئن عظم الحرام و ما يليه	كما عظمت مشاهد العظام
فقد عظمت بأرض الغرب دار	بها الصلوات تقبل و الصيام
هي المهدية الحرم المتوقى	كما بتهامة البلد الحرام
كان مقام إبراهيم فيهِ	شرى قدميك إن عدم المقام
و إن لثم الحجيج الركن أضحي	لنا بعراض قصركم التمام
لئن شاب الزمان و شاب مُلك	دعائمه إذا عُجمت حُطام
لملك أيها المهدي مُلك	غلام و الزمان به غلام
لك الدنيا و نسلك حيث كنتم	فكلكم لها أبدا إمام <sup>1</sup>

كما لم تسلم بيوت الله من انتهاك حرمتها في عهد عبيد الله ، فقد نقل ابن عذارى أنه خرج في دولته شيخ للسفر و معه خيل فباتوا في المسجد بخيولهم ، فقي لهم كيف تدخلون بخيولكم المسجد ؟ فقال لهم الشيخ و أصحابه : إنَّ أرواها و أبوالها طاهرة لأئمتها خيل المهدي ، فقال لهم القيم بالمسجد : إنَّ الذي يخرج من المهدي نجس فكيف الذي يخرج من خيله ؟ فقالوا له : طعنت على المهدي و أخذوه و ذهبوا به إليه ، فأخرجه عشية جمعة فقتله<sup>2</sup> .

و في سنة 309هـ/921م أظهر منيب بن سليمان المكناسي الـ داعي التشريق و تحليل المحرمات بجانب سمرقند ، و قيل إنَّ عبيد الله وجهه و غيره إلى الأطراف و أمرهم بإظهار التشريق ، فإن وجدوا العامة محتملين له نشره و أظهروه ، فلما كشف منيب ما أمره به عبيد الله كان الرجل يدخل إلى حليّة جـاره فيطأها و زوجتهـ حاضر ينظر إليه ثم يخرج فيصق في وجهه و يصفع قفاه و يقول له تصبر ، فإذا صبر عدَّ كامل الإيمان و يسمى من الصابرة ، فقام عليهم الناس و قتلوا بعضهم فكفوا<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص184 .

<sup>2</sup> نفسه، ج1، ص284.

<sup>3</sup> نفسه، ج1، ص185.

و في هذه السنة أيضا أمر عبيد الله بحبس نحو مائتي رجل أظهروا التشريق في بعض مدن إفريقية و جاهرُوا بتحليل المحرم و أكلوا الخنزير و شربوا الخمر في رمضان جهـارا ، و علـم بذلك الخاص و العام حتى عُيِّرَ به أبو القاسم بن المهدي أليم كونه بمصر ، فكتب عبيد الله إلى عماله بهذه المواضع بأن يرفعوهم إليه مقيدين ، ثم حبسهم فمات أكثرهم بالسجن<sup>1</sup> .

و تبين أفعال هؤلاء الحقيقة الباطنية للمذهب الإسماعيلي و التي جاهرُوا بها بعد أن انتظمت لهم الدولة و علت لهم الراية ، فاعتنقوا بذلك مذهب الراحة و الإباحة الذي يريـحهم ممّا تلزمهم به الشرائع من طاعة الله و يبيح لهم ما حظر الله عليهم من محارم الله<sup>2</sup> .

و يذكر ابن عذارى بعض أسماء هؤلاء المجاهرين باستحلال الحرمات و منهم أحمد البلوي النخاس كان يصلي إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها و هي منه في المغرب ، فلما انتقل عبيد الله إلى المهدية و هي منه في المشرق صلى إليها و كان يقول لست ممّن يعبد من لا يرى ، و كان يتصدى لعبيد الله و يقول : ارق إلى السماء كم تقيم في الأرض و تمشي في الأسواق ، و كان يقول لأهل القيروان في عبيد الله إنّه يعلم سرّكم و جهركم ، فتقرب إليه رجل يوما و هو يقول ذلك فأخـذ أذنه و نطق فيها : عبيد الله الذي نقول زان ابن زانية فإن كان يعلم ما قلت فليتنصر، فصاح صيحة عظيمة و قال : يا مسكين إنّه حليم لا يعجل<sup>3</sup> ، و منهم إبراهيم بن غازي و كان يأكل في شهر رمضان جهارا و يحكب الكبائر ، و كان في أيام بني الأغلب من المهتدين المرابطين<sup>4</sup> .

و قد برّر القاضي النعمان قتل عبيد الله لهؤلاء بالقول إنهم يومئذ عامتهم لا يعرفون شيئا عن ظاهر الدين من حلال أو حرام ، و كانوا يأنفون أن يعترفوا بالجهل لشيء يسألون عنه ، و لم يخص النعمان واحدا منهم يسأل عن الطهارة أو الصلاة أو الصوم أو غير ذلك من فرائض الدين و أحكامه و حلاله و حرامه ، فإذا سأله السائل عن ذلك و انتهره و أغلظ عليه ، قال ما سؤالك عن هذا المحال من الظاهر و تدع علم الباطن<sup>5</sup> .

و موقف عبيد الله منهم لا يعدو إلا أن يكون محاولة للسيطرة على مجاهرة بعض الأتباع بانحلالهم عن ظاهر الشريعة ، خاصة بعد انتشار أخبارهم مشرقا و مغربا و حتى لا يُعيّرَ بهم كما عُيِّرَ

<sup>1</sup> نفسه، ج1، ص 186 .

<sup>2</sup> محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني، مصدر سابق ، ص 24 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 186 .

<sup>4</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>5</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 499 .



بهم ابنه لما وصل مصر محاولاً فتحها ، كما لا يمكن أن نضع رد فعل عبيد الله العنيف تجاه هؤلاء الدعاة و الأشخاص المجاهدين بالمعاصي و المنكرات إلا في باب التقية التي هي أصل من أصول المذهب الشيعي باختلاف فرقته ، و لم يكن النكير و العقوبة على هؤلاء لارتكابهم المحارم و العمل بالباطن المحض بل لأنهم أظهروا ما أخذ الميثاق عليهم في إخفائه و كتمانهم<sup>1</sup> ، كما أنّ المرحلة تستدعي مثل هذا التصرف فالدولة لا تزال في مرحلة التأسيس و البيئة التي قامت فيها بيئة سنية تأبى مثل هذه الإعتقادات و الأفعال و التي لا يمكن أن تنفذ إلى قلوب الرعيّة التي و إن غلب عليها سلطان الإسماعيليين السياسي فإنّ السلطان الروحي ظل عند علماء القيروان الملتزمين و المخلصين لمذهب الإمام مالك السني فقها و اعتقاداً .

و لما تولى القائم الشيعي بعد وفاة أبيه أظهر مذهبه وأمر بسب الغار وغير ذلك من تكذيب كتاب الله ، فمن تكلم عذب و قتل و اشتد الأمر على المسلمين<sup>2</sup> ، و في سنة 325هـ/936م قدّم القائم على صقلية خليل بن إسحاق ، و كان عبيد الله قبله يصرفه في الأعمال و جبايات الأموال و محاسبة الدواوين و العمال ثمّ وقعت فيه أقوال فكرهه و أبغضه و لولا القائم لأهلكه ، و في أثناء ولايته خليل بن إسحاق صقلية عمل ما لم يعمله أحد قبله و لا بعده من المسلمين فقد أكثر من قتل أهلها ، أهلكهم قتلاً و جوعاً حتى فرّ كثير منهم إلى بلاد الروم ، و بقي في صقلية أربعة أعوام ، و لما عاد منها كان يفتخر بجرائمه و يعد ضحاياه حتى قيل له : يا أبا العباس لك في قتل نفس واحدة ما يكفيك<sup>3</sup> .

و في أيام القائم خرج عليه صاحب الحمار و كان مذهبه تكفير أهل الملة و استباحة الأموال و الدماء و الخروج على السلطان<sup>4</sup> و يظهر ذلك جلياً في حروبه ، فعندما فتح الأريس أحرقه—ا و نهبها و التجأ الناس إلى الجامع فقتلهم فيه<sup>5</sup> ، و لما فتح سوسة قتل الرجال و سبى النساء و أحرق البلد و شق أصحابه فروج النساء و بقروا البطون<sup>6</sup> ، و بعث عسكرياً إلى تونس فدخلوها بالسيف

<sup>1</sup> إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ و عقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور (باكستان)، ص 567 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 216 .

<sup>3</sup> نفسه، ج1، ص 215 .

<sup>4</sup> المقرئزي، مصدر سابق، ج1، ص 75 .

<sup>5</sup> نفسه، ج1، ص 76 .

<sup>6</sup> نفسه، ج1، ص 77 .

فنهبوا جميع ما فيها و سبوا النساء و الأطفال و قتلوا الرجال و هدموا المساجد و التجأ كثير من الناس إلى البحر فغرقوا<sup>1</sup> .

و لما تولى المنصور الفاطمي الخلافة نصب حسينا الأعمى السباب في الأسواق للسب بأسجاع لُقْنَهَا يتوصل منها إلى سب النبي صلى الله عليه و سلم في ألفاظ كقوله لعنه الله : " العنوا الغار و ما حوى و الكساء و ما حوى " و غير ذلك ، و علقت رؤوس الحمر و الكباش على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة ، و اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل و مثل به<sup>2</sup> .

و يبدو أنّ ظاهرة سب النبي صلى الله عليه و سلم قد أخذت أبعـا إذا خطيرة في عهد المنصور ، لذلك قد تظاهر بعد هزيمة أبي يزيد بالعودة إلى الإسـلام و قال للعامـة : " من سمع منكم أحدا يسب النبي فليقتله و ألا من ورائه " ، و قـرب إليه الفقهاء و المحدثين و استمع إليهـم و خدع العامة ، و ادّعى أنّ كل من كان في الدعوة و دعا إلى الإباحية فإنما فعل ذلك دون علم أبي أو جدي<sup>3</sup> .

و كان المعز لدين الله كجده يستجيز ما يقوله فيه الشعراء و على رأسهم شاعره ابن هانيء الأندلسي<sup>4</sup> الذي عرض في سياق مدحه للمعز لوجه آخر من وجوه قدسية الإمام عند الشيعة الإسماعيلية ، و هو قولهم إنّه العلة الأولى للكون خلق قبل أن يخلق ، و قد خلق هذا الكون من أجلـه و أنّه منه بمثابة الروح من الجسد ، فكان مما عبّو به عن هذا المعنى قوله :

هذا ضمير النشأة الأولى التي بد أ الإله و غيبهـا المكنون  
من أجل هذا قدر المقدور في أم الكتاب و كوّن التكوين  
و بـذا تلقي آدم من ربه عفوا و فله ليونس اليقطين<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نفسه، ج1، ص 80 .

<sup>2</sup> و يؤرخ القاضي عياض لهذا الحدث بهنة 331 هـ/ 942م ، و في هذه الحالة يكون القائم هو من نصّب حسينا السباب هذا للسب في الأسواق لأنّ القائم توفي حسب المصادر سنة 334هـ/945م ، و قد يكون القاضي عياض قد أخطأ في تحديد تاريخ هذه الواقعة و هذا أمر غير مستبعد ( القاضي عياض، مصدر سابق، ج5، ص 303 ) .

<sup>3</sup> برنارد لويس، مرجع سابق، ص ص 143-144 .

<sup>4</sup> ابن هانيء الأندلسي : أبو القاسم محمد بن هانيء الأندلسي، برع في الشعر و بالغ في مدح المعز ، و لما رحل إلى مصر رجع ابن هانيء لتوصيل عياله فقتل ببرقة سنة 362 هـ/ 972م ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص 421 ) .

<sup>5</sup> د/ طه محمد الجابري، مرجع سابق، ص 103 .

و في هذه الأبيات لابن هانيء يظهر فيها غلوه في المعز و إضفاء صفات الله عليه حيث

قال :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهـ  
و كأنهمـ أنت النبي محمداً و كأنما أنصارك الأنصـ  
أنت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الأحبـ  
هذا إمام المتقين و من بهـ قد دوخ الطغيان و الكفار  
هذا الذي ترجى النجاة بحبهـ و بهـ يحط الإصر والأوزار  
هذا الذي تجدي شفاعته غداً حقاً و تخمد أن تـراه الربا<sup>1</sup>

و في أبيات أخرى يقول عن خلافة المعز أنها ليست كالتي عهداها الناس فيمن خلفوا رسول  
الله صلى الله عليه و سلم ، فالمعز خليفة الله لا خليفة رسول الله يتلقى عن الله كما يتلقى النبي  
فخلافته كالنبوة ، كما أنّ ما يلهمه من المعرفة هو نظير الوحي الذي يوحى إلى الرسول ، إلى غير  
ذلك مما صاغه في هذه الأبيات التي خاطب بها المعز و هو يتقدم إليه بأولى قصائده :

أوتيت فضل الخلافة كنبوة و نجي إلهـام كوحي يوحى  
أخليفة الله الرضى و سبيـلهـ و مناره و كتابهـ المشروحـ  
يا خير من حجت إليه مطيـةـ يا خير من أعطى الجزيل منوحـ  
ماذا تقول جللت عن أفهامـ حتى استوينا أعجامـ و فصيحـ  
نطق بك السبع المثاني ألسنـ فكفيتنا التعريض و التصريحـ  
تسعى بنـور الله بين عباده لتضيء برهـانـا لهم و تلوحـ  
وجد الهمان سنـاك تحقيقـا و لم تحظ الظنون بكنهه تصريحـ  
أحشاك ينسي الشمس مطلعها كما و أمدّها علمـا فكنت الروحـا  
أقسمت لهـولاً أن دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح مسيحـا  
شهدت بمعجزك السموات العلـى و تنزل القرآن فيك مديحـا<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن هانيء الأندلسي، ديوان ابن هانيء، دار بيروت، بيروت، 1400هـ/ 1900م، ص 146 .

<sup>2</sup> د/ طه محمد الجابري، مرجع سابق، ص ص 102- 103 .

و هذا الإفراط في المدح قد تلقاه المعز بالرضا التام ، و يبدو أنّ أبيات ابن هانيء قد وقعت في نفسه موقعاً بليغاً ، لذلك فإننا لا نستبعد صحة الرواية التي نُقلت عن المعز أنّه ادّعى النبوة ثم تراجع خوفاً من قيام ثورة ضده ، حيث يروي ابن عذارى أنّ المعز جعل من نادى فوق صومعة جامع القيروان " أشهد أنّ معداً رسول الله " ، فارتج البلد لذلك و داخل أهله الرعب ، فأرسل من سكّن الناس <sup>1</sup> .

و من أهم مميزات العهد الفاطمي في بلاد المغرب ظاهرة إلحاد الدعاة ، و يتضح هذا من خلال محاولة القاضي النعمان تبرئة أئمة من أفعالهم و أقوالهم ، فيروى عن القائم قوله : " إنما أراد الدعاة إلى النار الذين انتسبوا إلينا بما نحلون إياه أنا نعلم الغيب و ما تجن الصدور و أشباه ذلك مما افتروه علينا و نسبوه إلينا أن يجعلوه عدة لنفاقهم ، فمتى أظهروا النفاق قالوا لمن دعوه إلينا ليس عند هؤلاء ما وصفنا لكم في الأئمة الذين دعوناكم إليهم ، كما قال ذلك بعضهم فهلك و أهلك به خلقاً من الناس " <sup>2</sup> ، ثم يصل النعمان هذه الرواية برواية أخرى عن المعز الذي قال في شأن بعض دعاة المجاهرين بحقيقة دعوة الإسماعيلية : " إنّ المنتسبين إلينا المتقولين ما لم نقله أعداء لنا و أضر من عدونا المناصب لنا المباين بعدوا نكث ، هؤلاء يدخل من أجلهم الشبهة في أمرنا بما يظهرونه من تولينا " <sup>3</sup> ، و في موضع آخر ينقل إنكار المعز على داعيته في جزيرة نائية عندما ترك قومها الجحوس على ما هم عليه من استحلال محارم الله من نكاح ذوات المحارم و تناول ما لا يحل من المشارب و المطاعم <sup>4</sup> ، و في رواية أخرى عن المعز بنحوه يتبرأ من الدعاة الذين قتلهم جدّه عبيد الله <sup>5</sup> ، كما تبرأ أيضاً ممن نخله علم الغيب و نسب إليه نزول الوحي عليه <sup>6</sup> .

و المعز نفسه يغلو فيه شاعره و يضعه في مراتب الألوهية و النبوة و لا نعلم أنّه أنكر عليه شيئاً من شعره ، بل المشهور أنّ ابن هانيء كان شاعره و رفيقه في حله و ترحاله منذ قدومه عليه ،

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 282 .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 420 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 420 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 477 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 499 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 523 .

و قد أجاز أشعاره و رضيها ، و لما بلغه وفاته أسف عليه أسفا عظيما و قال : " هذا الذي كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك"<sup>1</sup> .

و إذا كان أئمة الإسماعيلية يتبرأون من ظاهر أفعال دعاة رافضين نسبتها إليهم و تحمل تبعاتها ، نجد المعز يُحمّل شيوخ كتامة مسؤولية أفعال أحداثهم ، فقد وقف إليه جماعة من الأولياء من كتامة بلغه عنهم فساد في ناحية ، فأمر بلشخاصهم إليه لذلك فجعلوا يعتذرون منه و يحلفون عليه ، فقال لهم قد صدقتم فيما قلتوه عن أنفسكم و لكن قد فعل ذلك أحداثكم و عبيدكم و من لا خير فيه ممن ينسب إليكم و أنتم تعلمون ذلك و لم تغيروه فأنتم بمنزلة من فعل ذلك ، و إن لم تتلافوا ذلك و تأخذوا على أيدي سفهائكم و إلا كنتم و هم في العقوبة سواء<sup>2</sup> .

إن ظاهرة غلو دعاة الإسماعيلية و استحلالهم المحرمات قد عمت مختلف أرجاء المناطق الخاضعة لسلطة الفاطميين رغم المعارضة الظاهرة لأئمتهم ، و لم يكن مؤرخو أهل السنة في وصفهم لأفعال هؤلاء الدعاة و الحمل عليهم مجانبين للحقيقة التي أكدتها كتب الظاهر الإسماعيلية ككتابات القاضي النعمان ، و في هذا رد على من يرمي أهل السنة بالتعصب عند تأريخهم لمخالفهم في الاعتقاد و المذهب .

و في أقصى المغرب ظهرت البجلية و هي جماعة من الشيعة نشأت في بلاد السوس قبل استيلاء المرابطين عليها في منتصف القرن 5هـ/11م بمدة طويلة ، و في ذلك الوقت كانوا قد أصبحوا على جانب كبير من الأهمية بحيث إن بلادهم كان هدفا لإحدى حملات المرابطين الأولى في المغرب سنة 448هـ/1056م و التي انتهت بالقضاء عليهم قضاء نهائيا<sup>3</sup> ، و مؤسس هذه الفرقة يدعى ابن ورسند البجلي<sup>4</sup> ، و آراؤه لا تبعد كثيرا عن عقائد الشيعة الإسماعيلية الذين كان نجمهم قد بدأ يسطع

<sup>1</sup> ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ترجم رقم 1128، ص 2667 .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 239 .

<sup>3</sup> و داد القاضي، الشيعة البجليّة في المغرب—رب الأقصى، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العـربي و حضارته، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الإجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، 1398هـ/1979م، ج1، ص 167 .

<sup>4</sup> ورد اسمه مختلفا في المصادر، فابن حزم يسميه الحسن بن علي بن ورسند ( ابن حزم، الفصل، ج5، ص 41 ) و أما ابن حوقل فيسميه علي بن ورسند ( ابن حوقل، مصدر سابق، ص 90 ) و أما البكري فيذكر أنّ اسمه محمد بن ورسند ( البكري، مصدر سابق ، ص 161 ) ، و رجحت الدكتورّة و داد القاضي في بحثها أنّ اسمه هو ابن ورسند البجلي ( و داد القاضي ، مرجع سابق، ص 171 ) .

في المغرب و إفريقية منذ سنة 280هـ / 893م عندما قدم أبو عبد الله الشيعي ممهدا لإقامة دولتهم بها<sup>1</sup> .

و من عقائد الشيعة البجلية ما دعاهم إليه مؤسسها من سب الصحابة رضوان الله عليهم و تحليل المحرمات و زعمهم أنّ الرّبا بيع من البيوع ، و زاده —م في الأذان بعد أشهد أنّ محمدا رسول الله أشهد أنّ محمدا خير البشر ثم بعد حي على الفلاح حي على خير العمل آل محمد خير البرية ، و ساقوا الإمامة في ولد الحسن لا في ولد الحسين<sup>2</sup> ، و حكم ابن حزم بكفرهم و قال إنّ صلاتهم خلاف صلاة المسلمين ، و لا يأكلون شيئا من الثمار ذلي أصله<sup>3</sup> .

و رغم وصول الدكتور و داد القاضي في بحثها عن البجلية إلى نتيجة مفادها أنّ هذا المذهب لا يبعد عن مذهب الإسماعيلية العبيدية ، لكنها تداركت حكمها بالقول إنّ ابن و رصند لا شك أنّه أراد أن يخفف من الأع لاء الشرعية التكليفية على من يدعوهم لكي ينال مزيدا من الأتباع ، و لا شك أيضا أنّ العديدين من الناس استجابوا له لأجل هذه الناحية من برنامجه<sup>4</sup> ، و هذا قول يجانب الصواب ، فإذا كان البجلية على عقيدة الإسماعيلية فإن ما يدعون إليه من عقائد و أحكام إنما هي جوهر دينهم الباطني .

و نادي بعض أقطاب الصوفية بشرب الخمر معرضين بالفقهاء مستهزئين بهم ، و غلاتهم يقولون أيضا بالظاهر و الباطن و لكنهم يغيّرون المصطلحات فقط فعندهم الشريعة و الحقيقة ، و من هؤلاء الصوفي الشهير أبو الحسن الششتري<sup>5</sup> ، حيث نظم دعواه إلى الإباحية في أبيات قال فيها :

<sup>1</sup> و داد القاضي، مرجع سابق، ص 186 .

<sup>2</sup> البكري، مصدر سابق، ص 161 .

<sup>3</sup> ابن حزم، مصدر سابق، ج5، ص 41 .

<sup>4</sup> و داد القاضي، مرجع سابق، ص 187 .

<sup>5</sup> أبو الحسن الششتري : علي بن عبد الله النميري الششتري من أهل ششت قرية من عمل وادي آش بالأندلس ، من الفقهاء المنقطعين و له معرفة بالحكمة و معرفة بطريقة الصوفية ، من شيوخه ابن سبعين ، له كتاب العروة الوثقى في بيان السنن و إحصاء العلوم ، و له المقاليد الوجودية في أسرار إشارات الصوفية ، توفي سنة 608هـ / 1211م ودفن بدمياط ( الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : محمد بن أبي شنب، دار البصائر -ر، الطبعة الأولى، 1427هـ / 2007م، ص 110 . ابن الخطيب، الإحاطة، ج4، ص 205 . د/ علي سامي النشار، أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال و أثره في العالم الإسلامي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مطبعة المعهد المصري، مدريد، العدد الأول، السنة الأولى، 1372 هـ / 1953م، ص 129 و ما بعدها ) .

طاب شراب المدام في الخلوات اسقني يا ندي —م بالآنجات  
 خمرة تركه—ا علينا ح—رام ليس فيها إثم و لا شبه—ات  
 عتقت في الدنان من قبل آدم أصلها طيب من الطيب —ات  
 أفتني أيه—ا الفقيه و قل لي هل يج —وز شرها في عرفات  
 أو يجوز الطواف و السعي فيهـا أو يجوز التسبيح في الصل —وات  
 فأجاب الفقيه—ه إن كان خم عنب فيه شيء من المسكوات  
 شرب—ه عندنا حرام يقينا زائد فيه شيء من الشبه —ات  
 آه يا ذا الفقيه لو ذقت منه—ا و سمعت الألمان في الخلوات  
 لتزكت الدنيا و ما أنت فيه و تعش هائما ليوم المهمات<sup>1</sup>

و يقول في أبيات أخرى ظاهرها انحلال و هي :

زارني من أحب قبل الصباح فح —لا لي تهتكلي و افتضاحي  
 و سقاني و قال نم و تسلي ما على من أحبنا من جن —اح  
 فأدر لكأس من أحب و أهوى فهوى من أحب ع —ين صلاح  
 له—و سقاها لميت لعاد حيي فهي راحي و راح—ة الأرواح  
 لا تلمني فلست أصغي لعذل لا و لو قطع الحشا بالصراح  
 ما أحيلي حديث ذكر حبيبي بين أهل الصفا و أهل الفلاح  
 فقد تجلى الحبيب في جنح ليلي و حب—اني بوصله للصباح  
 طاب وقتي و قد خلعت عذارى فاسقني بالكؤوس و الأقداح<sup>2</sup>

و منهم دعا إلى استحلال محارم الله و كان من المشهورين بالخلاعة و المجون بالأنـدلس  
 أبو جعفر أحمد بن طلحة الوزير الكاتب<sup>3</sup> ، و هو من أهـل جزيرة شقر<sup>4</sup> و يعرف بابن جدّه

<sup>1</sup> أبو الحسن الششتري، ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق و تعليق : د/ علي سامي النشار، دار المعارف، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1379هـ/1960م، ص 36 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 38 .

<sup>3</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج3، ص 309 .

<sup>4</sup> شقر: بفتح أوله وسكون ثانيه، و شقر جزيرة في شرقي الأندلس ( ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 354 ) .

طلحة ، كتب عن ولاية بني عبد المؤمن ثم استكتبه محمد بن يوسف بن هود ح —ين تغلبه على الأندلس<sup>1</sup> و يكون نائباً عن الوزير إذا غاب ، و آل أمره إلى أن فسد ما بينه و بين ابن هود و فر إلى سبتة ، فأحسن له ملكها الموفق الينشي<sup>2</sup> ثم بلغه أنه يكثر الوقوع فيه ، فرصده في شهر رمضان و هو يشرب الخمر و عنده عواهر<sup>3</sup> ، و قال أبياتا و هو على حال من الاستهتار في شهر رمضان داعيا إلى فجوره :

يقول أخو الفضول و قد رآنا	على الإيمان يغلبنا المـجـون
أنتهكـون شهر الصوم هـلا	حمـاه منكم عقل و دين
فقلت أصـب سواندا فنحن قوم	زنادقة مذاهبـنا فنون
ندين بكل ديـن غير دين	الرعاع فما بهـ أبدا ندين
فنحن على صفوح الدهر ندعو	و إبليس يقول لنـا آمين
آيا شهر الصبيـام إليك عنا	إليك ففيك أكفر ما نكون <sup>4</sup>

فأرسل إليه حاكم سبق من هجم عليه و هو على هذا الحال و أظهر رضا العامة بقتله سنة 631هـ/ 1233م<sup>5</sup> .

و الخلاصة أنّ استحلال المحرمات لم تكن ظاهرة متفشية في بلاد المغرب و الأندلس و إنما كانت مقتصرة على بعض الأفراد و الجماعات لا سيما دعاة الباطنية ممن يقسم الدين الإسلامي الخفيف إلى ظاهر و باطن أو شريعة و حقيقة ، و بأفعالهم و أقوالهم هذه أرادوا أن يمكنوا لمذاهبهم و أفكارهم التي لم تجد لها قبولا عند عامة المسلمين كحال الشيعة الإسماعيلية و الشيعة البجلية و بعض فرق الخوارج و غلاة الصوفية .

<sup>1</sup> ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 235 .

<sup>2</sup> الموفق الينشي : أحمد بن أبي الفضل أبو العباس الينشي المعروف بالموفق ، اشتغ —ل بالطب و اشتهر و كان يحدث نفسه بالملك ، خلع الموحد بن بمساعده ابن هود ثم خلع ابن هود أيضا و خطب لنفسه ، ثم خلعه أهل سبقو حمل إلى الرشيد بن المأمون الموحيدي و شاع أنه مات حتف أنفه بالوباء (الصفدي، مصدر سابق، ج7، ص ص 189-190) .

<sup>3</sup> ابن سعيد، مصدر سابق، ج2، ص 364 .

<sup>4</sup> ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 238 . المقري، مصدر سابق، ج3، ص 310.

<sup>5</sup> ابن الخطيب، مصدر سابق، ج1، ص 239.



## الفصل الثاني : السحر في بلاد المغرب والأندلس ( من القرن 1 هـ إلى 7 هـ / 7م - 13م ) .

- 1- تعريف السحر و حكمه .
- 2- أسباب انتشار السحر .
- 3- نماذج من الممارسات السحرية في بلاد المغرب و الأندلس .

## الفصل الثاني : السحر في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م-13م ).

لقد ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي الكثير من الانحرافات المنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة ، و لعل من أخطرهما ملهسة السحر و الشعوذة و ما ارتبط بهما من أعمال و أقوال ، و هذه أدنى دركات الجهل و الزندقة التي مارسها و لا يزال يمارسها كثير ممن ينتسب إلى الأمة المحمدية مغربا و مشرقا .

### 1- تعريف السحر و حكمه .

#### أ - تعريف السحر لغة و اصطلاحا :

**1 - تعريف السحر لغة :** قال ابن منظور : " السحر عمل تُقَرَّب فيه إلى الشيطان و بمعونة منه كل ذلك كينونة السحر ، و من السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أنّ الأمر كما يرى و ليس الأصل على ما يرى ، و السحر الأخذة . و كل ما لطف مأخذه و دقّ فهو سحر ، و الجمع أسحار و سحور ، و سحره يسحره سحرا و سحرا ، و رجل ساحر من قوم سحرة ، و سحّار من قوم سحّارين ، و السحر البيان في فطنة كما جاء في الحديث : " و إنّ من البيان لسحرا " <sup>1</sup> ، كان المعنى و الله أعلم أنّه يبلغ من ثنائه أنّه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر فكأنّه قد سحر السامعين بذلك . و قال الأزهري : و أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكأنّ الساحر لمّا رأى الباطل في صورة الحق و خيّل الشيء على حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه " <sup>2</sup> .

و في الصحاح للجوهري : " السحر الأخذة و كلّ ما لطف مأخذه و دقّ فهو سحر ، و قد سحره يسحره سح - را ، و سحره أيضا بمعنى خدعه و كذلك إذا علله و السحر مثله ، الساحر العالم " <sup>3</sup> .

و جاء في الفتح أنّ السحر يطلق على معان أحدها ما لطف و دقّ ، و منه سحرت الصبي خادعته و استملته ، و كل من استمال شيئا فقد سحره ، و منه إطلاقا الشعراء سحر العيون

<sup>1</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب إنّ من البيان سحرا، حديث رقم 5767، ج4، ص 49 .

<sup>2</sup> ابن منظور، مصدر سابق، ص 1951.

<sup>3</sup> الجوهري، مصدر سابق، ج2، ص 679 .

لاستمالتها النفوس ، و منه قول الأطباء الطبيعة ساحره ، و منه قوله تعالى : " بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ " <sup>1</sup> أي مصروفون عن المعرفة <sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> سورة الحجر، الآية 14 .

<sup>2</sup> ابن حجر، فتح الباري، ج10، ص 222 .

**أ2 - تعريف السحر اصطلاحاً :** قال الجصاص في أحكام القرآن : " إنّ السحر كل أمر خفي سببه و تخيل على غير حقيقته و يجري مجرى التمويه و الخداع ، و متى أطلق ذمّ فاعله " <sup>1</sup> ، و نفس التعريف ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره <sup>2</sup> ، فالسحر عندهما و من ذهب هذا المذهب يشمل كل ما خفي سببه ، سواء كان هذا الذي خفي سببه حيلة علمية أو خاصية لبعض المخلوقات أو كان تخيلاً و خداعاً ، و الأمر الذي له أثر في توجيه العلماء في تعريف السحر هذه الوجهة هو اعتقادهم بأن السحر لا حقيقة له <sup>3</sup> و لا تأثير له <sup>4</sup> لا في مرض و لا في قتل و لا في حل و لا في عقد و هذا مذهب المعتزلة و غيرهم ، و هذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة و السلف و اتفق عليه الفقهاء و أهل التفسير و الحديث و ما يعرفه عامة العقلاء <sup>5</sup> .

و قد ذكر الإمام القرطبي في الجامع أنّ أهل السنة ذهبوا إلى أنّ السحر ثابت و له حقيقة ، و ذهب عامة المعتزلة إلى أنّ السحر لا حقيقة له ، و إنّما هو تمويه و تخيل و إيهام لكون الشيء على غير ما هو به ، و أنّه ضرب من الخفة و الشعوذة كما قال الله تعالى : " يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى " <sup>6</sup> و لم يقل تسعى على الحقيقة و لكن قال الله تعالى : " يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ " ، و قال الله تعالى أيضا : " سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ " <sup>7</sup> و هذا لا حجة فيه ، لأننا لا ننكر أن يكون التخيّل و غيره من جملة السحر ، لكن ثبت وراء ذلك أمور جاوزة العقل و ورد بها السمع ، فمن ذلك ما جاء في الآية الكريمة من ذكر السحر و تعليمه ، و لو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه و لا أخبر الله تعالى أنّه يعلمونه النمل فدل على أنّ له حقيقة ، فهو مقطوع به بإخبار الله و رسوله على وجوده و وقوعه ، و على هذا أهل الحل و العقد الذين ينعقد بهم الإجماع ، و لقد

<sup>1</sup> الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ج1، ص51 .

<sup>2</sup> الرازي، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م، ج 3، ص222 .

<sup>3</sup> د/ عمر سليمان الأشقر، عالم السحر و الشعوذة، دار النفائى، الأردن، الطبعة الرابعة، 1422هـ/ 2002م، ص 72 .

<sup>4</sup> الزمخشري، الكشاف، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص306، هامش رقم 1 .

<sup>5</sup> ابن القيم ، التفسير القيم، جمع : محمد أويس الندوي، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 571 .

<sup>6</sup> سورة طه، الآية 66 .

<sup>7</sup> سورة الأعراف، الآية 116 .

شاع السحر و ذاع في سابق الزمان و تكلم الناس فيه و لم يبد من الصحابة و لا من التابعين إنكار لأصله<sup>1</sup> .

و عرّف ابن قدامة السحر بأنّه عقد و رقى و كلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له و له حقيقة ، فمنه ما يقتل و منه ما يمرض و ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ، و منه ما يفرّق بين المرء و زوجته و ما يبغض أحدهما الآخر أو يجبّب بين الإثنين<sup>2</sup> .

و يعتبر ابن خلدون دون منازع من أبرز علماء المسلمين الذين طرحوا سؤال السحر و وقفوا عنده ملياً و حفروا في قعر مكوناته و تأملوا في خباياه تأملاً عميقاً ، و قد أسس ابن خلدون سؤاله على قاعدة من المعطيات تمكن من الحصول عليها ليس فقط من خلال النصوص المكتوبة و لكن أيضاً من خلال اعتماده على الميدان الذي يقتضي الحضور و المشاهدة و المعاينة و اللقاء و الحوار مع السحرة أنفسهم ، فضلاً عن التقاطه للمعلومات التي كان يسّمعها حول مجال السحر ، متتبعا كل ذلك بالفحص و المقارنة بين الظواهر الغيبية المتشابهة ، و هذه الطريقة المتنوعة المصادر جعلت تفكيك ابن خلدون للظاهرة السحرية يسير وفق سياقات جادة و متميزة و لو أنّها لم تخرج عن دائرة التأمّلات المستوحاة من القرآن الكريم و الحديث و المألوف من تخريجات من سبقه من العلماء ، إلا أنّها تفردت بالتأمل و الفحص و التحليل<sup>3</sup> .

و قال ابن خلدون في المقدمة معرّفاً علوم السحر و الطلسمات : " إنّها علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في علم العناصر ، إمّا بغير معين أو بمعين من الأمور السمّ—اوية ، و الأول هو السحر و الثاني هو الطلسمات ، و لمّا كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر و لما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس"<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> القرطبي، الجوامع لأحكام القرآن، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، ج2، ص 276 .

<sup>2</sup> ابن قدامة المقدسي، المغني شرح مختصر الخرقي، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي و د/ عبد الفتاح محمد الحلو، ع لم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1997م، ج12، ص 299 .

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، سؤال السحر عند ابن خلدون ، ملتقى ابن خلدون ناظراً و منظوراً إليه ، 25-26 شوال 1427هـ/ 16-17 نوفمبر 2006م، جمع النصوص و أشرف عليها : محمد حسن ، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، ص 118 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 655 .

و يستشف من هذا التعريف أنّ الصيغة التي جاء بها مصطلح علوم وردت في صيغة الجمع ، بمعنى أنّها مجموعة من الآليات التي تجعل النفس تكتسب سلطـة تستطيع بموجبه — أن تؤثر في العالم و تغيره إما بغير واسطة أو بواسطة الكواكب أو النجوم إذا تعلق الأمر بالطلاسم<sup>1</sup> .

و يقسم ابن خلدون السحر إلى ثلاث أقسام و هي :

- الأول : هو المؤثر بالهمة فقط من غير آلة و لا معين و هو الذي تسميه الفلاسفة السحر.

- الثاني : الذي يسمونه الطلسمات و يكون بمعـين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ، و هو أضعف رتبة من الأول .

- الثالث : هو تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف بها بنوع من التصرف و يلقي فيه أنواعا من الخيالات و المحاكاة و صورا ممّا يقصده من ذلك ثم يؤولها إلى الحس من الرأين بقوة نفسه المؤثرة فيه ، فينظر الراؤون كأنّه في الخارج و ليس هناك شيء من ذلك ، كما يحكى عن بعضهم أنّه يرى البساتين و الأنهار و ليس هناك شيء من ذلك ، و يسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة<sup>2</sup> .

و يقرّ ابن خلدون بحقيقة السحر و يرى أنّ وجوده لا مربة فيه بين العقلاء و قد نطق به القرآن ، قال الله تعالى : " وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ "<sup>3</sup> ، و سحر رسول الله حتى يخيل إليه أنّه يفعل ، و جعل سحره في مشطه و مشاقه و جف طلعة و دفن في بئر دروان ، فأنزل الله المعوذتين " وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ "<sup>4</sup> ، و قالت عائشة رضي الله عنه — : كـ — ان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 120.

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 656 .

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 102 .

<sup>4</sup> سورة المسد، الآية 4 .

انخلت<sup>1</sup> ، و أما وجود السحر في أهل بابل و هم الكلدانيون من النبط و السريانيين فكثير و نطق به القرآن ، و كان للسحر ببابل و مصر أزمان بعثة موسى عيه السلام أسواق نافقة<sup>2</sup> .  
و عزّف علماء معاصرون السحر بأنّه عبارة عن أمور دقيقة موعلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعليم تجري مجرى التمويه و الخداع تصدر من نفس شريرة من عالم بالعناصر بغير مباشرة أو بالمباشرة<sup>3</sup> .

---

<sup>1</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب السحر، حديث رقم 5766، ج4، ص 49 . مسلم، الصحيح، كتاب السلام، باب السحر، حديث رقم 2189، ص 900 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 657.

<sup>3</sup> عمر عدنان خماس، أحكام السحر و علاجه في الإسلام ، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، بغداد، الإصدار 30، 1433هـ / 2012م، ص 128 .

**ب - حكم السحر:** قال ابن قدامة : " إنَّ تعلم السحر و تعليمه حرام لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم ، قال أصحابنا و يكفر الساحر بتعلمه و فعله سواء اعتقد بتحريمه أو إباحته ، و روي عن أحمد ما يدل على أنه لا يكفر ، فإنَّ حنبلا روي عنه قال : قال عمي في العراف و الكاهن و الساحر أرى أن يستتاب من هذه الأفاعيل كلها فإنَّ هـ عندى في معنى المرتب ، فإن تاب و رجع خلي سبيله ، قلت له : يقتل ؟ قال : لا ، يحبس لعله يرجع ، قلت له : لم لا نقتله ؟ قال : إذا كان يصلي لعله يتوب و يرجع . و هذا يدل على أنه لم يكفره لأنَّه لو كفره لقتله ، و قوله في معنى المرتب يعني في الاستتابة"<sup>1</sup> ، و هذا مذهب الحنابلة .

أما مذهب الأحناف أصحاب أبي حنيفة فيقولون إن اعتقد الساحر أنَّ الشياطين تفعل له ما يشاء كفر و إن اعتقد أنَّه تخيـل لم يكفر ، و نفس القول تقريبا ذهب إليه الإمام الشافعي الذي قال : " إن اعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلى الكواكب السبعة و أنَّها تفعل ما يلتمس أو اعتقد جلَّ السحر كفر لأنَّ القرآن نطق بتحريمه و ثبت بالنقل المتواتر و الإجماع عليه ، و إلا فسق و لم يكفر"<sup>2</sup>.

و أمَّا عند المالكية فقد قال محمد بن رشد في البيان و التحصيل ما يلي : " السحر كفر و هو بمنزلة الزندقة ، فقول مالك و أصحابه إنَّ الساحر كافر بالله فإذا سح — هو بنفسه فإنَّه يقتل و لا يستتاب ، و السحر كفر ، قال الله تعالى " **إِنَّهُمْ نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ** "<sup>3</sup> ، و قال مالك : هو كالزنديق إذا عمل السحر هو بنفسه ، قال الله تعالى : " **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ** "<sup>4</sup> ، و قد أمرت حفصة أم المؤمنين بجارية لها سحرها أن تقتل فقتلت"<sup>5</sup> .

و عن ميراث الساحر ذكر المالكية أنَّه كالزنديق ميراثه لورثته من المسلمين ، و إن كان للسحر مظهرها و للزندقة فإن لم يتب قتل و كان ماله في بيت المال و لا يصلى عليه بحال ، و أما الذي يُسرُّ ذلك إذا قتل فيرثه ورثته و لا يأمرهم بالصلاة عليه فإن فعلوا فهم أعلم ، و يقتل الساحر إن كان من أهل الذمة إلا أن يكونوا أدخلوا بسحرهم ضررا على المسلمين فيكون نقضا للعهد ، فإن تاب فلا

<sup>1</sup> ابن قدامة، مصدر سابق، ج12، ص 300.

<sup>2</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 102.

<sup>4</sup> سورة البقرة الآية 102 .

<sup>5</sup> ابن رشد الجد، مصدر سابق، ج16، ص 443.



توبة له إلا بالإسلام ، و قال مالك : " و إن سحر بذلك أهل ملته فليؤدب إلا أن يقتل أحد ا فيقتل به ، و أما الساحر من المسلمين فيقتل سحر مسلماً أم ذمياً" <sup>1</sup> .

و قال ابن خلدون إنّ السحر يكون بالتوجه إلى الأفلاك و الكواكب و العوالم العلوية و الشياطين بأنواع التعظيم و العبادة و الخضوع و التذلل ، فهي لذلك وجهة إلى غير الله و الوجهة إلى غير الله كفر، فلهذا كان السحر كفراً و الكفر من مواده و أسبابه ، و لهذا اختلفت الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالفساد و ما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان و الكل حاصل منه <sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 657.

## 2- أسباب انتشار السحر :

وجدت المجتمعات و الحضارات القديمة في ممارسة السحر ما ينعش معتقداتها و ما يجيب عن أسئلتها الكثيرة فالفراعنة مثلا عرفوا منه صنفين الأول سح —ر سري يعتمد الطلاسـم و السموم و الثاني سحر رسمي يجسده الكهنة ، و منه القدرة على الإحياء و الإماق، و من أقوى المعتقدات التي ارتبطت به في بعض المجتمعات البدائية أنه كان يتصور أنّ الناس يموتون من تأثيره ، كما تحدث البعض عن الموت الخرافي و هو الموت الناجم عن الخوف من السحر، إذ يتحول الاعتقاد في الموت بالسحر إلى سبب حقيقي و مباشر لحدوث الموت ، إذ لا تجدي الأدوية أو العلاج الطبي<sup>1</sup> .

و في العالم الإسلامي مشرقا و مغربا و رغم الأحكام الشرعية القاسية و التي وصلت إلى حد التكفير و ما يترتب عليها من القتل ، فإنّ السحرة و المشعوذين لم يتوقفوا عن ممارسة الدجل و لا توقف العوام و غيرهم عن التوجه إليهم لطلب النفع و دفع الضرر، فما الذي حمل هؤلاء و أولئك إلى اللجوء إلى هذه الممارسات المذمومة و القبيحة في نظر الشارع الحكيم و العقل القويم ؟

من العوامل التي تدخلت لتساهم في تكريس الفكر السحري بالمغرب على الخصوص ترسبات بعض المعتقدات القديمة التي تتفاعل مع مظاهر السحر و الشعوذة ، فمن خلال استقراء الماضي يتضح أن ثمة ديانات وثنية و معتقدات خرافية طغت على عقلية السكان<sup>2</sup> ، بعضها وثني محلي و بعضها معتقدات طرأت عليهم من الشرق ، فمن معتقداتهم الإيمان بالروحانيات التي تتمثل صورتها في وجود أرواح كالجن مثلا في العناصر الطبيعية من عيون و أحجار و جبال و أشجار و أطلال و غيرها ، و لا تزال قبائل كثيرة تعظم حرمان هذه العناصر و تقيم لها مواسم سنوية و تحج إليهـا حجا ، و كانوا أيضا يؤلمون بعض الحيوانات إما بداع محلي أو بداعي التقليد لبعض الشعوب التي كانت تجاورهم كقدماء المصريين<sup>3</sup> .

كما أسهم الجهل بقسط وافر في تكريس الاعتقاد بالسحر ، و في هذا الشأن يذكر البكري أنّ يونس بن إلياس البرغواطي عظم عند قومه بما كان يخبرهم به من أشياء قبل كونها مما تدل عليه

<sup>1</sup> عبد الهادي أعراب ، اللبوس الديني للممارسة السحرية بالمغرب سحر الفقيه نموذجا ، هيسبريس تمودا، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، عدد44، الرباط، 1429هـ / 2009م، ص12 .

<sup>2</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، الفكر السحري و العرافة بالمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب و الأندلس الروافد و المعطيات، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الأدب و العلوم الإنسانية، تطوان 5-7 ذي القعدة 1413هـ / 26-28 أفريل 1993م، ص 346 .

<sup>3</sup> عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 286 .

النجوم فتكون على ما يقول أو قريبا منه ، و عندما أدرك ضعف ح لومهم و سخافة عقولهم أظهر ديانتته<sup>1</sup> ، و كان صالح بن طريف جدّه عندما قدم المغرب و نزل بلاد تامسنا وجد بها قوما من البربر جهالا فأظهر لهم الإسلام و الزهد و الورع و أخذ بعقولهم<sup>2</sup> ، و كذلك غمارة حيث ظهر حاميم المفترى المتنبى ، فقد ذكر عنهم ابن خلدون أنّهم كانوا عريقين في الجاهلية بل الجهالة و البعد عن الشرائع بالبدواة و الإنتباز عن مواطن الخير<sup>3</sup> ، و قد استغل محمد بن تومرت هذه الأجواء حيث يسود الجهل في بلاد المغرب و خاصة في منطقة الروس التي قيل في شأنها إنّها بقدر ما تنتج فقهاء و علماء في الدين بقدر ما تنتج سحره ماهرين<sup>4</sup> ليمرر مخططاته لتصفية الدولة المرابطية عبر مجموعة من الحيل و المناورات و التموهيات و الأوهام التي انطلت على العامة<sup>5</sup> .

و قد أعطى الجهلاء من الناس السحرة دوافع لمزيد من التوجه نحو هذا الشر الكبير ، و ذلك لأنّ كثيرا من الناس يمجّلون السحرة و يعظمونهم و يلجأون إليهـم لتحقيق رغباتهـم و أهوائهـم ، و في سبيل ذلك يبذلون لهم نفائس الأموال<sup>6</sup> .

و ربط ابن خلدون بين ممارسة السحر و الحاجة إلى كسب المال بطلب كنوز الأمم السابقة ، فذكر أنّ الذي يحمل على ذلك - أي ممارسة السحر - زيادة على ضعف العقل إنّما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة و الفلح و الصناعة ، فيطلبونه بالوجوه المنحرفة و على غير المجرى الطبيعي عجزا عن السعي في المكاسب و ركونا إلى تناول الرزق من غير تعب و لا نصب في تحصيله و اكتسابه ، و لا يعلمون أنّهم يوقعون أنفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب و متاعب و جهد شديد أشد من الأول ، و يعرضون أنفسهم مع ذلك لمنال العقوبات<sup>7</sup> .

و هذرحال السحرة فإنّهم دائما يعملون على كسب المال باستغناء الغوغاء و العامة من الناس بما يوهمونهم به من قضاء مصالحهم و تحقيق أمانيتهم و غير ذلك من الباطل.

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص 138 .

<sup>2</sup> ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 130 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 288 .

<sup>4</sup> عبد الهادي أعراب، مرجع سابق، ص 11 .

<sup>5</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 347 .

<sup>6</sup> د/ عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص 83 .

<sup>7</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 483 .

كما أنّ الساحر و من يقصده يدفعهم حب الشر و الرغبة في إيـذاء الآخرين و تدميرهم و السيطرة عليه—م ، و في سبيل ذلك يتحالفون مع الشيطان و يدمرون أنفسهم كما يدمرون غيرهم<sup>1</sup> ، فالساحر لا يصدر منه الخير و لا يستعمل في أسبابه<sup>2</sup> .

و الثمن الذي يدفعه السحرة لقاء السحر الذي يحصلون عليه ثمن كبير باهض ، فهم يدفعون أنفسهم فلا يرضى الشيطان بأقل من العبودية ، و إذا دان العبد للشيطان فلنّ نفسه تصبح خبيثة و قلبه مظلما و أخلاقه فاسدة و تصرفاته معوجة هوجاء ، فتدّراه دائما يغرس الشر حيث حل و يشع في كل مكان وصل إليه خبث نفسه و سوء سلوكه ، و قد يرتكب في سبيل إرضاء نفسه الخبيثة و أهوائه الدنيئة كل الحماقات و الشراكيات ، فيدعو من دون الله آلهة شتى و يرتكب الموبقات و يئكل النجاسات و المحرمات و يذبح الذبائح و يقرب القرابين باسم الشيطان أو باسم الآلهة التي تعبد من دون الله<sup>3</sup> .

و إذا كان الساحر قد يحاط بهالة تقديسية يجعله مركزا في مجموعة البشر التي ينتمي إليها وتؤلف بينهم و بينه علاقات طاعة و ولاء بل إنّه يحاط بإعجاب كبير<sup>4</sup> ، فإنّ هذا كله قد يتحول إلى احتقار و مهانة ، فكثيرا ما يثور الناس عليه إذا تبين لهم كذبه أو عدم استطاعته تحقيق ما وعدهم بتحقيقه ، و يكون ثمن ذلك هو القضاء عليه<sup>5</sup> .

و ممّا زاد من ارتباط الفئات الدنيا بالمشعوذين و الدجالين انخراط النخبة المقفّة عن قصد أو غير قصد في تشجيع الذهنية الساذجة من خلال التنظير و التععيد للفكر التنجيمي ، فاتسعت بذلك دائرة التعليل الخرافي في صفوف العوام ، فكانت سذاجتهم تجعلهم يصدّقون كل شيء مهما كان مستحيلا لأنّ العامة تجهل نواميس الطبيعة<sup>6</sup> ، و ألقت الآفات و الكوارث الطبيعية بشرائح واسعة من العوام في دوامة الممارسات السحرية الخرافية العارية من كل منطق علمي ، وليس من الإنصاف حصر هذه الذهنية في صفوف هذه الشريحة فقط ، و إنّما استأثرت بها بعض الخاصة من مثقفين و خلفاء

<sup>1</sup> د/ عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص 83 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 663 .

<sup>3</sup> د/عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص 85 .

<sup>4</sup> المبروك المنصوري، مرجع سابق، ص 90 .

<sup>5</sup> د/عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص 85 .

<sup>6</sup> د/ عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية و أثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس (ق6-8هـ/ 14-12م)، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م، ص 139 .

و وزراء و ولاية و علماء أيضا ، و أحاطوا ممارساتهم السحرية التنجيمية بسرية تامة خوفا مما يترتب عن إعلانها من مشاكل دينية و اضطرابات اجتماعية يتعذر إخمادها في حال اندلاعها<sup>1</sup> .

و استعمل السحر بغرض التقرب إلى السلاطين و خدمتهم لما في ذلك من منافع كبيرة و امتيازات يتمتع بها من يصل إلى هذه المراتب ، و قد ذكر ابن خلدون طقسا سحريا يمارس لبلوغ الغاية ، إذا أمسكهم ممارسه يصير إليه من العز على السلاطين في مباشرتهم و خدمتهم و تسخيرهم له ما لا يعبر عنه ، و كذلك للسلاطين فيه من القوة و العزة على من تحت أيديهم<sup>2</sup> ، ثم ذكر ابن خلدون طقسا سحريا آخر زعموا حسبه أن له أثرا في صحابة الملوك و خدمتهم و معاشرتهم<sup>3</sup> .

كما أسهمت الأنظمة الحاكمة في تغذية العقلية السحرية التنجيمية من خلال تقريب المنجمين حرصا منهم على معرفة أسرار الغيب و كشف الطالع و قراءة القرانات ، بحيث قلما كان يخلو مجلس أمير أو خليفة من منجم أو زاجر أو راصد يزعم الأخبار بسعد أو نحس القابل من الأيام<sup>4</sup> ، و قد تكون انشغالات العامة بخرافات الدجل و الشعوذة بتخطيط مبيت من قبل السلطة لامتنعاص غضبهم و تحريفه عن وجهته في المطالبة بحقوقهم ، لأن السلطة خير من يعلم مدى سخطهم على تردي الأوضاع<sup>5</sup> .

---

<sup>1</sup> نفسه، ص 140 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 659 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 660 .

<sup>4</sup> د/ عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 130 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 141 .

### 3 - نماذج من الممارسات السحرية في بلاد المغرب و الأندلس :

يمثل السحر إحدى الممارسات القديمة قدم الإنسان في هذه الأرض حيث كان حاضرا في جل المجتمعات ، فقله ينتشر انتشارا واسعا أحيانا و قد ينحسر في أحيان أخرى ، فإذا كانت الحضارة المصرية مثلا قد راجت فيها بضاعة السحر و كان من العلوم المحموده عندهم فإنّ الحضارة الإسلامية عملت على محاربتة و نبذه و التبرؤ من السحرة و أعمالهم لما تسببه من أضرار كثيرة تلحق المجتمع المسلم أفرادا و جماعات ، و هذا ما يعارض مقاصد الشريعة الإسلامية و التي من أهمها الحفاظ على النفس البشرية .

و بلاد المغرب لم تكن بمعزل عن الممارسات السحرية التي انتشرت في أرجائها لا سيما أقصاها رغم انتشار الإسلام فيها ، و الواضح أنّ البربر عرفوا السحر منذ أزمنة بعيدة و إن بأشكال مختلفة ، يمتزج فيها البعد التعبدى و الطقوسى و الإحيائى ، كما تمتزج داخلها معتقدات البربر القديمة<sup>1</sup> .

و تعتبر الكاهنة من أقدم الشخصيات التاريخية في بلاد المغرب التي ارتبط اسمها — بالسحر و الكهانة ، و هي على وصف أحد المؤرخين امرأة عجبية تختلط في أخبارها لغرابتها الحقيقة بالأسطورة<sup>2</sup> ، و اسمها — دهيا بنت ثابت بن نيعان بن بارو بن مصكسري بن أفرد بن وصيلا بن جراو ، و كان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم و ربوا في حجره — ، فاستبدت عليهم و على قومه ا بهم و بما كان لها من الكهانة و المعرفة بغيب أحوالهم و عواقب أمورهم<sup>3</sup> ، و أما ما يقال إنّها كانت يهودية و أنّ اسمها ديورا و هذا اسم يهودي ، فهذا لم تشر إليه النصوص و لم يثبت له دليل رغم ما هو معروف من أنّ الأفكار اليهودية عرفت بالمغرب منذ العهد القديم<sup>4</sup> ، و لم يجزم ابن خلدون في هذه المسألة حيث قال : " و كذلك ربما كان بعض هـ —ولاء البربر دانوا باليهودية أخـذوه عن بني إسرائيل عند استفح —ال ملكه —م لقرب الشام و سلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مـقتولة العرب لأول الفتح"<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> عبد الهادي أعراب، مرجع سابق، ص 11 .

<sup>2</sup> عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 377 .

<sup>3</sup> ابن خلدون، العبر، ج7، ص 12 .

<sup>4</sup> عباس كريم عبد، الكاهنة الزناتية و دورها في المقاومة في بلاد المغرب العربي ، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، بابل، العدد 3، جمادى الآخرة-رجب 1431هـ/حزيران -جوان 2010م، ص 48 .

<sup>5</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 140 .

فالمسألة غير محققة إذا ، و كل ما يمكن أن ننتهي إليه أنّها كانت مسؤولة كبرى في حماية التبو ، و يغلب على الظن أنّها خبيرة بطقوس السحر و الشعوذة ، و لعل أساليب الكهانة اليهودية قد أثرت عليها تأثيـرا كبيرا خصوصـا و أنّ اليهـودية التي وصلت إلى بلاد المغرب من الجهات الجنوبية و الشرقية منذ القرن الثاني الميلادي و لعله ـا قد وجدت في قبيلة الكاهنة مجـا ـالا للإنتشار ، و هذا الدور هو الذي أظهره ـا في بعض المصـادر الإسـلامية بمظهـر اليهودية ، و أقصوى ما يعتمد عليه في هذا التخريج و هو أنّ الأحداث التي تدور بين الكاهنة و قادة الفتح الإسلامي و خاصة حسان بن النعمان لم يظهر فيها الصراع بين اليهودية و الإسلام ، و إنّما ظهر بين التقاليد المحلية و المجتمع الإسلامي الجديد<sup>1</sup> .

و بعد انتشار الإسلام في بلاد المغرب بقي السحر حاضرا رغم تحريمه في شريعة الإسلام ، و يعدّ صالح بن طريف من الذين اشتهروا بالسحر و الشعوذة فضلا عما ادعاه من النبوة و الهداية ، حيث ذكر ابن أبي زرع أنّـه اشتغل بالسحر فجمع منه فنونا كثيرة استغله إلى جانب جهل برابر تامسنا و إظهاره الإسلام و الزهد و الورع لهم في استمالة قومه ، كما أراهم من نيرجه و تمويهاته فاستغواهم بذلك فلقرّوا بفضلـه و اعترفوا بولايته<sup>2</sup> .

و انتشر السحر في منطقة غمارة أيضا موطن حاميم المفترى فهو من عائلة متضلّعة في الشعوذة ، فقد كانت عمته ساحرة و هي التي ذكرها في كلام ـه الذي زعم أنّه قرآن " وآمنت بتانفيت عمّة حاميم أخت أبي خلف من الله " ، و أيضا أخته و اسمها دبو كانت هي الأخرى ساحرة كاهنة من أجمل الناس ، و كانوا يستغيثون بها في كل حرب و ضيق و يزعمون أنّهم يجـدون نفعها<sup>3</sup> ، و إلى عهد ابن خلدون في القرن الثامن الهجري و مطلع القرن التاسع لا يؤل غمارة ينتحل أهلها السحر حيث يقول : " و مازالوا يفعلون السحر لهذا العهد ، و أخبرني المشيخة من أهل المغرب أنّ أكثر منتحلي السحر من النساء العواتق ، قال : و لهم علم استجلاب روحـانية ما يشاءونه من الكواكب ، فإذا استولوا عليه و تكنفوا بتلك الـروحانية تصرفوا منها في الأكوان بما شاءوا و الله أعلم " <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> هاشم العلوي القاسمي ، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4هـ/10م، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب)،

1415هـ/1995م، ج1، ص 160.

<sup>2</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 130 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص 100 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 288 .

و من السحرة المشهورين في هذه المنطقة رجـل يعرف بابن كسية في بعض جبال محكسة ،  
و كان أهل موضعه يسمعون منه و لا يعصونه طرفة عين ، و إذا عصاه أحد أو خالفه حوّل كساه  
الذي يلتحف به فتصيب ذلك الرجل عاهة لحينة أو جائحة ، و إن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك ،  
و كان يَحْيَلُ إليهم كأنّ برقة تلوح من تحت كسائه ، و لبيّهي تلك الناحية منزلة و مزية و حظوة  
على سواهم<sup>1</sup> .

ومن الأعاجيب التي ذكرها البكري في منطقة غم -ارة امرؤ بوحلاوت- هكذا ورد- و كان  
في بني شدا منهم ، و كان معه عدل مملوءة برؤوس الحيوان و أنيابها قد نظمها -ا في حبل و اتخذها  
كالسبحة ، فإذا سأله أحد عن شيء من الحد ثان و ما هو كائن علق منه ذلك السبحة و قلده  
إياها ، ثمّ قلقها عليه و انتزعها و جعل يشمها قطعة قطعة إلى أن تمسك في يده ما أمسك منها ، ثمّ  
طفق يخبره خبره و ما الذي سأل عنه و عمّا يدور له من مرض أو موت أو ربح أو خسران أو إقبال  
أو إدبار أو عبرة أو غير ذلك ، فلا يكاد يخطئ<sup>2</sup> .

و يواصل البكري الكلام عن غمارة و سحرها فيقول إنّ عندهم قوما يعرفون بالرقادة ، و هم  
في وادي لو عند بني سعيد و عند بني قطيطن و عند بني يروتن ، يغشي على الرجـل منه -م يومين  
و ثلاثة فلا يتحرك و لا يستيقظ و لو بلغ به أقصى مبلغ من الأذى و لو قطع قطعاً ، فإذا كان بعد  
ثلاثة من غشيته استيقظ كالسكران ، و يكون يومه ذلك كالواله لا يتجه لشيء ، فإذا أصبح في  
اليوم الثاني أتى بعجائب ممّا يكون في ذلك العام من خصب أو جـدب أو حـرب أو غير ذلك ،  
و هذا أمر مستفيض<sup>3</sup> .

و من النساء الشهيرات في تاريخ بلاد المغرب خلال العصر المرابطي زينب بنت إسحاق  
الحواري رجل من التجار أصله من القيروان ، و كانت امرأة حازمة لبية ذات رأي و عقل و جزالة  
و معرفة بالأمور حتى كان يقال لها الساحرة ، و كانت أول أمرها زوجة الأمير أبو بكر بن عمر  
اللمتوني قائد المرابطين بعد وفاة عبد الله بن ياسين ، و بعد اختلال أحوال الصحراء عزم أبو بكر  
على الخروج إليها للجهاد فطلق زينب و أوصاها أن تتزوج ابن عمّه يوسف بن تاشفين الذي اتفق  
على تقديمه أشيـاخ المرابطين لما يعلمون من دينه و فضله و شجاعته و عدله و ورعه ، فتزوج

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص 101.

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>3</sup> نفسه، ص 102 .



يوسف زينب ، فكانت القائمة بملكه و المدبرة لأمره و القائمة بسياستها أكثر بلاد المغرب إلى أن توفيت سنة 464هـ/1071م<sup>1</sup> .

و السؤال الذي يطرح حول هذه المرأة هو : هل يحمل وصفها بالساحرة على جمالها و تمكنها من الزواج بأكبر زع يمّين للمرابطين في بداية دولتهم فسحرتهمما بجمالها و رجاحة عقلها ؟ أم كانت ساحرة على الحقيقة تم -ارس الدجل و الشعوذة فتمكنت بواسطته من السيطرة على هاذين الرجلين ؟

قبل الإجابة على هذه التساؤلات لا بأس من إيراد رواية ابن عذارى التي لا تزيد هذه المرأة إلا غرابة في أمرها و نصه كما يلي : " و في سنة 460هـ/1067م استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر و طاعت له البلاد و وجه عماله إليها ، و كان مستوطنا بأغمت<sup>2</sup> و كانت بها امرأة جميلة تعرف بزينب النفراوية قد شاع ذكرها و أمرها في قبائل المصامدة و غيرها ، فكان يخطبه -أشياخه- و أمراؤهم فتمتنع لهم و يقول لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله فكانوا يرمونها بالحرق ، و كان لها أخبار مستظرفة غريبة كمثّل أخبار الكهنة ، فلهعض يقولون إنّ الجنّ يكلمها و الهعض يقولون هي ساحرة و الهعض يقولون كاهنة ، فأعلم بجمالها الأمير أبو بكر فخطبها و تزوجها فوعده بمال كبير تخرجه له ، ثمّ أدخلته في دار تحت الأرض معصب العينين ثمّ أزال العصابة ففتح عينيه فرأى بيوتا فيها ذهب كثير و فضة و جواهر و يواقيت فعجب من ذلك أبو بكر بن عمر كل العجب لما عاين من الذخائر و الذهب و الفضة ، فقالت له زينب : هذا كله مالك و متاعك أعطاك الله إياه فصرفته الآن عليك ، و كان رؤيته له بضوء الشمع ، ثمّ أخرجته معصب العينين من ذلك الموضع كما أدخلته فيه ، فلا علم من أين دخل و لا من أين خرج ، و كان دخوله معرسل زينب في شهر ذي القعدة من عام 460هـ/سبتمبر1068م ، و كانت هذه المرأة موسومة بالجمال و المال ، و كان لها محاسن و فضال محمودة و روية ، فقيل و الله أعلم أنّ الجن كانت تحدّثها و قيل غير ذلك"<sup>3</sup> .

و قد رجح الدكتور بوتشيش القول بأنّها سميت بالساحرة لممارستها أعمال السحر ، شفيح ه في ذلك رواية ابن عذارى هذه و التي وصفها بأنّها نص غني عن كل بيان ، و كذلك أضاف بأنّ بعض الأميرات المرابطيات لم تكن أقل منه -الجمالا و فطنة و رغم ذلك لم يطلق عليهنّ هذا

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 134 .

<sup>2</sup> أغمت : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراکش ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 225 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 18 .

الوصف ، و زاد أنّهم يَعْزّز هذا الظن رواية تذكر أنّه كان لزَيْنْب هاته كهف يحتوي على كمية من الأمّـوال و الكنوز و قد اطلعت عليه يوسف بن تاشفين<sup>1</sup> .

و رواية ابن عذارى فيها كثير من الخيال و البعد عن الواقع خاصة القول بأن لها دارا تحت الأرض فيها من الكنوز و الذخائر الشيء الكثير و أنّ زوجها أبا بكر بن عمر لم تعلمه مكان هذه الدار ، و ساير الدكتور بوتشيش هذا الخبر الخيالي و جعل الدار كهفا أطلعت عليه زوجها الثاني يوسف بن تاشفين ، و هذا ما يدفعنا للطعن في رواية ابن عذارى هذه خاصة إذا علمنا أنّ المرابطين كانوا من أشد الناس محاربة للشرك و مظاهره منذ خروجهم الأول من الصحراء بقيادة عبد الله بن ياسين ، فلا يستقيم أن يتزوج قادتهم الكبار أبو بكر بن عمر ثمّ يوسف بن تاشفين ساحرة كاهنة ، و إذا سلمنا بأنّها كانت ساحرة فإنّ ذلك ربما كان قبل زواجها بزعيمة المرابطين ثم تابت عن سحرها بعد هذا الإرتباط ، و نضيف أمرا آخر في غاية الأهمية و هو أنّ البكري الأقرب و المعاصر للمرابطين و رغم ذكره لكثير من أخبار السحرة و المشعوذين في عصره و قبله لم يذكر زينب هذه ، و قد يعترض معترض فيقول إنّ البكري كان مواليا للمرابطين فأعرض عن ذكر هذه المرأة لمكانتها السامية عند القوم آنذاك ، و يردّ على هذا الاعتراض بأنّ البكري لم يتردد في كتابه عن ذكر شيء من جهل زعيم المرابطين الأول و قائدهم الروحي عبد الله بن ياسين<sup>2</sup> ، و قد تكون هذه القصة من وضع الموحدين لتشويه تاريخ زعماء المرابطين .

و عندما ذكر الحسن الوزان مدينة أغمات ذكر أنّ نهرها يصل إلى مراكش ، يؤخذ بالقرب من أغمات و يتابع جريانه في قنوات تحت الأرض ، و قد أمر عدد من الملوك بالبحث من أين يأتي هذا الماء إلى مراكش ، فدخل بعض الأشخاص إلى القناة من النقطة التي يصل إليها الماء و في أيديهم مشاعل يستضيؤون بها ، و لما قطعوا بعض المسافة في القناة أحسوا بهبوب ريح شديدة أطفأت مشاعلهم و لها من القوة ما خيّل إليهم أنّه لا عهد لهم بمثلها ، و تعرضوا أكثر من مرة لخطر عدم إمكان الرجوع إلى وراء ، لأنّه بالإضافة إلى ذلك كان مجرى الماء مسدّ ودا بكتل حجرية ضخمة ينكسر عليها الماء ليمر من هذه الجهة و تلك ، و لم يجسر أحد بعد ذلك على استئناف هذا العمل<sup>3</sup> ، و أمام هذا العجز في تتبع هذه القناة فإنّ الحسن الوزان ينسب للمؤرخين القول بأنّ مؤسس مراكش معروف أنّه يوسف بن تاشفين توقع بفضل معطيات بعض المنجمين أنّه سيخوض

<sup>1</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، مرجع سابق، ص 348 .

<sup>2</sup> البكري، مصدر سابق، ص 170 .

<sup>3</sup> الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص 136 .

معارك كثيرة ، فأُنجز بواسطة الفن السحري جميع هذه العوائق الطارئة في تلك القناة حتى لا يعرف العدو من أين يأتي الماء إلى المدينة فلا يستطيع أن يقطعه عنها<sup>1</sup> .

و يدحض هذه الرواية ما ذكره الإدريسي أنّ ماء مراکش الذي تستقي به البساتين مستخرج بصيغة هندسية حسنة ، استخرجه عبيد الله بن يونس المهندس الذي جاء إلى مراکش في صدر بنائها و ليس بها إلا بستان واحد ، فقصّد إلى أعلى الأرض ممّا يلي البستان فاحتفر فيه بئرا مربعة كبيرة التريبع ثمّ احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ، و مرّ يحفر بتدرّج من أرفع إلى أخفض متدرّجا إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء إلى البستان و هو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه ، فهو جار مع الأيام لا يفتر ، فاستحسن ذلك أمير المسلمين و أكرم عبيد الله بن يونس المهندس ، ثمّ إنّ الناس نظروا إلى ذلك و لم يـزالوا يحفرون الأرض و يستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت<sup>2</sup> ، ثمّ أضاف الإدريسي قائلاً : " و شرب أهـل مراکش من الآبار و مياهها كلها عذبة و آبارهم قريبة معينة "<sup>3</sup> ، و الذي حاول أن يجلب إلى مراکش الماء من منطقة بعيدة هو علي بن يوسف بن تاشفين و لم يستتم ذلك ، فلما تغلّب المصامدة على الملك تمّموا جلب ذلك الماء إلى داخل المدينة<sup>4</sup> .

و هذه الروايات التي ترمي يوسف بن تاشفين و زوجته زينب النفراوية بممارسة السحر تتناقض مع الروايات الأخرى حول سيرة ابن تاشفين و صفاته من بطولة و شجاعة و حزم و ضبط الملك و حفظ البلاد و ثغورها و المواظبة على الجهاد و الجود و الكرم و الزهد في الدنيا و لبس الصوف الذي لم يلبس قط غيره ، و اقتصره في مأكله على الشعير و لحوم الإبل و ألبانها مقتصرًا على ذلك لم ينتقل عن—هـ مدة عمره إلى أن توفي رحمه الله على ما منحه الله من سعة الملك في الدنيا<sup>5</sup> .

و لم تسلم بيوت الله من ممارسات السحر و الشعوذة ، ففي وسط قصبة مراکش جامع في غاية البهاء تعلوه صومعة متناهية الجمال كذلك ، في أعلاها ركز عمود من حديد فيه ثلاث تفاحات من ذهب وزن مائة و ثلاثين ألف مثقال إفريقي أكبرها السرفلى و أصغرها العليا ، و قد أراد كثير من

<sup>1</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>2</sup> الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص233 .

<sup>3</sup> نفسه، ج1، ص 234 .

<sup>4</sup> نفسه، ج1، ص 234 .

<sup>5</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 136.

الملوك أن يزيلوا هذه التفاحات و يهكوها نقودا عندما اشتدت حاجتهم إلى المال ، و لكنهم في كل مرة تحدث لهم حادثة غريبة تلزمهم بتركها في محلها حتى إنهم تطيروا من مسها ، و تقول العامة إن التفاحات وضعت هناك تحت تأثير أحد الكواكب بحيث يستحيل أن ينزعها أحد من مكانها ، كما تقول بأن من ركز تلك التفاح —ات قرأ عليها عزائم سحرية ألزمت بعض الأرواح برصدها على الدوام<sup>1</sup> .

و في جامع القرويين بفاس و هو من أشهر الجوامع في بلاد المغرب ، ذكر أن القبة التي على العنزة لما تغلب المنصور محمد بن أبي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد على فاس بعد مهاوش بقلازيري بن عطية<sup>2</sup> سنة 388هـ/997م بنى القبة المذكورة و نصب أعلاه ا طلسمات و تماثيل كانت قبل ذلك على رأس القبة التي كانت بأعلى المحراب الأول بالجامع مما صنعه الأوائل و منه ما صنع في أيام الشيعة ، فجعل الطلسمات على أعمدة من حديد ، منها طلسم الفأر على صورة الفأر فكان الفأر لا يدخلها و لا يعيش بها و إن دخلها افتضح و قتل ، و منها طلسم العقرب و هو على صورة طائر منقاره يشبه ذنب العقرب فكانت العقرب لا تدخله و إن أدخلها أحد في ثوبه خمدت فلا تتحرك ، و منها طلسم فيه تفافيح من نحاس فلا تدخله الحية و إن دخلته افتضحت و قتلت ، و ما يوجد فيه من الحيات فهو من عمار الجن<sup>3</sup> ، و لتعليل هذه الأعمال و بيان صدق هذه الروايات قال راويها : " و هذا لا ينكر فإن الله قد أجرى عادة في ارتباط بعض الأشياء ببعضها إذا كانت في وقت مخروص ، و لم يعلم قط على قديم الزمان و حديثه من لدغته فيه حية أو عقرب ، و قد تعطل ذلك منذ أعوام ، و ترك هذه الصورة و إزالتها كان أولى لأنها ذات ظل ، و ذلك محرم في السنة إذا كانت كاملة الحلقة"<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص 131 .

<sup>2</sup> زيري بن عطية : زيري بن عبد الله الزناتي المغربي الخزري ، ملك زناتة سنة 368هـ/978م و تشيع لأموبي الأندلس، فقام بالمغرب بدعوة هشام المؤيد على يد حاجبه المنصور بعد انقطاع ملك الأدارسة و بني العافية المكناسيين فيه ، ثم بلغ المنصور أنه يتكلم فيه بالقبح ، فجهز إليه الجيوش بقيادة ابنه المظفر ، فالتقوا بجوز طنجة فانهزم زيري و طارده جند الأندلس حتى دخل الصحراء ، فاستولى عبد الملك المظفر على فاس سنة 387هـ/996م ، و توفي زيري سنة 391هـ/1000م ( يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيبير فونطان، الجزائر، 1320هـ/1903م، ج1، ص 84 . الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 63 ) .

<sup>3</sup> علي الجزنائي ، جرى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص 54 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 55 .

و ينقل ابن زرع رواية شاهد عيان اسمه الحاج الفقيه ابن هارون ذكر أنّه شاهد عقربا ظهر بالجامع يوم الجمعة جاءت في ثياب بعض المصلين أو في بعض أمتعتهم ، فوقعت بين الصفوف حامدة لا تتحرك كمثل الميت حيث كملت الصلاة و الناس قد فسحوا من حولها خوفا من آذاها ، فلما فرغوا من الصلاة قتلوها فتحركت حين قتلت و هذا غايتها <sup>1</sup> .

فهذه الأخبار تدل على مدى تسرّب الفكر السحري في مفاسل المجتمع المسلم في جميع أركانه و زواياه ، و يزداد الأمراء سوءا إذا لم يجد من يصدّه و يردّه فيأتي عليه من ج ذوره إمّا بحجة العلم و تعليم الناس الإيمان أو بحزم ولي الأمر و السلطان ، خاصة إذا تعلق الشأن بأقدس الأماكن عند المسلمين و هي الجوامع و المساجد و التي ما أقيمت إلا ليذكر فيها الله و يعبد وحده ، و هذه الأعمال تنافي هذا المقصد الذي هو ركن الدين الأول و غاية خلق الإنسان و بعثه الرسل و إنزال الأديان .

و قد ربط العوام بين بعض المظاهر الطبيعية و تأثيرات الطلاسم ، فقد نقل التجاني في رحلته أنّه من الغرائب التي اختصت بها نفزاوة <sup>2</sup> شدة عصف الرياح ، و اتصال ذلك غير متخصص بفصل من فصول العام ، و هم ينسبون ذلك إلى طلسم كان مدفونا بها ، و أنّ بعضهم أخرجه و كسره فكان سبب ذلك عندهم دوام الرياح <sup>3</sup> .

و في السياق نفسه و في سنة 586هـ/1190م دخل المنصور الموحي قرطبة ، و مشى أثناء ذلك للزهراء بنية الإعتبار بالقرون الذهبية و الأمم السالفة ، فأمر بقلع الصورة التي كانت على بابها ، و كان من الإتفاق أن ذهب ربح عاصف بأصيل ذلك اليوم و أثرت في خبء الساقة بعض التأثير و قطعت في طنبه كالقطع اليسير ، فأرجف جهّال من عوام قرطبة أنّ ذلك بسبب صورة الزهراء و أنّها كانت طلسم لما ارتدعها من الأشياء ، و اتصل ذلك بالمنصور فجعله من علوم أهل قرطبة القديم و تقليدهم الذميم <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 58 .

<sup>2</sup> نفزاوة : و هم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك ، و بطونهم كثير مثل غساسة و زهيلة و سوماتة و زاتيمة و ولهاصة و مجرة و ورسيف ، و كانت قبائل نفزاوة تقيم في الأول جنوب شط الجريد و ما يتاخمه من إقليم طرابلس شرقا و صحراء عمالة قسنطينة غربا حتى سميت المنطقة كلها بلاد نفزاوة ، ثمّ تفرقت بعد ذلك تلك القبائل في سائر بلاد المغرب ( ابن خلدون، العبر، ج6، ص 150 . عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 306 ) . و نفزاوة مدينة من أعمال إفريقية ، لها سور صخر و طوب و لها ستة أبواب ، و فيه جامع و حمام و أسواق حافلة ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 296 ) .

<sup>3</sup> التجاني، مصدر سابق، ص ص 142-143 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، البيان "قسم الموحيين"، ص 205 .

و وربط بعض أهل سرقسطة بين عدم وجود الحنش فيها — و بين الطلاس ، فذكروا أنه لا يدخ — ل هذه المدينة حنش أصلا و لا يعيش فيها ، فمن أهلها من يقول إنَّ فيها طلسمًا للحنش<sup>1</sup> .

و شاع تعليل حدوث الكوارث الطبيعية بتأثير الطلاس إمعانا في إره — اب الإنسان و حملة على الاستسلام للطقوس السحرية دونما تفكير أو معارضة ، سعيًا من المشعوذين إلى تعطيل حاستي الشك و النقد بغية وأد إرهابات الوعي في أوساط العوام<sup>2</sup> ، و بلاد المغرب من المناطق التي لا ينتظم مناخها حيث تعتريه فترات من الجفاف قد تطول أحيانا ، لذلك عرف إنسان العدوتين طقوسا احتفالية لاستدرا عطف السماء و جعلها تجود بالأمطار زمن الضيق و الشدة ، هذه الطقوس شبيهة إلى حد ما بنسق الأساطير البدائية ، منها اعتقاد بوجود الأرواح الشريرة في بعض الحيوانات ، و للحصول على المطر في اعتقادهم لا بد من تدميرها عبر تقديم الحيوان قربانا للذبح أو الحرق<sup>3</sup> .

و هذه الممارسات السحرية عرفت بها بعض قبائل الأعراب في بلاد المغرب ، فيذكر التجاني في رحلته أنه عندما فارق موضعا يعرف بعين تامدنت في المغرب الأدنى سلك غيطان و أودية قد عمّ قاعها شجر معروف بالعشر و هو شجر ناعم شديد الخضرة ينبت صعدا و له أوراق عظيمة و نور مشرق حسن المنظر ، لا يأكله حيوان و منابته القيعان و بطون الأودية<sup>4</sup> ، و كانت العرب تستجلب المطر إذا احتبس عليهم بشجر العشر هذا و ذلك ضرب من السحر ، يعمدون إليه و إلى شجر السَّع و يشعلون النار فيها ثم يصعدونها إلى جبل فيزعمون أنهم يمطرون من وقتهم<sup>5</sup> ، و قد أشار إلى ذلك أمية بن أبي الصلت<sup>6</sup> قائلا :

لا على كوكب ينوء و لا ريب ح جنوب و لا ترى طخورا  
و يسوقون باقر السهل للطو د مهازيل أوشكت أن تبورا

<sup>1</sup> ابن الدلائي، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق : عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص 8 .

<sup>2</sup> عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 131 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 142 .

<sup>4</sup> التجاني، مصدر سابق، ص ص 312-313 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 314 .

<sup>6</sup> أمية بن أبي الصلت : أبو الصلت الأندلسي ، كان فاضلا في علوم الأدب و كان عارفا بفن الحكمة ، فكان يقال له الأديب الحكيم ، انتقل من الأندلس و سكن ثغر الإسكندرية و انتقل في آخر وقته إلى المهديّة و توفي بها سنة 529هـ/1134م ( ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص 143 ) .

عاقدين النيران في ثلث الأذ ناب منها لكي تهيج البحورا  
سلعا ما و مثل—هـ عشرا ما عائلا ما و عالت البيقورا  
و الطخروور القطعة من السحاب و البيقور جماعة البقر.

و قال الشاعر يعيب عليهم فعلهم هذا :

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستجلبون نزول الغيث بالعشر  
أجاعل أنت ييقورا مسلعة وسيلة لك بين الله و المطر<sup>1</sup>

و ذهب بعض الباحثين إلى تحليل إيما ءات العلاقة بين البقر و نزول الأمطار مبينا أنّها  
علاقة قديمة ، إذ يمثل هذا الحيوان قوة تتحكم في السحب و نزول الأمطار ، و ما استسقاؤهم بالبقر  
إلا من مخلفات عبادة الثور و ما يرمز إليه من الخصب و الإرواء ، و يبدو أنّ النار المضرمة في حطب  
السلع و العشر إنما هي تطور لطقوس و احتفالات قديمة تتصل بهذا الإله الثور<sup>2</sup> .

إنّ استجلاب المطر بهذه الطقوس الغرض منه فلاحاة الأرض و غراستها ، هذا النشاط  
الاقتصادي المهم شابه و خالطه أيضا ممارسات سحرية غريبة ، و يرجع أحد الباحثين استمرار مثل  
هذه الخرافات إلى جانب البدائل التجريبية إلى أنّ انفصال الفلاح—ة و علوم الطبيعة عن الحكمة  
و الفلسفة ابتداء من منتصف القرن 5هـ/11م قد أدّى إلى ان—زلاق النش—اط الفلاحي تدريجيا  
نحو ممارسة السحر و الشعوذة و التعلق بالتائم و التعاويذ و تعليق الحروز استدرازا للبركة و انقاء  
لشر قوى الطبيعة<sup>3</sup> .

و من الأساليب العلاجية التي هي عبارة عن سلوكات سحرية و خرافات نجومية محضة ، ما  
ورد في صيغة إرشادات فلاحية موجهة للفلاحة مفادها أنّهم إذا أخذ حرق حيض جارية عذراء أول ما  
تحيض فذفنت في حرث أو وسط القرية سلّم الله تعالى ذلك الحرث أو القرية من البرد<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> التيجاني، مصدر سابق، ص 315 .

<sup>2</sup> محمد بن عبد الله ، الماء في الفكر الإسلامي، ج 2، ص 394 . نقلا عن : د/ عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 142.

<sup>3</sup> ابن ليون التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، تحقيق أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م، مقدمة المحقق، ص 55 . نقلا عن : عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 148.

<sup>4</sup> الطغزري، زهرة البستان و نزهة الأذهان، ص 55 . نقلا عن : عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 149.

و لعل هذه المراسلات السحرية المدونة في بعض كتب الأندلسيين قد ترجع إلى ما نقله مسلمة بن أحمد المجريطي<sup>1</sup> في كتبه السحرية مترجمة عن كتب اليونانيين و خاصة كتاب الفلاحة النبطية التي اشتمل على جوانب سحرية متعلقة بالزراعة<sup>2</sup>.

و مسلمة بن أحمد هذا معروف عنه أنه إمام أهل الأندلس في السحريات ، فهو الذي لخص جميع كتب هذا الشأن و هذبها و جمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم و لم يكتب في هذا العلم أحـد بعده<sup>3</sup> ، و هذا الكتاب حسب وصف ابن خلدون فإنه مدونة هذه الصناعة- السحر- و فيه استيفائها و كمال مسائلها<sup>4</sup>.

و ساد الاعتقاد بتأثير النجوم في حصول الإضطرابات المناخية ، فاختصت المناطق القاحلة في الأندلس بطقوس سحرية قائمة على التخمين و الرجم بالغيب مع جزم المعتقدين فيها أنّ ما يحدث من كوارث طبيعية لها صلة مباشرة بطبائع و حركات النجوم و الأجرام السماوية<sup>5</sup> ، و هذا الارتباط بالأحكام التنجيمية يعكس بقايا الجاهلية و المؤثرات الوثنية البربرية و العربية الضاربة في عمق تاريخ العدوتين ، فإذا كان موقف الشرع الإسلامي واضحا من المعتقدات الدينية و خاصة ما ارتبط منها بالإعتقاد في تأثير النجوم في حدوث الكوارث و سقوط الأمطار ، فإنّ المتتبع لعادات و أنماط سلوك إنسان العدوتين إبان الكوارث يلاحظ سيادة المعتقدات الخرافية السحرية التي وجدت في المغرب و الأندلس مجالا خصبا لرعايتها و تثبيتها في النفوس<sup>6</sup>.

و أضحت هذه الذهنية سمة غالبية على ثقافة المجتمع في فترات الانحطاط ، و صار الإنذار بتكهنات المنجمين بشأن حدوث الكوارث لغة التواصل بين الخاصة و العامة<sup>7</sup> ، و هذه التكهنات عبارة عن تخمين محض ليس يدرك في آحاد الأشخاص لا يقينا و لا ظنا و الحكم بها حكم بجهل<sup>8</sup> ،

<sup>1</sup> أبو القاسم المجريطي ( 338هـ/950م - 398هـ/1007م ) : مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي ، فيلسوف رياضي فلكي، كان إمام الرياضيين بالأندلس و أحاط بعلم الأفلاك و حركات النجوم ( ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 482 . ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج3، ص 899 . الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 224 ) .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 652 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 656 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 660 .

<sup>5</sup> عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 137 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 138 .

<sup>7</sup> نفسه، ص 140 .

<sup>8</sup> الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص 39 .



و عليها كانت تزرع بذور التواكل و العجز التي تعد العامل الأساسي في استفحال الأزمة حين انقبض الناس عن العمل جراء وشايات المشعوذين بقرب حلول الجفاف و الجوع و الأوبئة و الزلازل ، و من ذلك ما ورد في رسالة ابن العذراء إلى صديق له يوصيه و هو من دعاة التنجيم بقوله : " إياك يا ابن أخي أن تغفل البرج الذي استقر فيه زحل من البروج الإثني عشر في جميع الأعوام ، و اعلم أنّه إذا حل بالسنبلة شبع أهل الأرض كلهم ، و إذا حل بالميزان غلا الطعام و تكثر السيول ، و إذا حل بالعقرب يقل المطر في الربيع ، و إذا حل بالجدى كثر الخصب في المشرق و المغرب و يصلح بالأندلس ، و إذا حل بالحوث هان الطعام و كثر بالأندلس " <sup>1</sup> .

و من الممارسات السحرية التي عرفتها بلاد المغرب و التي استمرت إلى عصر ابن خلدون ما ينقله أنّه شاهد من المنتحلين للسحر و عمله من يشير إلى كساء أو جلد ، و يتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع متخرق ، و يشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيه — بالبعج فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض <sup>2</sup> ، فهؤلاء السحرة يمارسون إرهابا نفسيا بتخويف الفلاحين و ابتزازهم تحت طائلة السحر <sup>3</sup> ، و ابن خلدون يسميهم بالبعاجين لأنّ أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام ، و حسبه فإنّ هؤلاء مستترون خوفا على أنفسهم من الحكام ، و لهم وجهة و رياضة خاصة بدعوات كفرية و إشراك لروحانيات الجن و الكواكب سطرّت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها ، و إنهم بهذه الرياضة و الوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم ، و أنّ التأثير الذي لهم إنّما هو في سوى الإنسان الحر من المتاع و الحيوان ، و يقولون إنّما نفعل ذلك فيما تمشي فيه الدراهم ، أي فيما يملك و يباع و يشتري من سائر الممتلكات <sup>4</sup> .

و علم أسرار الحروف المسمى بالسيميا في عهد ابن خلدون و الذي قال عنه إنّ حاصله و ثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى و الكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الكون <sup>5</sup> ، إنّما هو علم من علوم السحر و كان يستعمل لدفع الأمراض الباردة و لمضاعفة قوة الحرارة حيث يطلب مضاعفتها <sup>6</sup> .

<sup>1</sup> عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 140 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 658 .

<sup>3</sup> إبراهيم القادري بوتشيش، سؤال السحر عند ابن خلدون، ص 134 .

<sup>4</sup> ابن خلدون، المقدمة، ص 660 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 664 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 665 .

إنّ ممارسة السحر في بلاد المغرب و الأندلس كانت من الممارسات الرائجة في هذه المنطقة لا سيما في أقصى المغرب ، و قد ساعد على انتشارها الجهل الذي ساد في كثير من المناطق ، و بعد الناس عن الإسلام الصحيح الذي يحارب هذه المظاهر و السلوكات ، كما كان لبعض الكيانات السياسية التي نشأت دور في هذا الإنتشار مثل دولة برغواطة التي عمّرت كثيرا .

## الفصل الثالث : الفكر الخرافي والأساطير في بلاد المغرب والأندلس (س القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م-13م) .

- 1- الفكر الخرافي و الأساطير في بلاد المغرب .
  - أ - أساطير و خرافات في فضائل البربر .
  - ب- أساطير و خرافات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ( القرن 1هـ / 7م ) .
  - ج- أساطير و خرافات ملوك و سلاطين بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي ( من القرن 2هـ إلى القرن 7هـ / 8م-13م ) .
- 2- الفكر الخرافي و الأساطير في الأندلس .
  - أ - أساطير و خرافات في فضائل الأندلس .
  - ب - الخرافات في الأندلس .

## الفصل الثالث : الأفكار الخرافية و الأساطير في بلاد المغرب و الأندلس (من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م-13م) .

إنّ الحديث عن الأفكار الخرافية و الأساطير في بلاد المغرب و الأندلس على قدر كبير من الأهمية خاصة إذا شاع تداولها في المصادر التاريخية الإسلامية ، و قد ينساق وراءها و يسلم لها الكثير من الناس خواصهم و عوامهم فتصبح الأسطورة حقيقة و الخرافة واقعا ، و هذا قد يشكل خطرا على من آمن بها خاصة إذا أحاطت بها النصوص الشرعية ، لذلك نجد الإسلام الحنيف قد حثنا على النظر و إمعان الفكر فيما يناقض العقل الصريح المسترشد بالنقل الصحيح ، فنعمل و نسعى إلى تخلص تراثنا التاريخي ممّا علق به من شوائب .

### 1 - الفكر الخرافي و الأساطير في بلاد المغرب :

أ - أساطير و خرافات في فضائل البربر: لقد نسج بعض المغاربة خرافات حول تاريخ إسلام البربر و اتصاهم بالنبي صلى الله عليه و سلم و وضعوا أحاديث يستدلون بها على هذا الأمر، و زعموا أنّه صلى الله عليه و سلم مدحهم و بيّن فضلهم ، و هذه الأحاديث أشبه بالأساطير و التي ليست إلا مجرد أكاذيب لا أصل لها و هي نسيج خيالي مبدع ، المدف من وراءه - الوصول إلى قيمة أو هدف معين سياسي أو اجتماعي أو ديني أو غير ذلك<sup>1</sup> .

و من هذه الأساطير ما جاء في مفاخر البربر مرسلا عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أنّها أمرت جارية لها أن تتصدق بصدقة فقالت لها : إذا قبلت الصدقة منك فاسألي الذي يأخذها منك من هو و في أي بلد مسكنه ؟ فخرجت الجارية بالصدقة فقالت : من يقبل صدقة آل رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقام رجل فقال لها : أنا موضع صدقة آل رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقالت له: من أين أنت ؟ و في أي بلد مسكنك ؟ قال لها أنا من ولد بر ، فأعطته الصدقة و رجعت مسرعة إلى فاطمة فأخبرتها فقالت : أخذ صدقة آل رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل من البربر، فقالت لها : عليّ بالرجل ، فلحقته الجارية و قد بلغ أقصى المسلك فقالت له : أيها الرجل إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم تسأل عنك ، فرجع البربري خائفا و جلا و هو يقول : قد بدا لها في الصدقة أمر ، فلما وقف على الباب كشفت

<sup>1</sup> عمر شليبي، أساطير الفتح الاسلامي في الأندلس ، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 3، العدد 1، 1427هـ/2007م، ص 64.

القناع عن وجهها و هي باكية و هي تقول : لكل نبي حوارى و حوارى ذريتي البربر، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " يا فاطمة سيقتل الحسن و الحسين و يقتلونهم و يجلبون أولادهم العرب و يؤوونهم البربر، فيا شَرَّ من فعل بهم ذلك ، و طوبى لقوم يؤوونهم و يحبونهم و يكرمونهم و يعزونهم ، قد جعل الله في قلوب البربر الرأفة و الرحمة لذرية رسول الله و لعامة المسلمين و هم يكونون القائمين بهذا الدين على يقين و منهاج واضح " <sup>1</sup> .

و هذا الحديث ليس له أصل في دواوين السنة و لم يسنده المؤلف إلى كتاب معروف و لا ذكر أسماء رواته ، و لا يعرف تاريخيا من خلال مصادر السيرة النبوية الكثيرة أن البربر قدموا إلى مكة أو المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و ما يزيد هذا الخير بعدا عن الصحة أن الثابت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " إن لكل نبي حواريا و إن حوارى الزبير بن العوام " <sup>2</sup> ، و لم يصف صلى الله عليه و سلم قبيلة أو جيشا من العرب و غيرهم أنهم حوارى صلى الله عليه و سلم .

و مثل هذا الحديث الموضوع نجده بلفظ آخر مختصرا عند يحيى بن خلدون في بغية الرواد ، فيروى أن رجلا من البربر أتى المدينة أيام وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستأذن على فاطمة الزهراء و انتمى إلى بربر المغرب الأقصى ، فقالت له : أأتكون فلانا ؟ فقال لها : و ما يدريك بأني فلان ؟ فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " إن لي بالمدينة أنصارا و لولدي بالمغرب الأقصى أنصارا يا فاطمة ، سيقتل الحسن و الحسين و لا تجد ذريتهم أنصارا إلا بربر المغرب الأقصى ، فيا شقاوة من قتلهما و يا سعادة من أحبهما ، يا فاطمة قد جعل الله في قلوب البربر لذريتي محبة و رحمة ، و سيكون قـوم من البربر بالمغـرب على اليقين و الدين الصحيح إلى يوم الدين " <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> مجهول، مفاخر البربر، ص ص 182 - 183 .

<sup>2</sup> البخاري، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، حديث رقم 3719، ج 3، ص 26 . مسلم، الصحيح، كتاب فضائل طلحة و الزبير، حديث رقم 2415، ص 984 .

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ص ص 8 - 9 .

و إذا كانت فاطمة رضي الله عنها قد نسب إليها الإخبار بفضائل البربر رافعة ذلك إلى النبي صلى الله عليه و سلم فإن الوضع امتد إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فقد بلغ<sup>1</sup> أبا زكريا واضع كتاب سير الأئمة أنّ عائشة دخل عليه ذات يوم رجل من البربر و هي جالسة و معها نفر من المهاجرين ، فقامت عن وسادتها فطرحتها للبربري دونهم فانسل القوم غضابا ، فاستفتى البربري ثم خرج ، فخرجت إليهم عائشة فالتقطتهم من دورهم فجاءوا كلهم ، فقالت لهم : أراكم قمتم عني غضابا و لم ذلك ؟ قال بعضهم : غضبا عليك من أجل رجل جاءك من البربر كنا نذريه و لنقص قومه فأثرته علينا و على نفسك ، قالت لهم عائشة : أثرته على نفسي و عليكم لما قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قالت عائشة : كنت أنا و رسول الله جلوسا إذ دخل علينا ذلك البربري مصفر الوجه غائر العينين فنظر إليه رسول الله فقال له : ما دهاك ، أمرضت مرضة ؟ فارقني بالأمس ظاهر الدم صحيح اللون و جئني الساعة كأنما نشرت من قبر ، فقال له البربري : يا رسول الله ببت بهمّ شديد ، قال له النبي صلى الله عليه و سلم : ما الذي همّك ؟ قال : تردد بصرّك عليّ بالأمس ، خفت من ذلك أنّه قد نزلت فيّ آية من الله ، قال له النبي صلى الله عليه و سلم : لا يحزنك ذلك ، إنما تردد بصري عليك بالأمس من أجل جبريل عليه السلام ، جاءني فقال لي : يا محمد أوصيك بتقوى الله و بالبربر، قلت : يا جبريل و ما شأنهم ؟ قال : قوم يحجون دين الله بعد أن يموت و يجددونه بعد إذ يبلي ، قال جبريل : يا محمد دين الله خلق من خلقه ينشأ بالحجاز و أصله بالمدينة ، خلقه ضعيفة ثمّ ينميه و ينشؤهم حتى يعلو و يثمر كما تثمر الشجرة ثم يقع ، و إنما يقع رأس دين الله بالمغرب ، و الشيء إذا وقع لم يرفع من وسطه و لا من أصله و إنما يرفع من عند رأسه<sup>2</sup> .

و أضاف هذا الخبر الباطل الركيكة ألفاظه أمـرا جديدا في فضل البربر، فقد جاءت تركيتهم و الكلام عنهم و عن مكانتهم على لسان جبريل أمين السماء فهم المجددون الذين يجددون الإسلام إذا بلي .

<sup>1</sup> البلاغات في علم مصطلح الحديث هي قول الراوي بلغني عن فلان ثم يروي الحديث ، و قد غدّت البلاغات في أقسام الضعيف و جعلها النووي في التقريب من المعضل ، و اشتهر الإمام مالك ببلاغاته في الموطأ ، و قد صنّف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المعضل و المنقطع و المرسل ( السيوطي ) ، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، مكتبة الكوثر، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ/1994م، ج1، ص ص 241-242 .

<sup>2</sup> أبو زكريا ، مصدر سابق، ص ص 33 - 34 .

و يواصل أبو زكريا بلاغاته فيذكر أنّ عائشة رضي الله عنها أبصرت صبيها له ذواتان ذا جمال و هيئة فقالت : من أي قبيلة هذا السبع ؟ قالوا : من البربر، قالت عائشة : البربر يقرون الضيف و يضربون بالسيف و يلجمون الملوك لجام الخيل اللجم<sup>1</sup> .

و لم تقتصر الأحاديث و الآثار على فاطمة و عائشة ، فبلاغات أبي زكريا امتدت إلى الفاروق عمر بن الخطاب بخر آخر عن فضائل البربر و هذا نصه : " و بلغنا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم إليه قوم من البربر لوانه أرسلهم إليه عمرو بن العاص و هم مخلقون الرؤوس و اللحى ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : من البربر، فقال عمر لجلسائه : هل منكم من يعرف هذا القبيل في شيء من قبائل العرب و العجم ؟ قالوا : ليس لنا بقبيلهم علم ، فقال العباس بن مرداس السلمي : إنّ عندي فيهم علما يا أمير المؤمنين ، هؤلاء من ولد بربر بن قيس ، و كان لقيس عدة من أولاد أحدهم سالم بن قيس و في خلقه بعض الرعونة يعني ضيقا ، فقاتل إخوته ذات يوم فخرج إلى البراري فكثر بها نسله و ولده ، و كانت العرب تقول تبربوا أي كثروا ، فنظر إليهم عمر و كان أوفدهم إليه عمرو بن العاص و أرسل معهم ترجمانا يترجم كلامهم إن سألهم عمر عن شيء ، فقال لهم عمر : مالكم مخلقو الرؤوس و اللحى ؟ فقالوا : شعر نبت على كفر فأحببنا أن نبدل شعرا في الإسلام ، فقال لهم عمر: هل لكم مدائن تسكنون بها ؟ قالوا : لا ، قال : هل لكم حصون تحصنون بها ؟ قالوا : لا ، قال : فهل لكم أسواق تتبايعون فيها ؟ قالوا : لا ، فبكى عمر و قال له جلساؤه : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبكاني حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم حنين حين انهزم المسلمون و نظر إليّ رسول الله أبكي ، فقال : ما يبكيك يا عم -ر؟ قلت : أبكاني يا رسول الله قلة هذه العصابة من المسلمين و اجتماع أمم الكفر عليهم ، فقال رسول الله : لأنبيئك يا عمر، فإنّ الله سيفتح للإسلام بابا من المغرب يقوم يعز الله بهم الإسلام و يذل بهم الكفر ، أهل خشية و بصائر يموتون على ما أبصروا ، ليست لهم مدائن يسكنوها و لا حصون يحصنون بها و لا أسواق يتتبعون فيها ، و لذلك بكيت الساعة حيث ذكرت حديث رسول الله و ما ذكره لي عليهم من الفضائل ، فردهم عمر إلى عمرو بن العاص و أمره أن يجعلهم في مقدمة عسكره ، و كانوا مع عمرو بن العاص حين قتل عثمان بن عفان<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 35 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 34 .

و هذا الحديث بغض النظر عن سنده الواهي ففيه من النكارة في متنه الشيء الكثير ، فأبي قوم هؤلاء الذي ليس لهم مدائن و لا حصون و لا أسواق ، و خبر غزوه حنين من أشهر أخبار السيرة النبوية التي حلّد الله ذكرها في القرآن الكريم و بيّن الله فيها أنّ المسلمين لم يهزموا من قلة و إنما اغرارهم بكثرة عددهم كان سبب هزيمتهم في البداية ، و لم يذكر كتاب السيرة النبوية شيئا من هذا الحديث عن البربر خلال إيرادهم أخبار غزوة حنين<sup>1</sup> .

و استكمالا لفضائل البربر المنسوبة لكبار الصحابة ، فقد بلغ أبا زكريا دائما عن رجل من ذرية أبي بكر قال : قال علي بن أبي طالب : يا أهل مكة و يا أهل المدينة أوصيكم بالله و بالبربر، فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد أن يضيّعونه ، هم الذين ذكرهم الله في كتابه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ"<sup>2</sup> ، و هم الذين لا ينظرون في حسب أحد خلاف طاعة الله<sup>3</sup> .

و في السياق نفسه روى أبو زكريا حديثا عن ابن مسعود أنّ آخر حجة حجّها قام خطيبا فقال : يا أهل مكة أوصيكم بتقوى الله و بالبربر فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب ، و هم الذين استبدل بكم إذ يقول " وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ "<sup>4</sup> ، و الذي نفس ابن مسعود بيده لو أدركتهم لكنت أط —وع لهم من إمائه —م و أقرب لهم من دثارهم يعني ثيابهم<sup>5</sup> .

و السبب الذي يمكن أن نفسر به كثرة المرويات في فضائل البربر هو وجود أحاديث أقوى من حيث السند تُروى في مثالب البربر في بعض كتب الحديث المعروفة ، و لعل أقواها ما رواه الحاكم في مستدركه قال : أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ الحسن بن علي بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال أنّ عائشة كانت ترسل بالشيء صدقة لأهل الصفة و تقول : لا تعطوا منها بربريا و لا بربرية فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : هم الخلف الذين قال الله

<sup>1</sup> حول غزوة حنين ينظر: ابن هشام، مصدر سابق، ج4، ص 81 و ما بعدها .

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية 54 .

<sup>3</sup> أبو زكريا، مصدر سابق، ص ص 34-35.

<sup>4</sup> سورة محمد، الآية 38 .

<sup>5</sup> أبو زكريا، مصدر سابق، ص 35 .



عز و جل " فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ " <sup>1</sup> ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه <sup>2</sup> . و علق على هذا الحديث الإمام الذهبي في التلخيص قائلا : قلت عبید الله مختلف في بقیته و مالك لا أعرفه ، ثم هو منقطع <sup>3</sup> .

و الانقطاع كما هو معلوم في عل —وم الحديث سبب في تضعیف الحديث و هذا باتفاق العلماء ، و المنقطع مردود على كل حال <sup>4</sup> .

و روى الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن له مجة عن القاسم بن عبد الله المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن القاسم بن البرحي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : "من أخرج صدقة فلم يجد إلا بربريا فليردها" <sup>5</sup> .

و عند بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي هريرة قال : جلس إلى النبي صلى الله عليه و سلم رجل فقال له رسول الله : من أين أنت ؟ قال : بربري ، فقال له رسول الله : قم عني قال بمرفقه هكذا ، فلما قام عنه أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : إن الإيمان لا يجاوز حناجرهم <sup>6</sup> .

و له كذلك عن مولى لرفيع بن ثابت أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم اشترى جارية بربرية بمائتي دينار فبعث بها إلى أبي محمد البدری من أصحاب النبي صلى الله عليه

<sup>1</sup> سورة مريم ، الآية 59 .

<sup>2</sup> الحاكم، المستدرک على الصحيحین، کتاب التفسیر قراءات النبي صلى الله عليه و سلم مما لم يخرجوا هو قد صح سندہ، ج2، ص 244 .

<sup>3</sup> الذهبي، التلخيص "مطبوع بذييل المستدرک على الحاكم"، دار المعرفة، بيروت، ج 2، ص 244 .

<sup>4</sup> أحمد فريد، مرجع سابق، ص 118.

<sup>5</sup> الإمام أحمد، المسند، حديث رقم 7064، ج6، ص 479 .

و هذا الحديث قال عنه محقق المسند الشيخ أحمد شاکر إن إسناده صحيح ( الإمام أحمد، المسند، هامش رقم 7064، ج6، ص 479 ) ، و قال الذهبي في ميزان الاعتدال : القاسم بن الرخي عن عبد الله بن عمرو له في مسند أحمد ، لا يدري من ذا ، خبره منكر " من أخرج صدقة فلم يجد إلا بربريا فليردها " ، و في الإسناد أيضا ابن لهيعة ( الذهبي، ميزان الاعتدال، ج3، ص 369 ) ، و قال عن هذا الحديث أيضا الهيثمي في مجمع الفوائد : " رواه أحمد و فيه ابن لهيعة و حديثه حسن و بقیة رجاله نقات " ( نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، دار الكتاب العلمي، بيروت، كتاب العتق، باب ما يكره من حبس الرقيق، ج4، ص 234 ) .

<sup>6</sup> رواه أحمد و فيه عبد الله بن نافع و هو متروك ، و قال ابن معين يكتب حديثه ، و صالح مولى التوأمة و قد اختلط ( الهيثمي، مصدر سابق، ج4، ص 234 ) .

و سلم و كان بدريا فوهب له الجارية البربرية ، فلما جاءته قال : هذه من الجحوس الذين نهى النبي صلى الله عليه و سلم عنهم و الذين أشركوا<sup>1</sup> .

و روى أيضا حديثا آخر عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " الخبث سبعون جزءا ، فجزء في الجن و الإنس و تسع و ستون في البربر"<sup>2</sup> .

و روى ابن الجوزي في كتابه الموضوعات عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " الحسد عشرة أجزاء تسعة في العرب و واحد في الناس ، و الحياء عشرة أجزاء تسعة في النساء و واحد في الناس ، و لولا ذلك ما قوى الرجال على النساء ، و الحدة و العلو و قلة الوفاء عشرة أجزاء تسعة في البربر و واحد في الناس ، و البخل عشرة أجزاء فتسعة في فارس و واحد في الناس " ، ثم قال ابن الجوزي : " هذا حديث لا يصح عن رسول الله " <sup>3</sup> .

و أورد ياقوت الحموي في المعجم بعض الأحاديث دون إسناد التي تدم البربر فقال : " و ذكر محمد بن أحمد الهمداني<sup>4</sup> في كتابه مرفوعا إلى أنس بن مالك قال : جئت إلى النبي صلى الله عليه و سلم و معي وصيف بربري فقال : يا أنس ما جنس هذا الغلام ؟ فقلت : بربري يا رسول الله ، فقال: يا أنس بعه و لو بدينار ، فقلت له : و لم يا رسول الله ؟ قال : إثم أمة بعث الله إليهم نبيا فذبجوه و طبخوه و أكلوا لحمه و بعثوا من المرق إلى الرساء فلم يحضوه ، فقال تعالى : لا اتخذت منكم نبيا و لا بعثت فيكم رسولا " <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> رواه الطبراني و فيه راو لم يسم و ابن لهيعة ( الهيثمي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 234 ) .

<sup>2</sup> رواه الطبراني في الأوسط ، و في رواية عنده أيضا : " قسم الله الخبث على سبعين جزءا فجعل في البربر تسعة و ستين جزءا و للناس جزء واحد " ، و في إسناد الأول عبد الله بن صالح كاتب الليث ، و قد ضعفه جماعة و وثقه آخرون و بقية رجاله نقلت ، و فيه أيضا ابن شعيب ، قال ابن عدي : لم أر له حديثا منكرا سوى حديث " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه " ( الهيثمي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 234 ) . و حكم الشيخ الألباني في الضعيفة على حديث عثمان هذا بالضعف ( محمد ناصر الدين الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها السيء على الأمة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1421هـ / 2000م ، حديث رقم 2535 ، ج6 ، ص 42 ) .

<sup>3</sup> ابن الجوزي ، الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ، باب ما ركب في الطباع ، ج1 ، ص 292 .

<sup>4</sup> لعلة الحسن بن أحمد يعقوب الهمداني من بني همدان أبو محمد المؤرخ ، عالم بالأنساب عارف بالفلك و الفلسفة و الأدب ( 280-334هـ / 893-945م ) ، من مؤلفاته صفة جزيرة العرب و الإكليل في أنساب حمير و أيام ملوكها ( ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب ، ج3 ، ص 1037 . الزركلي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 179 ) .

<sup>5</sup> ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 369 .

ثم ذكر حديثاً آخر فقال : و رُوي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال : " ما تحت أديم السماء و لا على الأرض خلق شر من البربر ، و لئن أتصدق بعلاقة سوطي في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق رقبة بربري " <sup>1</sup> ، كما نقل ياقوت الحموي أقوالاً أخرى و لم يبيّن إن كانت أحاديث مرفوعة أو غير ذلك فقال : " و كان يقال : "تزوجوا في نسائهم ولا تؤاخوا رجالهم" ، و يقال : "إنّ الحدة و الطيش عشرة أجزاء تسعة في البربر و جزء في سائر الخلق" <sup>2</sup> .

و هذه الأحاديث في ذم البربر لا ترقى إلى درجة الصحة في أغلبها و أقواها سنداً مختلف فيه بين الصحة و الضعف ، فهي بذلك لا ترقى لأن تكون دليلاً على الانتقاص من قيمة البربر خاصة و أنّ النبي صلى الله عليه و سلم لم يثبت عنه أنّه ذم قبيلة أو شعباً بسبب عرقه أو أصله ، و إنّما يكون الذم دائماً بسبب الكفر بالله و البعد عن شريعته و مخالفة أنبيائه ، و قد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قوله : " يا أيها الناس إنّ ربكم واحد و إنّ أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي و لا لأحمر على أسود و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى " إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم <sup>3</sup> ألا هل بلغت ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب <sup>4</sup> .

و إذا سلمنا بليققاء بعض هذه الأحاديث إلى درجة الصحة فهي لا تعدو أن تكون في البربر قبل إسلامهم ، قال ابن الجوزي : " كان البربر إذ ذاك كفار ، و هذا توجيه جيد " <sup>5</sup> .

و في معالم الإيمان أحاديث موضوعة كثيرة في فضل إفريقية ، و منها ما رواه عن أبي عبد الرحمن الحبلي أنّ رسول الله قال : " ليأتين أناس من أمتي من إفريقية يوم القيامة وجوههم أشدّ نورا من نور القمر ليلة البدر " ، و عن سفيان بن الحارث يحدث عن أشياخه أنّهم قالوا للمقداد بن الأسود رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنك ثقلت و تخرج في هذه المغازي ، فقال : خفيفا كنت أو ثقيلا لا أتخلف عنها لأنّ الله تبارك و تعالى يقول " انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا " <sup>6</sup> ، ثمّ قال : قدمت سرّية على رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكروا البرد و الحر الذي

<sup>1</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة.

<sup>2</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>3</sup> سورة الحجرات، الآية 13 .

<sup>4</sup> محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فوائدها ، مكتب المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ / 1996م، حديث رقم 2700، ج6، ص 449 .

<sup>5</sup> الإمام أحمد، المسند، ج6، ص 480، هامش 7064.

<sup>6</sup> سورة التوبة، الآية 41 .

أصابعهم فقال رسول الله : إنّ البرد الشديد و الأجر العظيم لأهل إفريقية " ، و عن أبي عبد الرحمن الحبلي أيضا قال : قال رسول الله : " ينقطع الجهاد من البلدان فلا يبقى إلا موضع من المغرب يقال له إفريقية ، فبينما القوم بإزاء عدوهم نظروا إلى الجبال قد سيرت فيخرون سجدا فلا ينزعهم أخلاقهم - يعني ثيابهم - إلا خدمهم في الجنة " ، و عن ابن عمر قال : قال رسول الله : " بساحل إفريقية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله و من خرج منه فبعفو الله " ، و عن أنس قال : قال رسول الله : " من رابط بالمنستير ثلاثة أيام و جبت له الجنة " ، قال أنس : بخ بخ يا رسول الله ، و عن مطرف بن عبد الله الشخير يرفعه إلى رسول الله : " المنستير باب من أبواب الجنة يقال له الأنف دونه قنطرة من قناطير الأولين " <sup>1</sup> .

و علق الدباغ على هذه الأحاديث بالنقل عن شيوخه أنّه يغلب على الظن أنها موضوعة ، و قصدوا من وضعها تحبيب إفريقية لساكنتها ، و يدل ذلك على هذا أنّ فيها رونق الأحاديث الموضوعة <sup>2</sup> .

و عند ابن عذارى أحاديث موضوعة في بيان فضل بلاد المغرب و منها قوله : " يقال أنّ بإفريقية ساحلا يقال له المنستير و هو باب من أبواب الجنة ، و بها جبل يقال له الممطور باب من أبواب جهنم ، و في الحديث أنّ إفريقية يحشر منها سبعون ألف شهيد ، و عن سفيان بن عيينة أنّ بالمغرب بابا مفتوحا مسيرة أربعين خريفا لا يغلقه حتى تطلع منه الشمس " <sup>3</sup> .

و من الأساطير المنتشرة في المغرب ما يعرف بصحابة رجراجة الذين أوصلوا الإسلام إلى أقصى المغرب قبل وصول الفاتحين العرب المسلمين إلى هذه المنطقة ، فقد نقل العباس بن إبراهيم السملالي أثناء حديثه عن رباط شاعر <sup>4</sup> أنّ الذي بناه اسمه يعلى بن مصلين الرجراجي ، و هو أحد رجال رجراجة <sup>5</sup> السبع الذين يُذكر أنّهم وفدوا على النبي صلى الله عليه و سلم في زمانه بمكة قبل الهجرة

<sup>1</sup> الدباغ، مصدر سابق، ج1، ص ص 39-40 .

<sup>2</sup> نفسه، ج1، ص 40 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 7 .

<sup>4</sup> رباط شاعر : محله اليوم قرية تسمى سيدي شيكر بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط ، و هو واحد من رباطات نشأت على هوامش المناطق السهلية التي كانت تحتلها برغواطة ( ابن الزيات، مصدر سابق، ص 51، هامش 34 ) .

<sup>5</sup> مضارب رجراجة كما ذكر الإدريسي في آسفي في المغرب الأقصى ( الإدريسي، مصدر سابق ، ج1، ص 240 ) .

و كلمهم بلغهم البربرية فأسلموا و رجعوا إلى بلادهم ، و إثم أول من أدخل الإسلام إلى المغرب<sup>1</sup> .

و يحاول المؤلف أن يثبت صحبتهم بذكر من أورد حكاية ورودهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : " و حكاية ورودهم على الرسول عليه السلام من المغرب مذكورة في شرح ابن مخلوف و ابن شرف التلمساني و الخفاجي على الشفا و شرح أكرام السوسي على الرسالة ، و أفرد إثبات صحبتهم بالكتابة جماعة ، منهم شيخ الشيوخ محمد بن سعيد المرغني السوسي قال : اشتهرت صحبتهم ببلاد المغرب اشتهارا يأبى الله أن يكون باطلا بين الخواص و العوام و منهم شيوخنا الذين اعتمدنا عليهم ، و منهم شيخنا حافظ المغرب العلامة عبد المس بن علي بن طاهر الحسني و غيرهم من أشرف أهل بلدة العلم ، منهم مفتي الحضرة الحمراء و مفسرها و مؤرخها سيدي عبد الواحد بن أحمد و كفى به حجة"<sup>2</sup> .

و جاء في سلوة الأنفاس للكتاني ما يلي : " تقدم قريبا ذكر سيدي أحمد بن حمدون الركاكي و في ترجمة الشيخ سيدي أبي بكر العربي أنه دفن معه بروضته جماعة ، من جملتهم رجل يقال له سيدي الجلاي الركاكي ، قبيلة معروفة ببلاد حاحة و يقال لهم المصامدة و هم موصوفون بالخير و البركة قديما ، لأنه يقال إنه وفد منهم على النبي صلى الله عليه و سلم و هو بمكة قبل الهجرة رجال سبعة و كلموه بلغتهم و هي البربرية و أجابهم عليه السلام بها أيضا ، فأسلموا و رجعوا إلى بلادهم ، و إثم أول من أدخل الإسلام إلى المغرب"<sup>3</sup> .

ثم يواصل الكتاني روايته عن هؤلاء الذين عدّهم من الصحابة فيقول : " و في حاشية الشفا المسماة بالمنهل الأصفى للشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي الشرف الحسيني التلمساني في فصل فصاحته صلى الله عليه و سلم و بلاغته ما نصه : قال ابن سيدي الحسن : كان شيخنا أبو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن علي البجائي عن أبيه و غيره من شيوخه و يقول : إنما كان المصامدة فيهم بركة لأنه وفد منهم رجل على رسول الله صلى الله عليه و سلم هكذا سمعته يقول ، و ذكرته

<sup>1</sup> العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام ، راجعه : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1993م، ج9، ص 311 .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>3</sup> الكتاني ، مرجع سابق، ج3، ص 294 .

لبعض من يعتني بالعلم و الخير من المصامدة فقال : بل هم رجالان ، و ذكر لي قوم أتهم سبعة و إنّ قبورهم موجودة إلى الآن و الله أعلم <sup>1</sup> .

و يزيدنا المؤلف نفسه تفصيلا لهذه الرواية ناقلا طرفا من الحديث باللغة البربرية بين الرجراجي أو الرراكي و النبي عليه الصلاة و السلام فيقول : " قال أبو زكريا : حين بعث رسول الله ، فلما دخل المسجد الحرام لم يعرف النبي صلى الله عليه و سلم فسأل عنه بلسانه و لم يفهم العربية ، فقال الرجل بلغته : من ديون أسر إن ربي ؟ و أسر بلغتهم النبي أو الرسول ، و معناه أيكم رسول الله ؟ فلم يفهم الحاضرون قوله ، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم : أشكد أور ، معنى أشكد تعال أو أقبل أو هلم أو معناه هنا أو إلينا ، فجعل رسول الله يجيبه بلغته و لا يفهم القوم ، فأسلم و بايع و انصرف إلى قومه ، و كان النبي أخبرهم بقدمه و بلغته و قومه ، قال أبو زكريا : كان شيخنا منصور يحدث هذا الحديث في هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك <sup>2</sup> .

و نقل الكتاني رواية أخرى و فيها أنهم لما وفدوا على المصطفى صلى الله عليه و سلم قالوا : مت يكن أيكن أرقص نوب ؟ بمعنى فيكم الذي هو رسول الله ؟ فقال لهم النبي عليه الصلاة و السلام : نكن أشكد بمعنى أنا ، تعالوا <sup>3</sup> .

و قد ألف أحد المغاربة المعاصرين و اسمه عبد الله بن محمد بن البشير المقدم الرجراجي السعيد مؤلفا ثبت فيه صحة صحبة الرجراجيين و اسمه بالسيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول ، و أورد فيه روايات لا تزيد ادعاء صحبة هؤلاء إلا وهنا و ضعفا ، و من ذلك ما ورد في سبب تسميهم فيقول : " و ذكر في أحاديث غريبة أنّ سبعة رجال رجراجيين مسلمين من أهل المغرب الأقصى وصلوا إلى النبي صلى الله عليه و سلم ، و سبب تسميتهم رجراجة أنهم حين قدموا مكة رفعوا أصواتهم بذكر الله يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله قدمنا جاه النبي و يكررونه فتزحزح لذلك وادي مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لبنته فاطمة : انظري ما هذا ، فقالت له : صوت جيش قوم يترجعون ، فقال : سميتهم يا فاطمة ، و هم رجراجة من باب تسميته الشيء بلفظه ، و ذلك من أعظم الأسماء <sup>4</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>2</sup> نفسه، ج3، ص295 .

<sup>3</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>4</sup> عبد الله بن محمد بن البشير المقدم الرجراجي السعيد، السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول ، مطبوعات المعهد الشعبي الإسلامي، الصويرة ( المغرب)، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، ص 27 .

و من فضائلهم التي ذكرها صاحب السيف المسلول إضافة إلى أسبقيتهم في الإسلام ، فإن أسلافهم كانوا سابقين أيضا إلى التدين بدين المسيح عيسى عليه السلام فيقول : " و رجراة المتحدث عنهم في عداد قبائل المصامدة من البربر، لكّهم تميزوا عنهم بالأسبقية إلى الإسلام لما سبق سلفهم إلى التدين بدين المسيح عليه السلام كما صرح به غير واحد كصاحب العيون المرضية و نقله عن جماعة ، و هو المعلوم لديهم الآن الموجود بخطوطه — أنّ سلفهم كانوا مع المسيح عليه السلام " <sup>1</sup> .

و في هذا السياق جاء في الاستبصار خرافة عن رجل قيل إنّ من الحواريين ، فيذكر أنّه في طريق سكرة جبلا و فيه كهف فيه رجل قتيل لم يعرف أحد من أي عهد هو و لم تغيّر الدهور و لا تقادم الأزمان كأنما جراح هبططر دما كأنما قد قتل منذ يومين ، و تخبر الكافة عن الكافة و الخلف عن السلف أنّهم كذا عرفوه منذ كانوا ، و قد نقله أهل تلك النواحي و دفنوه بأقبيتهم تبركا به ، ثمّ لم يلبث أن وجده في الكهف على حاله ، يحدث بذلك ثقات أهل النواحي و يقال إنّ من الحواريين <sup>2</sup> .

و بالعودة إلى أخبار هؤلاء الرجراجيين فإنّ من غرائبهم أنّهم أسلموا و بشروا بالإسلام قبل ظهوره في زمان الجاهلية ، قال في السيف المسلول : " و مما وجدناه منقولا من زاوية الشيخ الفقيه العلامة السيد محمد بن عبد العزيز بن حاتم الأندلسي عن بعض أشياخه المتقدمين الأندلسيين أنّ أجداد سادتنا رجراة انتقلوا من عدوة الأندلس راكبين على سفينتهم في البحر بأربعة رجال أسماءهم الأول أمج و الثاني علقمة و الثالث أردن و الرابع أرتن ، و خرجوا بإقليم حاحة في الساحل و ذلك قبل الإسلام في زمان الجاهلية ، و نزلوا باكور بحذاء وادي حريلة و هي تنسيفت بقرب دخولها في البحر ، و بنوا بها مسجدا لعبادة الله و يسمى مسجد الحواريين و الناس يتبركون به ، و وجدوا لهم بركة عظيمة و يدخلون معهم في دين الإسلام ، و من هناك تفرقوا في ذلك الإقليم " <sup>3</sup> .

و هذه الروايات حول صحب الرجراجيين ليس لها أسانيد لذلك نجد صاحب السيف المسلول يحاول إسنادها ، لكن ليس بسند متصل إلى النبي صلى الله عليه و سلم بل بسند نازل جدا يقف

<sup>1</sup> نفسه، ص 41 .

<sup>2</sup> مجهول، الاستبصار، ص 173 .

<sup>3</sup> عبد الله بن محمد الرجراجي السعدي، مرجع سابق، ص 27 .

عند القرن 9هـ/15م فيقول : " و مما رُوي منقولاً عن خليفة شيخنا و وسيلتنا إلى الله القطب<sup>1</sup> أبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي سأل الشيخ عن أخبار الرجال السبعة الرجراجيين هل صحت ملاقاتهم مع النبي عليه الصلاة و السلام ؟ فقال له الشيخ : نعم لا شك في ذلك ، و رويناه عن أسياننا منهم سيدي عبد الرحمان الثعالبي<sup>2</sup> ، فجزمنا بصحة ملاقاتهم له عليه الصلاة و السلام"<sup>3</sup> .

و عن سبب عدم ذكرهم في كتب الحديث أنّ العرب لم يفهموا لغتهم التي تكلموا بها فلم يعرف المحدثون ما ينقلوه عنهم حسب رواية المؤلف الرجراجي عن شيوخه حيث قال : " فقليل للشيخ : ما سبب خلاف العلماء في ذلك الأمر ؟ فقال لهم : لأنهم قدموا لزيارة النبي صلى الله عليه و سلم بسبعة ، و قال المذكور بجيش عظيم من المغرب الأقصى و الإسلام ضعيف و غريب كما في الحديث ، فلما وصلوا إليه عليه الصلاة و السلام وجدوه جالساً وسط الصحابة رضي الله عنهم و العرب حاضرون و كلموه بلغتهم البربرية ، و رسول الله علّمه الله جميع اللغات ليبلغه أقصى الغايات ، فسلموا و سلم معهم و العرب مع الصحابة لم يفهموا ما قال لهم و لا ما قالوا له ، و لم يعرف المحدثون عنهم ما ينقلون عنه -م في كتب الحديث- ، فهذا سبب الخلاف في ذلك"<sup>4</sup> .

و اختلف في عددهم فقد جاء في الترجمانة الكبرى أنّ عددهم قد يصل إلى اثني عشر رجلاً فقال مؤلفها : " و أول من أدخل دين الإسلام للمغرب فقليل إنهم رجال رقيقة (بالقاف) السبعة من

<sup>1</sup> القطب : هو الواحد الذي هو موضوع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان ، و هو على قلب إسرائيل عليه السلام ( عبد الرزاق الكاشاني، مصدر سابق، ص 162 ) . و في موسوعة مصطلحات التصوف تعريفات كثيرة للقطب لا تزيد معناه إلا غموضاً ، و يطلق عليه الصوفية أيضاً الغوث ، جاء في هذه الموسوعة : " إذا انتقل القطب الغوث إلى رحمة الله تجتمع الأبدال السبعة لانتخاب واحد منهم ليكون غوثاً فإذا اختلف رأيهم لقرارهم يلجأون إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيأتون إليه و يقفون بين يديه ، فيخص صلوات الله و سلامه عليه أحد الأبدال ، و يكون هذا القطب الغوث موضع تجلي اسم الله ، و من يتجلي له الاسم الأعظم تخضع له المظاهر و يتصرف بعالم الملك و الملكوت بحكم الاسم المتجلي عليه ، و يكون غوثاً معاناً بروحانية محمد صلى الله عليه و سلم " ( د/ رفيق العجم، مرجع سابق ، ص 763 ) .

<sup>2</sup> عبد الرحمان الثعالبي ( 786 - 875 هـ / 1387 - 1470م ) : عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، أبو زيد مفسر من أعيان الجزائر ، زار تونس و المشرق ، من كتبه الجواهر الحسان في تفسير القرآن و الأنوار في المعجزات النبوية و جامع الأمهات في أحكام العبادات ( الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 331 ) .

<sup>3</sup> عبد الله بن محمد الرجراجي السعيد، مرجع سابق، ص 28 .

<sup>4</sup> نفسه، نفس الصفحة .



المصامدة ، و قتل كانوا اثني عشر رجلا اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه و سلم و كلمهم باللسان البربري<sup>1</sup> .

و أما عن أسماء هؤلاء الصحابة المزعومين فذكر الكتاني أنّ مقدمهم سيدي وسمان في طرف جبل الحديد ، ثم سيدي أبو بكر أشماس في زاوية أقرمود و ولده سيدي صالح بن أبي بكر و سيدي عبد الله أدناس بالمشهد و سيدي عيسى بوخابية في طرف وادي تنسفت و سيدي يعلى بن مصلين بأمسكن و سيدي سعيد أبيقى في تمازت<sup>2</sup> ، و هؤلاء السبعة عند من يعتقد بصحبتهم لهم فضل مشهور في قديم الزمان ، و الناس تقصدهم بالزيارة من كل فج عميق في كل فصول السنة و لاسيما في فصل الربيع ، و يتلقاهم أهل كل زاوية من زوايا رجاجة بالضيافة و الإكرام و هكذا إلى الآن ، و نسبة الصحبة لهم شائعة ذائعة على ألسنة الناس خصوصا عند أهل بلاد رج راجة و عموما عند غيرهم<sup>3</sup> .

و مما يؤكد فضيلة هذه الزيارات عند معتقدي هذه الخرافة ما روي عن هؤلاء الصحابة المزعومين أنّه أثناء عودتهم إلى بلدهم أرسل معهم النبي صلى الله عليه و سلم كتابا رجعوا به إلى المغرب الأقصى يدعوهم فيه إلى الإسلام ، فلما وصلوا إلى بلادهم جمع رئيسهم و مقدمهم واسمين المصامدة بذلك الإقليم من كل ناحية على قراءة ذلك الكتاب في موضع شاكرة و يسمى مسجد مسيرة و له فضائل كثيرة و هو كمسجد مكة في الفضل ، فلما أسمعهم قراءة الكتاب و سمع القوم منه دعوة النبي صلى الله عليه و سلم أراد كل واحد منهم أن يكون الكتاب بيده ، فلما رأى واسمين ذلك حبس الكتاب و ذهب به و دفنه بأرض أخرى و أخفاه عن جميع القوم ، فلما رجعوا إليه بعد أيام قليلة و سألوه عنه و قدم معهم ليخرجه إليهم من محل دفنهم فإذا هو ينبع منه ماء كالثلج ، و صاروا يتعجبون من أمر الله و يتفكرون في معجزة النبي صلى الله عليه و سلم ، و قدم جميع رجاجة و من كان معهم من المؤمنين و داروا بذلك المحل و دعوا الله أن يجعل البركة و الانتفاع في ذلك الماء فصار أجاجا ، و انتفع به المسلمون من بعدهم<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> أبو القاسم الزباني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا، تحقيق و تعليق : د/ عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة، الرباط، الطبعة الثانية، 1412هـ/1991م، ص 80 .

<sup>2</sup> الكتاني، مرجع سابق، ج3، ص 295 .

<sup>3</sup> نفسه، ج3، ص 297 .

<sup>4</sup> عبد الله بن محمد الرجرجي السعيد، مرجع سابق، ص 29 .

و هناك رواية أخرى تنزل هؤلاء الرجال إلى مرتبة التابعين الذين عاصروا الصح — ابة رضوان الله عليهم ، فيذكر أبو القاسم الزباني أنّ الصحيح في أمرهم أنّهم لم يجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم و إنما أسلموا على يد عمر بن الخطاب و علمهم دينهم وتوجهوا لمغربهم ، و ذلك عام 18هـ / 638م<sup>1</sup> .

و هذه الأخبار و الروايات الأسطورية لا سند لها في كتب الإسلام المعتبرة سواء تلك التي دونت الحديث الشريف و ما أكثرها أو تلك التي كتبت تاريخ الإسلام عامة و تاريخ السيرة النبوية خاصة ، و أقوى ما استدلل به المؤمنون و الناشرون لهذه الخرافة سند لا نعرف رجاله انتهى إلى عبد الرحمان الثعالبي المتوفى في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، أو كما قال الكتاني أنّ هذه الأخبار كان نقلها عن جماعة من الأعلام و أرباب الكشف<sup>2</sup> .

و الكشف عند الصوفية له معان كثيرة عندهم ، و أظن الكتاني يقصد به بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي ع—ين<sup>3</sup> ، و هو عندهم طريق العلم الصحيح فمن لا كشف له لا علم له<sup>4</sup> ، و هم — أي الصوفية — لا يحتاجون إلى إتباع فكر في تحصيل شيء مما طريقه العقل<sup>5</sup> .

و مما يبين بطلان خرافة صحابة رجراجة ما ورد فيها من تفاصيل ، فكيف يكون هؤلاء الصحابة قد أسلموا قبل ظهور الإسلام و نشروا الإس—لام قبل أن يبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ؟ و كان الأجدد و الأولى بأدعياء هذه الخرافة أن يقولوا إنّ الرجراجيين باعتبارهم من حواربي عيسى أنّهم نشروا المسيحية في بلاد المغرب .

و كيف يأتي هؤلاء إلى مكة المكرمة في جيش عظيم و لا ينصرون النبي صلى الله عليه وسلم و هو في أشد الحاجة إلى من ينصره ؟ و لو حدث هذا فعلا و قدموا عليه صلى الله عليه وسلم لأرسل معهم من الصحابة من يعلمهم دينهم كما أرسل الصحابي الجليل مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلم الأنصار تعاليم الإس—لام بعد إسلامه—م ، و كيف يقدمون إلى مكة رافعين أصواتهم بالذكر و التهليل و لا يمنعهم زعماء قريش و لا يعترضونهم في مرحلة كانت الكلمة العليا فيها لكفار مكة ؟

<sup>1</sup> أبو القاسم الزباني، مصدر سابق، ص 80 .

<sup>2</sup> الكتاني، مصدر سابق، ج3، ص 295 .

<sup>3</sup> د/ رفيق العجم، مرجع سابق، ص 790 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 791 .

<sup>5</sup> نفسه، ص 793 .

و متى تزحزح وادي ملئمة و تحققت لهم هذه الكرامة ؟ و من ذا الذي روى أنّ النبي عليه الصلاة و السلام تحدث بلغة غير العربية ؟ و ما هي الدلائل من الكتاب و السنة الصحيحة على أنّ مسجد مسيرة الذي في موضع شاكرة كمسجد مكة الحرام في الفضل ؟ و أي بركة في ماء مالح كالأجاج ؟ و قد حاول مؤلف السيف المسلول أن يستدل بقول الحافظ ابن حجر أنّه من الأمور التي تثبت الصحبة بها الشهرة<sup>1</sup> ، ذاكرا أنّه يسمع كثيرا من الطبقة الوسطى من رجراجة يحفظون كلام هؤلاء الصحابة المزعومين مع النبي صلى الله عليه و سلم بالبربرية و ردّه عليهم بما فضلا عن الطبقة العليا منهم و توجد أيضا في رسومهم العتيقة ، و قد أثبت هذه الشهرة و الاستفاضة خصوصا عند أهل بلدهم حفظا و خطأ ، فلم لا تثبت لهم صحبة ؟<sup>2</sup>

و الإستدلال بكلام الحافظ ابن حجر حجة على هذا المؤلف لا حجة له ، فإذا كان هؤلاء الرجراجيون قد اشتهر أمرهم ، فلماذا لم يذكرهم هذا الإمام الجليل في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة الذي يعد من أشهر الكتب و أدقها و أشملها الخاصة بالتعريف بالصحابة رضوان الله عليهم ؟

و إذا سلمنا بأنّ شهرة هؤلاء الرجال قد استفاضت فإنها ليست بقديمة العهد و لم تكن في القرون الأولى و لم تشمل جميع مناطق بلاد المغرب فضلا عن بلاد الإسلام ، و القائلون بصحبتهم متأخرون من أهل القرن الثامن الهجـري/الرابع عشر الميلادي ثمّ من أتى بعده —م ، قال محمد بن أحمد العبدي الكانوني : " و قد أبى ذلك عن جماعة ، قالوا إنّهم لم يدخل المغرب صحابي و أول من أدخل الإسلام للمغرب عقبة بن نافع الفهري ، و قد جمع بين القولين بعض الأئمة بأنّ رجراجة أول من أدخل الإسلام للمغرب و لكن لم يحملوا الناس عليه بالقوة و أنّ عقبة بن نافع هو أول من أظهر الدين و حمل الناس عليه بالقوة ، و الذي يظهر لي بعد التروي أنّ إثبات الصحبة يحتاج لأدلة أمتن و أصح من الأدلة التي أقامها المرغيثي و غيره ، لأنّ الشهرة المذكورة ليست بقديمة العهد حسبما يظهر من كون العلماء القائلين بصحبتهم إنما هم من أهل القرن الثامن فما بعده"<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : " الطريق إلى معرفة كون الشخص صحابيا و ذلك بأشياء أولها أن يثبت بطريقة التواتر أنّه صحابي ثمّ الاستفاضة و الشهرة ، ثمّ بأن يروى عن آحاد من الصحابة أنّ فلانا له صحبة مثلا ، و كذا آحاد التابعين بناءً على قبول التزكية من واحد ، و هو الراجح بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة " ( ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1415هـ / 1995م ، ج1 ، ص 160 ) .

<sup>2</sup> عبد الله بن محمد الرجراجي السعيد ، مرجع سابق ، ص 43 .

<sup>3</sup> محمد بن أحمد العبدي الكانوني ، آسفى و ما إليه قديما و حديثا ، ص 24 .

و بهذا يتبين جليا أن نسبة الصحبة لرجال رجاجة لا يمكن القول بها ، وشهرتهم لا تعدو مناطق مدافنهم ، و هذه الروايات كلها موضوعة مكذوبة لا يج اوز الإيمان بها و تصديقها حناجر واضعيتها .

## ب - أساطير و خرافات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ( القرن 1هـ/7م ) :

تعتبر القيروان أول مدينة اختطها المسلمون في بلاد المغرب لتكون قاعدة ينطلقون منها لاستكمال فتوحاتهم في هذه المنطقة و الذي بناها عقبة بن نافع ، و قد أحاطت الخرافة بهذا البناء حيث يروى أنّ عقبة قبل مباشرة البناء و بعد اختيار موضعه خاطب السباع و الحيات أن ارحلوا مهددا بقتلهم إن وجدهم بعد هذا الخطاب ، فحدث بعد ذلك العجب حيث رأى الناس السباع تحمل أشبالها سمعا و طاعة و الذئب يحمل جروه و الحية تحمل أولادها ، فلما خرج ما فيها من الوحش و السباع و الهوام دخل الناس فأمرهم عقبة أن يقطعوا الشجر و شرع عقبة و المسلمون في اختطاط المدينة و قال هذا قيروانكم<sup>1</sup> ، و خروج الدواب من هذه البقعة سببه تخريب بيئتهم الطبيعية التي توفر لهم سبل عيشهم ، و يدل على هذا رواية ابن عبد البر في الإستيعاب أنّ موضع القيروان كان واديا كثير الأشجار غيضة مأوى للوحوش ، فأمر عقبة بقطع ذلك و حرقه و أمر الناس بالبنين<sup>2</sup> ، فيصبح حينها خروج الحيوانات من ذلك الموقع أمرا طبيعيا جدا لا يحتاج إلى معجزة أو كرامة .

و من الأخبار الواهية التي رويت في عمليات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ما نُقل عن عقبة بن نافع أنّه بلغ البحر الأعظم حيث ماسة و أدخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول و عليكم السلام ، فقال له أصحابه : على من تسلم يا ولي الله ؟ فقال لهم : إنّ قوم يونس عليه السلام سلموا علي فسلمت عليهم و لولا البحر لأرييكم إياهم<sup>3</sup> .

و هذا الخبر من الأباطيل فقوم يونس ما سكنوا بلاد المغرب قط ، إنما كان مبعثه عليه السلام إلى أهل نينوى<sup>4</sup> في العراق فكذبوه و أخرجوه و عادوه ثمّ لبثوا فتاب الله عليهم<sup>5</sup> ، و ثمة أمر آخر مهم ينسف هذه الرواية و هو كيف يكون مسكن قوم يونس البحر و هم من الإنس ؟

<sup>1</sup> ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج1، ص 265 .  
ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 20 .

<sup>2</sup> ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، صححه و خرّج أحاديثه : عادل مرشد، دار الأعلام، عمّان، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ترجمة رقم 1905، ص 563 .

<sup>3</sup> علي الجزلاني، مصدر سابق، ص 8 - 9 . ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص 27 .

<sup>4</sup> نينوى : كورة من كور الموصل من عمل الجزيرة، و هي مقابلة للموصل بينهما دجلة ( الحميري، مصدر سابق، ص 585 ) .

<sup>5</sup> المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء و التاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج3، ص 110 . ابن كثير ، البداية و النهاية، ج2، ص 17 .

و يروي ابن عذارى حديثا في فضل عقبة و لم يسنده فقال : " و يروي أنّ النبي صلى الله عليه و سلم أنذر بقتل عقبة و أصحابه و نهي عن سكن مدينة تهودة<sup>1</sup> و قال : سوف يقتل من أمّتي مجاهدون في سبيل الله ثوابهم كثواب أهل بدر، ما بدلوا و لا غيروا يأتون يوم القيامة و سيوفهم على عواتقهم ، و كان شهر بن حوشب<sup>2</sup> يقول : و اشواقاه إليهم ، و كان يقول سألت أكثر العلماء عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة بن نافع و أصحابه قتله البربر و الروم بمدينة تسمى تهودة فمنها يحشرون حتى يقفوا بين يدي الله سبحانه<sup>3</sup> .

و هذا الحديث رواه أيضا عدد من المغاربة ، فقد رواه أبو تميم في طبقاته عن وهب بن منبه<sup>4</sup> و شهر بن حوشب أنّ هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهودة كان النبي صلى الله عليه و سلم نهي عن سكناها و قال : " سوف يقتل به رجال من أمّتي على الجهاد في سبيل الله ، ثوابهم ثواب أهل بدر و أهل أحد ، و الله ما بدلوا حتى ماتوا ، و اشواقاه إليهم<sup>5</sup> ، و نفس الرواية عند المالكي في رياض<sup>6</sup> ، و كذلك رواه بنفس الألفاظ تقريبا الحميري في الروض<sup>7</sup> و صاحب الاستبصار<sup>8</sup> ، و عند الدباغ أنّه زوي أنّ عقبة مرّ بعبد الله بن عمرو بن العاص و هو بمصر في وقت عودته إلى إفريقية فقال له عبد الله : لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحاهم ، قال : فمضى جيشه حتى قاتل البربر و هم كفار فقتلوا جميع<sup>9</sup> .

و الظاهر في هذه الروايات أنّها من وضع أهل المغرب و ذلك لبيان فضل عقبة و من معه ، و إذا نظرنا إلى إسناد أبي العرب تميم الذي روى حديث لعن تهودة فإنه جاء كما يلي : قال أبو العرب و قرأنا عن إسحاق بن أبي عبد الملك عن أبيه عن مقاتل عن وهب بن منبه و شهر بن

<sup>1</sup> تهودة : من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة ( الحميري، مصدر سابق، ص 142 ) .

<sup>2</sup> شهر بن حوشب : أبو سعيد الأشعري الشامي مولى الصحابية أسماء بنت يزيد الأنصاري ، كان من كبار علماء التابعين ، مولده في خلافة عثمان ، قيل توفي سنة 100 هـ / 718 م و قيل سنة 98 هـ / 716 م ، و قال الواقدي سنة 112 هـ / 730 م ( الذهبي سير أعلام النبلاء، ج4، ص 372 . الزركلي، مرجع سابق ، ج3، ص 178 ) .

<sup>3</sup> ابن عذارى ، مصدر سابق، ج1، ص 30 .

<sup>4</sup> وهب بن منبه : العلامة الإخباري القصصي، مولده في زمن عثمان سنة 34 هـ / 654 م ، أصله فارسي من هرة ، ولد بصنعاء و مات بها سنة 114 هـ / 732 م ( الذهبي، مصدر سابق، ج4، ص 544 . الزركلي، مرجع سابق، ج8، ص 125 ) .

<sup>5</sup> أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ص ص 9 - 10 .

<sup>6</sup> المالكي، مصدر سابق، ج1، ص 43 .

<sup>7</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 142 .

<sup>8</sup> مجهول، الاستبصار، ص 174 .

<sup>9</sup> الدباغ ، مصدر سابق ، ج1، ص 80 .

حوشب أنّ هذه البقعة الملعونة التي يقال لها ته —ودة كان النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن سكنها<sup>1</sup>، و في هذا الإسناد مقاتل و هو مقاتل بن سليمان البلخي المفسر و كذّبه غير واحد من أهل الجرح و التعديل<sup>2</sup>، إضافه إلى هذا فإنّ وهب بن منبه و شهر بن حوشب تابعيان لم يلقيا رسول الله صلى الله عليه و سلم فحديثهما مرسل، و المرسل عند المحدثين يذكر في قسم المردود للجهل بحال المحذوف لأنّه يحتمل أن يكون صحابيا و يحتمل أن يكون تابعا<sup>3</sup>.

كما أنّ مدفن عقبة في تهودة لا يزال إلى اليوم، فلو كان النهي عن سكنها حقا يلزم ذلك النهي عن الدفن فيه، فكيف يدفن عقبة في مكان لعنه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كيف للمسلمين أن ينزلوا بجوار مكان هذه حاله و يُعَمِّروا فيه إلى اليوم؟

كما أنّه لم يثبت عن النبي عليه الصلاة و السلام أنّه نهى أو لعن مكانا بعينه إلا الحجر أرض ثمود، فعن ابن عمر قال: لما مر النبي عليه الصلاة و السلام بالحجر قال: " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسه و أسرع السير حتى أجاز الوادي"<sup>4</sup>.

و أمّا ما رواه أبو داود أنّ عليّا مرّ ببابل و هو يسير فجاءه المؤذن يؤذنه لصلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة، فلما فرغ قال: " إن جيّ عليه السلام نهاني أن أصلي في المقبرة و نهاني أن أصلي في أرض بابل فإنّها ملعونة "، قال عنه المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني إنّ حديث ضعيف<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أبو العرب تميم، مصدر سابق، ص 9.

<sup>2</sup> جاء في ميزان الاعتدال للذهبي أنّ مقاتل بن سليمان البلخي هذا كان كاذبا قاله وكيع، قتال النسائي: كان مقاتل يكذب، و قال الجوزجاني: كان دجالا جسورا، و قال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود و النصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم و كان يُشَبِّهُ الرَّبَّ سبحانه و تعالى بالمخلوقات و كان يكذب في الحديث (الذهبي، ميزان الاعتدال، ترجمة رقم 8741، ج4، ص 173).

<sup>3</sup> ابن حجر، نزهة النظر، ص 101.

<sup>4</sup> البخاري، الصحيح، كتاب المغازي، باب نزول النبي صلى الله عليه و سلم الحجر، حديث رقم 4419، ج3، ص 180. مسلم، الصحيح، كتاب الزهد و الرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حديث رقم 2980، ص 1194.

<sup>5</sup> الألباني، ضعيف سنن أبي داود، غراس للنشر و التوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، كتاب الصلاة، باب المواضع التي لا يجوز فيها الصلاة، ج1، ص 170.

و لاحقت موسى بن نصير الأساطير و الخرافات و التي حفلت بها بعض المصادر التاريخية أثناء عمليات الفتح التي قادها في بلاد المغرب ، فهو من القادة الذين لم يعرفوا الهزيمة في معاركهم العسكرية قط ، و من هذه الخرافات ما رواه ابن قتيبة عن شيخ من مشايخ تونس قال : " إن موسى انتهى إلى صنم يشير بإصبعه إلى خلفه ، ثمّ تقدم إلى صنم أمام الصنم الأول فإذا هو يشير بإصبعه إلى السماء ، ثمّ تقدم فإذا بصنم على نهر جار يشير بإصبعه تحت قدميه ، فلما انتهى موسى إلى الصنم الثالث قال موسى : احفروا بمحدث - شيء كالإبريق قد أغلقت فوهته - مختم الرأس ، فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة ، فقال موسى للجيش : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : لا و الله أيها الأمير ما ندري ، قال : ذاك شيطان من الشياطين التي سجنها نبي الله سليمان بن داود " <sup>1</sup> ، و زاد عبد الملك بن حبيب أنّ موسى مضى حتى انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر فوجد فيه ست عشرة جرّة خضراء مختومة بخاتم سليمان فأمر بجرّة منها فكسرت ، فخرج منها شيطان و هو ينفض رأسه و يقول : و الذي كرمك بالحق يا نبي الله بالنبوة لا أعود بعده - أفسد في الأرض و لا أؤدي مخلوقا ، فأمر ببقية الجرار فردت في موضعها " <sup>2</sup> .

و ممّا يروى في هذا السياق الأسطوري الخيالي أنّ موسى انتهى إلى نهر في الشق الأول عليه أصنام ذكور في الجانب الأيمن منه و في الجانب الأيسر أصنام إناث ، ثمّ مضى حتى انتهى إلى أرض تميد بأهلها ففرع الناس و حادوا عنه ، ثمّ مضى حتى انتهى إلى موضع فإذا به قباب من نحاس ، فأمر بقبه فكسرت فخرج منها شيطان و هو ينفض رأسه و يقول : السلام عليك يا نبي الله لقد عذبتني في الدنيا ، فلما علم الشيطان أنّه ليس سليمان مضى لوجهه ، فعرف موسى أنّها من الشياطين التي سجنها سليمان عليه السلام فأمر بها فتركت <sup>3</sup> .

و هذه من أكثر الروايات الموضوعة البيّن وضعها ، فسليمان عليه السلام دع - ا ربه قائلا : " رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي " <sup>4</sup> ، و قد صح عن نبينا محمد صلى الله عليه و سلم قوله في الشيطان الذي أراد أن يقطع عليه الصلاة : " فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمع - ون ، ثمّ ذكرت قول أخي سليمان " رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي " فردّه الله خاسئا " ، و في لفظ

<sup>1</sup> ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، ج2، ص 100 .

<sup>2</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 149 .

<sup>3</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>4</sup> سورة ص، الآية 35 .



آخر: " و الله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان المدينة " <sup>1</sup> ، فأنى لموسى أن يطلع على جزء من ملك سليمان فتكلمه الشياطين و يعلم أنّها من التي سجنها سليمان عليه السلام ؟ و أنى لموسى أن يعرف أن الجرار الخضراء عليها ختم سليمان ؟ و هل كان يعرف قبل هذا شكل خاتم سليمان ؟

و من الأساطير أيضا ما يعرف بمدينة النحاس و قد ذكرها ابن قتيبة فقال : " و حدثنا عمارة بن راشد قال : بلغنا أنّ موسى كان يسير في بعض غزواته و هو بأقصى المغرب إذ غشي الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها و خافوا و سار بهم موسى في ذلك ، إذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس ، فلما أتاها أقام عليها و طاف بها فلم يقدر على دخولها ، فأمر بنبل و رماح و ندب الناس فجعل يقول : من يصعد هذه و له خمسمئة دينار ، فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيها ، ثمّ ندب الناس موسى ثانية و قال : من يصعد و له ألف دينار ، فصعد آخر ففعل به مثل ذلك ، ثمّ ندب الناس الثالثة و قال : من يصعد و له ألف و خمسمئة دينار ، فصعد رجل ثالث فأصابه ما أصاب صاحبيه ، فكلم الناس موسى فقالوا : هذا أمر عظيم أصيب إخواننا و غرّرت بهم حتى هلكوا ، فقال لهم : على رسلكم يأتيكم الأمر على ما تحبون إن شاء الله ، ثمّ أمر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثمّ أمر أن يرمي الحصن ، فلما علم من في الحصن ما عمل موسى ضجوا و صاحوا و قالوا : يأيتها الملك لسنا بغيتك و لا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا ، فقال لهم موسى : أين أصحابي و ما فعلوا ؟ قالوا : هم عندنا على حالهم ، فقال : أخرجوهم إلينا ، قالوا : نعم ، فأخرج الثلاثة نفر ، فسألهم عن أمرهم و ما صنع بهم فقالوا : ما درينا ما كنا فيه و ما أصابتنا شوكة حتى أخرجنا إليك ، فقال موسى : الحمد لله كثيرا <sup>2</sup>

و لم يذكر رواية هذه الخرافة مكان هذه المدينة التي حصنها من نحاس و سكانها من الجن ، و الجن من عالم الغيب الذي لا نعرف أخباره إلا عن طريق الكتاب و السنة الصحيحة ، فقد جاء عنهم أنّهم ليس لهم مدن بعينها يعيشون فيه و إنّما يسكنون الأرض و يكثرون تواجدهم في الخراب و الفلوات و مواضع النجاسات كالحمامات و الحشوش و المزابل ، و يكثرون تواجدهم في الأماكن التي يظلمون أن يفسدوا فيها كالأسواق ، و الشياطين تبيت في البيوت التي يسكنها الناس و تطردها التسمية و ذكر الله و قراءة القرآن ، و أخبر الرسول صلى الله

<sup>1</sup> مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة و التعوذ منه و جواز العمل القليل في الصلاة ، حديث رقم 541، ص 218 .

<sup>2</sup> ابن قتيبة، مصدر سابق ج2، ص 101 . عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 149 .

عليه و سلم أنّ الشياطين تنتشر و تكثر بحلول الظلام و لهذا أمرنا أن نكف صبياننا في هذه الفترة و هو حديث متفق عليه<sup>1</sup> ، و الشياطين تهرب من الأذان و لا تطيق سماع صوته و في رمضان تصفد<sup>2</sup> .

---

<sup>1</sup> البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس و جنوده، حيث رقم 3280، ج2، ص 439 . مسلم، الصحيح، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء و إيكاء السقاء و إغلاق الأبواب و ذكر اسم الله عليها، حديث رقم 2012، ص 835 .

<sup>2</sup> عمر سليمان الأشقر، مرجع سابق، ص ص 22 - 23 .

## ج - أساطير و خرافات حكام بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي :

كشيرة هي الأساطير و الخرافات التي تُروى في فضائل القادة و السلاطين ، و الهدف منها هو تعظيم هؤلاء الأشخاص في حياتهم فيزيدهم ذلك قوة و هيبة و سيطرة على الرعية ، و بعد وفاتهم فإنّ خلفهم سيعمدون إلى تلك الأكاذيب فينهلون من زيفها معتبرين أنفسهم ورثة لمن كانت تلك حاله من الكرامة و الرفعة ، فيسلطون سيف الجهل على محكوميتهم فيسهل لهم بذلك قيادتهم و التحكم في رقابهم .

و كان لل خلفاء العبيدين نصيب وافر من هذه الخرافات ، فعبيد الله المهدي أول أئمتهم وصفه حفيده المعز لدين الله بأنّه و احد الزمان و خبيئة آل محمد و عالم علمهم و كاشف جلاباب المحنة عنهم<sup>1</sup> ، و قال الداعي إدريس عماد الدين في عبيد الله إنّ — هـ قد ظهرت معجزاته و قامت آياتها و انجلي عن المؤمن—ين لما علموا من دنو ظهوره شدة الكرب<sup>2</sup> ، و كان يذكر عنه داعيته أبو عبد الله الشيعي أنّه يحي الموتى و يرد الشمس من مغربها<sup>3</sup> ، و من المعجزات المنسوبة لعبيد الله ما رواه الداعي إدريس عن عبيد الله أنّه لما كان في سجن سحلماسة و فيه قوم مسجونون منذ مدة طويلة فقال لهم : هل تحبون أن تخرجوا معي من السجن ؟ فتغامزوا مستهزئين و قالوا : هم يريدون النهوض به إلى الشام و هو يعد نفسه بما لا يكون ، فنهض إلى باب من أبواب السجن فقلعه و أخذ الفحم و خطّ في الباب صورة مركب ، فلما أكمل الصورة قال من أحب منكم الخروج فليقعد معي على الباب ، و جلس على الباب هو و ولده و جلس معه الجميع إلا واحدا منهم كذب ذلك ، فلما رأى الباب ارتفع في الهواء تعلق به فاندق ساقه ، و وقع الباب على النيل و اشتهر الخـبر و خـاب من كفر ، و نظر الناس إلى الباب يحـجـري فأيقنوا أنّه المهدي المبشر به و شاعت الأخبار بذلك<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> الداعي إدريس عماد الدين، عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار "السبع السادس أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق : مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ / 1984م، ص 11 .

<sup>2</sup> إيفانوف، المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية، ص 89 .

<sup>3</sup> المقرئزي، اتعاظ الخنفا، ج1، ص 59 .

<sup>4</sup> إيفانوف، المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية ، ص 90 .

و الروايات كلها إسماعيلية و سنية تجمع على أنّ من أخرج عبيد الله من سجنه إنما هو داعيته أبو عبد الشيعي ، و صاحب هذه الرواية الداعي إدريس نفسه مباشرة بعد ذكر هذه الواقعة يقول بذلك<sup>1</sup> ، فحينئذ لا يمكن إلا أن نضع هذه المعجزة في باب الخرافات و الأساطير .

و ممّا نسب لعبيد الله من خوارق العادات ما رواه القاضي النعمان عن المعز لدين الله أنّه ذكر قوما سبقوا إلى الإيتم—ان ثمّ تداخلهم الشك و صار بعضهم إلى النفاق فقال للمهدي : أرنا آيتك ، فأراه الله الآية في نفسه و يقول له : أنت الله —دي ليس بعـدك أحد ، فيقول له المهدي : لو كان الفضل مقصورا على واحد لما وصل إلينا منه شيء<sup>2</sup> .

و لم يكن موت عبيد الله ليمر دون أن توضع له الخوارق فقد ذكر أنّ القمر كسف ليلة وفاته كسوفاً كلياً<sup>3</sup> ، و هذا الاعتقاد كان سائداً في الجاهلية الأولى و الدليل ما رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة قال : كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم مات إبراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله : " إنّ الشمس و القمر لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته فإذا رأيتم فصلوا و ادعوا الله " <sup>4</sup> ، فأعلم النبي صلى الله عليه و سلم أنّه اعتقاد باطل ، و أنّ الشمس و القمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان على غيرهما<sup>5</sup> .

و من المعجزات المنسوبة لأئمة الدولة الفاطمية ما رواه القاضي النعمان عن سيده الخليفة العبيدي المعز لدين الله الذي انحال عليه مدحا و إطراء في العديد من كتبه ، و من ذلك ما جاء عن علم المعز، فلم نعلم له حسب النعمان مؤد بـلعالمنا فنقول أفاد منه ، و لا بعد ذلك من جليس و لا مصاحب كذلك يحسن شيئاً نقول أفاد عنه و لا كانت له رحلة و لا طلب و لا نراه يفيد شيئاً من دراسة الكتب يوازي جزء لا يتجزأ مما نراه فيه ، و نجده من فنون العلم و الحكمة لديه<sup>6</sup> .

فعلم المعز لم يتحصل عليه بطرقه المعروفة من حفظ و نصب و رحلة و جلوس عند المشايخ و العلماء ، فأئمة الإسماعيلية الباطنية مستغنون عن ذلك كله ، فهذا المعز الذي لم يطلب العلم قط

<sup>1</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>2</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 497 .

<sup>3</sup> ابن حماد، مصدر سابق، ص 26 .

<sup>4</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، حديث رقم 1043، ج 1، ص 328 .

<sup>5</sup> ابن حجر، فتح الباري، ج 2، ص 528 .

<sup>6</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسامرات، ص 148 .

في حياته لا يجاريه حسب النعمان أحـد ممن اكتهل و خرف من الطلب و رحل و كتب و لقي العلماء و أخذ عن الحكماء و أكب الدهر الطويل على الدراسة<sup>1</sup> .

و رغم ذلك يصير القاضي النعمان على تصنيفه في العلماء الأعـلام البارـعين في كل الفنون و العلوم فيقول : " وجدناه قد نظر في كل فن و برع في كل علم ، و إن تكلم في فن منها أربى على المتكلمين و كان فيه نسيج وحده في العالمين ، أما علم الباطن و وجهه فهو البحر الذي لا تخاض لجه ولا يدرك آخره ، و أما القول في التوحيد و الرد على أهل اقتراف البدع و الملحدین فهو واحده و علمه و مناروه عمدته ، و أما الفقه و الحلال و الحرام و مسائل الفتيا و الأحكام فذلك مجاله و ميدانه و صنعته و ديدنه ، و أما الطب و الهندسة و علوم النجوم و الفلسفة فأهل الرفل في كل فن في ذلك عيال عليه ، و يـخترع لهم في كل من الصنائع و يبدع فيه البدائع من دقائق معانيه و ما تحار أذهانهم فيه فيما لو أخذت في تقصي معانيه و وصف ما آثره الله عز و جل به و جعله من العلم و الحكمة فيه لقطع هذا الكتاب عما بينه عليه"<sup>2</sup> .

فالعلوم كلها قد أحاط بها المعز عقلية و نقلية ، و هي مما آثره الله به حسب ادعاءات القاضي النعمان ، و هذا كله كلام مجاف للحقيقة و ممّا يؤكد هذا أنّ أغلب علم المعز يكون تحصيله ساعة كسله و سأمه و فتوره مستجيبا في ذلك لوصية أبيه المنصور بالله الغريبة حيث ينقل النعمان عن المعز لدين الله قوله : " سمعت المنصور يقول في بعض ما أوصاني به : متى أردت تأليف كتاب أو تعقبه أو النظر في أمر تريد إحكامه فتوخ لذلك حين السامة و الكسل و الفتور ، فإنّ أنفس أولياء الله أقوى ما تكون إذا ضعفت أبدانهم و فترت و كلّت قواهم ، و كذلك يكون في حين مفارقة أجسامهم و وقت انتقالهم من الدنيا لعلمها بفضل ما تصير إليه ، و ذلك على خلاف ما عليه أهل الدنيا لأنّ أنفسهم أقوى ما تكون إذا صحت أبدانهم و وقفوا بالمقام في دنياهم ، و متى ضعفت أبدانهم ضعفت أنفسهم لأنّ أنفسهم خدّم أبدانهم و متعلقة بدنياهم "<sup>3</sup> .

و هذه من أعجب الوصايا في طلب العلم ، فكيف يطلب العلم من ضعفت همته و تسلل الفتور و السامة إلى نفسه ؟ و كيف يقـدر من هذه حاله على مطالعة الكتب و النظر فيه فضلا عن تعقبها ؟

<sup>1</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>3</sup> نفسه، ص 430 .

و من الخرافات المروية عن المعز و المعدودة في باب الكرامات و المعجزات أنّ الجراد انتشر في البلدان و قد قحط المطر و أجذبت الأرض و تغيّر الزرع و ذبل و أشفى على الهلكة ، فخرج المعز و كان قبل ذلك تردد في الخروج خشية أن يتطير بهم الناس ، فكان كلما نزل منزلاً نزل الغيث بنزوله و جاء منه ما يجاوز الرواء و أحى الزرع ، فإذا ارتحل من ذلك المنزل ارتفع المطر — و صار في صحو حتى ينزل بالمنزل الذي يليه و هو في القحط و الجذب على مثل ما كان عليه المنزل قبله ، فساعة حلوله ينشأ السحاب و يأتي بالغيث الوابل ما دام مقيماً حتى يرتحل ، فلم يزل كذلك مدة مسيره و حلوله حتى انصرف ، فغنمت الزرع و الثمار و كملت و دفعت الآفة عنها و أمنت ، و رأى الناس من بركة أثره و يمن سفره ما بهرهم و عظم أمره عندهم<sup>1</sup> .

و كتاب القاضي النعمان المجالس و المسائرات و غيره فيها الكثير من هذه الأخبار الواهية و التي تهدف إلى تقديس أئمة الاسماعيلية و رفع مكانتهم عند العامة من أتباع الإسماعيلية ، و لا يفوتنا أن نذكر أنّ المعز يكون ضامناً للجنة لبعض العباد ، و هذا الضمان قد ظفر به القاضي النعمان من سيّده ، فلا عجب حينئذ أن يُسوّد الصحف الكثيرة في ذكر كرامات المعز و آباءه ، فقد نقل الداعي إدريس عماد الدين عن المعز أنّه قال مادحا النعمان : " من أتى بعشر ما أتى به النعمان ضمنت له الجنة "<sup>2</sup> ، و هذه الروايات قد تجد طريقها إلى التصديق من بعض أهل المغرب و إفريقية قديماً و حديثاً و الذين لم يتردد المعز بوصفهم بالحمير الجهّال قائلاً : " و قد ابتلانا الله برعي الحمير الجهّال ، فإننا لم نزل نتلطف في هدايتهم و مساية أحوالهم إلى أن يختم لنا بالحسن و الخروج من بين أظهرهم إلى أحمد حال "<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص 470 .

<sup>2</sup> الداعي إدريس عماد الدين، عيون الأخبار، ص 49 .

<sup>3</sup> القاضي النعمان، المجالس و المسائرات، ص 396 .

و من الأساطير التي تتعلق بالمرايطين البربر ما ذكره ابن الأثير عن أصولهم حيث ذكر أنّ جداله و لمطة كان أول مسيرهم من اليمن أيام الخليفة أبي بكر الصديق ، فسيّره م إلى الشام و انتقلوا إلى مصر و دخلوا المغرب مع موسى بن نصير و توجهوا مع طارق بن زياد إلى طنجة ، فأتجبا الإنفـراد فدخلوا الصـحـراء و استوطنوها<sup>1</sup> ، و الرواية نفسها نقلها محمود مقديش في نزهة الأنظار<sup>2</sup> .

فابن الأثير بهذا الخبر يجعل جدالة و لمطة من صنهاجة من أصول عربية ، و هو بذلك يؤيد من نسبهم إلى حمير من مؤرخي المغرب لكنهم لم يذكروا شيئا عن تفاصيل مسيرتهم من اليمن إلى أقصى جنوب المغرب مروراً بالشام ثم مصر فطنجة وصولاً إلى مضاربهم المعروفة في صحراء المغرب الأقصى ، و لم يذكروا أيضاً أنّ هذه الهجرة كانت أيام أبي بكر الصديق ، فابن أبي زرع قال إنّ صنهاجة فخذ من ولد عبد الشمس بن وائل بن حمير و أنّ الملك إفريقش بن أبرهة ذي المنار بن الحرث الرائش بن شداد بن اللمطاط بن عمرو بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازياً نحو بلاد المغرب و أرض إفريقية ، فلما توغل بالمغرب بنى مدينة إفريقية و هي مشتقة من اسمه و خلّف بها قبائل من حمير<sup>3</sup> ، ثمّ يذكر ابن أبي زرع عن أبي عبيدة عن الكلبي أنّ إفريقش لما نقل البربر عن الشام و مصر إلى المغرب و بنى مدينة إفريقية و أنزل العرب منازلهم من المغرب ترك قبيلتين هما صنهاجة و كتامة<sup>4</sup> ، و الرواية نفسها حكاهما ابن أبي دينار في المؤنس<sup>5</sup> ، و النويري نسب صنهاجة أيضاً إلى حمير دون أن يذكر قصة هجرتهم زمن أبي بكر الصديق<sup>6</sup> .

أما ابن خلدون فيقول إنّ صنهاجة من أوفر قبائل البربر و إنّهم من صنهاج و هو صناك و أنّ العرب عزّيته فصار صنهاج ، و ينقل كلام الكلبي و الطبري أنّ صنهاجة و كتامة جميعاً من حمير ، ثمّ يقول إنّ بعض النسابة يزعم أنّه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن مصباح بن يحصب بن عامر بن حمير الأصغر بن سبأ و أنّ الأمر ليس كما ذكر<sup>7</sup> ، في حين نجد ابن حزم ينكر بأنّ البربر في

<sup>1</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 328 .

<sup>2</sup> محمود مقديش، مصدر سابق، ج1، ص 432 .

<sup>3</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 119 .

<sup>4</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>5</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 71 .

<sup>6</sup> النويري، مصدر سابق، ص 300 .

<sup>7</sup> ابن خلدون، العبر، ج6، ص 201 .

جلتهم من اليمن و قال هذا باطل لا شك فيه و لا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن<sup>1</sup> .

فالقول بهجرة جدالة و لمطة في زمن أبي بكر الصديق و بأمر منه إلى الشام ثم وصلت إلى أقصى المغرب في أيام طارق بن زياد لا أساس له من الصحة ، و إن سلمنا بصحة رواية المؤرخين حول أصول البربر العربية و هجرتهم إلى بلاد المغرب الأقصى و استعمارهم لها فإن ذلك حدث قبل ظهور الإسلام بقرون كثيرة .

و جاء في كتب المؤرخين روايات و أخبار أسطورية عن أمراء الدولة اللم يقفية المرباطية بدءا بمؤسسها و زعيمها الروحي عبد الله بن ياسين ، و أولها البشارات و النبوءات التي تسبق ظهور الزعماء البارزين ، فيروي ابن الأثير أنّ الجوهر الذي رافق ابن ياسين إلى قبيلة لمقنة أنّه لما حلّ بها نزل الجوهر عن جملة و أخذ بزمام جمل عبد الله بن ياسين تعظيما لشريعة الإسلام ، فأقبلوا إلى الجوهر يهتئون بالسلامة و يسألوه عن الفقيه فقال : هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم جاء يعلمكم ما يلزم من دين الإسلام ، فرحبوا بهما و أنزلوهما و قالوا : تذكر لنا شريعة الإسلام ، فعرفوهم عقائد الإسلام و فرائضه فقالوا : أما ما ذكرت من الصلاة و الزكاة فهو قريب ، و أما قولك من قتل يقتل و من سرق يقطع و من زنى يجلد أو يحم فلا نلتزم ، اذهب إلى غيرنا ، فرح—لا عنهم و نظرا إليهما شيخ كبير فقال : لا بد لأن يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يذكر<sup>2</sup> .

فهذا الشيخ المجهول الذي لا تعرف عينه و يجهل حاله يتنبأ لعبد الله بن ياسين بأن يكون له شأن في الصحراء ، و هكذا تكون النبوءة دائما حاضرة في سيرة العظماء و القادة و لا يهم معرفة مصدرها و التحقق منها بقدر ما يهم نشرها و إذاعتها بين الناس حتى تعلو و ترتفع قيمة من جاءت فيه هذه النبوءة ، و ما يزيد هذه الرواية ضعفا أنّ المصادر المغربية تذكر أنّ الذي أدخل عبد الله بن ياسين إلى بلاد جدالة و لمتونة اسمه يحيى بن إبراهيم الجدالي<sup>3</sup> و ليس الجوهر كما ذكر ابن الأثير .

و نسبت لعبد الله ياسين بعض الكرامات التي هي براهين على صلاحه عند من يعتقد بها ، و منها ما نقله البكري قال : " و ممّا يذكرونه و لا يشكون فيه من براهين صلاح عبد الله أنّه ذهب في بعض أسفاره فعطشوا فشكوا ذلك إليه ، فقال : عسى الله أن يجعل لنا من أمرنا فرجا ، ثم سار بهم ساعة و قال لهم احفروا بين يدي ، فحضرُوا فوجدوا الماء بأدنى حفر، فشربوا و سقوا و استقوا

<sup>1</sup> ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 495 .

<sup>2</sup> ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 328 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 8 . ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 123 . مجهول، الحلال الموشية، ص 20 .



أعذب ماء و أطيبه"<sup>1</sup> ، و يضيف البكري كرامة أخرى لابن ياسين فيقول : " و يذكرون أنه نزل منزلا تقرب منه بركة ماء ، و كانت كثيرة الضفادع لا يسكن نقيقتها فإذا وقف ابن ياسين على البركة لم يسمع لها ركن "<sup>2</sup> .

و ما يدفعنا إلى جعل هذه الروايات أقرب للخرافة منها إلى الحقيقة أنّ البكري قد رفعه أولا إلى مقام الأولياء الذين تظهر على أيديهم الكرامات ، ثمّ لم يلبث أن وصفه بالميل إلى الشهوات و الجهل و الشذوذ في الأحكام ، و من ذلك قوله إنّ ابن ياسين كان ميّالا للنساء كثير النكاح يتزوج في كل شهر ع-ددا من النساء و يطلقهن ، و لا يسمع بامرأة جميلة إلا و خطبها و لا يجاوز مهرها أربعة م لقليل<sup>3</sup> ، و هذا الفعل يخالف الورع التقوى و تأباه النفوس الزكية المجاهدة ، خاصة إذا علمنا أنّ من صفاته التي ذكرها ابن أبي زرع أنّه كان شديد الورع في المطعم و المشرب ، فكان طول إقامته فيهم لا يأكل شيئا من لحومهم و لا يشرب من ألبانهم ، فإنّ أموالهم كانت غير طيبة لشدة جهلهم ، فكان يتصيد و يتعيش من لحوم الصيد<sup>4</sup> ، فكيف بابن ياسين لا يأكل طعامهم ثمّ يستحلّ نساءهم ؟

و عند البكري أنّ عبد الله بن ياسين شدّ في كثير من الأحكام ، و من ذلك أخذه الثلث من الأموال المختلطة زاعما أنّ ذلك يُطَيّب باقيها و يحلّه ، و إنّ الرجل إذا دخل في دعوتهم و تاب عن سالف ذنوبه قالوا له ذنبت ذنوبا كثيرة في شبابك فيجب أن تقام عليك حدودها و تُظهر من إثمها ، فيضرب حدّ الزاني مائة سوط و حدّ المفترى ثمانين سوطا و حدّ الشارب مثلها ، و هكذا يفعلون بمن تغلبوا عليه و أدخلوه في رباطهم ، و إن علموا أنّه قتل قتلوه س-واء أتاها تائب طائعا أو غلبوا عليه مجاهرا عاصيا لا ينفعه توبته و لا يغني عنه رجعته<sup>5</sup> .

و لم يكن الشذوذ في إقامة الحدود فقط بل تعداه إلى أمور أخرى ، فمن تخلف عن الجماعة في الصلاة ضرب عشرين سوطا و من فاتته ركعة ضرب خمسة أسواط ، و يأخذون الناس بصلاة الظهر أربعاً قبل صلاة الظهر في الجماعة و كذلك في سائر الصلوات ، و يقولون إنك لا بد قد فرطت في سالف عمرك فاقض ذلك ، و أكثر عوامهم يصلون بغير وضوء جزعا من الضرب ، و من

<sup>1</sup> البكري، مصدر سابق، ص 168 .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>3</sup> نفسه، ص 169 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 132 .

<sup>5</sup> البكري، مصدر سابق، ص 169 .

رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما رآه الضارب له صلاحا ، و زكاة الفطر يأخذونها و ينفقونها على أنفسهم<sup>1</sup> .

و هذه الأحكام الشاذة يختمها البكري برواية أخرى تزيد عبد الله بن ياسين إغراقا في الجهل فيقول : " و ممّا يحفظ من جهل ابن ياسين أنّ رجلا اختصم إليه مع تاجر غريب عندهم ، فقال له التاجر في بعض مراجعته لخصمه : حاش لله أن يكون ذلك ، فأمر عبد الله بضربه و قال : لقد قال كلاما فظيعا و قولاً شنيعا فوجب عليه أشدّ الأدب ، و كان بالحضرة رجل قيرواني فقال لعبد الله : و ما تنكر من مقالته و الله عز وجل قد ذكر في كتابه حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن في قصة يوسف عليه السلام " حَاشَ لِلّٰهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"<sup>2</sup> ، فرفع الضرب عن ذلك الرجل"<sup>3</sup> .

و مما نقل عن أمير المرابطين الأول يحيى بن عمر<sup>4</sup> أنّه كان يُدعى بأمير الجن<sup>5</sup> ، و لا نعلم سببا لإطلاق هذا اللقب على يحيى بن عمر، و لا يستبعد أن يكون الموحدون أعداء المرابطين هم من أطلق هذا اللقب على يحيى بن عمر ، شفيعنا في هذا رواية ابن عذارى الذي أورد أن عبد الله بن ياسين سمّي يحيى بن عمر أمير الحق<sup>6</sup> ، فيمكن أن يكون الموحدون قد غيروا أمير الحق و جعلوه أمير الجنّ للحط من قيمة قائد المرابطين و أميرهم العسكري الأول .

و تنسب لهذا الأمير المرابطي كرامات أيضا ، فيروى أنّ الموضع الذي قتل فيه يذكرون بزعمهم أنّهم يسمعون فيه أصوات المؤذنين عند أوقـات الصلوات ، و الآن يحترمون و لا يدخله أحد منهم<sup>7</sup> .

<sup>1</sup> نفسه، ص ص 169 – 170 .

<sup>2</sup> سورة يوسف، الآية 31 .

<sup>3</sup> البكري، مصدر سابق، ص 170 .

<sup>4</sup> يّكر ابن خلدون أنّ عبد الله بن ياسين رفقة يحيى بن عمر و أخيه أبي بكر قد بدؤوا في غزو المغرب الأقصى بعد أن اجتمع لهم في رباطهم ألف من الرجال ، فخرجوا و قاتلوا لهيفة و جدالة ثمّ اتجهوا شمالا إلى درعة و سجلماسة و في هذه الحروب قتل يحيى بن عمر سنة 447هـ/1055م ( ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص 243 – 244 ) .

<sup>5</sup> محمود مقديش، مصدر سابق، ج1، ص 431 .

<sup>6</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 12 .

<sup>7</sup> نفسه، ج4، ص 14 .

و لما تولى أبو بكر بن عمر أمر المرابطين بعد أخيه يحيى ندب المرابطين إلى فتح المغرب و جاهد برغواطة و مات في حربها عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م<sup>1</sup> ، و بلغ أبو بكر ما وقع من الخلاف بين لمقنة و مسوفة فارتحل إلى الصحراء و استعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين و نزل له عن زوجته زينب بنت إسحاق النفازية و لحق بقومه<sup>2</sup> ، فعودة أبي بكر بن عمر إلى الصحراء كان بسبب الخلاف الذي وقع بين أكبر قبائل المرابطين لمقنة و مسوفة ، و يؤيد هذا رواية ابن عذارى و صاحب الحلل الموشية مع اختلاف بسيط و هو ظهور جدالة على لمقنة<sup>3</sup> ، و أما ابن أبي زرع فذكر أنّ اختلال الصحراء كان الدافع وراء عودة أبي بكر إلى الصحراء<sup>4</sup> ، و ما يُروى عنه أنّه سمع عجوزا في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت و قالت : ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب ، فحمله ذلك على أن يستخلف على بلاده رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين و رجع إلى بلاده الجنوبية<sup>5</sup> ، فهذا مستبعد جدا فلا يعقل أن يترك أبو بكر القتال في بلاد المغرب لأجل ناقة ضاعت لعجوز .

و يقال إنّ أبا بكر بن عمر لما عزم على السفر إلى الصحراء طلب من قومه أن يختاروا رجلا منهم ليستخلفه عليهم فلم يقع منهم إجماع على أحد ، ثمّ أخذ أبو بكر في الصلاة و دعا الله أن يُسمّي له رجلا صالحا يستخلفه ، فهتف به هاتف فقال : من هو هذا الغائب ؟ فأنساه الله ذكر يوسف بن تاشفين إلى أن وصل من بلاد المغرب في تلك الأيام و حضر بين يدي أبي بكر بن عمر و هو يعيد القول على إخوته و هي الثالثة ، فقال له يوسف : أنا ألكون خليفتك إن شاء الله عز و جل ، فقال له الأمير أبو بكر : صدقت يا يوسف أنت و الله خليفتي ، و تذكر قول الهاتف له فوله الأمر بعده<sup>6</sup> .

و هذه الرواية هدفها إلحاق أبي بكر بن عمر في زمرة الرجال الصالحين الملهمين بالهواتف المؤيدين بالكرامات ، و لكنّ الأقرب إلى الواقع و الأبعد عن الأسطورة أنّ أبا بكر لما أراد السفر دعا

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 132 .

<sup>2</sup> ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 244 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 20 . مجهول، الحلل الموشية، ص 13 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 134 .

<sup>5</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج7، ص 113 . محمود مقديش، مصدر سابق، ج1، ص 433 .

<sup>6</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج4، ص 20 .

ابن عمه يوسف بن تاشفين فعقد له على المغرب و فوّض إليه أمره ، و اتفق على تقديمه أسيّاح المرابطين لما يعلمون من دينه و شجاعته و حزمه و نبذته و عدله و سداد رأيه<sup>1</sup> .

و عندما ولي يوسف بن تاشفين حكم المرابطين تمكن من توحيد المغرب الأقصى ثمّ جاز إلى الأندلس غازيا و انتصر في معركة الزلاقة<sup>2</sup> على النصارى ، و صاحب هذه الإنتصارات روايات خرافية تجعل من المسلمين همجا رعاغ ، فقد جاء في نزهة الأنظار أنّ المسلمين جمعوا رؤوس القتلى فكانت عشرين ألف رأس فبنوها أربع منابر و أذنّ المسلمون عليها<sup>3</sup> ، و أفعـال كهذه تأبأها الفطر السلمية و النفوس الزكية ، و لم يعرف أو ينقل عن المسلمين في جهادهم ارتكابهم أفعالا كهذه .

و في عهد علي بن يوسف أحرقت المرابطون كتاب الإحياء لصاحبه الغزالي ، فاستغل الموحدون هذه الحادثة أحسن استغلال فمسجوا خرافة التقاء ابن تومرت مدعي الهداية بالإمام الغزالي و دعاء هذا الأخير على المرابطين بزوال ملكهم ، فقد ذكر عبد الواحد المراكشي أنّه ذُكر للغزالي ما فعله أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب من إحراقها و إفسادها و ابن تومرت حاضر ذلك المجلس فقال الغزالي حين بلغه ذلك : " ليذهبن عن قليل ملكه و ليقتلن ولده و ما أحسب المتولي لذلك إلا حاضر مجلسنا "<sup>4</sup> .

و مضت الرواية الموحدية في نسج الخرافات و الأساطير حول شخصية ابن تومرت و تابعه عبد المؤمن بن علي ، و قد مرّ ذكر بعضها عند الحديث عن إدعاء ابن تومرت الهداية ، و منها دعوى إطلاعه على كتاب الجفر و إشاعته أنّ الإمام المهدي القائم يكون على كمال الخمسمائة

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 134 .

<sup>2</sup> معركة الزلاقة : لقد أثمرت جهود علماء الأندلس بإقناع ملوك للطوائف بالإستنجاد بالمرابطين بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/ 1085م ، فجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس و كان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية أول من تلقاه بعد أن وافق على تسليمه الجزيرة الخضراء ، و في تلك الأثناء كان ألفونسو السادس يحاصر سرقسطة ، فلما بلغه جواز يوسف بن تاشفين رفع الحصار عنها و حشد جيوشه ، و التقى الجيشان المرابطين و قد انضمت إليه قوات المعتمد و بعض السرايا التي بعثها أمراء الطوائف مثل ابن صمادح و ابن بلقين من جهة و الجيش النصراني من جهة أخرى في الزلاقة قرب بطليوس ، و كانت معركة عظيمة انتصر فيها المسلمون انتصارا ساحقا و أصيب فيها ألفونسو إصابة بالغة غير أنّه تمكن من الفرار في قلة من جنده ، و قد أحييت هذه المعركة قلوب المسلمين في الأندلس و أسهمت إلى حد كبير في الحفاظ على ما بقى من الأندلس في أيدي المسلمين لقرون أخرى ( ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 145 . مجهول، الحلل الموشية، ص 39 . محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "ملوك الطوائف"، ص 320 ) .

<sup>3</sup> محمود مقديش، مصدر سابق، ج1، ص 440 .

<sup>4</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 136 .

سنة<sup>1</sup> ، و لما أعلن مهدويته و إمامته فرّق من يبقّ بسياسة من تلاميذه في البلاد القاصية و الدانية يدعون إلى بيعته و يثبتون عند الناس إمامته و يزرعون في قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل و الكرامات<sup>2</sup> .

و من هذه الكرامات المزعومة أنّه أتى برجل سكران فأمر بحده ، فقال رجل من وجوه أصحابه يسمى يوسف بن سليمان : لو شددنا عليه حتى يخبرنـا من أين شربه ـ لنحسم هذه العلة من أصلها فأعرض عنه ، ثمّ أعاد عليه الحديث فأعـرض عنه ، فلما كان في الثالثة قال لـه: أ رأيت لو قال لنا الناس شربتها في دار يوسف بن سليمان ما نحن صانعون ؟ فاستحى الرجل و سكت ، ثمّ كشف على الأمر فإذا عبيد ذلك الرجل سقوه ، فكان هذا من جملة ما زادهـم به فتنة و تعظيما إلى أشياء كان يخبر بها فتقع كما يخبر<sup>3</sup> .

و هذه الرواية تطعن في ابن تومرت و تجرحه لا ترفع من شأنه و تعظمه ، فهو الذي أشرع عنه أتباعه و مناصروه أنّه ما خرج على المرابطين إلا ليأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و من أعظم المنكر الخمر، نجد ابن تومرت يتستر على أحد أتباعه الذي يسقي عبيد هالمسكرات الناس و كان الأجدر به أن ينزل به العقوبة الشرعية ، أمّا الإخبار بما سيقع فهذا يدخل في باب الكهانة التي نهي عنها ديننا الحنيف .

و يحاول ابن تومرت أن يظهر بصفة الرجل المـهـم المبشر لأصحابه با لنصر و المهـكـين ، لتكون هذه البشارات من الآيات الدالة على صدق هـي ادعاءاته ، و مما أشاعه أتباعه عنه ما نقله البيهقي أنّ ابن تومرت جعل له برجاً يقال له برج تيطاف و جعل فيه طبلا ، و كان يمسك الطبل عبد السلام أغبي ، فلما كان في بعض الليالي أفلت الطبل و قامت رجة ، فقام عبد السلام يقول : لا لا الطبل أفلت مني ، فقال ابن تومرت : أبشروا هذه البشارة<sup>4</sup> .

و كان أيضا يُبشّر أتباعه بفتح فارس و الروم على أيديهم و أنّهم يقتلون الدجال و منهم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ، حكى ذلك عبد الواحد المراكشي فقال : " و كان يسميهم المؤمنين و يقول لهم ما على وجه الأرض من يؤمن بإيمانكم ، و أنتم العصاة المعنيون بقوله عـ له الصلاة و السلام : " لا تزال طائفة بالمغـرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 181 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 176 .

<sup>3</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 145 .

<sup>4</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 41 .

حتى يأتي أمر الله"<sup>1</sup> ، و أنتم الذين يفتح الله بكم فارس و الروم و يقتل الدجال ، و منكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ، و لا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة ، هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها وقع أكثرها ، و كان يقول : لو شئت أن أعد خلفاءكم خليفة خليفة "<sup>2</sup> .

و عندما قـاد ابن تومرت ثاني معاركـه ضد المرابطين حاول البيذق أن يرفعه مكانا عليا ، فهو الذي ينصر بالرعب الذي يُقذف في قلوب أعدائه و يقبض التراب و يرميه في وجوه هم فيهزموا ، و نص الرواية كما يلي : " الغزاة الثانية لسيدنا المعصوم ، و ذلك أرشدك الله أنّه لما بلغه أنّ جيش المجسمين أتاه فقال لنا : لا تجزعوا فإنكم تقبلون منهم الهدية ، فقلنا : يا سيدنا و كيف يهدي لنا أعداؤنا ؟ قال لنا : الرعب الذي يرمي الله في قلوبهم و يردهم ، فلما وصلوا أمرنا المعصوم أن نخرج إليهم و نكثر من ذكر الله و قول لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم قبض قبضة من تراب و رماهـا في وجوههم فانهزموا و تركوا الخيل و البغال و النحر و السلاح و انقلبوا خاسرين "<sup>3</sup> .

و في عام وفاته لما رجع الموحـدون إلى تينملـخـرج إلى لقائهم فسلم عليهم و رحب بهم و عرفهم بما يكون لهم من النصر و الفتح و ما يملكونه من البلاد و مدة ملكهم ، و أعلمهم أنّه يموت في تلك السنة فبكوا لذلك و أسفوا<sup>4</sup> ، و قبل وفاته وقف و أمر الموحدين أن يجتمعوا فحضروا كلهم ثم وعظهم حتى أضحى النهار ثم دخل ببغلتـه الدار راكبا و بقى ساعة ثم خرج ثم قال : اعرفوني و حققوني فأني مسافر عنكم سفرا بعيدا ، فضجّ الناس بالبكاء و قالوا : إن كنت تسير إلى الشرق نسير معك ، فقال : ليس هذا سفر لا يسافره أحد معي إنما وحدي ، ثم دخل و لم يره أحد أبدا<sup>5</sup> .

و لتزداد رواية وفاة ابن تومرت خرقا للعادة فإنّ هاتفا حضره قبل وفاته و أنشده أبياتا لم يلبث أن رد عليها بأبيات مثلها ، فعندما كان في بيته إذ سمع صوتا رقيق من وراء البيت يقول :

<sup>1</sup> حديث صحيح رواه مسلم و غيره ، و لفظ مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " ( مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه و سلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، حديث رقم 1925 ، ص 796 ) .

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي ، مصدر سابق ، ص 141 .

<sup>3</sup> البيذق ، مصدر سابق ، ص 35 .

<sup>4</sup> ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 179 .

<sup>5</sup> البيذق ، مصدر سابق ، ص 41 .

كأني بهذا البيت قد بله أهل—هـ      و قد درست أعلامه و منازل—هـ  
فأجابه المهدي :

كذلك أمور الناس يبلى جديدها      و كل مـكـ ستبلى خصائل—هـ  
فأجابه الهاتف فقال :

تزود من الديني—ا فإنك راحل      و إنك مسؤول فما أنت قائل—هـ  
فأجابه المهدي :

أقول بَلَدَ الله حق شهدت—هـ      و ذلك قول ليس تخفى فضائل—هـ  
فأجابه الهاتف فقال :

فخذ عـدّة للموت إنك ميت      و قد أزف الأمر الذي أنت نازله  
فأجابه المهدي :

مـتى ذاك خبـرني هـديت فإنني      سأفعل ما قد قلت لي و أعاجله  
فأجابه الهاتف فقال :

تبيت ثلاث—ا بعد عشرين ليلة      إلى منتهى شهر فما أنت كامل—هـ<sup>1</sup>

و عندما مات ابن تومرت عظموا قبره و قدّسوه و ندبوا زيـارته ، و قالوا إنّ ما بين قبره  
و مسجده المكرم روضة من رياض الجنة<sup>2</sup> .

هكذا عملت الدعاية الموحدية أن تجعل من اب ن تومرت شخصا مقدّسا يتصف بصفات  
خارقة للعادة ، و حاولت أن تجعل منزلته قريبة من منازل الأنبياء الموحى إليهم من السماء و إن لم  
تصرح بذلك ، فأغلب هذه الروايات مقتبسة من سيرة النبي صلى الله عليه و سلم العطرة و أقواله ،  
فهو صلى الله عليه و سلم الذي كان يبشر أصحابه بفتح فارس و الروم في أحلك الظروف خاصة  
أيام غزوة الخندق ، فقد روى ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق قال : " حُدِّثت عن سلمان  
الفارسي أنّه قال : ضربت في ناحية الخندق فغلظت علي صخرة و رسول الله صلى الله عليه و سلم  
قريب مني ، فلما رأيته أضرب و رأى شدّة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة  
لمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة

<sup>1</sup> نفسه ، ص ص 42-43 .

<sup>2</sup> مجموع رسائل موحدية " من إنشاء كتاب الدولة الموحدية " ، جمعها : ليفي برونسسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط،  
1359هـ / 1941م، ص 92 .

أخرى ، قال : قلت بأبي أنت و أمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول و أنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت نعم ، قال : أما الأولى فإنّ الله قد فتح علي بها اليمن ، و أما الثانية فإنّ الله فتح علي بها الشام و المغرب ، و أما الثالثة فإنّ الله فتح علي بها المشرق" <sup>1</sup> ، و من خصائص النبي صلى الله عليه و سلم الرعب الذي يقذفه الله في قلوب أعدائه ، و الدليل ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، و جعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً ، أيما رجل أدركته الصلاة فليصل ، و أحلت لي الغنائم ، و كان النبي يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى الناس كافة ، و أعطيت الشفاعة " <sup>2</sup> ، و هو عليه الصلاة و السلام الذي لئان يخبر بما سيقع من فتن و ملاحم إلى قيام الساعة بوحى من الله <sup>3</sup> ، و هو عليه الصلاة و السلام الذي أخذ يوم بدر حفنة من حصاء فاستقبل قريشاً بها ثم قال شا هت الوجوه ثم نفحهم بها و أمر أصحابه فقال شـدّوا فكانت الهزيمة <sup>4</sup> ، و هو صلى الله عليه و سلم الذي صح عنه أنّه قال : " ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة " <sup>5</sup> ، و هو صلى الله عليه و سلم المعصوم بحق الذي عصمه الله عز و جل في الدنيا .

فهذه بعض شمائل النبي صلى الله عليه و سلم الثابتة عنه ، نسج دعاة الموحدون على منوالها فأرادوا أن ينسبوا لمهديهم و زينوها في نفوس أتباعهم فغلب عليها طابع الأسطورة و الخرافة و الأخبار الواهية الموضوعة المكذوبة التي لا يكاد تصديقها و الإيمان بما يجاوز تراقي من آمن بآبائهم تومرت مهدياً معصوماً .

و الأمر ذاته بالنسبة لعبد المؤمن بن علي ، فالموحدون يروون عنه كثيراً من الأخبار الأسطورية الغرض منها تعظيمه ، و كانت الرؤى أولها سواء التي رآها هو أو رآها له غيره ، فقد رأى عبد المؤمن رؤيا تكررت أعلم عمه بها و هو في الطريق إلى بجاية و عمه يطلب منه كتمانها ، ثم قال

<sup>1</sup> ينظر: ابن هشام، مصدر سابق، ج3، ص 171 .

<sup>2</sup> البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم " جعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً" ، حديث رقم 438، ج1، ص 158 .

<sup>3</sup> ينظر مثلاً : ابن كثير، البداية و النهاية، ج19، ص 3 و ما بعدها .

<sup>4</sup> ابن هشام، مصدر سابق، ج2، ص 270 .

<sup>5</sup> البخاري، الصحيح، كتاب فضل الصلاة، باب فضل ما بين القبر و المنبر، حديث رقم 1195، ج1، ص 368 .



له: " أكنتم هذا الأمر فإنه رأت أمك و هي بك حامل كأن النار تخرج منها و تحرق المشرق و المغرب و القبلة و الجوف ، و لكن أكنتم هذا الأمر و لا تعرّف به إنسانا"<sup>1</sup> .

ثم يذكر عم عبد المؤمن هذا رؤيا أخرى فقال : " و لقد رأيت في أمرك موعظة ، كنا نخصد الزرع و أمك بك حامل فجاءت لل فدان و اضطجعت قائمة ، فأقبل بندان من نحل فنزلنا على أمك ، فلما خلقت أنت أتت أمك الفدان فلقطت السنبل و تركتك قائما ، فنزل عليك النحل أكثر مما كان نزل على أمك و أنت في جوفها ، ثم قام النحل عنك و افترق فرقتين واحدة للمشرق و أخرى للمغرب ، فقال علي : الله أكبر هذا هو الذي قال الفقيه بتلمسان ، فلما رجعنا من الفدان قال لأمك : إحفظيه فإنه لا بد من الأمر الذي ذكره الفقيه المفسر"<sup>2</sup> .

و هذه الرؤى وضعها الرواية الموحدية في باب الرؤى الصادقة التي تبشر عبد المؤمن بأنه سيكون له شأن ، لذلك كان يحرص عمه على كتمانها و عدم نشرها ظنا منه أن ذلك أسلم و أبقى لعبد المؤمن ، و ستأكد هذه الرؤى عند اللقاء بابن تومرت العالم بصفة و اسم عبد المؤمن مما حازه من كتاب الجفر<sup>3</sup> و مما لديه من علامات<sup>4</sup> .

و تحول نسب عبد المؤمن من نسب بربري كومي إلى نسب عربي مضري<sup>5</sup> ، فهو قسيم المهدي بن تومرت في النسب الكـريم<sup>6</sup> ، و قد روي عن عبد المؤمن أنـه كان يقول إذا ذكر كومية : " لست منهم و إنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، و لكومي علينا حق الولادة بينهم و المنشأ فيهم و هم الأخوال "<sup>7</sup> ، و كان يقول عنه ابن تومرت عندنا رجل من بني كنونة يقتل لمتونه<sup>8</sup> ، و كنونة عند الموحدين جدة عبد المؤمن لأمه ، و هي حسب روايته —م شريفة النسب و اسمها تعلو بنت عطية بن الخير بن خليفة بن موسى بن علي بن حسن بن كنونة بنت إدريس بن إدريس ، هكذا نسبها البيهقي<sup>9</sup> .

<sup>1</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 15 .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>3</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 47 .

<sup>4</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 137 .

<sup>5</sup> البيهقي، المقتبس، ص 13 .

<sup>6</sup> نفسه، ص 15 .

<sup>7</sup> عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 148 .

<sup>8</sup> البيهقي، أخبار المهدي، ص 36 .

<sup>9</sup> البيهقي، المقتبس، ص 17 .

و وضع الموحدون أحاديث نبوية تبشر بعبد المؤمن ، فقد روى ابن القطان عن الحسين بن علي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه و سلم الخاضع على الإيمان بالمهدي و بطائفته التي تقاتل معه و بعده ، و هم أنجال الخليفة الآخذ عنه ما وعد الله ، الخليفة المؤيد بالنصر الذي ينصره و يفتح به و على يديه المسمى في الخطبة الجامعة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و ملائكته الكرام عبد المؤمن بن علي القيسي<sup>1</sup> .

و أضاف حديثاً آخر عن أبي عبد الله اللخمي يقول : " رأيت في الخبر عن خير البشر رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : خير القرون الذي أُلِّفَ فيه ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم الذي يليه و آخر أشق ، و لا يقوم بالحق بعد الفترة التي تحدث في الخلق بعد هذه القرون إلا المهدي و الرجل القائم بأمره و من يليه من الخلفاء بعده"<sup>2</sup> .

و هذه الأحاديث تفوح منها رائحة الوضع ، فقد نسجها الموحدون لتصديق تكهنات ابن تومرت و إدعاءاته الغيبية التي لم يسبقها إليها أحد ممن سعى إلى طلب الملك ، وإذا ثبت لدى الموحدين و من ناصرهم و أيدهم أنّ ابن تومرت كان يقول لعبد المؤمن : " لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين ، و إنما يطهرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يديك ، و طوبى لأقوام كنت مقدمهم و ويل لقوم خالفوك أولهم و آخرهم " ، و كان عبد المؤمن إذا أراد أن ينام يقول له ابن تومرت : " كيف ينام من تنتظره الدنيا "<sup>3</sup> ، فإذا ثبتت نسبه هذا إلى من يوصف بالمعصوم ، فحينها يكون من السهل أن يرفعوا هذا الكلام إلى المعصوم بحق نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، و يضيفوا إلى أحاديث المهدي التي أسقطوها على ابن تومرت أحاديث أخرى في فضل عبد المؤمن بن علي و من يأتي بعده من أولاده ، لتكتمل الصورة فتصبح الكهانة و ضرب الرمل و كتف الشاه و ما جاءت به من أخبار ما هي إلا تصديق لأحاديث نبوية ، فيحكمون على من صدّقها و اعتقدها بالتوحيد و الإيمان و على من أنكرها و ردّها بالكفر و الخذلان .

و لم يتوقف الموحدون في ادعاءاتهم أنّ عبد المؤمن بن علي بشّر به رسول الله صلى الله عليه و سلم وحده ، بل ذهبوا أبعد من ذلك إلى من سبقه من الأنبياء ، فقد نسب ابن القطان ذكر عبد المؤمن إلى النبي دانيال<sup>4</sup> و ذكر رواية عن شخص اسمه أبو القاسم المؤمن قال : " دخلت في أرض

<sup>1</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 180 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 181 .

<sup>3</sup> البيهقي، أخبار المهدي، ص ص، 16-17 .

<sup>4</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 184 .

القدس رباطا يعمـره رهبان الروم مفروشا بالرخام و فيه رخامة بيضاء قد نقش في سطحها الظاهر منها أحد عشر سطرا ، على كل سطر منها اسمان إلا السطر الأوسط فعليه اسم واحـد. قال : و على السطر السادس اسم الإمام المهدي وحده و على السطر السابع اسم الخليفة بعد الإمام المهدي الآخذ عنـه في حياته المسمى عبد المؤمن بن علي القيسي و اسم شيت عليه السلام ، قال : و عرضت ذلك على الإمام المهدي فأمرني بحفظه و أن أكتب ذلك حتى يحين الوقت الذي يكون فيه ظهوره"<sup>1</sup>.

و نسبت لعبد المؤمن بن علي الكرامات و خوارق العادات ، و منها نضروب وادي سلا الذي هو بحر ترفاً فيه السفن الكبار ، فرضب لجـوازه عليه بعسكره حتى لم يحتج فيه إلى قنطرة و لا قارب<sup>2</sup> ، و منها أيضا نماء دراهمه و قصتها أنّ عبد المؤمن أيام طلبه سافر من تلمسان إلى فاس في طلب العلم و لقاء المشايخ بها ، فصحب في طريقه تاجر مليا من الإسكندرية فراقه إلى فاس ، فطلب المكري من التاجر كراء دوابه فأعوزته منه خمسة عشر درهما فاستلفها التاجر من عبد المؤمن ، ثمّ إنّ التاجر طلبه بفاس ليقضيه إياها فلم يجده ، فكتب اسمه في زمام هثم رحل إلى الإسكندرية ثم توغل إلى المشرق و جال نحو ثلاثين سنة ، و كان جعل تلك الخمسة عشر درهما رأس مال على حدة فوضع الله تعالى فيها البركة و نمت نماء عظيما إلى أن صارت ألف دينار ثمّ رجع إلى بجاية بعد غيبة تلك السنين الطويلة ، فوجد أبا محمد عبد الله بن سليمان صاحب إمارة البحر ، فوقف ماله حتى يعلم حاله ، فاستعجل التاجر الوصول إلى الحضرة العليا و لقاء أمير المؤمنين فلقيه في طريق البحيرة فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فذكر له مسألته و تعرف له و أحضر زمامه و الاسم مكتوبا على الخمسة عشر درهما و أنّها قد نمت حتى بلغت ألف دينـار ، فجزاه على أمانته خيرا و كتب له ظهيرا بالأمان في أهله و ماله و نفسه ، و أمر بصرف كل ما ثقف له عليه<sup>3</sup>.

و ذكر ابن عذارى القصة نفسها ، و لم يذكر أن المال نما دون سبب كما توحى بذلك الرواية الموحدية و تجعله كرامة لعبد المؤمن بن علي ، و إنما كان النماء من قبل التاجر الذي كان يشتري بتلك الخمسة عشر درهما سلعا بناحية و يجعلها في رحله ثم يبيعها ، فاجتمع من الربح ألف دينار<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نفسه، ص 184 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 185 .

<sup>3</sup> نفسه، ص ص 186-187.

<sup>4</sup> ابن عذارى، البيان " قسم الموحدين"، ص 82 .

و من الخرافات التي رواها الموحدون عن عبد المؤمن تكليم الموتى له ، فعند مسـيره إلى سطيف<sup>1</sup> وفيه قبر سطيف<sup>2</sup> فوق الطريق في ربوة و قرب منه عبد المؤمن و قال للموحدين : اذفـعوا خيلكم ، فدفع الخليفة جواده و دفع الموحدون معه حتى وصل قبر سطيف و حـك عليه جواده الذي ركب و دار عليه و دار عليه الموحدون و انضـم الناس إليه ، فقال لهم عبد المؤمن أتعرفون ما قال صاحب القبر ؟ قالوا : أنت العارف بذلك ، فقال لهم : قال أنزلوني في هذا القبر لئلا تدرس خيل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي ، فكان ذلك<sup>3</sup> .

و سطيف كاهن عربي كان موطنه جزيرة العرب و تحديددا اليمن ، و لم ينقل أحد أنه جاء إلى المغرب و مات بها ، و هذه الرواية أوضح الأمثلة على دركات الجهل و الخرافة التي أوغلت فيها الدعاية الموحدية .

و كتب أهل الكتاب هي الأخرى بشرت بعبد المؤمن ، فعندما طال حصار المهدية خرج إليه ثمانية من أعيان الروم النصاري ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين أنت الموجود في كتبنا أنك تملك الأرض<sup>4</sup> .

و نالت الأسود حظها في كرامات عبد المؤمن فقد أتته طائفة ذليلة ، فأنشاء قتال الموحدين للمرابطين هرب إليهم أسد بسلسلته و بات عندهم و عشاه الخليفة و قال للموحدين : البشارة يا موحدون ، فلما أصبح رجع الأسد إلى مولاه ، و هذا الأسد جاء من محلة الأشقياء حتى وصل إلى محلة الموحدين و مشى إلى بين يدي الخليفة فاستقبله و مد يده إلى الأرض<sup>5</sup> .

و كان عبد المؤمن بن علي قد سار بسيرة إمام —هـ ابن تومرت في الاعتمـاد على بعض الحيل و الخدع لكسب مزيد من الأتباع و غرس نوع من القداسة في شخصه فيزداد تعظيمه عند أتباعه ، و منها أنه روض شبل أسد فأنس به الأسد فكان إذا رآه رب ض بين يديه ، و علم الطير النطق باللسان العربي فكان يقول النصر و التمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المسلمين ، فلما كمل

---

<sup>1</sup> سطيف : مدينة في جبال كتامة من أرض البربر بلاد المغرب ، و هي صغيرة إلا أنها ذات مزارع و عشب عظيم ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 220 ) .

<sup>2</sup> سطيف : اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان، و كان كاهنا تنبأ ببعثه النبي صلى الله عليه و سلم ، و خبره مع شرق الكاهن الآخر في تأويلهما لرؤيا ربيعة بن نصر أحد ملوك حمير التـطبعة و فيها إنذارها بوجود رسول الله صلى الله عليه و سلم ( ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 117 و ما بعدها ) .

<sup>3</sup> البيهقي، أخبار المهدي، ص 74 .

<sup>4</sup> مجهول، الحلل الموشية، ص 117 .

<sup>5</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 58 .

ذلك جمع الموحدين و قبائلهم ، فلما اجتمعوا قام عبد المؤمن خطيبا و أعلمهم بموت ابن تومرت فكثر البكاء و ارتفع الضجيج فقال لهم : إنّ الإمام قد سار إلى ما عند الله فانظروا فيمن تولونه أموركهم ، فبينما أشياخ الموحدين في تلك الحال إذا بسائس الأسد قد أطلقه و معلم الطير قد صفر له ، فقال الطير عند ذلك بلسان النصر و التمكين لسيدنا الخليفة عبد المؤمن أمير المسلمين ، و أما الأسد فإنه لما أطلقه سائسه فرّ الناس منه و بقي عبد المؤمن بمكانه قاعدا لم يتحرك ، فلما بصر به الأسد بصبص بين يديه فجر عبد المؤمن يده عليه و سكنه ، فلما رأى الموحدون فعل الأسد و سمعوا كلام الطير اتفقوا على تقديم عبد المؤمن و قالوا ما على هذا نزيد و ليس أحد أولى بخلافة الإمام المهدي من عبد المؤمن الذي ظهرت له هذه الكرامات<sup>1</sup> .

و لم تقتصر كرامات عبد المؤمن المزعومة على ترويض الأسود و تكليم الطير له و نطقها بأحقيقته بالخلافة ، فحبل عبد المؤمن الفرس الأخضر يثب وثقب تقارب ثلاثين ذراعا فكأنه أصبح فرسا طائرا ، يروي هذا ابن القطان أثناء كلامه عن وقعه البحيرة سنة 524هـ/1129م في نواحي مراكش فيقول : " إنّ حفيرا من تلك السواقي خندقا عظيما في السعة ثلاثون ذراعا اعترض لسيدنا الخليفة الأول في طريقه فوثب به فرسه ، و كان فرسا أخضر فعجب الموحدون لسعة الخندق و قوة الوثبة و ثبات سيدنا الخليفة على السرج ، و قيل إنه أعاد ذلك ثانية"<sup>2</sup> .

و كما اقتبس الموحدون كرامات مهديهم ابن تومرت من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، فإنهم أيضا اقتبسوا من سيرة و تاريخ الأنبياء ما جعلوه كرامات لخليفاتهم الأول عبد المؤمن بن علي ، فنبينا محمد صلى الله عليه و سلم بشرت به الكتب و الرسل و حملة البراق من مكة إلى المسجد الأقصى و كلمه الحيوان و الجماد ، و موسى عليه السلام جعل له طريقا ييسر في البحر

<sup>1</sup> ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص ص 184، 185 .

و يروي ابن عذارى أن ابن حماد استاق في بعض الأيام شبل أسد صغير و أدخله إلى الخليفة في مجلسه ، فأمر بحل الشبل من عقاله فمشى الشبل بين الناس يخترق الصفوف حتى وصل إلى الخليفة فربض بين يديه و سكن لا يتحرك من موضعه ، فعجب الناس من ذلك ، و كان قد سبق إليه في ذلك المجلس زرزور بين يديه بأنواع من الكلام ، فارتحل أبو علي الأشيري أبياتا من الشعر في صفة الحال بالجلس المذكور و هي :

أنس الشبل ابتهاجا بالأسد و رأى شبيه أبي—هـ فقصد

و دعى الطائر بالنصر لهـ فقضى حقه —م لها ورد

أنطق الخالق مخل—وقاه بالشهادات فكل قد شهـد

أنك القائم بالأم—ر له بعد ما طال على الناس الأسد

( ابن عذارى، البيان " قسم الموحدين "، ص 47 ) .

<sup>2</sup> ابن القطان، مصدر سابق، ص 160 .

فجازه آمنا من غير الحاجة إلى المراكب و السفن ، و عيسى عليه السلام أحى لله الله الموتى و كلمهم ، و عبد المؤمن بن علي ما ملك إلا بسفك الدماء و تكفير المسلمين .

و في هذا السياق قال الإدريسي إن مراكش كان بها جامع بناه أميرها يوسف بن تاشفين ، فلما تغلب عليها المصامدة تركوا الجامع عطلا مغلق الأبواب لا يرون الصلاة فيه و صنعوا لأنفسهم مسجدا جامعاً يصلون فيه بعد أن نهبوا الأموال و سفكوا الدماء و باعوا الحرم ، كل ذلك بمذهب لهم يرون ذلك فيه حلالاً<sup>1</sup> ، و يؤكد هذا رواية البيهقي المعاصر لهذه الحوادث و الذي يذكر أن مراكش لم يخلها داخل و لم يخرج منها خارج ثلاثة أيام ، و أن الموحدين امتنعوا عن سك لها لامتناع ابن تومرت عن ذلك بحجة تشريق مساجدها عن القبلة ، فهدموا المساجد بفتاوى فقهاءهم و قالوا إن هذا يطهرها و ضموا السبي إلى المخزن و ابتيع النساء ، ثم قسم عبد المؤمن أزقة المدينة بين أتباعه<sup>2</sup> ، فإذا تحققت هذه الوقائع بشهادة مؤرخ الموحدين فحينها يصبح كلام المؤرخ المشرقي ابن القلانسي الذي عاصر عبد المؤمن بن علي شهادة على قدر كبير من الموضوعية و نصها : " و عبد المؤمن بن علي شرع في سفك الدماء و افتتاح البلاد المغربية بالسيف و القتل لمن بما من الرجال و الحرم و الأطفال ما شاعت به الأخبار و انتشرت ذكره في سائر الأقطار"<sup>3</sup> .

لقد حشى مؤرخو الدولة الموحدية كتبهم بسيل من الأخبار التي بدا فيها أثر الكذب و الخرافة واضحا جليا و لم يتورعوا في نسبة كثير منها إلى نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، فزادهم ذلك ترديا في مستنقع الجهل و الخرافة ، و لو ترفع هؤلاء و غيرهم ممن والاهم و آمن بأخبارهم و دافع عنها قديما و حديثا عن رواية هذه الأكاذيب و تصدى لدحضها و بيان زيفها لكان خيرا لابن تومرت و تابعه عبد المؤمن بن علي ، و حينها لا يستطيع من يؤرخ لهما أو يكتب عنهما أن يزري بهما أو يحط من شأنهما أو يكشف عورهما .

<sup>1</sup> الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص 234 .

<sup>2</sup> البيهقي، مصدر سابق، ص 66 .

<sup>3</sup> ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 293 . و قد أورد ابن القلانسي كتابا وقف عليه أرسله عبد المؤمن لأحد مخالفه فيه وعيد شديد بالقتل و رغبة جامحة في سفك الماء ، ينظر نصه كاملا في الملحق رقم "3" .

## 2- الفكر الخرافي و الأساطير في الأندلس:

### أ- أساطير و خرافات في فضائل الأندلس :

إذا كان المغاربة قد وضعوا أحاديث تبين فضل بلادهم فإن أهل الأندلس لم يترددوا هم كذلك في تتبع آثار جيرانهم ، و قد جمع مؤلف كتاب ذكر بلاد الأندلس عددا معتبرا من هذه الأحاديث التي يظهر عليها أثر الوضع و الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي كلها مرسلة دون سند متصل ، و منها ما رواه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " أخبرني جبريل عليه السلام أن بأقصى المغرب جزيرة تسمى الأندلس تفتحها أمتي بعدي ، و أنه سيكون بها رجال ميتها شهيد و حيّهم مرابط سعيد ، تحشرهم السحاب إلى المحشر يوم القيامة " <sup>1</sup> ، و في حديث آخر رواه أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج ذات يوم من المدينة فأشار بيده تلقاء المغرب مسلما فقيل له : يا رسول الله على من تسلم ؟ قال : على أناس من أمتي يكونون في هذا المغرب خلف هذا البحر بجزيرة يقال لها الأندلس إليها آخ — ما ينتشر هذا الدين و ينتهي الإسلام و منها أول ما ينقرض ، أهلها مرابطون في منازلهم شهداء على فرشهم ، رباط يوم في ثغورها خير من عبادة سبعين سنة ، أهلها شهداء مقدّسون ليس لهم قابض إلا رب العالمين ، يبعثهم الله يوم القيامة من بطون السمك و لجج البحار و حواصل الطير <sup>2</sup> .

و ممّا يدل على وضع هذا الحديث أن الناس يبعثون يوم القيامة من قبوره — قال الله تعالى " وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ " <sup>3</sup> ، و ذكر السيوطي في تفسيره عن ابن عباس أن الأجداث تعني القبور <sup>4</sup> ، و لم أقف على أحاديث صحيحة في باب البعث و النشور تذكر أن الناس يبعثون من بطون السمك أو لجج البحار أو حواصل الطير <sup>5</sup> .

و من الأحاديث الموضوعة أيضا ما رواه المؤلف نفسه عن ابن عباس قال : " قام رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما من مصلاه بمسجد المدينة فأشار بيده مسلما تلقاه المغرب ثلاث مرات فقيل له : على من تسلم يا رسول الله ؟ فقال : على أناس من أمتي يكونون بالمغرب الأقصى بجزيرة

<sup>1</sup> مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، ص 16 .

<sup>2</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

<sup>3</sup> سورة يس، الآية 51 .

<sup>4</sup> السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق : د/ عبد الله بن المحسن التركي، مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية و الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ج12، ص 357 .

<sup>5</sup> ينظر حول أحاديث البعث مثلا : ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص 378 و ما بعدها .

يقال لها الأندلس إليها آخر ما ينتشر هذا الدين ، رباط فيها أفضل من رباط سنتين في غيرها من بلاد الثغور ، حيه ا مرابط و ميتها شهيد ، تحشرهم السحاب إلى الموقف يوم القيامة من وراء البحر الكافر كما تمطر الماء"<sup>1</sup> .

و تأتي رواية موضوعة أخرى توضح الموقع الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه يكون خلف البحر و قد حدّده كعب الأخبار<sup>2</sup> ، فيروى أنه لما ولي عمر بن الخطاب و افتتحت مصر في خلافته على يدي عمرو بن العاص قال أمير المؤمنين عمر: هذه البلدة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فبلغ ذلك كعب الأخبار فأثابه فقال له : يا أمير المؤمنين ليست هذه البلدة التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا هو هذا البحر ، فقال له عمر : و أي بلدة و أي بحر هو؟ قال : يا أمير المؤمنين هي جزيرة يقال لها الأندلس خلف البحر الكافر يغلب عليها عدوها في آخر الزمان ، فقال له عمر: متى تفتح هذه الجزيرة ؟ قال كعب : تفتح هذه الجزيرة في آخر الزمان ، بل في تاريخ 92 من الهجرة في أيام مشيّد المساجد و هو جبار بني أمية ، يكون له و للذي بعده و هو أخوه و هو خير منه فتوحات جليلة ، ثم يلي بعده خليفة من أهل الجنة منزلته في الجنة تحت منزلة الأنبياء ، فإذا مات لا يزال الناس يطعنون على بني أمية بعده حتى يخرجونهم من ملك المشرق فلا يبقى لهم سلطان إلا بجزيرة الأندلس<sup>3</sup> .

و تتوالى رواية الأحاديث التي لا تقل وضعا عن السابقة و التي بيّن الواقع زيفها و وضعها ، فينسب لرسول الله صلى الله عليه و سلم أنه بشرّ بظهور الإسلام فيها و ثباته إلى قيام الساعة مع زيادة أعداد الروم ، و أن بلادهم تزيد على بلاد الإسلام أضعافا مضاعفة<sup>4</sup> ، و في نفس السياق يروي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " لا تزال دعوة الإسلام بجزيرة الأندلس إلى أن تقوم الساعة" ، ثم يقول إنه صحّ عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه ثغر منصور<sup>5</sup> .

و الأندلس كما هو معلوم ليست دار إسلام الآن ، فقد طرد منها المسلمون بعد توالي إنحزاماتهم أمام النصارى سنة 897هـ/1492م بشكل نهائي و استولى القشتاليون على آخر حواضر

<sup>1</sup> مجهول، مصدر سابق، ج1، ص17 .

<sup>2</sup> كعب الأخبار : كعب بن ماسع الحميري اليماني العلامة الخبر ، كان يهوديا فأسلم في خلافة عمر بن الخطاب ، قدم المدينة من اليمن و جالس الصحابة فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية ، توفي بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان ( الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص 489 ) .

<sup>3</sup> مجهول، مصدر سابق، ج1، ص 19 .

<sup>4</sup> نفسه، ج1، ص 20 .

<sup>5</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .



المسلمين ، و خفق علم النصرانية ظافرا فوق صرح الإسلام المغلوب ، و انتهت بذلك دولة الإسلام في الأندلس ، و طويت صفحة مجيدة في تاريخ الإسلام<sup>1</sup> و انطفأت حضارة العرب المشرقة بعد ثمانية قرون من إشعاعها على أوروبا<sup>2</sup> ، و لم ترفع للمسلمين راية في تلك البلاد إلى يوم الناس هذا و الساعة لم يأذن الله بقيامها بعد ، إضافة إلى هذا لسنا ندري شيئا عن المعايير التي يعتمد عليها هذا المؤلف في تصحيحه لرواياته عن النبي صلى الله عليه و سلم التي ذكرها ، و مما يدل على أنّ هذا المؤلف من أبعاد الناس عن علم الحديث ما رواه موق -وفلا عن عثمان -أنّه خطب فحضر على غ -زو المغرب و الأندلس و قال : " أما بعد فإنّ القسطنطينية يفتحها خيار هذه الأمة ، و إنما تفتح من قبل الأندلس"<sup>3</sup> ، و التاريخ يخبرنا أنّه في أيام فتح القسطنطينية كانت الأندلس تعيش آخر عقودها في ظل حكم الدولة الإسلامية المنحسرة آنذاك و التي كانت تشمل جزءا صغيرا في الجنوب ممثلا في إمارة غرناطة .

---

<sup>1</sup> محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "العصر الرابع نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين"، ص 264 .

<sup>2</sup> Gustave.Le Bon, **La Civilisation des arabes**, Firmin-Didot, Paris, 1884, p 137.

<sup>3</sup> مجهول، مصدر سابق، ج 1، ص 20 .

## ب - الخرافات في الأندلس :

لقد تعددت الخرافات و الأساطير حول تاريخ الأندلس و قد تناقلتها مصادرنا التاريخية دون إمعان النظر فيها و التحقق في متنها ، و من الأخبار التاريخية الواهية المتعلقة بفتح الأندلس ما رواه الطبري في تاريخه في حوادث سنة 27هـ/647م أنّ الخليفة عثمان بن عفان أرسل عبد الله بن نافع بن الحصين و عبد الله بن نافع بن عبد القيس من إفريقية إلى الأندلس فأتياه -ا من قبل البحر -ر ، و كتب عثمان إلى من انتدب من أهل الأندلس : " أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتتح من قبل الأندلس و إنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر و السـلام " ، فخرجوا و معهم البربر فأتوها من برّها ، ففتحها الله على المسلمين و إفريقية و ازدادوا في سلطان المسلمين مثل إفريقية<sup>1</sup> ، و نقل هذه الرواية ابن عذارى فقل : " و ذكر في فتح الأندلس أربعة أقوال أحدها أنّ أول من دخلها عبد الله بن نافع بن عبد القيس و عبد الله بن حصين الفهريان من جهة البحر زمن عثمان"<sup>2</sup> .

و هذا الفتح المزعوم للأندلس سنة 27هـ/647م لم يذكروه أحد من المؤرخين ، و لم يجاوز المسلمون سببلة<sup>3</sup> في إفريقية زمن عثمان بن عفان بعد انتصارهم على الروم فيها ، حتى أتى عقبة بن نافع و استقر بالمسلمين بإفريقية بعد أن اختط القيروان ثم توغل فاتحاً في بلاد المغرب حتى وصل البحر المحيط ، و لم تثبت أقدام المسلمين في المنطقة إلا بعد قدوم حسان بن النعمان ثم موسى بن نصير فتمّ الفتح لبدأ العمل بعد ذلك في فتح الأندلس ، لذلك نجد ابن عذارى ينقل الإجماع على أنّ متولى كبر فتح الأندلس هو طارق بن زياد<sup>4</sup> ، و لو تمّ الفتح فعلاً سنة 27هـ/647م لعرفنا أحوال هذه البلاد و ما كان للمسلمين فيها من حوادث و أخبار جملة على الأقل ، فلا يعقل أن يكون فتح الأندلس قبل فتح بلاد المغرب ، كما لا يعقل أيضاً أن تنقطع أخبارها منذ سنة 27هـ/647م إلى سنة 92هـ/711م و هي مدة طويلة و لا نعلم شيئاً عنها ، لذلك فهذا الخبر مجرد أسطورة و خرافة لا أساس له من الصحة .

<sup>1</sup> الطبري، مصدر سابق، ج4، ص 255 .

<sup>2</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 4 .

<sup>3</sup> سببلة : مدينة من مدن إفريقية ، و هي مدينة جرجير الملك الرومي ، بينهما و بين القيروان سبعون ميلاً ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص 187 ) .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 5 .

و من الخرافات التي تمتزج فيه ١ الأسطورة بللكهانة قصة ذلك البيت المغلق الذي كان ملوك القوط الأندلسيين ينهون عن فتحه ، فكان كلما يملك ملك يضع عليه قفلا ، فلما ولي لذريق عزم على فتح الباب و الإطلاع على ما في البيت ، فأعظم ذلك أكابره و تضرعوا إليه في الكف و ظنّ أنّه بيت مال ، ففض الأقفال عنه و دخله فأصابه فارغا لا شيء فيه إلا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب على الخيول و عليهم العمام متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعـي الرايات على الرماح ، و في أعلاه كتابة بالأعجمية فقرئت فإذا هي إذا كسرت هذه الأقفال عن هذا البيت و فتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فلنّ هذه الأمة المصورة فيه تغلب على الأندلس و تملكها ، فوجم لذريق و عظم غمّه و غمّ العجم و أمر برد الأقفال و إقرار الحراس على البيت <sup>1</sup> ، و يؤرخ عبد الملك بن حبيب هذه الخرافة بسنة دخول المسلمين الأندلس و أنّها كانت قبله بأيام يسيرة <sup>2</sup> .

و قال ابن عذارى إنّ صور العرب و البربر على خيولهم وجدها طارق على مائدة سليمان ، و هي الصور التي وضعت على القصر بقرطبة ، و قيل أيضا إنّها طلسمات كانت العرب قد نصبتها على مساجد الأندلس فنقلها عبد الرحمان بن معاوية إلى القصر بقرطبة <sup>3</sup> ، و أما المقرئ فيحكى قصة هذا البيت و خبر تأسيسه و هي طويلة و في آخرها يقول إنّهم اتفقوا و جعلوا الطلسمات في أوقات اختاروا أرسادها و أودعوها تاهتا من الرخام و تركوه في بيت طلي طلة ، و ركّبوا على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت <sup>4</sup> ، و في رواية ابن الكردبوس تسمية القوم المصورين و هم العرب حيث قال : " ففتحه فلم يجد فيه غير رق كبير فيه صورة رجال عليهم العمام و تحتهم صور خيل مسومة و في أيديهم السيوف ، و فيه مكتوب هذه صور العرب فإذا فتحت أقفال هذا البيت و دخل البيت فتحت العرب هذه الجزيرة و تملكوا أكثرها ، فندم على فتحه و أغلقه " <sup>5</sup> ، و يضيف ابن القوطية أنّ التابوت كان فيه الأناجيل الأربعة التي يقسمون بها <sup>6</sup> .

<sup>1</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 34 .

<sup>2</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 146 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 3 .

<sup>4</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 244 و ما بعدها .

<sup>5</sup> ابن الكردبوس، الإكتفاء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق : صالح بن عبد الله الغامدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ص 998 .

<sup>6</sup> ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 33 .

فهذه الخرافة لا تمثل حقيقة بل خيال كبير و واسع لإنسان العصور الوسطى<sup>1</sup> ، و هي تصور أنّ السبب في هزيمة القوط الساحقة و السريعة إنما راجع لفتح باب بيت فيه مصاوير قوم تكهن مصورها أنّهم سيغلبون على أرض الأندلس و يملكونها منذ قرون خلت ، و لا يستبعد أن يكون واضع هذه الأراجيف من القوط الذين أرادوا ربط هزائمهم المتتالية و السريعة بتكهنات قديمة و ذلك للتقليل من شأن انتصارات المسلمين.

و من الأخبار الواهية في فتح الأندلس إحراق طارق بن زياد السفن بعد جوازه البحر، نقل ذلك ابن الكردبوس في الاكتفاء فقال : " و رحل نحو قرطبة فحرق المراكب و قال لأصحابه قاتلوا أو موتوا"<sup>2</sup> ، و قال الحميري في الروض : " لما جاز طارق بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل ، و قدّر أنّ العرب لا تثق به و أراد أن ينفي عن نفسه التهمة فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها ، فبرئ بذلك مما اتهم به"<sup>3</sup> ، و نفس الرواية عند الإدريسي تقريبا و نصها : " و إنما يسمى بجبل طارق لأنّ طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي لما جاز بمن معه من البربر تحصنوا بهذا الجبل أحس بنفسه أنّ العرب لا تثق فيه فأراد أن يزيع ذلك عنه ، فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها فبرئ بذلك مما اتهم به"<sup>4</sup> .

و ممّا يستدل به على ضعف هذه الرواية و زيفها عدة أمور ، منها أنّ هذه المراكب لم تكن لطارق و إنما كانت ليوليان ، فعند ابن عبد الحكم أنّ طارقا خرج إلى يوليان و هو بسبته على المجاز ، ففرح حين قدم عليه و قال له : أنا مدخلك إلى الأندلس ، فلما أمسى جاءه يوليان بالمراكب فحملة فيها إلى ذلك المجاز فأكمن فيه نهاره ، فلما أمسى ردّ المراكب إلى من بقي من أصحابه ، فحملوا إليه حتى لم يبق منهم أحد و لا يشعر بهم أهل الأندلس ، و لا يظنون أنّ المراكب تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم<sup>5</sup> .

و عند ابن عذارى أنّ موسى بن نصير استعمل طارق بن زياد على طنجة و كان يوليان مجاورا له بالجزيرة الخضراء التي تلي طنجة ، فدخله حتى صار معه إلى الرضا و وعده يوليان بإدخاله الأندلس هو و جنوده ، و كان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا من البربر، فأجمع طارق على

<sup>1</sup> عمر شليبي، مرجع سابق، ص 70 .

<sup>2</sup> ابن الكردبوس، مصدر سابق، ص 1007 .

<sup>3</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 224 .

<sup>4</sup> الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص 540 .

<sup>5</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص 277 .

غزو الأندلس بعد أن أخذ إذن ابن نصير مولاه في ذلك ، فكان يوليان يحتمل أصحاب طارق في  
مراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس و لا يشعر أهل الأندلس بذلك ، فحمل الناس فوجا بعد  
فوج إلى الأندلس ، فلم يبق إلا فوج واحد ركب طارق حتى أجاز البحر إلى أصحابه<sup>1</sup> .  
فلا يعقل أن يحرق طارق مراكب ليست له و هو في أشد الحاجة إليه ا في هذه المرحلة  
الصعبة من بداية عمليات الفتح .

و روي أنّ طارقا جـاز مع جيشه و عددهم سبعة آلاف من المسلمين جلّهم من البربر  
و الموالي ليس فيهم إلا عرب قليل ، فدخل في أربعة سفن و ذلك سنة 92هـ/711م فاختلقت  
السفن بالرجال و الخيل<sup>2</sup> ، فعدد العرب في جيش طارق قليل مقارنة بالبربر و حسب بعض الروايات  
أنّ عدد العرب كان نحو ثلاثمائة رجل فقط<sup>3</sup> ، فعدم ثقتهم في قائدهم طارق لا تؤثر عليه مطلقا ،  
و لو كان الأمر كما ذكر لعزلهم عن جيشه و ذلك يكفي للتخلص منهم لا أن يحرق سفنا هي من  
العدّة التي يجب على المسلمين الحفاظ عليها و حمايتها في وقت السلم ، فكيف بوقت النفير  
و الجهاد ؟

و يجب أن لا ننسى أنّ ما قام به موسى و طارق من إحتياطات من أجل سلامة الجند منذ  
بدء العمليات العسكرية ، مثل إرسال السرايا و التحصينات المختلفة بعد نزول الساحل الإسباني  
يرجع في أحد أهدافه الأساسية لإضفاء مزيد من الحماية للجند ، فهل يمكن بعد هذا كلّه أن يقوم  
طارق بحرق مراكبه التي تعتبر أهم وسيلة للنجاة إذا ما هزموا في المعركة ؟ و علينا التأكيد بأنّ طارق  
بن زياد قائد عسكري مجرّب له خبرات عديدة ، فرجل مثله لا يمكن أن يقع في مثل هذا الخطأ  
الكبير، لأنّ إحراق السفن لا ينجم عن بطولة أو ذكاء و إنّما عن غباء القائد<sup>4</sup> .

و لبيان ذكاء طارق العسكري و سعيه لإرهاب عدوه يروي ابن الكردبوس رواية بعيدة كل  
البعد عن أخلاق المسلمين في حروبهم و إنسانيتهم ، فيذكر أنّه لما رحل لذريق قاصدا قرطبة يريد  
طارق فلما تداينّا تخيّر لذريق رجلا شجاعا عارفا بالحروب و مكائدها و أمره أن يدخل في عسكر  
طارق فيرى صفاتهم و هيئاتهم ، فمضى حتى دخل في محلة المسلمين فأحس به طارق فأمر بعض

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص6 .

<sup>2</sup> مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق : إبراهيم  
الأياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م، ص17 .

<sup>3</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص233 .

<sup>4</sup> عمر شلي، مرجع سابق، ص66 .

القتلى أن تقطع لحومهم و تطبخ ، فأخذ الناس القتلى فقطعوا لحومهم و طبخوهـا و لم يشك رسول لذريق أنهم يأكلونها ، فلما جنّ الليل أمر يهرق تلك اللحوم و دفنها و ذبح بقرا و غنمـا و جعل لحومها في تلك القدور ، و أصبح الناس و نودي فيهم بالإج نفاع إلى الطعام ، فأكلوا عنده و رسول لذريق أكل معهم ، فلما فرغوا انصرف الرسول إلى لذريق و قال له : أتتكم أمة تأكل لحوم الموتى من بني آدم و صفاتهم التي وجدنا في البيت المقفل ، قد أحرقوا مراكبهم و وطنوا على الموت و الفتح<sup>1</sup> ، و في رواية أخرى لهذه الخرافة إنه كان من إرهاب طارق لنصارى الأندلس و حيله أن تقدّم لأصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضرة أسراهم و طبخها في القدور يروّهم أنهم يأكلونها ، فجعل من انطلق من الأسرى يحدثون من ورائهم بذلك فتمتلى منهم و يجفلون فرارا<sup>2</sup> .

و في رواية ابن عبد الحكم أنّ المسلمين حين نزلوا الجزيرة وجدوا بها كرامين و لم يكن بها غيرهم فأخذوهم ثمّ عمدوا إلى رجل منهم فذبحوه ثمّ طبخوه و من بقي من أصحابه ينظرون ، و كانوا قد طبخوا لحما في قدور آخر ، ثمّ طرحوا ما كانوا طبخوه من لحم ذلك الرجل و لا يعلمون بطرحهم له و أكلوا اللحم الذي طبخوه ، و ما بقي من الكرامين ينظرون إليهم ، فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم ، ثمّ أرسلوا من بقي منهم فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس<sup>3</sup> .

و أما خطبة طارق البليغة فذكرها باختصار شديد عبد الملك بن حبيب<sup>4</sup> و ابن قتيبة في الإمامة و السياسة<sup>5</sup> و ابن خلكان في الوفيات<sup>6</sup> و نقلها عنه المقرئ بنصبها كاملة<sup>7</sup> .

و الإشكالية المطروحة حول هذه الخطبة هي نصها ، فهل تنسب هذه الخطبة البليغة لاسيما النص الوارد عند ابن خلكان إلى طارق أم هي من صياغة غيره و تُسبت إليه تعظيما لشأنه و إعلاء مكانته ؟

يمكن أن يُقال ابتداءً إنه يتعين على أي قائد مقبل على معارك حاسمة و كبيرة أن يثبّط حذهم جنوده و يحفّو عزمهم بما فتح ع ليه من كلام أو أفعال أو غيرها ، و إن عدم ذلك يكلف من ينوب عنه للقيام بهذه المهمة ، و هذا أمر ضروري للمحاربين حتى ترتفع روحهم المعنوية المهمة جدا

<sup>1</sup> ابن الكردبوس، مصدر سابق، ص 1010 .

<sup>2</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 260 .

<sup>3</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص 278 .

<sup>4</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 144 .

<sup>5</sup> ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، ج2، ص 87 .

<sup>6</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 321 .

<sup>7</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 240 . و ينظر نص هذه الخطبة المنسوبة لطارق في الملحق رقم "4" .

لتحقيق النصر المنشود ، و عندها لا يُستبعد أن يكون طارق بن زياد قد ألقى كلمة بلغة قومهم يحثهم فيها على القتال و الجهاد ثمّ زيد فيها و صرّحت لتلك الصياغة الأدبية الرائعة ، و لم يتردد أحد الباحثين في الجزم بأنّ أحد الكتاب العرب هو من قام بإنشاء تلك القطعة الأدبية<sup>1</sup> ، ثمّ ادّعى بأنّ ما جاء فيها من معاني تدين البربر لأنّها تظهرهم بمظهر المتلطف على متاع الحياة الدنيا ، و أنّ غايتهم القصوى هي التي ذكرها قائدهم من الحصول على الحور الحسان<sup>2</sup> ، و هذا ادعاء لا يصح ، فالخطبة أُلقيت قبل بداية المعركة و لم تفتح الأندلس بعد و لا يعرف المسلمون مصيرهم ، هل سينصرون أو سيهزمون ؟ إضافة إلى هذا فالمسلمون جميعهم عربهم و عجمهم قد يتلهفون من أجل متاع الحياة الدنيا عند الجهاد و لقاء العدو، و قد حدث هذا للصحابّة الكرام في غزوة أحد لما خالفوا أوامر النبي صلى الله عليه و سلم و نزلوا من الجبل من أجل الحصول على الغنائم و قد قال الله تعالى فيهم : " مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ"<sup>3</sup> ، و نقل ابن كثير في تفسير هذه الآية حديثا موقوفا عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود قال : " ما كنت أرى أنّ أحد ا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد"<sup>4</sup> .

و من الخرافات التي لازمت الفتح الإسلامي للأندلس ما غنمه المسلمون من كنوز عظيمة لم يعرف لها نظير في فتوحات المسلمين سابقها و لاحقها ، و من هذه الغنائم المزعومة ما قيل إنّها مائدة سليمان عليه السلام ، و روى خبرها عبد الملك بن حبيب فذكر أنّ طارقا لما افتتح طليطلة أصاب بها مائدة سليمان مكلفة بالجواهر منسوجة بالذهب منظومة بالدر و الياقوت لا يدري أحد ما ثمنها ، و مائدة أخرى من جزع لا ثمن لها أيضا<sup>5</sup> ، ثمّ يروي عن شخص سماه عبد الحميد قال : سألت أبي عن صفة المائدة و كان قد رآها و نظر إليها فقال : كانت من ذهب و فضة خليطين تتلون في صفرة الذهب و بياض الفضة ، و كان عليها طوق لؤلؤ و طوق يحاقيت و طوق زمرد ، قلت فما كان عظمه ا ؟ قال : لقد حملت على بغل قوي أقوى ما يكون من البغال ، فما سار بها البغل مرحلة حتى تفسخت قوائمه<sup>6</sup> .

<sup>1</sup> عمر شليبي، مرجع سابق، ص 68 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 69 .

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية 152 .

<sup>4</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 214 .

<sup>5</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 146 .

<sup>6</sup> نفسه، ص ص 146 - 147 .

و قيل إنّ طارقا سار حتى بلغ طليطلة و خلّى بها رجلا من أصحابه فسلك إلى وادي الحجارة ثمّ استقبل الجبل فقطع هـ من فج يسمى فج طارق و بلغ مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة ، و إنما سميت مدينة المائدة لأنّه وجد فيها مائدة سليمان من زبرج — د خضراء منها حافتها و أرجلها و لها ثلاثمائة رجل و خمس و سبعون رجلا<sup>1</sup> ، و ذكروا عن صفتها أنّها كانت مائدة خوان ليست لها أرجل قاعدتها منها ، و كانت من ذهب و فضة خـ ليطين فهي تتلون صفرة و بياضا ، مطوقة بثلاثة أطواق ، طوق لؤلؤ و طوق ياقوت و طوق من زمرد<sup>2</sup> ، و قيل إنّ المائدة وجدها طارق في كنيستهم العظمى<sup>3</sup> ، و قيل أيضا إنّ المائدة بقلعة يقال لها فراس مسيرة يومين من طليطلة و على القلعة ابن أخت لذريق ، فبعث إليه طارقا بأمانه و أمان أهل بيته فنزل إليه فأمنه و وثّق له ، فقال له طارق : ادفع إليّ المائدة ، فدفعها إليه و فيها من الذهب و الجواهر ما لم يُر مثله<sup>4</sup> .

و جاء أيضا أنّ موسى طالب طارقا بأداء ما عنده من مال الفيء و ذخائر الملوك و استعجله بالمائدة ، فأتاه بها و قد خلع من أرجلها رجلا و خبأه عنده ، فسأله موسى عنه ، فقال : لا علم لي به و هكذا أصبتها ، فأمر موسى فجعل لها رجلا من ذهب جاء بعيد الشبه عن أرجلها يظهر عليه التعمّل ، و لم يقدر على أحسن منه فأخل به<sup>5</sup> .

و ذكروا أنّ موسى بن نصير لما انتهى إلى طليطلة وجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيه أربعة وعشرين تاج — ا ، تاج كل ملك ولي الأندلس ، كان كلما هلك ملك جعل تاجه في ذلك البيت و كُتب على التاج اسم صاحبه و ابن كم هو و يوم مات و يوم ولي ، و وُجد في ذلك البيت أيضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عيه السلام و مائدة من جزع ، فعمد إلى التيجان و الآنية و الموائد فقطع عليها الأغشية و جعل عليها الأماناء ليس منها شيء يهدرى ما قيمته ، فأما الذهب و الفضة و المتاع فلم يكن يحصيه أحد<sup>6</sup> .

و هذه المائدة لا علاقة لها بسليمان النبي عليه السلام إن وجدت أصلا ، قال ابن حيان : " و هذه المائدة المنسوبة إلى سليمان النبي لم تكن له فيما يزعم رواة العجم ، و إنما أصلها أنّ العجم

<sup>1</sup> مجهول، أخبار مجموعة، ص 23 .

<sup>2</sup> ابن قتيبة، الإمامة و السياسة، ج2، ص 95 .

<sup>3</sup> ابن الكردبوس، مصدر سابق، ص 1013 .

<sup>4</sup> ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ج1، ص 279 .

<sup>5</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 271 .

<sup>6</sup> ابن قتيبة، مصدر سابق، ج2، ص 88 .



في أيام ملكهم كان أهل الحسنة منهم إذا مات أحدهم أوصى بمال الكنائس ، فإذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد و الكراسي و أشباهها من الذهب و الفضة ، تحمل فوقها الشمامسة و القسوس مصاحف الإنجيل إذا أبرزت في أيام المناسك و يضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزینتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذا السبيل ، و بالغت الأملاك في تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الأول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات و طار الذكر بها كل مطار، و كانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفخـر الدر و الياقوت و الزمرد لم تر الأعين مثلها و بولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة ، و أنه لا ينبغي أن يكون بموضع آلة جمال إلا ما يكون فيها ، و كانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فأصابه المسلمون هناك<sup>1</sup> .

فأخبار هذه المائدة كثيرة و متناقضة ، فبعضهم يجعل طارقا بن زياد هو من غنمها و بعضهم يجعل موسى بن نصير هو من غنمها ، و ذكروا لها صفات كثيرة ، فقليل إنَّ لها أرجلا يفوق عددها ثلاثمائة و ثلاث و سبعين رجلا و قيل لها ثلاثة أرجل فقط و قيل إن ليس لها أرجل مطلقا ، و ذكروا أنَّها وجدت في كنيسة طليطلة و قيل في بيت الحكمة و ذكر أنَّها وجدت في قلعة فراس قريبا منها ، و جعلوا لها مدينة سموها باسمها فقالوا إنَّها وجدت في مدينة المائدة ، و أضاف واضعو هذه الخرافة المائدة إلى سليمان لما علم عنه من تسخيرهِ للجن و ما يمكن لها أن تقوم به مما يعجز عنه الإنس ، فتكون بذلك هذه المائدة من عجائب الدهر ، فيسهل على بعض المسلمين التصديق بها و الترويج لها و هذا ما حدث فعلا ، و زادوا أنَّ موسى حملها إلى الوليد بن عبد الملك قبل موته<sup>2</sup> ، لتستقر المائدة الأسطورية أخيرا حسب رواية الإدريسي في زمانه في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في مدينة رومية<sup>3</sup> ، و لسنا ندري كيف انتقلت من دمشق في الشرق إلى روما في الغرب ؟ و هذا دليل آخر يدل على أنَّ هذه المائدة ليست إلا مجرد خرافة لا وجود لها في الواقع .

و إلى جانب هذه المائدة يضيف ابن الكردبوس أنَّ طارق بن زياد وجد مرآة إذ نظر الناظر فيها رأى الدنيا كلها بين عينه ، كانت مدبرة من أخلاط أحجار و عقاقير منقوشة بخط يوناني جليل ، وإحدى و عشرين مصحفا من النبوة و الإنجيل و الزبور و الفرقان و مصحف

<sup>1</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 393 . المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 272 .

<sup>2</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 151 .

<sup>3</sup> الإدريسي، مصدر سابق، ج2، ص 552 .

إبراهيم و موسى عليهما السلام<sup>1</sup> ، و يبيّن زيف هذه الرواية أيضا ذكر الفرقان و هو القرآن من جملة المصاحف التي وجدت في هذا المكان ، و معلوم أنّ النصارى يؤمنون بالكتب التي نزلت قبل الإنجيل و يكفرون بالفرقان فلذلك لا يعظمونه ، فكيف يحفظونه في خزائهم ؟

و قد بالغ المؤرخون المسلمون كثيرا في وصف و محاولة حصر ما غنمه فاتحو الأندلس حتى خرجوا من الحقيقة إلى الخرافة ، فقد جعلوا أرض الأندلس أكثر ذهباً و فضة من ساحل الذهب بإفريقي جنوب الصحراء ، فحيثما ولى المجاهدون وجههم لتلقاهم الذخائر و الرفلّس التي لا مثيل لها ، و في هذا الإطار يُروى عن أحد غلمان موسى بن نصير أنّه قال : و لقد رأيتنا أيام الفتوح العظام لأخذ السلوك من قصور النصارى فنفضل ما منها ما يكون من الذهب و غير ذلك نرمي به و لا نأخذ إلا الدر الفاخر<sup>2</sup> .

و قد أسهب ابن قتيبة في ذكر خرافات هذه الكنوز ، و منها أنّ موسى لما دخل الأندلس ضربوا الأوتاد لخيولهم في جدار كنيسة من كنائسهم فتلفت الأوتاد فلم ت لج ، فنظروا فإذا بصفائح الذهب و الفضة خلف بلاط الرخام<sup>3</sup> ، و في رواية أخرى أنّ موسى كان أمر بضرب الأوتاد لخيوله تحت جدار بيت الحكمة فنبت الأوتاد فلم تدخل عند الضرب ، و إذا بصفائح الذهب و الفضة خلف بلاط الرخام<sup>4</sup> .

و يروى أيضا أنّ رجلين حملا طنفسة منسوجة بالذهب و الفضة و الجواهر و الياقوت ، فلما أثقلتهما أنزلاهما ثم حملا عليها للنفاس فقطعاها نصفين فأخذا نصفاً و تركا الآخر ، و كان الناس يعمرون يمينا و شمالا ما يلتفتون إليها استغناء بما هو أنفوس منها و أرفع<sup>5</sup> ، و يروى أيضا أنّ الدابة كانت تطلع في بعض غزوات موسى فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب و الفضة<sup>6</sup> .

و عندما عاد موسى بن نصير إلى المشرق التقى سليمان بن عبد الملك ، و في أحد المجالس دعا الخليفة بطست عظيم فجعل يردد بصره فيه ، فقال لـ موسى : إنك لتعجب من غير عجب ، و الله ما أحسب أنّ فيه عشرة آلاف دينار ، و الله لقد بعثت إلى أخيك الوليد بثور من

<sup>1</sup> ابن الكردبوس، مصدر سابق، ص 1012 .

<sup>2</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 284 .

<sup>3</sup> ابن قتيبة، مصدر سابق، ج2، ص 91 .

<sup>4</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 146 .

<sup>5</sup> ابن قتيبة، مصدر سابق، ج2، ص 91 .

<sup>6</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

زبرجد أخضر كان يصب فيه اللبن في خضر و ترى فيه الشعرة البيضاء و لقد قوم بمائة ألف دينار ،  
و إنه لمن أدنى ما بعثت به إليه ، و لقد أصبت كذا و كذا ، فجعل يعد ما أصاب من الجوهـر —  
و الدر و الياقوت و الزمرد حتى بهت سليمان<sup>1</sup> .

و وصف الحميري ذخائر الأندلس فقال : " و وجد أهل الإسلام فيها ذخائر كادت تفوق  
الوصف كثرة ، فمنها مائة و سبعون تاجا من الذهب مرصعة بالدر و الحجارـة الثمينة ، و وجد فيها  
ألف سيف مجوهر مملوك ، و وجد بها من الدر و الياقوت أكـيال و أوساق ، و من آنيـة الذهب  
و الفضة و أنواعها ما لا يحيط به وصف"<sup>2</sup> .

و هذه الأسلاب و الغنائم استطاع أن يحملها موسى بن نصير عندما عاد إلى المشرق ، و قد  
وصفها ابن الكردبوس و عدّها و كأنه قد وقف عليها فقال : " و قصد موسى إلى أمير المؤمنين  
الوليد و حمل جميع ما جلبه من الأندلس ، و ذلك ثلاثون عجلة موقرة ذهباً و فضة ، و من الأعلاق  
النفيسة من الدر و الياقوت و الزبرجد و الذخائر الرفيعة من الملابس ، و مائة ألف من سبي بين  
النساء و الرجال و الصبيان منهم أربعمائة رجل من ملوك الأعجم متوجين"<sup>3</sup> .

و قيل إنّ موسى بن نصير لما بعث بالخمس الذي أفاء الله عليه كان مائة ألف رأس فنزلوا  
الإسكندرية و نزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق<sup>4</sup> ، و يحل على زيف هذا الأخبار  
عدد السبي الكبير جدا في تلك المرحلة ، و لو وصلوا حقا إلى ديار مصر آنذاك لكان بإمكانهم  
احتلالها و القضاء على المسلمين بها ، كما يستبعد و لا يعقل أن يُشترى العبد بقبضة من فلفل  
لمطبخ موسى بن نصير<sup>5</sup> .

و أبعد من ذلك عن الحقيقة و أقرب إلى الخرافة ما روي أنّ موسى لما قدم على الوليد بن  
عبد الملك و ذلك يوم الجمعة في حين جلوسه على المنبر، قال موسى لبعض من وفد معه بأن يلبس  
كل رجل من الأسرى تاجا و ثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد ، فألبس ثلاثين رجلا  
ثلاثين تاجا و هيأهم هيئة الملوك ، و أمر بأبناء ملوك البربر و أمر بأبناء ملوك الجزائر و الروم فهيئوا  
كذلك و لبسوا التيجان ، و أمر بالأموال و الجواهر و اللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد و الجزع و الكساء

<sup>1</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 152 .

<sup>2</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 393 .

<sup>3</sup> ابن الكردبوس، مصدر سابق، ص 1017 .

<sup>4</sup> ابن قتيبة، مصدر سابق، ج2، ص 99 .

<sup>5</sup> نفسه، ج2، ص 92 .

المنسوج بالذهب و الفضة المحرّش باللؤلؤ و الياقوت و الزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد ، و أقبل موسى بالذين ألبسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق و الوليد على المنبر<sup>1</sup> .

و لا نعلم من خلال الروايات التاريخية الخاصة بفتح بلاد المغرب عن ملوك البربر بعد الكاهنة شيئا و لا نعرف شيئا أيضا عن أبناء ملوك الجزائر و الروم الذين أسرهم المسلمون بعد فتح الأندلس ، و ذكرت بعض المصادر أنّ لذريق لما علم بقدم طارق و جيشه إليه كتب إلى أولاد غيطشة الملك الذي تغلب عليه يبعثهم إلى مناصرتهم فقبلوا ذلك و هم يضمرون له الغدر، و أرسلوا إلى طارق يعلمونه أنّ لذريق كان كلبا من كلاب أبيهم و أتباعه ، و يسألونه الأمان و أن يمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس ، و كان لهم ذلك بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي أنفذ لهم عهد طارق و عقد لكل واحد منهم بذلك سجلا<sup>2</sup> .

و الراجح أنّ أساطير الذهب و الفضة نشأت على ألسنة الإسبان لبيان أنّ هدف المسلمين من الفتح ليس نشر الإسلام و حضارته كما يقول المسلمون ، بل السيطرة على خيبرات الأندلس و استعباد سكانها ، و قد سبق إيراد كلام ابن حيان مؤرخ الأندلس الذي نسب خبر المائدة لرواة العجم<sup>3</sup> ، و مع الأسف فإنّ المؤرخين المسلمين تلقفوا هذه الروايات ليبينوا حجم الانتصارات التي أحرزها العرب الفاتحون فتباهوا بكثرة الغنائم ، و قد يكون هناك سبب آخر لإشاعة هذه الأساطير و هو تشجيع المسلمين على المجيء إلى الأندلس من أجل إعمارها و ليشكلوا قوة ضاربة أمام الإسبان لديها القدرة على حماية السلطة الإسلامية هناك<sup>4</sup> .

و من أخبار موسى بن نصير النحاسية الشيطانية الخرافية أنّه خرج غازيا بعد افتتاحه مدينة طنجة و الخضراء و غيرها ، فمضى حتى انتهى إلى أرض تميد بأهلها و ذلك عند البحر الأصم ، فسائر البحر حتى انتهى إلى قنطرة عليها صنم من نحاس في يده قوس و نشاب ، فلما دنا منه الناس رمى بنشابه فقتل إنسانا ثم وقع ، فتقدم الناس فإذا هو صنم من نحاس ، ثم قيل لموسى إنّ في هذه الرمال قلعة فيها أعاجيب فسار إليها فحاولها فلم يقدر عليها فأمر ببنيان فبني حتى أشرفوا عليه ، فلما أطل الناس الذين كانوا يبنون النظر إليه ا و إلى ما كان فيها استضحكوا و رموا بأنفسهم فوقعوا

<sup>1</sup> نفسه، ج2، ص 105 .

<sup>2</sup> ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ص 29 - 30.

<sup>3</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 393 .

<sup>4</sup> عمر شلي، مرجع سابق، ص 70 .

موتى ، ثم نادى موسى من صعد فله مائة دينار ، فصعد رجل فلما أشرف عليه استضحك ثم رمى بنفسه ، فلما رأى موسى ذلك قال هذا من بعض عجائب الشياطين فانصرف عنها<sup>1</sup> .

ثم تتواصل الخرافات فتذكر أنّ موسى لما ج — اوز الأندلس أتى موضعا فإذا فيه قباب من نحاس ، فأمر بقبة منها فانكسرت فخرج منها شيطان و مضى ، فعرف موسى أنّه من الشياطين التي سجنه سليمان بن داود ، فأمر موسى بالقباب فتركت على حاله و سار بالناس قدما<sup>2</sup> .

و تتوقف فتوحات موسى بن نصير في الأندلس وفق خرافة أخرى ، فقيل إنّّه عندما أوغل في أرض الفرنجة انتهى إلى م فارة كبيرة و أرض سهلة ذات آثار ، فأصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوب فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فإذا هي : يا بني إسماعيل انتهيتم فارجعوا ، فهاله ذلك و قال : ما كتبت هذه إلا لمعنى كبير ، فشا ور أصحابه في الإعراض عنه و جاوزه إلى ما وراءه ، فاختلفوا عليه فأخذ برأي جمهورهم و انصرف بالناس<sup>3</sup> ، و أسند هذه الخرافة ابن عذارى إلى رجل يقال له يوسف بن هشام قال : " كان جدّي من خاصة موسى فأخبرني قال : انتهينا إلى صنم فوجدنا في صدر ذلك الصنم ارجعوا يا بني إسماعيل فإلى هذا منتهاكم ، و إذا سألتكم إلى ماذا ترجعون أخبرتكم أنكم ترجعون إلى الاختلاف في ذات بينكم حتى يضرب بعضكم بعضا و قد فعلتم<sup>4</sup> " .

و نال أحد أبناء موسى بن نصير حظّه من الخرافة و هو عبد العزيز بن موسى الذي أقام على الأندلس أميرا بعد خروج أبيه إلى المشرق ، فثار عليه جماعة من الجند فقتله بعضهم و خرجوا برأسه إلى سليمان بن عبد الملك<sup>5</sup> .

و من أسباب قتلهم له رواية تذكر أنّه تزوج امرأة لذريق المكناة أم عاصم ، و كانت قد صالحت على نفسها و أموالها وقت الفتح و باءت بالجزية و أقامت على دينها إلى أن نكحها الأمير عبد العزيز فحظيت عنده ، و يقال إنّّه سكن بها في كنيسة بإشبيلية و إنّها قالت له : لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ؟ فقال لها : هذا حرام في ديننا ، فلم تقنع بذلك و فهم لكثرة شغفه بها أنّ عدم ذلك مما يزيّر بقدره عندها ، فاتخذ بابا صغيرا قبالة مجلسه

<sup>1</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 148 .

<sup>2</sup> ابن قتيبة، مصدر سابق، ج2، ص 101 .

<sup>3</sup> المقرئ، مصدر سابق، ج1، ص 277 .

<sup>4</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 17 .

<sup>5</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 25 .

يدخل عليه الناس منه فينحنون ، و أفهمها إن ذلك الفعل منهم تحية له فرضيت بذلك ، فسمى الخبر إلى الجند مع ما انضم إلى ذلك من دسياسة سليمان لهم في قتله فقتلوه <sup>1</sup> . و رواية صاحب أخبار مجموعة يبدو أنها أبعد عن الواقع ، فتذكر أنّ سبب قتل الجند له اتهامهم بأنّه تنصر بعد أن وضع تاجا على رأسه برأي من زوجته امرأة لذريق الهالك <sup>2</sup> ، و أقرب الروايات إلى المنطق أنّه قتل لأنّه خلع طاعة سليمان بعدما بلغه ما صنع بأبيه <sup>3</sup> .

و من الأخبار المنسوبة للأمير الأموي عبد الرحمان الداخل قصة اللواء الذي عقده قبل دخوله قرطبة ، فيذكر المقرري أنّه لما أراد دخوله ا من المشرق نزل بقرية طشانة فأشاروا عليه أن يعقد لواء ، فجاؤوا بعمامة و قرابة ، فكرهوا أن تميل القرابة تطيرا فأقاموها بين شجرتين من الزيتون متجاورتين ، و صعد رجل على فرع إحدهما فعقد اللواء و القرابة قائمة و تبرك هو و ولده بهذا اللواء ، فكان بعد أن بلي لا تحل منه العقدة التي عقدت أولا بل تعقد فوقها الألوية الجدد و هي مستكنة تحتها ، و لم يزل الأمر على ذلك حتى انتهت الدولة إلى عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل و قيل إلى ابنه محمد ، فاجتمع الوزراء على تجديد اللواء فلما رأوا تحت اللواء أسملا خلقا ملفوفة معقدة جهلها فاسترذلوها و أمروا بجلها و نبذها ، و كان جهور بن يوسف بن بخت شيخهم غائبا فحضر في اليوم الثاني و طولع بالقصة فأنكرها أشد إنكار و ساءه ما فعلوه ، و قال إن جهلتم شأن تلك الأخلاق فكان ينبغي أن تتوقفوا عن نبذها حتى تسألوا المشايخ و تفكروا في أمرها ، و خبرهم خبرها ، فتطلبوا تلك الأخلاق فلم توجد <sup>4</sup> ، ثم ينقل المقرري قول ابن حبان أنّه لم يزل يعرف الوهن في ملك بني أمية من ذلك اليوم <sup>5</sup> .

و الواقع يمحض هذه الادعاءات التي تدع—و إلى التطيّر و الإعتقاد بصحة هذه الخرافات و الأباطيل ، فإنّ أيام بني أمية في الأندلس قد سطعت بعد هذه الحادثة إن صحت ، فقد علا شأن هذه الدولة و انتصب سلطانها و قويت شوكتها و هزمت أعدائها خاصة في عهد عبد الرحمان الراصر و ابنه المستنصر ثم الوزير المتغلب المنصور محمد بن أبي عامر خلال القرن الرابع الهجري الذي عزّ فيه مسلمو الجزيرة عزا تناقلت أخباره الركبان و توحدت فيه البلاد و قضى فيه على الخارجين على الدولة

<sup>1</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 24 . المقرري، مصدر سابق، ج1، ص 281 .

<sup>2</sup> مجهول، أخبار مجموعة ، ص ص 27-28 .

<sup>3</sup> ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص 24 .

<sup>4</sup> المقرري، مصدر سابق، ج3، ص 50 .

<sup>5</sup> نفسه، نفس الجزء و الصفحة.

و لم يستقم لهم فيه حال ، و لم يستطع النصارى خلاله مجاراة قوة المسلمين فدانوا بالطاعة و رضوا بدفع الجزية و حسن الجوار .

و بلاد الأندلس من المناطق التي لا ينتظم مناخها و هي تتعرض أحيانا للجوائح و الكوارث المختلفة ، و في هذا المنحى اعتقد الأندلسيون البركة في مطر نيسان/أبريل <sup>1</sup> ، كما زعموا أنّ نبات اللوف الذي يسمونه غرغينة و بعضهم يسميه الصراخة لأتّهم يزعمون أنّ له صوتا يسمع منه في يوم المهرجان و هو يوم العنصرة ، و يقولون أنّ من سمعه يموت في سنته تلك <sup>2</sup> ، و مدينة لورقة الأندلسية كثيرا ما تجاح بالجراد و قد زعم أهلها أنّه كانت فيها جرادة من ذهب طلبا لدفع مضار الجراد فسرت من هناك ، فلم يزل الجراد من حينئذ عندهم فاشيا <sup>3</sup> ، و يزعم أهلها أيضا أنّ البقر لا تعتل عندهم و لا يقع فيها الموتان العام لها في بعض الأحيان حتى وجد في بعض الأسس من مباني الأول ثوران أحدهما أمام صاحبه ينظر إليه ، فلما انتزعت من ذلك الموضع وقع الموتان في البقر عندهم ذلك العام <sup>4</sup> .

و لا عجب أن ينساق العوام و الدهماء وراء هذه الخرافات و لكن العجب أن يذكرها من يتسبب إلى العلم و يحاول تبريرها و الدفاع عنها ، و كلام ابن حزم في الفصل في هذا السياق و هذا نصّه : " و أما السحر فإنّهُ ضروب منه ما هو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة العقرب ، في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب و من هذا الباب كانت الطلسمات ، و ليست إحالة طبيعة و لا قلب عين و لكنها قوى ركبها الله عز و جل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد و دفع البرد للحر ، و لا يمكن دفع الطلسمات لأننا قد شاهدنا أنّها آثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جرادة و لا يقع فيها برد ، و كسرقسطة التي لا يدخلها جيش إلا كرها ، و غير ذلك كثير جدا لا ينكره إلا معاند ، و هي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة و انقطع من العالم " <sup>5</sup> .

<sup>1</sup> عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 136 .

<sup>2</sup> ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ج4، ص 390 .

<sup>3</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 512 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 513 .

<sup>5</sup> ابن حزم، الفصل، ج5، ص ص 101-102 .

و من الأساطير المتداولة في الأندلس و المرتبطة بخراب المدن أنه كان بناحية إلبيرة فرس قد نحت من حجر صلب قديم هناك لا يعلم واضعه ، فكان الغلمان يركبونه و يتلاعبون حوله إلى أن انكسر منه عضو ، فزعم أهل إلبيرة أنّ تلك السنة التي حدث فيها كسره تغلب البربر على مدينة إلبيرة فكان أول خرابها<sup>1</sup> .

و نقل عبد الملك بن حبيب في تاريخه بعض ما كان يقال عن خراب مدن الأندلس من حدثان أشبه بالخرافات في أيامه ( النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ القرن التاسع الهجري ) و منها العاصمة قرطبة حيث ذكر عنها ما يلي : " و يقال قرطبة الزانية و يل لها من الملحمة الثانية ، كثيرة الفاحشة طالعة الأطلاق ذات السجون و الأطباق ليس لها عهد و لا ميثاق ، تحل بها البلية إذا انتهت إليها الخيل المغيرة و الضجة الشديدة من المواضع البعيدة على يدي ذي الخرطوم ، فتى من أهل الشؤم ، في مقدمته المسلمون و في ساقته المشركون ، فيلجأ الناس إلى قرمونة<sup>2</sup> ، فيا لها من ضمة ملعونة<sup>3</sup> " .

و في موضع آخر قال عنها : " و كان يقال قرطبة الزانية يبغضها الله ، إذا اجتمعت إليها الأمم من البلدان و كثر بها الشرار و الزنار و الفساد فعندها ينزل الله بها من بأسه ، فإذا رأيت الفتن قد وقعت بالأندلس فعليك من الكسب الذهب و الفضة و فرس جواد ، ثم يتحرك الشر ما بين الجبلين الجبل الأحمر و الأسود ، و يكون بدء ذلك في الشهر الجديد و هو شهر رمضان ثم الذي يليه ثم الذي يتلوّه ، ثم تكون ملحمة كبيرة بقرطبة عند مجمع بيت الظلم ، فيا أهل قرطبة احذروا على نسائكم و أولادكم لا تسكنوهم في القرب من مجمع بيت الظلم و لا في القرب من المسجد الجامع ، فإنها ملحمة لا يرحم فيها صبي و لا امرأة ، تكون يوم الخميس ما بين صلاة الظهر و العصر إلى غروب الشمس ، و أسلم المواضع فيها الكدية التي يقال لها كدية أبي عبدة عند موضع الكنيسة<sup>4</sup> " .

<sup>1</sup> الحميري، مصدر سابق، ص 28 .

<sup>2</sup> قرمونة : كورة بالأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية غربي قرطبة و شرقي إشبيلية ( ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 4، ص 330 ) .

<sup>3</sup> عبد الملك بن حبيب، مصدر سابق، ص 154 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 156 .



و عن إشبيلية قال : " و كان يقال إشبيلية الأشبال داجنة الأطفال و العيال ، تحير الغريب و تلجئ أهلها إلى السؤال ، يغنمها في آخر الزمان رجال يأتون من البعد ، فرسان يغيرون غارة العقبان " <sup>1</sup> .

أما طليطلة فقال بشأنها : " و كان يقال طليطلة الأطلال بنيت على المرح و القتال ، و إذا وادعوا أهل الشرك لم يبق لهم سوقة و لا مُلك ، على يدي أهلها يظهر الفساد و يخرج الناس من تلك البلاد " <sup>2</sup> .

و من الخرافات الخاصة باستجلاب المطر تحديد المشعوذين الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر مناسبة لسقوط الأمطار ، و لهذا تشوّف العوام إلى ما يحدث فيها ، فإذا كانت لياليها السبعة مطيرة فتلك علامة على خصب العام ، و إن كانت صاحبة فالسنة قاحطة ، فأتضح أنّ المشعوذين مارسوا تأثيراً من خلال تضمين و صفاتهم أعداداً و تربة لما لها من أثر في تصديق العوام للتعليل المرتبط بها ، و لا غرابة في ذلك فغالبا ما يتقاعس العوام السذج عن العمل في انتظار ما يؤول إليه أمر التغير المناخي في غضون الأسبوع الثاني من ديسمبر المذكور <sup>3</sup> .

و الملاحظ أنّ ظاهرة شيوع الفكر الخرافي لا يمكن عزلها عن الظروف الإقتصادية السائدة في الأندلس ، فكساد و تراجع الموارد المائية للأفراد نتج عنه سهولة الإيمان بالشائعات دون الإحتكام للعقل ، مثل اعتماد المجتمع على بعض الظواهر الطبيعية لمعرفة ما ستجود به السماء في السنة و ما سيحصل للماشية ، و كذلك التنبؤ بوقوع القتال أو عدم وقوعه <sup>4</sup> .

و لعلاج الزرع و طرح الآفة عنه ادّعى أبو الخير في مصنفه أنّه إن أخذ جلد ذيب و صنع منه غربالاً و ثقب ثلاثون ثقباً بقدر ما تدخل السنة فيه و غرلت به الزرايع سلّمها الله من الآفات <sup>5</sup> ، و لوقاية المزروعات من الطير اقترح ابن الحجاج صاحب المقنع في الفلاحة نهج سلوك غريب لا يقبله العقل و لا يدعمه المنطق لغياب عناصر العلاقة النازمة عادة ما بين الأسباب و المراحل و النتائج

<sup>1</sup> نفسه، نفس الصفحة .

<sup>2</sup> نفسه، ص 155 .

<sup>3</sup> عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 136 .

<sup>4</sup> عبد الكريم البحدوي، أضواء على بعض مظاهر شيوع الفكر الخرافي في الأندلس ، بحث " مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، عدد مزدوج 12-13 / 1425 هـ الموافق ل 2005م، ص 109 .

<sup>5</sup> أبو الخير، كتاب في الفلاحة، ص 12 . نقلاً عن : عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 147 .

فقال : " إن غطيت المكيال الذي يكال به البذر بجلد ضبع حتى يعلق به ريحه لم يكتل به بعد ذلك شيء من البذر إلا تنكبه الطير " <sup>1</sup> .

و أوضح مثال كاشف لسلوكات الوقاية المستغرقة في الخرافة و التفكير الأسطوري هو ما حكاه أبو الخير من أنّ الجارية العذراء التي آن نكاحها ، إذا أخذت ديكا و هي حافية عريانة منشور شعرها ثم طافت حول الزرع فإنّ ذلك الزرع يسلم من الآفات ، و إن كان زوان فيه يهلك لوقته <sup>2</sup> .

و لكي لا تغتصب النساء زمن الفتنة يذكر أنّ معركة بين المهدي محمد بن هشام <sup>3</sup> و ابن عمه المستعين سليمان بن الحكم انتهت بانتهزام الأخير الذي فرّ مؤيدوه إلى قرطبة إلا أنّ نساءهم كنّ مهددات بالسبي ، مما دعا أحد الشيوخ إلى أمر أصحابه بوضع أيديهم على رقبات أزواجهم و قراءة اسم " يا رقيب " مرات ، فهو السبيل الوحيد لحفظهنّ من الفاحشة عندما يتم سبيهنّ <sup>4</sup> .

و أخيرا يمكن القول إنّ شيوع الفكر الخرافي و انتشار الأساطير في المغرب و الأندلس قد أسهمت فيه عوامل عديدة دينية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية ، دفعت بكثير من طبقات المجتمع حكاما و محكومين إلى الإلتجاء إلى هذا الفكر لعلهم يجدون فيه ما يبلّغهم أمانهم أو يدفع حيرتهم أو يحل مشاكلهم ، و لكنّ الواقع بيّن أنّ الخرافة لم تكن يوما ملاذا آمنا لهؤلاء ، و إنّ الإيمان بها و السعي في نشرها و إذاعتها بين الناس من أخطر الأمور التي تهدد المجتمعات في وجودها و كيانها و تحول بينها و بين مواجهة ما يصادفها من عوائق و مشاكل ، و النتيجة التي لا مناص منها حينئذ هي التخلف الحضاري الذي لن نبرح دركاته إلا بالعلم و العمل و بقيادة رشيدة تعي رسالتها و تؤمن بها و تسعى لتجسيدها .

<sup>1</sup> ابن الحجاج، المقنع في الفلاحة، ص 11-12 . نقلا عن : عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 147 .

<sup>2</sup> أبو الخير، كتاب في الفلاحة، ص 13 . نقلا عن : عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 148 .

<sup>3</sup> المهدي : محمد بن هشام بن بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر ، قام على هشام المؤيد سنة 399هـ/1008م فخلعه و تسمى بالمهدي ، و كانت مدة ولايته منذ قام إلى أن قتل ستة عشر شهرا ( الحميدي، مصدر سابق، ص 18 ) .

<sup>4</sup> عبد الكريم البحدوي، مرجع سابق، ص 110 .

خاتمة

## خاتمة :

بعد هذا العرض لكثير من مظاهر الزندقة التي عرفتها بلاد المغرب و الأندلس منذ الفتح

الإسلامي لهذه المنطقة إلى عهد الدولة الموحدية يمكن استخلاص النتائج التالية :

- إنّ الزندقة عبارة عن مصطلح جامع ، أُطلق أولا على أتباع الديانات المانوية الذين يعتقدون بوجود قوتين أزليتين في العالم و هما النور و الظلام ، و بدأ المصطلح يعم تدريجيا كل الملحدين و أصحاب البدع الخاصة بالإعتقاد .

- لقد تضمنت عقائد الزندقة كمّا هائلا من الاعتقادات المختلفة كالقول بالاتحاد و الحلول و تشبيه الله بخلقه ، و إنكار النبوة أحيانا و ادّعاءها أحيانا أخرى و ممارسة السحر و الشعوذة و إنكار البعث و الحساب و جحد الواجبات و استحلال المحرمات و ادّعاء المهدوية و العيش حياة اللهو و المجون و الإستهزاء بشعائر الإسلام و أركانه و غير ذلك ، الأمر الذي خلف آثار سيئة و عواقب وخيمة على الأمة الإسلامية .

- لقد اعتمد الزنادقة على أساليب كثيرة ظاهرة و باطنة اختلفت باختلاف الزّمان و المكان ، و منها الطعن في القرآن الكريم و الوضع في السنة النبوية و ادّعاء النبوة و المهدوية و الدعوة إلى نصره آل البيت و التظاهر بالإصلاح و نشر الإباحية و الفجور .

- إنّ مقام النبوة مقام عظيم يؤتيه الله عز و جل من يشاء من عباده ، و من ادّعاه بعد النبي صلى الله عليه و سلم فهو أقاك كذّاب ، هدفه من دعواه بلوغ ما بلغه الأنبياء و آخرهم نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من المكانة الرفيعة و الكلمة المسموعة و الذكر الحسن في الأولين و الآخرين ، فيحصل له بذلك الجاه و الزعامة و الملك و الرياسة .

- إنّ برغواطة كانت تريد أن تصنع لنفسها مجدا بين قبائل البربر بإدّعاء زعيمهم الأول صالح بن طريف النبوة و هذا ليس ببدع من القول و الفعل ، فإدّعاء النبوة ليست ظاهرة وليدة القرن الثاني الهجري و ليست محصورة في البربر دون غيرهم ، فقد سبق و أن ادّعاها بعض العرب أنفسهم في صدر الإسلام و رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يميز حيا يرزق و من أشهرهم مسيلمة الكذّاب ، فرأى البرغواطيون أنّ النبوة قد تجعله -م في البربر أسيدا و ملوكا للعالم كما جعلت النبوة من قريش أسيدا على العرب و على الشعوب المجاورة من روم و فرس و بربر و غيرهم .

- لم يقدّر لحاميم المفتري أن يعيش مثيبا إلا عامين فقط ، و لم يستطع أن يصنع لنفسه و لقبيلته أجيادا يجعلها على الأقل تنافس نظيرتها في الجنوب برغواطة ، و قد يرجع ذلك لافتقار

حاميم القوة العسكرية الكافية و لقرب بلاده من الأندلس التي كان حاكمها آنذاك عبد الرحمان الناصر من أقوى حكام دولة بني أمية الأندلسيين طيلة تاريخه- ، ما حال دون ظهور وانتشار هذه الدعوى في بلاد المغرب .

- إنّ النبوة لا تصح إلاّ فيمن أرسله الله تعالى بوحيه ، و صحتها تكون بتوفر شروط تدل على صدقه و وجوب طاعته ، و هذه الشروط لا تتوفر في أحد ممّن زعم أنّه نبي ، فحالمهم و سيرتهم في قومهم غير محمودة غالبا ، و لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء معجز عدا أشياء من اليسير على أي أحد كشفها و فضحها كقرآن برغواطة المزعوم ، فتبيّن أنّ النبوة انقطعت في هذه الأرض بموت النبي محمد صلى الله عليه و سلم .

- من الخطأ البين ما يذكره و يردده كثير من مؤرخي هذا العصر أنّ عقيدة المهدي عقيدة شيعية ، بل هي عقيدة سنية أصلها في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و إنّما القول الصحيح أنّ الغلو و الإفراط في المهدي هو عقيدة الشيعة .

- إنّ عبيد الله المهدي أول خليفة فاطمي إمام إسماعيلي مستودع ، أصله من ذرية عبد الله بن ميمون القديح و أنّه ليس من آل بيت النبوة ، و هذا أول و أهم ما ينقض دعوى المهديوية التي ادّعى-ه- لنفسه ، و الأعمال التي ذكرت في بطون كتب التاريخ تدل على أن عبيد الله الذي ادّعى المهديوي كان ملكا اتبع سير الملوك الجبابرة الذي يسعون إلى التمكين لسلطانهم و قهر مخالفينهم و نصرته مذهبهم و نشر معتقدتهم ، سالكا في هذا السبيل كل الم سالك التي قد توصلها إلى تجسيد أهدافه بغض النظر عن مشروعيتها ، و سار العبيديون من بعده على سيره فحافظوا على مذهبهم و امتدت دولتهم مشرقا و مغربا ، و قد قال كثير من أهل السنة إنّ هذا دليل على هوان الدنيا على الله و صغر قدرها عنده ، و ليست دليلا على صحة مذهبهم و صدق دعواهم كما زعم مؤيدوهم .

- نجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب نجاحا سياسيا كبيرا مستغلة عقيدة المهدي المنتظر ، فقد استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يؤسس الدولة الفاطمية و وضع على عرشها سيده عبيد الله المهدي الذي أحكم قبضته على الدولة الفتية و مارس سلطاته بكل حزم و شدة ، مذلا في طريقه كل العقبات التي اعترضته بدءا بالقضاء على مؤسس دولته ، سالكا في سبيل ذلك كل المالك التي من شأنها أن تخدم أغراضه و تدعم مركزه . فانفرد بالحكم و مارس سلطاته كحاكم مطلق يستمد شرعيته من آبائه الذين ادّعى أنّهم من آل بيت النبي الطاهرين مدعيا أنّه المهدي

المنتظر ، فقويت الدولة العبيدية في أيامه و اشتدت شوكتها و حاول فتح المشرق لكنه فشل في ذلك ، و بعد وفاته كادت تعصف بدولته ثورة الخارجي أبي يزيد صاحب الحمار في أيام ثاني خلفائهم القائم الذي توفي و هو محارب لهذا الخارجي ، و لما تولى المنصور استطاع القضاء على هذه الثورة الخارجية قضاء مبرما ، و بتولي المعز لدين الله عظم أمره و امتد سلطانه و سيطر على المغرب كله و هذا ما دفعه إلى بعث مشروع الدولة القديم و هو غزو المشرق و قد حصل له ذلك بفضل قائده جوهر الذي فتح مصر و بلاد الشام ، فلم يلبث المعز أن انتقل إلى مصر و جعل القاهرة قاعدة ملكه ، و ترك العبيديون بلاد المغرب بعد عقود من قيام دولتهم فيها و لم يستطيعوا رغم قوتهم و سطوتهم أن يجعلوا من التشيع الباطني الإسماعيلي دينا و مذهباً لسكان المنطقة الذين ظلوا على مذهب السنة المالكي .

- من خلال ما ذكرناه من سيرة محمد بن تومرت ، و أوله الحديث عن نسبه الذي لم يستطع مناصروه إثباته ، و هو نسب يشوبه غموض كبير عملت الرواية الموحدية قبل غيرها على تعميقه و لم يستطع المتعاطفون معه إثباته علميا ، و كل ما فعلوه محاولات إيجاد مخارج نجدة مبنية على فرضيات زمانية و مكانية عجزت في نهاية الأمر على الجزم بأحقية ابن تومرت في النسبة إلى آل بيت النبوة الطاهر ، ثمّ أعماله التي أراد من خلالها أن يقيم لنفسه دولة يكون هو على رأسها ناسبا لنفسه الداية و العصمة ، و ما أعقب ذلك من سفك للدماء بدءاً ممّن شك فيه من قومه و أتباعه وصولاً إلى أعدائه المرابطين ، و التي حاول المدافعون عنه و المتأثرون بشخصه كابن خلدون من القدماء و عبد المجيد النجار من المحدثين أن ينفوها عنه بحجة إخلاصه و تدينه ، تبين أنّ أعمال لا توافق أعمال المهدي المنتظر الذي لم يظهر بعد .

- لقد قامت الدولة الموحدية على أساس دعوة دينية استغلها ابن تومرت استغلالا سياسيا جيدا و حشد لأجلها أتباعا أكثر آمنوا بها رغبة و رهبة ، فكانت هذه الدعوة سببا مباشرا في إيقاد نار الفتن و الحروب و اضطراب أحوال بلاد المغرب و الأندلس لعقود طويلة ، فسقطت دولة المرابطين و قامت على أشلاء و جثث أمرائها و أتباعها من المسلمين الموحدين على طريقة السلف دولة الموحدين على طريقة الخلف ، فبسطت نفوذها و علت رايثها و تمكنت أن تحقق وحدة المغرب الإسلامي السياسية التي لم يعرفها منذ القرن الثاني الهجري ، و لعل هذا الانتصار السياسي الكبير يعد أهم عمل لم يتمكن غير عبد المؤمن بن علي من تحقيقه خلال المراحل اللاحقة التي عرفتھا المنطقة مع ما صاحبه من تحرير كامل لسواحل المنطقة من الاحتلال الصليبي .

- إنّ الكثير من الحكام و السلاطين و الأمراء كانت لا تخلو مجالسهم من منجمين يتسامرون معهم و يتخذونهم أحرّاء من دون الناس لعلهم يخبرونهم بما يُقوّي أملهم و يشدّ عضدهم من أخبار مستقبلية ، فإن كان الذي قالوه أغدقوا عليهم من أموال المسلمين و ازدادوا تمسكا بهم ، و إن كان غير الذي أخبروا به لم يزد هؤلاء الحكام إلا تحبطا و انصرفوا إلى غيرهم ، فالذي يقرب منجما أو عزّافا و يجعله نديمه و صاحبه لا شك أنّه يعتقد بالنجوم و أحكامها و إن ادّعى غير ذلك ، و حينها يكون قد وقع في المحذور الذي يورد صاحبه المهالك ، و في ديننا و من صميم عقيدتنا أنّه لا يعلم الغيب إلا الله ، و هذا ما غاب يقينا عن الذين يلهثون وراء أخبار المنجمين .

- لقد كان الرمي بالزندقة و الإلحاد في بلاد المغرب و الأندلس وجهها من وجوه صراع فكري ديني حاول فيه كل طرف أن ينتصر لرأيه و فكره بكل ما أتيح له من وسائل ، و كثيرا ما كانت العامة تجنح للفقهاء لذلك فإنّ السلطة السياسية هي الأخرى قد تضطر إلى مساندة هذا الاتجاه ليشاع أنّها تدافع عن الدين ظاهرا و لتضمن سيطرتها و بقاءها في الحكم باطنا .

- إنّ ظاهرة غلو دعاة الإسماعيلية و استحلالهم المحرمات قد عمت مختلف أرجاء المناطق الخاضعة لسلطة الفاطميين رغم المعارضة الظاهرة لأئمتهم ، و لم يكن مؤرخو أهل السنة في وصفهم لأفعال هؤلاء الدعاة و الحمل عليهم بجانبين للحقيقة التي أكدتها كتب الظاهر الإسماعيلية ككتابات القاضي النعمان ، و في هذا رد على من يرمي أهل السنة بالتعصب و عدم الموضوعية عند تأريخهم لمخالفاتهم في الاعتقاد و المذهب .

- إنّ استحلال المحرمات لم تكن ظاهرة متفشية في بلاد المغرب و الأندلس و إنما كانت مقتصرة على بعض الأفراد و الجماعات لا سيما دعاة الباطنية ممن يقسم الدين الإسلامي الحنيف إلى ظاهر و باطن أو شريعة و حقيقة ، و بأفعالهم و أقوالهم هذه أرادوا أن يمتثلوا لمذاهبهم و أفكارهم التي لم تجد لها قبولا عند عامة المسلمين كحال الشيعة الإسماعيلية و الشيعة البعلية و بعض فرق الخوارج و غلاة الصوفية .

- إنّ ممارسة السحر في بلاد المغرب و الأندلس كانت من الممارسات الرائجة في هذه المنطقة لا سيما في أقصى المغرب ، و قد ساعد على انتشارها الجهل الذي ساد في كثير من المناطق و بعد الناس عن الإسلام الصحيح الذي يحارب هذه المظاهر و السلوكات ، كما كان لبعض الكيانات السياسية التي نشأت دور في هذا الإنتشار مثل دولة برغواطة التي عمّرت كثيرا .

- إنّ شيوع الفكر الخرافي و انتشار الأساطير في المغرب و الأندلس قد أسهمت فيه عوامل عديدة دينية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية ، دفعت بكثير من طبقات المجتمع حكاما و محكومين إلى الإلتجاء إلى هذا الفكر لعلهم يجدون فيه ما يبلّغهم أمانهم أو يدفع حيرتهم أو يحل مشاكلهم ، و لكنّ الواقع بيّن أنّ الخرافة لم تكن يوما ملاذا آمنا لهؤلاء ، و إنّ الإيمان بها و السعي في نشرها و إذاعتها بين الناس من أخطر الأمور التي تهدد المجتمعات في وجودها و كيانها و تحول بينها و بين مواجهة ما يصادفها من عوائق و مشاكل ، و النتيجة التي لا مناص منها حينئذ هي التخلف الحضاري الذي لن نبرح دركاته إلا بالعلم و العمل و بقيادة رشيدة تعي رسالتها و تؤمن بها و تسعى لتجسيدها .



الحل حق

## الملحق رقم " 01 "

### استدلال صاحب المؤنس بكهانه المهدي على صحة نسبه

قال ابن دينار في المؤنس : " إنّ عبيد الله لما أراد بناء المهديّة و وضع أول حجر لها أمر أن يرمى بسهم من عند الحجر إلى ناحية المغرب فانتهى إلى المصلّى فقال المهدي إلى هاهنا يبلغ صاحب الحمار ، و أمر بقيس مسافة الرمية فكانت مائتين و ثلاث و ثلاثين ذراعاً ، فقال هذا عدد ما تقيم بأيدينا و البناء سنة ثلاث و ثلاثمائة و أخذت سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة ، فاتفق الحساب كما قال تقريباً أو تكون سنين شمسية فالحالة بينهما قريبة على ما أخبر به ، و ذلك أنّ الحسين بن علي قتل سنة إحدى و ستين و لم يكن لبني فاطمة بعده ملك إلى أيام ظهور بني عبيد و استقرارهم في الخلافة ، فالمدة التي بين مقتل الحسين و ابتداء الملك مائتان و أربعون سنة ، فتكون أيام دولتهم بقدر ذلك لأنّ دولتهم انقضت بأخذ المهديّة و إن بقيت بقية منها بمصر في تلك المدة لأنّ العاضد توفي سنة سبع و ستين و خمسمائة ، فإنّ المهدي لم يخبر بدوام الملك لهم إلا بدوام المهديّة و إذا خرجت خرج الملك عنهم ، فكان كذلك لأنّ المدة الزائدة كان فيها اضطراب فلا يعد ... و هذا علم لا يعلمه إلا الله و ما ذكرت هذا الكلام إلا لأنّ مثله لا يصدر إلا بإلهام من الله أو إخبار من مصدق ، و إن ثبت هذا الكلام من هؤلاء القوم فهم عندي من أهل بيت النبوة بلا شك و الله حسيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثابت ، و هذه الأخبار تكون لهم من الكرامات".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص ص 93-94 .

## الملحق رقم " 02 "

### سرور العامة بعد مقتل الزنديق أبي الخير

و لما نفذ عهد أمير المؤمنين بصلب أبي الشر هذا و ظهر من سرور العامة و الخاصة بذلك ما لم يظهر فيهم إلا أصبحوا إلى خلافته أعلاها الله ، كتب إليه إسحاق بن إبراهيم :

" بسم الله الرحمن الرحيم سلام على أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته ، الحمد لله الذي لا يزال أمير المؤمنين سيدي و سيد المسلمين يمدّه الله بتوقيقه و يشدّ بصائره في الخير بتأييده ، و الذي منّ عليه بأن كان أول دم أمر بسفكه في خلافته امتعاضا له عز و جل و لكتابه و لرسوله صلى الله عليه و سلم و غضبا على من استخفّ بعظمته و اتخذ آياته و رسوله هزوا ، و ذلك من فضل الله على أمير المؤمنين و على آبائه المهديين رضي الله عنهم الذين قفا آثارهم و سار بسبيلهم في غضبهم لله عز ذكره و شدة انتقامهم له من الملحدّين و المارقين و المبتدعين ، فلو كان أمير المؤمنين سيدي بمرأى و مسمع من اجتماع رعيته بالأمس عند ورود الشورى عليهم بما أمر به في الملحد أبي الشر من استئصال و قطع شأفته و سرورهم بذلك و استهلال جميعهم بالدعاء و الرغبة إلى الله في إعزازه و نصره و طول بقائه ... فلقد رأيت الناس يتلاقون بالتهاني بما أطلعهم الله عليه من باطن أمير المؤمنين إمامهم في الغضب و لكتابه و للسلف الصالح من صحابته ، و لشدة بطشه و عزمته في الانتقام ممن طعن في الدين ما عظم به سروري لأمر المؤمنين سيدي و بجماعة المسلمين ، لعلمي بأنّها سيتزودها الركبان إلى جميع أمصار المسلمين و بلدانهم على أفضل ما قد أطلع الله عليه رعية أمير المؤمنين من نيته و اجتهاده مما لو أنّه رام أن يجمع قلوبهم بقوة سلطانه على ما اجتمعت عليه من ذاتها لما بلغت طاقة إلا إلى أقل من ذلك ، و لكن الله عز و جل أوصى إليها ما أوصى فتحقق عندها ما لا يتحقق إلا ما عنده إلا فيما يظهرهم عليه من غيبه ، فتبارك الله رب العالمين ... " <sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى، ص ص 721-722.

### الملحق رقم " 03 "

رسالة عبد المؤمن لأحد مخالفيه و ما فيها من الوعيد الشديد بالقتل .

قال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق عن عبد المؤمن بن علي : " ... و شرع في سفك الدماء و افتتاح البلاد المغربية بالسيف لمن بها من الرجال و الحرم و الأطفال ما شاعت به الأخبار و انتشر ذكره في سائر الأقطار ، و وردت مكاتبات السفار و التجار و من جملتها كتاب وقفت عليه من هذا الخارجي ما نسخة عنوانه :

من أمير المؤمنين و خليفة المهدي إلى سبيل الموحدين إلى أهليه ، باسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين أما بعد ، يا عضد الفجار و عبّاد الفساق الأشرار فقد كاتبناكم بالبنان و خاطبناكم بالبيان حتى سار كالبدر و استمر مرور الدهر فلم تجيبوا و لا أطعتم بل تناقلتم عن الحق و عصيتم ، و إنّ الله سينتقم منكم لأوليائه نقمة من كان قبلكم من الأمم الجاحدة و الفرق المعاندة ، فانتظروا سيف الدم ينهلكم و حجارة المدر تدمغكم ثم لا يكون لكم استرجاع و لا يقبل فيكم استشفاع ، و هذه خيل الله قد أظلتكم و بلها و طمى عليكم سيلها ، فتأهبوا للموت و السلام على من اتبع الهدى هداه و لم يغلب عليه هواه و رحمة الله و بركاته " <sup>1</sup>

<sup>1</sup> ابن القلانسي، مصدر سابق، ص 293

## الملحق رقم " 04 "

### نص الخطبة المنسوبة لطارق بن زياد

أيها الناس أين المفر و البحر من ورائكم و العدو أمامكم ؟ فليس لكم و الله إلا الصدق و الصبر ، و اعلّموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام على مآذب اللئام ، و قد استقبلكم عدوكم بجيشه و أسلحته و أقواته موفورة و أنتم لا و زر لكم غير سيوفكم و لا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم ، و إن امتدت بكم الأيام على افتقاركم و لم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم و تعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألفت به إليكم مدينته المحصنة و إنّ انتهاز الفرصة به لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت ، و إني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة و لا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبداً فيها بنفسي ، و اعلّموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألد طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر من حظي ، و قد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر و المرجان و الحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، و قد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا و رضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا و أختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان و استماحكم بمجالدة الأبطال و الفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته و إظهار دينه بهذه الجزيرة ، و يكون مغنمها خالصا لكم من دونه و من دون المسلمين سواكم ، و الله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين ، و اعلّموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، و إني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي ، فإن هلك بعدة فقد كفيتكم أمره و لن يعوزكم بطل تسندون أمركم إليه ، و إن هلك قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه و احمّلوا بأنفسكم عليه ، و اكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص ص 321 – 322 .

# قائمة المصادر

## قائمة المصادر :

### القرآن الكريم .

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ( ت 658 هـ / 1260 م ) .

1- كتاب الحلة السيرة ، تحقيق : حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1405 هـ / 1985 م .

2- المعجم في أصحاب الإمام -ام أبي علي الصديقي ، مطبعة روخس ، مدريد ، 1302 هـ / 1285 م .

- ابن الأثير أبو الحسن عليّ بن عبد الواحد الشيباني ( ت 630 هـ / 1232 م ) .

3- الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1407 هـ / 1987 م .

- أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ( ت 241 هـ / 855 م ) .

4- الرد على الجهميّة و الزنادقة فيما شكّوا فيه من متشابه القرآن و تأولوه على غير تأويله ، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر و التوزيع، الرياض ، الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2003 م .

5- المسند، شرحه و وضع فهارسه : أحمد محمد شاكر و أكمله حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416 هـ / 1995 م .

- أحمد بن إبراهيم بن يحيى الأزدي القشتالي ( 7 هـ / 13 م ) .

6- تحفة المغرب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 17، 1391-1392 هـ / 1972-1973 م .

- إدريس عماد الدين الداعي ( ت 872 هـ / 1488 م ) .

7- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار ، تحقيق : محمد الهيلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ / 1985 م .

8- عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار" السبع السادس ، أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق : مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، 1404 هـ / 1984 م .

- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني ( من علماء القرن 6هـ / 12م ) .
- 9- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م .
- أبو المظفر طاهر بن محمد الاسفراييني (ت 481هـ/1088م) .
- 10- التبصير في الدين و تمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة**، تحقيق : كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م .
- أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت 330هـ/ 941م) .
- 11- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين** ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1411هـ/ 1990م .
- الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين ( ت 356 هـ/ 966 م ) .
- 12- كتاب الأغاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ / 1994 م .
- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن السعدي (ت 668هـ/1269م) .
- 13- عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق و شرح : د/نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت .
- إيفانوف .
- 14- المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية** ، مراجعة : عمار المير أحمد، شركة السورق للنشر، بغداد، 1431هـ/ 2011م .
- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف ( ت 474 هـ / 1081 م ) .
- 15- تحقيق المذهب**، تحقيق : أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م .
- البادسي عبد الحق بن إسماعيل ( لا يزال حيا سنة 722هـ/ 1322م ) .
- 16- المقصد الشريف و المنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** ، تحقيق: سعيد أعراب ، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1416هـ/ 1993م .
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ( ت 256هـ/ 869م ) .
- 17- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و سننه و أيامه** ، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1982م .



- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي ( ت 542هـ/1147م ) .
- 18- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م .
- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى ( ت 578هـ/1183م ) .
- 19- الصلوة**، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م .
- البغدادي أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد ( ت 429هـ/1037م ) .
- 20- الفرق بين الفرق**، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1416هـ/1995م .
- 21- أصول الدين**، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م .
- البغوي الحسن بن مسعود ( ت 516هـ/1122م ) .
- 22- شرح السنة**، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م .
- البكري أبو عبيد ( ت 487هـ/1093م ) .
- 23- المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب** ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دون تاريخ الطبع .
- البيهقي أبو بكر الصنهاجي ( 6هـ/12م ) .
- 24- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب** ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1390هـ/1971م .
- 25- أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين** ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1390هـ/1971م .
- ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبد الله الأندلسي المالقي ( ت 646هـ/1248م ) .
- 26- الجامع لمفردات الأدبية و الأغذية** ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م .
- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ( ت بعد 717هـ/1317م ) .

- 27- **رحلة التجاني**، قدم لها : حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1401هـ/ 1981 .
- ابن تومرت ( ت 524هـ/ 1129م ) .
- 28- **أعز ما يطلب**، تحقيق و تقديم : د/ عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، دون تاريخ النشر .
- ابن تيمية تقي الدين أحمد أبو العباس بن عبد الحليم ( ت 728هـ/ 1327م ) .
- 29- **كتاب النبوات**، تحقيق : د/ عبد العزيز بن صالح الطويات ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م .
- 30- **منهـاج السنة النبوية**، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م .
- 31- **مجموع الفتاوى**، جمع و ترتيب : عبد الرحمان بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، 1425هـ/ 2004م .
- الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ( ت 429 هـ / 1037م ) .
- 32- **ثمار القلوب في المضاف و المنسوب**، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م .
- ابن ثغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي ( ت 874هـ/ 1469م ) .
- 33- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1992م .
- الجرجاني على بن محمد السيد الشريف ( ت 816هـ/ 1413م ) .
- 34- **معجم التعريفات**، تحقيق و دراسة : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 1424هـ/ 2004م .
- الجصاص أبو بكر أحمد بن علي الرازي ( ت 370هـ/ 980م ) .
- 35- **أحكام القرآن**، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ/ 1992م .
- الجوزري أبو علي منصور العزيري ( ت نحو 390هـ/ 999م ) .

- 36- **سيرة الأستاذ جودر، تقديم و تحقيق : د/ محمد كامل حسين و د/ محمد عبد الهادي شعيرة،**  
دار الفكر العربي، مصر، دون تاريخ الطبع .
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ( ت 597 هـ / 1200 م ) .
- 37- **المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم،** دراسة و تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م .
- 38- **كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات ،** تحقيق : د/ نور الدين بن شكري بن علي بويلاز، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م .
- 39- **تلبيس إبليس،** دار الأرقم ، بيروت، 1403هـ/1983م .
- الجوهرى إسماعيل بن حماد ( ت 393 هـ / 1003 م ) .
- 40- **تاج اللغة و صحاح العربية المعروف بالصحاح ،** تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ/1984م .
- حاجي خليفة (ت 1067هـ / 1656م) .
- 41- **كشف الظنون عن أسماء الكتب و الفنون،** دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ( ت 405 هـ / 1014 م ) .
- 42- **المستدرک علی الصحیحین،** دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ( ت 852 هـ / 1448 م ) .
- 43- **فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ،** رَقْم أحاديثه و كتبه و أبوابه : محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، 1390هـ/1970م .
- 44- **الإصابة في تم يحر الصحابة،** تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م .
- 45- **لسان الميزان،** دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م .
- 46- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ،** تحقيق : عبد الله بن ضيف الرحيلي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م .
- 47- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه،** تحقيق : علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ، دون تاريخ الطبع .

- ابن حجر الهيتمي أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ( ت 973هـ/1565م ) .
- 48- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلالة و الزندقة، تحقيق : عبد الرحمان بن عبد الله التركي و كامل محمد الخراط، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م .**
- ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد ( ت 456هـ/1063م ) .
- 49- الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، تحقيق : د/ محمد ابراهيم نصر و د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م .**
- 50- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1402هـ/1982م .**
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي ( ت 960هـ/1554م ) .
- 51- وصف إفريقيـا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م .**
- ابن حماد الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ( ت 626هـ/1230م ) .
- 52- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق و تعليق : جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986م .**
- الحميري أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ( ت 488هـ/1094م ) .
- 53- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، تحقيق : بشار عواد معروف و محمد باشا عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م .**
- الحميري محمد بن عبد المنعم ( ت 900 هـ/ 1495م ) .
- 54- الرّوض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د/ احسان عبّاس/ مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/1984م .**
- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ( 367هـ / 977م ) .
- 55- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ/1992م .**
- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ( ت 469هـ/1075م ) .
- 56- كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس ، تحقيق : د/ إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م .**
- ابن خاقان أبو نصر الفتح ابن خاقان بن محمد بن عبد الله ( ت 528هـ/1134م ) .

57- مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، مطبعة الجوائب، قسنطينة، الطبعة الأولى، 1302هـ/1884م .

- الحشني أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ( ت 361هـ/971م ) .

58- قضاة قرطبة، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م .

59- طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون تاريخ الطبع .

- ابن الخطيب لسان الدين ( ت 776هـ/1374م ) .

60- كتاب أعمال الأعلام "القسم الثاني"، تحقيق : ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، الطبعة الثانية، 1375هـ/1956م .

61- كتاب أعمال الأعلام "القسم الثالث"، تحقيق : د/أحمد مختار ال عادي و محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1383هـ/1964م .

62- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ/1977م .

63- رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة التونسية، تونس، 1316هـ/1898م .

- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت ( ت 463هـ/1070م ) .

64- تاريخ مدينة السلام و أخبار محدّثيها و ذكر قاطناتها العلماء من غير أهلها و واريديها ، تحقيق : د/ بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م .

65- القول في علم النج —وم، تحقيق و دراسة : د/ محمـد يوسف العيد ، دار أطلس للنشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م .

- ابن خلدون عبد الرحمان ( ت 808هـ/1406م ) .

66- ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1421هـ/2000م .

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ( ت 681هـ/1282م ) .

67- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د/ احسان عباس، دار صادر، بيروت ، دون تاريخ الطبع .

- الدّارمي أبو سعيد عثمان بن سعيد ( ت 280هـ/893م ) .

- 68- **الرّد على الجهميّة** ، خرّجه و حرّقه أحاديثه : أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ/ 2010م .
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ/ 888م ) .
- 69- **سنن أبي داود**، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1420هـ/ 1999 .
- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت 696هـ/ 1296م ) .
- 70- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق : د/ عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/ 2005م .
- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/ 1271م ) .
- 71- **طبقات المشايخ بالمغرب** ، حققه و قام بطبعه : إبراهيم طلالّي، مطبعة البعث، قسنطينة، دون تاريخ الطبع .
- ابن الدلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ/ 1085م ) .
- 72- **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق : عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دون تاريخ الطبع .
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م ) .
- 73- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م .
- 74- **دول الإسـلام**، تحقيق : حسن إسماعيل مروّة، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1999م .
- 75- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ، تحقيق : عليّ محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- 76- **العبر في خبر من عبر** ، تحقيق : أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م .
- 77- **لسان الميزان**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م .
- 78- **التلخيص "مطبوع بذيّل المستدرك على الحاكم"**، دار المعرفة، بيروت .

- 79- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض و الإعتزال "مختصر منهاج السنة النبوية"، تحقيق و تعليق : محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد "و كالة الطباعة و الترجمة"، الرياض، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1992م .
- الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر ( ت 604هـ/1207م ) .
- 80- التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م .
- ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد ( ت 520هـ/1126م ) .
- 81- البيان و التحصيل، تحقيق : أحمد الجبالي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م .
- ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد ( ت 595هـ/1198م ) .
- 82- فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الإتصال ، تقديم و تعليق : د/ ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1387هـ/1968م .
- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ( ت 420هـ/1029م ) .
- 83- تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق: د/ محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م .
- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله ( ت 726هـ/1326م ) .
- 84- الأنيس الم طرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1392هـ/ 1972م .
- 85- الذخيرة السنية في تاريخ الدول —ة المرينية ، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1392هـ/ 1972م .
- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف ( ت 794هـ/ 1392م ) .
- 86- تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق و تعليق : محمد ماصور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1385هـ/ 1966م .
- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر ( القرن 5هـ/ 11م ) .
- 87- كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق و تعليق : إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر ، 1399هـ/1979م .

- الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ( ت 838هـ/1434م ) .
- 88- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م .
- ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ( ت 617 هـ / 1220م ) .
- 89- الشئوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي** ، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1417هـ/ 1997م .
- الزباني أبو القاسم ( ت 1249 هـ/ 1833 ) .
- 90- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا و بحرا**، تحقيق و تعليق: د/ عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة ، الرباط، الطبعة الثانية، 1412هـ/ 1991م .
- السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي ( ت 771 هـ/ 1370م ) .
- 91- طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق : محمد محمود الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون تاريخ الطبع .
- ابن سعيد المغربي أبو الحسن بن موسى ( ت 685هـ/1286م ) .
- 92- المغرب في حلى المغرب**، تحقيق : د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1429هـ/ 2009م .
- ابن سعيد المغربي و آخرون .
- 93- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة** ، تحقيق د/ حسين بصرار، مطبعة دار الكتب، 1389هـ/ 1970م .
- السيد المرتضى الشريف أبي القاسم على بن الطاهر ( ت 436 هـ/ 1044م ) .
- 94- أمالي السيد المرتضى** ، صححه و ضبط ألفاظه : السيد محمود بدر الدين الغساني الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1325 هـ/ 1907م .
- ابن سهل القاضي أبو الأصبع عيسى بن سهل الأندلسي ( ت 486هـ/1092م ) .
- 95- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء و البدع في الأندلس "مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى"**، دراسة و تحقيق : محمد عبد الوهاب خلاف، المركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م .



- 96- ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام و قطرٍ من سير الأحكام، تحقيق : يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م .
- السّيرافي القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله (ت 368هـ/978م) .
- 97- أخبار النّحويين البصريين، تحقيق : طه محمّد الزّيني و محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1374هـ/1955م .
- ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 428هـ/1036م) .
- 98- تسع رسائل في الحكمة و الطبيعيات، دار العرب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1409هـ/1989م .
- السيوطي جلال الدّين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري (ت 911هـ/1505م) .
- 99- صون المنطق و الكلام عن فنّ المنطق و الكلام ، تحقيق : د/علي شامي النشار و سعاد علي عبد الرزاق، دار النصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1389هـ/1970م .
- 100- حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1386هـ/1967م .
- 101- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفارياني، مكتبة الكوثر، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ/1994م .
- 102- تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، 1434هـ/2013م .
- 103- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: د/ عبد الله بن المحسن التركي، مركز ز هج - ر للبح و الدراسات العربية و الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م .
- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790هـ/1387م) .
- 104- الإعتصام، ضبط و تعليق و تخريج : مشهور حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، المنامة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م .
- الششتري أبو الحسن علي بن عبد الله النميري (ت 608هـ/1211م) .

- 105- ديوان أبي الحسن الششتري ، تحقيق و تعليق : د/ علي سامي النشار، دار المعارف، الإسكندرية ، الطبعة الأولى، 1379هـ/1960م .**
- شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي ( القرن 7 هـ / 13 م ) .
- 106- الدستور و دعوة المؤمنين للحضور "منشور ضمن أربع رسائل إسماعيلية" ، تحقيق : عارف تامر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1397هـ/1978م .**
- الشهرستاني أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ( ت 548هـ / 1153م ) .
- 107- الملل و النحل ، تحقيق : أمير علي مهنا و علي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ، 1414هـ/1993م .**
- الشيباني أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلد ( ت 278هـ/891م ) .
- 108- كتاب السنة، تخرّيج : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1993م .**
- ابن صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462 هـ / 1069 م ) .
- 109- طبقات الأئم، المطبعة الكاتوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1329هـ/1912م .**
- الصفدي صلاح الدّين خليل بن أبيك ( ت 764هـ / 1362م ) .
- 110- الوافي بالوفيات، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م .**
- ابن الصّلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرّحمان الشّهرزوي ( ت 643هـ/1245م ) .
- 111- علوم الحديث، تحقيق و شرح : د/عبد اللطيف الهميم و ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2002م .**
- الصوري محمد بن علي حسن ( القرن 5هـ/11م ) .
- 112- القصيدة الصورية ، تحقيق و تقديم : عارف تامر، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، 1374هـ/1955م .**
- الضري أحمد بن حيان بن عميرة ( ت 599هـ/1202م ) .
- 113- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب الحرري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م .**
- ابن طاووس أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد ( ت 664هـ/1265م ) .

- 114- **فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم**، دار الذخائر للمطبوعات، قم، دون تاريخ الطبع .  
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ( ت 310 هـ / 922 م ) .
- 115- **تاريخ الرسل و الملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1388 هـ / 1969 م .
- ابن طملوس أبو الحجاج يوسف بن محمد ( ت 620 هـ / 1223 م ) .
- 116- **المدخل لصناعة المنطق**، مطبعة الأبيرق، مدريد، 1333 هـ / 1919 م .
- ابن عبد البر أبو عمر القرطبي النمري (هـ/4030 م ) .
- 117- **الإستيعاب في معرفة الأصحاب** ، صححه و خرّج أحاديثه : عادل مرشد، دار الأعلام، عمّان، الطبعة الأولى، 1423 هـ / 2002 م .
- ابن عبد الملك المراكشي ( ت 703 هـ / 1303 م ) .
- 118 - **الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة** ، تحقيق : د/ محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، السفر الثامن .
- ابن العربي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المعافري ( ت 543 هـ / 1148 م ) .
- 119- **العواصم من القواصم**، تحقيق : د/ عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، دون تاريخ الطبع .
- ابن عربي محي الدين أبو بكر محمد بن علي الطائي الحاتمي ( ت 638 هـ / 1240 م ) .
- 120- **فصوص الحکم**، تعليق : أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ، دون تاريخ الطبع .
- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم ( ت 333 هـ / 945 م ) .
- 121- **طبقات علماء افريقية** ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- ابن أبي العز الحنفي صدر الدين محمد بن علاء الدين ( ت 792 هـ / 1389 م ) .
- 122- **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق : جماعة من العلماء ، خرّج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1404 هـ / 1984 .
- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله ( ت 257 هـ / 871 م ) .
- 123- **فتوح مصر و المغرب**، تحقيق : عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ج 1 .

**124- فتوح مصر و المغرب**، تحقيق : شارلز توري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ج2 .

- عبد الله بن بلقين (ت بعد 483هـ/1093م) .

**125- كتاب التبيان** (مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بن زيري في غرناطة)، تحقيق و نشر: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ/1955م .

- عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238هـ/852م) .

**126- كتاب التاريخ**، اعتنى به : عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م .

- عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) .

**127- المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه و اعتنى به : د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م .

- ابن عذارى المراكشي (ت بعد 712هـ/1321م) .

**128- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق : ج.س. كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م .

**129-البيان المغرب "قسم الموحدين"**، تحقيق : محمد الكتاني و محمد بن تاويت و محمد زنير و عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1985م .

- علي الجزلاني ( القرن 9هـ/15م) .

**130- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1411هـ/1991م .

- ابن العماد شهاب الدين الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ/1678م) .

**131- شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط و محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م .

- عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (ت 544هـ/1149م) .

**132- ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م .

- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714هـ/1314م) .

- 133- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية ، تحقيق : محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الطبعة الأولى، 1427هـ/2007 م .**  
 - غريب بن سعد القرطبي ( ت 396 هـ/979 م ) .
- 134- صلة تاريخ الطبري ( مطبوع مع تاريخ الطبري ) ، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1388هـ/1969 م ، ج 11 .**  
 الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ( ت 505 هـ/1111 م ) .
- 135- فضائح الباطنية، حققه و قدّم له : عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1383هـ/1964 م .**
- 136- إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005 م .**  
 - ابن فرحون المالكي الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين ( ت 799 هـ/1396 م ) .
- 137- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، دراسة و تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996 م .**  
 - أبو فراس شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي المينقي ( ت 947 هـ/1540 م ) .
- 138- مطالع الشموس في معرفة النفوس (مطبوع ضمن أربع رسائل إسماعيلية)، تحقيق : عارف تامر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1397هـ/1978 م .**  
 - ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ( ت 403 هـ/1012 م ) .
- 139- تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1385هـ/1966 م .**  
 - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ( ت 817 هـ/1414 م ) .
- 140- القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 1426هـ/2005 م .**  
 - ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ( ت 276 هـ/889 م ) .
- 141- المعارف، تحقيق : د/ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1401هـ/1981 م .**
- 142- الشعر و الشعراء ، تحقيق و شرح : أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1386هـ/1967 م .**

- 143- الإمامة و السياسة** ، تحقيق : علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م .
- ابن قدامة المقدسي موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ( ت 620هـ/1223م ) .
- 144- المغني شرح مختصر الخرقى** ، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي و د/ عبد الفتاح محمد الحلو، غ لم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1997م .
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ( ت 671هـ/1272م ) .
- 145- الجامع لأحكام القرآن** ، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م .
- القرطبي أحمد بن يوسف ( ت 1019هـ/1610م ) .
- 146- أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ** ، دراسة و تحقيق : د/ فهمي سعد و د/ أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م .
- ابن القطان المراكشي أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي ( 7هـ/13م ) .
- 147- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق : د/ محمود عي مكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ( ت 646هـ/1248م ) .
- 148- إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م .
- 149- إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تعليق : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م .
- ابن القلانسي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ( ت 555هـ/1160م ) .
- 150- ذيل تاريخ دمشق**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1325هـ/1908م .
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ( ت 821هـ/1418م ) .
- 151- صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ/1915م .
- ابن القنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن الحسين ( ت 810هـ/1407م ) .
- 152- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم و تحقيق: محمد الشادلي النيفر و عبد المجيد التلحي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1378هـ/1968م .

- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر القرطبي ( ت 367هـ / 977م ) .
- 153- تاريخ افتتاح الأندلس** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م .
- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت 751هـ/1349م ) .
- 154- المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، تحقيق : يحيى بن عبد الله الشامي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، دون تاريخ الطبع .
- 155- التفسير القيم**، جمع : محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- الكاشاني عبد الرزاق (ت حوالي 730 هـ / 1329م ) .
- 156- معجم اصطلاحات الصوفية** ، تحقيق : د/ عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م .
- ابن كثير عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر ( ت 774هـ / 1372م ) .
- 157- البداية و النهاية**، تحقيق: د/عبد الله بن المحسن التركي، هجر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م .
- 158- تفسير القرآن العظيم**، مؤسسة قرطبة للطباعة و النشر و التوزيع، الجيزة (مصر)، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م .
- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك بن أبي القاسم (مات بعد سنة 575هـ/1179م ) .
- 159- الإكتفاء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: صالح بن عبد الله الغامدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م .
- الكلاباذي أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري ( ت 380هـ/990م ) .
- 160- كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف** ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1415هـ/1994م .
- ابن كمال باشا الوزير أحمد بن سليمان (ت 940هـ/1533م ) .
- 161- رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية**، ضبط و تحقيق : محمد سواعي الجفان و الجابي للطباعة و النشر ، ليماسول (قبرص)، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م .
- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 483هـ/1090م ) .

- 162- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم ونسائهم و سي أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، تحقيق : بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م .
- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ( ت 450هـ/1058م ) .
- 163- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق: د/ أحمد مبارك البغدادى، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م .
- 164- أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م .
- المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران ( ت 470هـ/1077م ) .
- 165- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تقديم و تحقيق : محمد كامل حسن، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1368هـ/1949م .
- 166- المجالس المـؤيدية، تحقيق و تعليق: محمد عبد الغفار، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م .
- محمد مقيدش ( ت 1228هـ/1813م ) .
- 167- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق : علي الزواوي و محمود محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م .
- المسعودي محمد أبو عبد الله الشيخ الباجي ( ت 1296هـ/1880م ) .
- 168- الخلاصة النقي في أمـراء إفريقية، مطبعة بيكار و شركائه، تونس، الطبعة الثانية، 1323هـ/1905م .
- مجهول ( القرن 6 هـ/12م ) .
- 169- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق : د/ سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1401هـ/1981م .
- مجهول ( مؤلف أندلسي من أهل القرن 8هـ/14م ) .
- 170- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق : د/ سهيل زكار والأسلاف عبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م .
- مجهول .



- 171- مفاخر البربر**، تحقيق : عبد القادر بوباية ، دار أبي ررقاق للطباعة و النشر، الرباط، الطبعة الأولى، 1425هـ / 2005م .
- 172- أخبار مجموعة في فتح الأندلس** ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ / 1989م .
- 173- ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق و ترجمة : لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1403هـ / 1983م .
- 174- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة فيما بينهم**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م .
- محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ( ت نحو 470هـ/1077م ) .
- 175- كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم** ، دراسة و تحقيق : محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، دون تاريخ الطبع .
- ابن مرزوق محمد بن مرزوق التلمساني ( ت 781هـ/1379م ) .
- 176- المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن** ، دراسة و تحقيق : د/ماريا خيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م .
- المسعودي أبو الحسن بن علي ( ت 346هـ / 957م ) .
- 177- مروج الذهب و معادن الجواهر**، راجعه : كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت-صيدا، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م .
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ( ت 261هـ / 874م ) .
- 178- صحيح مسلم**، بيت الأفكار الدولية للنشر و التوزيع، الرياض، 1419هـ / 1998م .
- المعافري أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي ( ت أواسط القرن 5هـ/11م ) .
- 179- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، تحقيق و تعليق : محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الجوالي، مركز الدراسات و البحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م .
- ابن المعتز عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ( ت 296هـ/909م ) .
- 180- طبقات الشعراء**، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، 1398هـ / 1976م .

- المقدسي أبو حامد محمد ( ت 888هـ/1483م ) .
- 181- رسالة في الرد على الرافضة**، تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمان، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م .
- 182- رسالة في الرد على الرافضة**، تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمان، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م .
- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء ( 380هـ/990م ) .
- 183- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، مطبعة بريل ، ليبن، الطبعة الثانية ، 1323هـ/1906م .
- المقدسي محمد بن أحمد بن عبد الهادي ( ت 744هـ/1344م ) .
- 184- مناقب الأئمة الأربعة** ، تحقيق : سليمان مسلم الحرش، دار المؤيد، الرياض ، دون تاريخ الطبع .
- المقدسي المطهر بن طاهر ( ت بعد 355هـ/966م ) .
- 185- كتاب البدء و التاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ الطبع .
- المقرئ أحمد بن محمد التلمساني ( ت 1041هـ/1631م ) .
- 186- ربح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق : د/ إحسان عباس، دار ص -ادر، بيروت، 1408هـ/1988م .
- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي ( ت 845هـ/1441م ) .
- 187- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** ، تحقيق : د/ جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م .
- 188- المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، بولاق القاهرة، 1270هـ/1853م .
- المنفوزي أبو فارس عبد العزيز ( ت 697هـ/1297م ) .
- 189- نظم السلوك في الأنبياء و الخلفاء و الملوك**، المطبعة الملكية، الرباط ، 1382هـ/1963م .
- الملطي محمد ابن أحمد بن عبد الرحمن ( ت 377هـ/987م ) .

- 190- التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع** ، تحقيق : د/ محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الأولى، 1413هـ/ 1992م .
- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة بن منظور الرويفعي الإفريقي ( ت 711هـ / 1311م ) .
- 191- لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ الطبع .
- ناصر خسرو أبو معين الدين القبادياني المروزي ( ت 481هـ/ 1088م ) .
- 192- سفر نامه " رحلة ناصر خسرو القبادياني "**، ترجمة و تقديم : د/أحمد خالد البدلي، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م .
- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي ( ت 1315هـ/ 1897 ) .
- 193- كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1373هـ/ 1954م .
- النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي ( ت 792هـ/ 1390م ) .
- 194- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيل " تاريخ قضاة الأندلس "**، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ/ 1983م .
- ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق ( ت 384هـ/ 1047م ) .
- 195- الفهرست**، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- النعمان بن محمد القاضي ( ت 363هـ/ 974م ) .
- 196- كتاب افتتاح الدعوة** ، تحقيق : فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس-الجزائر، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م .
- 197- كتاب المجالس والمسائرات**، تحقيق : الحبيب الفقي و إبراهيم شيوخ و محمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1996م .
- 198- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار** ، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجليلي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، دون تاريخ الطبع .

199- **تأويل الدعائم**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م .

200- **دعائم الإسلام و ذكر الحلال و الحرام و القضايا و الأحكام عن أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام**، تحقيق : آصف بن علي فيضي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م .

- النويري أحمد بن عبد الوهاب ( ت 732هـ / 1032م ) .

201- **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط** "من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب"، تحقيق : د/ مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1404هـ/1984م .

- أبو نواس الحسن بن هانئ ( ت 195هـ / 810م ) .

202- **ديوان أبي نّوّاس**، شرح و توضيح : محمود افندي واصف، المطبعة العمومية، مصر، 1315هـ/1898م .

- ابن هانئ الأندلسي أبو القاسم محمد ( ت 362هـ/972م ) .

203- **ديوان ابن هانئ**، دار بيروت، بيروت، 1400هـ/1900م .

- ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام ( ت 213هـ/828م أو 218هـ/832م ) .

204- **السيرة النبوية**، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1410هـ/1990م .

- الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ( ت 807هـ/1404م ) .

205- **مجمع الزوائد و منبع الفوائد**، دار الكتاب العلمي، بيروت ، دون تاريخ الطبع .

- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى ( ت 914هـ/1509م ) .

206- **المعيار المعب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب**، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية بالمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ/1981م .

- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي ( ت 626هـ/1228م ) .

- 207- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ / 1977م .
- 208- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب "معجم الأدباء"، تحقيق : د/إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1993م .
- أبو يعلى الفراء أبو الحسن محمد بن أبي يعلى الفراء ( ت 526هـ / 1131م ) .
- 209- طبقات الحنابلة، تحقيق : د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1419هـ / 1999م .
- 210- مجموع رسائل موحدية " من إنشاء كتاب الدولة الموحدية "، جمعها : ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1359هـ / 1941م .

# قائمة المراجع

## قائمة المراجع :

- أشباخ ( يوسف ) .

1- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، ترجمة و تعليق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1417هـ/1996م .

- الأشقر ( عمر سليمان ) .

2- عالم السحر و الشعـوذة، دار النفائى، الأردن، الطبعة الرابعة، 1422هـ/2002 .  
- الألباني ( محمد ناصر الدين ) .

3- سلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فقها و فوائدها، مكتب المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1416هـ /1996م .

4- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة و أثرها السيء على الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1421هـ /2000م .

5- ضعيف سنن أبي داود ، غـراس للنشر و التوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م .

6- صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م .  
- أمين ( أحمد ) .

7- ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1417هـ/1997م .  
- الألوسي ( محمود شكري البغدادي ) .

8- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح و ضبط : محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت ، دون تاريخ الطبع .

- الإيماني ( مهدي الفقيه ) .

9- الإمام المهدي عند أهل السنة ، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ/1981م .

- بالنيتا ( أنخل جنتال ) .

10- تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : حسين م وُنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، دون تاريخ الطبع .

- بدوي ( عبد الرحمن ) .

- 11- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993 .  
- بروكلمان ( ك ) .
- 12- تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب : نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، 1413هـ/1993 م .  
- بن عميرة ( محمد ) .
- 13- دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1404هـ/1984 م .  
- بن قربة ( صالح ) .
- 14- المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1406هـ/1986 م .  
- بن منصور ( عبد الوهاب ) .
- 15- قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968 م .  
- بوقشيش ( إبراهيم القادري ) .
- 16- الإسلام السّري في المغرب العربي ، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995 م .
- 17- حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي ، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006 م .  
- بوز ( فارس ) .
- 18- دراسة في فكر المهدي محمد بن تومرت ، دار حازم للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001 م .  
- البياض ( عبد الهادي ) .
- 19- الكوارث الطبيعية و أثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس (ق6-8هـ/12-14م)، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002 م .  
- البيطار ( محمد بهاء الدين ) .
- 20- النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمديّة الادريسية ، دار الجيل، بيروت، دون سنة الطبع .



- التويجري ( حمود بن عبد الله بن حمود ) .
- 21- إقامة البرهان على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان ، مكتبة المعارف، الرياض، 1405هـ / 1985م .
- ثامر ( عارف ) .
- 22- عبيد الله المهدي، دار الميسرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ / 1990م .
- الجابري ( محمد طاهر ) .
- 23- مرحلة التشيع في المغرب العربي و أثرها في الحياة الأدبية ، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م .
- جمعة ( جمال ) .
- 24- ديوان الزنادقة ، منشورات الجمل، كولونيا/ بغداد، الطبعة الأولى، 1427هـ / 2007م .
- الجهني ( مانع بن حماد ) .
- 25- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، 1420هـ / 1999م .
- حرثات ( إبراهيم ) .
- 26- المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثية، الدار البيضاء، 1420هـ / 2000م .
- حسن ( إبراهيم حسن ) .
- 27- تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، 1411هـ / 1991م .
- حسن ( إبراهيم حسن ) و شرف ( طه احمد ) .
- 28- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1366هـ / 1947م .
- حسن خان ( محمد صديق ) .
- 29- الروضة الندية شرح الدرر البهية، تقديم و تعليق و تخريج : محمد صبحي حسن حلاق، دار الأرقم، برمنغهام-بريطانيا، الطبعة الثانية، 1413 / 1993م .

- 30- الإذاعة لما كان و ما يكون بين يدي الساعة ، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م .
- حسن ( غلي الحسن ) .
- 31- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين و الموحدين ، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م .
- حسين ( محمد كامل ) .
- 32- طائفة الإسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1378هـ/ 1959م .
- الحمد ( محمد عبد الحميد ) .
- 33- الزندقة و الزنادقة تأريخ و فكر ، دار الطليعة الجديدة، دمشق، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1999م .
- الدراجي ( بوزياني ) .
- 34- العصبية القبلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2003م .
- 35- دول الخوارج و العلويين في بلاد المغرب و الأندلس ، دار الكتاب العربي، الجزائر، الطبعة الثانية، 1427هـ/ 2007م .
- الدشراوي ( فرحات ) .
- 36- الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 1994م .
- دفري ( فرهاد ) .
- 37- الإسماعليون في العصر الوسيط، ترجمة : سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة و النشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1999م .
- دندش ( عصمت عبد اللطيف ) .
- 38- الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل عصر الطوائف الثاني "510-546هـ/1116-1151م" تاريخ سياسي و حضاري ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م .
- الرسي ( ماجد بن سليمان ) .

- 39- **تلاعب الشيطان بعقول السحرة و الكهان**، دار نور للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م .
- الزركلي ( خير الدين ) .
- 40- **الأعلام**، دار العلم للميادين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 1422هـ/2002م .
- سالم ( سحر سيد عبد العزيز ) .
- 41- **من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامي** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1413هـ/1993م .
- السامعي ( إسماعيل ) .
- 42- **قضايا تاريخية في تاريخ المغ — رب الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1433هـ/2012م .
- سرور ( محمد جمال الدين ) .
- 43- **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، مدينة نصر(مصر)، دون تاريخ الطبع .
- السلمي ( جعفر بن الحاج ) .
- 44- **الأسطورة و المغرب الأقصى**، جمعية تطوان، تطوان، الطبعة الأولى، 1435هـ/2013م .
- السلومي ( سليمان عبد الله ) .
- 45- **أصول الإسماعلية**، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م .
- السملالي ( العباس بن إبراهيم ) .
- 46- **الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام**، راجعه : عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م .
- السيد ( أيمن فؤاد ) .
- 47- **الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد** ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م .
- سيمينوفا ( ل. ا ) .
- 48- **تاريخ مصر الفاطمية** ، ترجمة و تحقيق : حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، 1421هـ/2001م .
- الشامي ( يحيى ) .

- 49- علم الفلك صفحات من الثرات العلمي العربي و الإسلامي، دار الفكر العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م .
- الصدر ( محمد باقر ) .
- 50- بحث حول المهدي، دار التعارف، بيروت، 1412هـ/1992م .
- صديقي ( محمد الناصر ) .
- 51- فكرة المخلص بحث في الفكر المهدوي ، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ / 2012م .
- الطالبي ( محمد ) .
- 52- البربر البرغواطيون البدعة والم تلقف و النزعة الوطنية ، ترجمة عبد الجليل الأزدي، دار القرويين، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1435هـ / 2014م .
- طعيمة ( صابر ) .
- 53- الأصول العقدية للإمامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م .
- 54- الإباضية عقيدة و مذهبها، دار الجبل، بيروت، 1406هـ / 1986م .
- ظهير ( إحسان إلهي ) .
- 55- الإسماعيلية تاريخ و عقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور(باكستان)، دون تاريخ الطبع .
- العبيدي ( إبراهيم خلف ) .
- 56- البرغواطيون في المغرب ( 127هـ - 542هـ )، دار القرويين، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1435هـ/2014م .
- العجم ( رفيق ) .
- 57- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1999م .
- العجمي ( دغش بن شبيب ) .
- 58- ابن عربي عقيدته و موقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى الثالث عشر ، مكتبة أهل الأثر، الكويت، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م .
- العريفي ( سعد بن فلاح بن عبد العزيز ) .

- 59- الزنادقة عقائدهم و فرقهم و موقف أئمة المسلمين منهم ، دار التوحيد للنشر، الرياض  
الطبعة الأولى، 1434هـ / 2013م .
- عبد الحليم ( رجب محمد ) .
- 60- دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى ، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة ، دون  
تاريخ الطبع .
- عبد الرزاق ( محمود إسماعيل ) .
- 61- الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن 4هـ، دار الثقافة، الدار البيضاء ،  
الطبعة الثانية، 1406هـ / 1985 .
- عبد الحميد ( سعد زغلول ) .
- 62- تـاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1415هـ / 1995 .
- عبد اللطيف ( عبد العزيز محمد ) .
- 63- مقالات في المذاهب و الفرق ، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى،  
1413هـ / 1992م .
- عبد الله بن محمد بن البشير المقدم الجرجاني السعدي .
- 64- السيف المسلول فيمن أنكر على الجرجانيين صحبة الرسول ، مطبوعات المعهد الشعبي  
الإسلامي، الصويرة ( المغرب)، الطبعة الأولى، 1407 هـ / 1987 .
- عشاق ( مولود ) .
- 65- حركة المتنبئين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط ، دار النشر الأحمدية، الدار  
البيضاء، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1999م .
- عطوان ( حسين ) .
- 66- الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، دون سنة الطبع .
- عفيفي ( عبد الحكيم ) .
- 67- موسوعة ألف مدينة إسلامية ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى،  
1420هـ / 2000م .
- علال ( خالد كبير ) .

68- أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابة المقدمة ، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، الطبعة الثانية، 1432هـ/2011م .

- علان ( محمد عبد الله ) .

69- دولة الإسلام في الأندلس، " العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م .

70- دولة الإسلام في الأندلس " العصر الثالث - القسم الأول عصر المرابطين و بداية الدولة الموحدية"، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411هـ/1990م .  
الغامدي ( أحمد بن سعيد بن حمدان ) .

71- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985 .

- فروخ ( عمر ) .

72- تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/1984م .  
- فريد ( أحمد ) .

73- نظم الدرر في مصطلح أهل الأثر ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ/1994م .

- القاسمي ( جمال الدين ) .

74- تاريخ الجهمية و المعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م .  
- القاسمي ( هاشم العلوي ) .

75- مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن 4هـ/10م، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب)، 1415هـ/1995م .

- القفاري ( ناصر بن عبد الله بن علي ) .

76- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، 1415هـ/1994م .

- الكانوني ( محمد بن أحمد العبدوي ) .

77- آسفى و ما إليه قديما و حديثا، دون مكان و تاريخ الطبع .

- الكتاني ( الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس ) .

- 78- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق : عبد الله كامل الكتاني و حمزة بن محمد الكتاني و محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1424هـ / 2004 م .
- لقبال ( موسى ) .
- 79- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأته و تطورها، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1390هـ/1971م .
- 80- تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 1425هـ / 2005م .
- لويس ( برنارد ) .
- 81- أصول الإسماعيلية و الفاطمية و القرطبية ، راجعه و قدّم له : د/ خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م .
- الليثي ( سميرة مختار ) .
- 82- الزندقة و الشعوبية و انتصار الإسلام عليهما ، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1387هـ/1968م .
- مؤنس ( حسين ) .
- 83- فجر الأندلس، دار المنهل، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م .
- 84- تاريخ المغرب و حضارته ، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م .
- مجاني ( بوبة ) .
- 85- النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العهد الفاطمي، دار بهاء للنشر و التوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1430هـ / 2009م .
- محمود إسماعيل ( سلمى ) .
- 86- الصراع الإثني و المذهبي في المغرب الأقصى في ضوء نظرية ابن خلدون ، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1430هـ/2010م .
- مخلوف ( محمد بن محمد ) .
- 87- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ/1930م .
- مرمول ( محمد الصالح ) .

- 88- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1403هـ / 1983م
- مصطفى ( شاكر ) .
- 89- موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م .
- معمر ( علي يحي ) .
- 90- الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم و الحديث، وزارة التراث القومي و الثقافة، مسقط، الطبعة الرابعة، 1421هـ/ 2000 م .
- المقدم ( محمد بن أحمد إسماعيل ) .
- 91- المهدي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، الطبعة الحادي ة عشرة، 1429هـ/2008م .
- سوادي ( عبد محمد ) و صالح ( عمار الحاج ) .
- 92- تاريخ المغرب الإسلامي ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2004م .
- موسى ( عز الدين عمر ) .
- 93- الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون تاريخ الطبع .
- الموسوي ( حسين ) .
- 94- لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2007م .
- النجار ( عبد المجيد ) .
- 95- المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م .
- 96- تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الطبعة الثانية، 1415هـ/ 1995م .
- نعنعي ( عبد المجيد ) .



97- الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية، بيروت ، دون تاريخ الطبع .

#### قائمة المقالات .

- أزريكم ( عبد الرزاق ) .

1- الميز و الاعتراف في دولة الموحدين على عهد المهدي و عبد المؤمن، مجلة أمـل للتاريخ و الثقافة و المجتمع، منشورات أمل، السنة الثامنة، 1421هـ/2001م، العدد 22- 23 .  
- أرينال ( غارسيا ) .

2- المهدوية و تبيان المقال فيما بين التصوف والشرف في المغرب من اتصا ل المهدي المنقذ، ترجمة : د/ عبد العزيز بل الفايدة و د/ محمد لغرايب، ندوة السلطة و الفقهاء و المجتمع في تاريخ المغرب، جامعة ابن طفيل، كلية الآد اب و العلوم الانسانية، القنيطرة، 1434هـ/ 2013م .  
- الأصفر ( محمد ) .

3- الرستميون يعودون في رواية ، مجلة الدوحة، تصدر عن وزارة الثقافة و الفنون و التراث، قطر، العدد 90، جلدي الثانية 1436هـ/ أبريل 2015م .  
- أعراب ( عبد الهادي ) .

4- اللبوس الديني للممارسة السحرية بالمغرب سحر الفقيه نموذجاً ، هيسبريس تمودا، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، عدد44، الرباط، 1429هـ/ 2009م .  
- البحديوي ( عبد الكريم ) .

5- أضواء على بعض مظاهر شيوع الفكر الخرافي في الأندلس، بحوث " مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، عدد مزدوج 12-13 / 1425هـالموافق لـ 2005م .

- بن تاريت ( محمد ) .

6- مبادئ التشيع في الأدب الموحي ، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، السنة الثامنة، عدد4، شوال 1384/ فيفري 1965م .  
- بن زاوي ( طارق ) .

**7- موقف علماء المالكية من الدولة الفاطمية ١ لإسماعيلية الشيعية، دورية كان الالكترونية،**  
السنة الثامنة، ذو القعدة 1436هـ/سبتمبر 2015م.

- بوتشيش ( إبراهيم القادري ) .

**8- الفكر السحري و العرافة بالمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي ،** ملتقى الدراسات  
المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب و الأندلس الروافد و المعطيات، جامعة عبد الملك  
السعدي، كلية الأدب و العلوم الإنسانية، تطوان، 5 إلى 7 ذي القعدة 1413هـ/ 26 إلى 28 أبريل  
1993م .

**9- سؤال السحر عند ابن خلدون ،** ملتقى ابن خلدون ناظرا و منظورا إليه، 25-26 شوال  
1427هـ/ 16-17 نوفمبر 2006م، جمع النصوص و أشرف عليها : محمد حسن ، مركز  
الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس .

- بوعبدلي ( المهدي ) .

**10- العيد الألفي للحزب زعمر و المدينة و مليانة و حياة مؤسسها بلقين بن زيري،** محاضرات  
و تعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون  
الدينية، الجزائر، 1391هـ/ 1972م .

- التواتي ( عبد الكريم ) .

**11- مبادئ الموحدين السياسية و الدنيوية ،** مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون  
الإسلامية، الرباط، العدد 225، ذو الحجة 1402هـ-محرم 1403هـ/ أكتوبر-نوفمبر  
1982م .

- حركات ( إبراهيم ) .

**12- المجتمع الدكالي و الفكر الديني،** مجلة دعوة الحق " مجلة شهرية تعني بالدراسات الإسلامية  
و شؤون الثقافة والفكر، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 224، شوال - ذو  
القعدة 1402هـ/ أوت - سبتمبر 1982م .

- الخديمي ( علال ) .

**13- جهاد عبد الله بن ياسين و الحركة المرابطية ،** ندوة عبد الله بن ياسين ( 14 شعبان  
1418هـ/ 14 ديسمبر 1997م )، منشورات جمعية الربيع للثقافة و التنمية الخميسات، البوكليبي  
للطباعة و النشر و التوزيع، القنيطرة ( المغرب )، الطبعة الأولى، 1419هـ/1989م .

- خماس ( عمر عدنان ) .
- 14- أحكام السحر و علاجه في الإسلام ، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، بغداد، الإصدار 30، 1433هـ / 2012م .
- خيطان ( عبد الكريم ) .
- 15- المهدوية و العصمة و أثرهما على خلفاء الموحدين ، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد1، محرم-صفر1428هـ / آذار- مارس 2007 م .
- دندش ( عصمت عبد اللطيف ) .
- 16- كلمة حق في المرابطين من خلال المعجب ، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، عدد267، صفر 1408هـ / سبتمبر-أكتوبر 1987م .
- السامرائي ( عبد الحميد حسين أحمد ) .
- 17- مدرسة المربة الصوفية بين الواقع و الخيال " 503- 546 هـ / 1109م-1151م، مجلة سر من رأى، المجلد 4، العدد 10، السنة الرابعة، جمادى الأولى 1429هـ / أيار - مايو 2008م .
- شلبي ( عمر ) .
- 18- أساطير الفتح الاسلامي في الأندلس ، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 3، العدد 1، 1427هـ / 2007م .
- عبد الحميد ( محسن ) .
- 19- الإتجاه الباطني في تفسير القرآن الكريم، مجلة دعوة الحق ، تصدرها وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، السنة 24، عدد 232، صفر 1404هـ / نوفمبر 1983م .
- عبد ( عباس كريم ) .
- 20- الكاهنة الزناتية و دورها في المقاومة في بلاد المغرب العربي ، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية، قسم التاريخ، بابل، العدد 3، جمادى الآخرة-رجب 1431هـ / جوان 2010م .
- العمري ( أحمد جابر محمود ) و محمد ( يوسف محمد ) .

21- المهـدي المنتظر عنـد الشيعة الإمامية دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة ، مجلة الجامعة الإسلامية ( سلسلة الدراسات الإسلامية )، غزة، مجلد 19، عدد 2، رجب 1432هـ/يونيو 2011م .

- فييرو ( ماريا إيزابيل ) .

22- الزندقة و البدع في الأندلس ( الحضارة العربية في الأندلس، تحرير : د/ سلمى خضراء الجيوسي )، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م .  
- قارة ( حياة ) .

23- عبد الله بن الشمر شاعر أمير الأندلس عبد الرحمان بن الحكم و نديجه و منجمه، مجلة الذخائر، العدد 5، 1421هـ/ 2001م .  
- القاضي ( وداد ) .

24- الشيعة البجليّة في المغرب الأقصى، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العـربي و حضارته، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الإجتماعية، الجامعة التونسية ، تونس ، 1398هـ/1979م .  
- المكي ( محمود علي ) .

25- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مطبعة المعهد المصري، مدريد، ج2، 1373هـ/1954م .  
- المنصوري ( المبروك ) .

26- ظاهرة التنبؤ في بلاد المغرب الإسلامي إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي أسبابها و مظاهرها ، موارد مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سوسة، العدد الخامس، 1420هـ/2000م .  
- هيمة ( حميد ) .

27- الأنبياء في مغرب العصر الوسيط غمارة نموذحا، دوريه كان التاريخية الالكترونية، السنة السابعة، العدد6، صفر1436هـ/ ديسمبر 2014 .  
- هيرنانديس ( ميغيل كروز ) .

28- الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ( الحضارة العربية في الأندلس، تحرير : د/ سلمى خضراء الجيوسي )، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م .

- النشر ( علي سامي ) .

29- أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال و أثره في العالم الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مطبعة المعهد المصري، مدريد، العدد الأول، السنة الأولى، 1372 هـ / 1953 م .

#### المراجع الأجنبية :

- Basset.R :

1- **Recherches sur la religion des berbères**, Ernest leroux, Paris, 1910 .

- Bergé.M :

2- **Les Arabes « histoire et civilisation des Arabes et du monde Musulman des origines à la chute du royaume de Grenade»**, Edition Lidis, Paris .

- Darmesteter.J :

3- **Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'a nos jours**, Ernest leroux, Paris, 1885.

- Doutté.E :

4- **Magie et religion dans l afrique du nord**, Typographie adolphe jourdan, Alger, 1909 .

- Dozy.R :

5- **Essai sur l'histoire de l'Islamisme**, traduit du hollandais par : Victor Chovin, Maisonneuve, Paris, 1879.

- Geoffroy.E :

6- **le Soufisme( histoire , fondement , pratique)**, Editions Eyrolles, paris, 2015 .

- Golvin.L :

7- **Le Meghrib central à l époque des zirides**, Arts et métiers graphiques, Paris .

- Gustave.Le Bon :

8- **La Civilisation des arabes**, Firmin-Didot, Paris, 1884 .

- Laoust. H :

9- *Les schismes dans l'Islam* , Payot, Paris, 1965 .

- Roy.J.R :

**10- L Astronomie et son histoire**, Edition masson, paris, 1982 .

- Terrasse.H :

**11- Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français** ,Editions Atlantides, Casablanca, 1949 .

- Vonderheyden.M :

**12- La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû'l-Arlab 800-909** , Librairie orientaliste, Paris, 1927 .

الفہامی

## فهرس الآيات القرآنية

الآية

الصفحة

16	رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ
16	رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ
16	فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ
16	الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
24	إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ
32	إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
33	اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ
34	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
34	مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ
34	قُلْ يَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَهًا
35	وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ
35	"وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا
35	وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
38	يَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثَى
40	إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا
49	وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
49	وَ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ
72	لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
151	ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَوْا
156	لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
156	مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ
158	لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ



158 مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ  
200 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ  
200 عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ  
201 كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ  
201 لَوْلَا يَنْهَاهُم الرَّاكِبُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِم الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمِ السُّحْتَ  
211 فَانْتَظِرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ  
212 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا  
213 وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا  
220 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ  
263 تَسْتَعْدُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا  
288 وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ  
290 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ  
291 وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ  
305 بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ  
306 يُخَيَّلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى  
306 سَحَابًا مُمِيزًا  
308 وَكَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ  
308 وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ  
310 إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُوا  
310 وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ  
334 عَلَىٰ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ  
334 وَ إِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم  
335 فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ  
337 إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ  
337 انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا  
350 رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي  
360 حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ

373 وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ  
381 مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ

## فهرس (الاحاديث النبوية)

(الصفحة)	(الحديث)
7	لا تعذبوا بعذاب الله
35	لا نبي بعدي
36	تخلفني في الصريدان و النساء إلا أَنَّهُ لا نبي بعدي
36	فضلت على الأنبياء بسمت
36	إن لي أسماء أنا محمد
36	إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها
72	أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إِنَّه ليس بيني و بينه نبي
93	سنة الخلفاء الراشدين المهديين
95	اسمه اسمي و اسم أبيه اسم أبي
96	يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيهم الله الغيث
97	المهدي مَيَّ أجلى الجبهة أقفى الأنف
97	المهدي من عترتي من ولد فاطمة
97	لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم
97	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم
98	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق
156	إنَّ في أمتي محدثين و إنَّ عمر منهـم
167	لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان
198	إنَّ الشمس و القمر لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته
199	أصبح من عبادي مؤمن بي و كافر بي
200	من صدق كاهنًا أو منجما فقد كفو بما أنزل على قلب محمد
200	من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة
200	فلا تأتوا الكهـان

201 إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَ لَمْ يَغْيِرُوهُ أَوْشَكُ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ  
304 وَ إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسَحْرًا  
330 إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَ إِنَّ حَوَارِيَّ الزَّيْبِ بْنِ الْعَوَّامِ  
337 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَ إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ  
349 لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
350 فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ  
351 وَ اللَّهُ لَوْ دَعَا أَحَدُنَا سَلِيمًا  
354 إِنَّ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ  
364 لَا تَتَوَلَّ طَائِفَةٌ بِالْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ  
366 أَمَّا الْأُولَى فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمْنَ  
366 أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي  
366 هَـا بَيْنَ بَيْتِي وَ مَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ

- إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب 205 ، 206 ، 207 ، 208 ، 209 ، 278 ، 280 ، 281 .
- إبراهيم بن تاشفين 189 ، 190 .
- إبراهيم بن غازي 294 .
- إبراهيم الفازاري 75 ، 76 .
- إبراهيم بن محمد الإفيلي 272 .
- أبو إبراهيم الهزرجي 142 .
- الأبرشي 80 .
- أحمد بن إبراهيم بن مطرف المري 164 .
- أحمد البلوي النحاس 294 .
- أحمد بن حمدين 236 .
- أحمد بن حنبل 16 .
- أحمد بن سعيد اللورنكي 265 .
- أحمد بن طلحة الوزير الكاتب 301 .
- أحمد بن عبد الله المكفوف 281 .
- أحمد بن مرزوق 168 .
- أحمد بن مطرف 260 .
- أحمد بن معاوية بن هشام الأموي المعروف بالقط 171 .
- أحمد بن مغيث الصدي 265 .
- الأخطل النصراني 27 .
- إدريس الأول 88 ، 146 ، 166 .
- أرسطو 275 .
- إسحاق بن إبراهيم 260 ، 261 .
- أبو إسحاق بن زكريا الحفصي 169 .

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين 189 .  
إسحاق بن عمران المتطبب 280 .  
إسحاق بن ينتان بن عمر 230 ، 231 .  
إسماعيل بن جعفر الصادق 105 ، 106 ، 109 ، 115 ، 287 .  
إسماعيل بن عبد الله الرعيني 272 ، 273 .  
ابن الأسود القاضي 274 .  
الأشل 237 .  
إفريقش بن أبرهة 357 .  
الأقرع بن حابس 6 .  
ألفونسو الأول 185 ، 186 .  
إلياس بن صالح 83 ، 84 .  
أمية بن أبي الصلت 324 .  
أبو الأنصار بن أبي غفير 86 ، 90 .

- ب -

الباقلاني 110 .  
بختنصر 71 .  
ابن برجان 273 .  
ابن برذون 291 .  
بشار بن برد 25 .  
البشير الونشريسي 142 ، 154 ، 155 ، 156 ، 157 ، 158 ، 188 .  
بطليموس 220 ، 243 .  
بقي بن مخلد 269 ، 270 .  
أبو بكر الأنباري 32 .  
أبو بكر الخولاني المنجم 251 .  
أبو بكر الشاشي 129 .  
أبو بكر الصديق 24 ، 93 ، 103 ، 274 ، 284 ، 357 .  
أبو بكر الصنهاجي 136 .

أبو بكر الطرطوشي 129 .  
أبو بكر بن عمر 89 ، 90 ، 318 ، 319 ، 320 ، 361 .  
أبو بكر المظفر 266 .  
أبو بكر الميورقي 273 .  
بلكين بن زيري 87 ، 218 ، 222 ، 224 ، 225 .  
بيان بن سمعان 40 .  
بيان بن عثمان 140 .

- ت -

تاشفين بن علي 186 ، 189 ، 231 .  
ابن تاغيت 189 .  
تبانعت 62 ، 64 .  
تبيع 202 ، 203 .  
تميم بن المعز بن باديس 225 .  
تميم اليفري 87 .

- ج -

جبلة بن حمود 119 .  
الجعد بن درهم 9 .  
جعفر بن أبي طالب 211 .  
جعفر الحاجب 247 .  
جعفر الصادق 99 ، 106 ، 150 ، 151 ، 175 ، 236 .  
جعفر بن علي بن حمدون 88 ، 166 .  
جعفر بن محمد 151 ، 152 .  
جعفر المصدق 106 .  
ابن جهور الوزير 249 ، 250 .  
جهور بن يوسف بن بخت 388 .  
جوذر 286 .  
الجوهر 358 .

جواهر الصقلي 180 ، 182 ، 183 ، 184 .

- ح -

ابن حاتم الطليطلي 264 ، 265 ، 266 ، 267 .

الحاكم بأمر الله 175 .

حاميم 62 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 67 ، 68 ، 70 ، 74 ، 313 ، 317 .

حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع 79 ، 80 .

حبيب بن عبد الرحمان 73 ، 277 .

حسان بن النعمان 203 ، 204 ، 316 ، 317 ، 376 .

الحسن البغيض 107 .

الحسن بن علي 97 ، 103 ، 115 ، 125 ، 127 ، 144 ، 211 ، 300 ، 330 .

الحسن بن علي بن يحيى 226 .

الحسن العسكري 101 ، 102 .

الحسين بن أحمد 111 .

حسين الأعمى 296 .

الحسين بن علي 97 ، 99 ، 103 ، 104 ، 109 ، 144 ، 211 ، 300 ، 330 .

أبو حفص بن المولى أبي زكريا 169 .

حفصة أم المؤمنين 310 .

الحكم المستنصر 60 ، 86 ، 109 ، 146 ، 247 ، 159 ، 260 ، 261 ، 267 ،

388 ، 271 .

الحلواني الداعية 175 .

حماد الراوية 6 .

حماد بن الزيرقان 7 .

حماد بن سلمة 18 .

حماد عجرد 7 .

حمدان بن الأشعث قرمط 108 ، 119 ، 120 .

حمديس المنجم 205 .

أبو حنيفة 289 ، 310 .

حواء بنت وكيلىد 129 .

ابن حيان الحضرمي 202 .

- خ -

خالىد بن حبيب الفهري 80 ، 81 .

خالىد بن حميد الزناقي 80 .

خالىد بن سنان العبسي 71 ، 72 .

خالىد بن يزيد الأموي 12 .

خالىد بن يزيد 203 ، 204 .

خطاب الغلام 281 .

خلف منّ الله 62 ، 64 .

خليل بن إسحاق 295 .

خليل بن عبد الملك 270 .

ابن الخياط أبو بكر بن أحمد 250 .

أبو الخير الداعية 259 ، 260 ، 261 ، 263 ، 266 ، 267 .

خيرون بن خير 86 .

- د -

دجو 63 .

دانيال 70 .

- ر -

ابن رشد الحفيد 275 ، 276 .

ابن الرميمي 253 .

ابن الرنق 174 .

- ز -

زرادشت 4 .

زرارة بن عدس التميمي 6 .



- زمور البرغواطي 50 .
- زمور بن موسى 86 ، 91 .
- زهير بن قيس البلوي 202 ، 203 .
- زيادة الله الثالث بن أبي العباس بن إبراهيم 176 ، 282 .
- زيادة الله بن الأغلب 278 .
- أبو زياد بن الحسين الأذربلسي 277 .
- زبيجة 268 .
- أبو زيد بن الحشاء 264 ، 265 .
- زيري بن عطية 322 .
- زيري بن مناد 223 ، 224 .
- زينب بنت إسحاق الهواري ( زينب النفزاوية ) 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 361 .
- زينب أم أبي بكر 129 .

- س -

- سجاح بنت الحارث 20 .
- سطيح الكاهن 370 .
- سعدون الورجيني 180 .
- سعيد الجرشي 29 .
- أبو سعيد الجنابي 121 .
- أبو سفيان الداعية 175 .
- سعيد بن فتحون بن مكرم 271 .
- سعيد بن محمد بن صبيح الغساني 290 .
- سعيد بن هشام المصمودي 85 .
- السكاك ( الشكاس ) 257 ، 258 ، 259 .
- ابن السكيت 31 .
- سليمان بن الحسن الجنابي 117 ، 121 ، 122 ، 288 .
- سليمان بن الحضري 142 .
- سليمان بن الحكم 251 ، 392 .

سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب 145 ، 146 .  
سليمان بن عبد الملك 241 ، 384 ، 385 ، 387 ، 388 .  
سيبويه 31 .

- ش -

الشافعي 289 ، 340 .  
الشريف الرضي 104 ، 105 .  
شفيع الخادم 177 .  
أبو الشلعلع 108 .  
شمعون 43 ، 44 .  
شناول 70 .  
شهر بن حوشب 348 .

- ص -

صالح بن طريف 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 48 ، 49 ، 50 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ،  
57 ، 58 ، 60 ، 70 ، 73 ، 78 ، 81 ، 82 ، 83 ، 90 ، 166 ، 313 ، 317 .  
صنهاج بن المثنى 375 .

- ض -

الضي المنجم 243 .

- ط -

طارق بن زياد 239 ، 240 ، 357 ، 358 ، 376 ، 377 ، 378 ، 379 ، 380 ،  
381 ، 382 ، 383 ، 386 .  
ابن طباطبا العلوي 110 .  
طريف بن شمعون 81 ، 82 .  
ابن طفيل 275 .  
طليحة بن خويلد الأسدي 21 ، 39 .  
أبو الطواجين الكتامي 75 .

- ع -

- عائشة أم المؤمنين 261 ، 264 ، 308 ، 332 ، 333 .
- عاصم بن جميل 73 ، 277 .
- عاصم بن جميل اليزدجومي 74 .
- العاقد الفاطمي 168 .
- ابن عباس 7 .
- أبو العباس بن إبراهيم الأغلي 209 ، 281 .
- أبو العباس أحمد الكفيف 129 .
- أبو العباس الداعية 118 ، 120 ، 178 ، 179 ، 291 .
- أبو العباس السبتي 237 .
- العباس بن صالح 170 .
- عبد الأعلى بن وهب 269 .
- ابن عبد ربه الأندلسي 235 .
- عبد الرحمان بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدي 271 .
- عبد الرحمان الأوسط 243 ، 244 .
- عبد الرحمان الثعالبي 342 .
- عبد الرحمان بن حبيب 242 .
- عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل 388 .
- عبد الرحمان بن سلمة 265 .
- عبد الرحمان بن سوار 267 .
- عبد الرحمان بن معاوية 171 ، 241 ، 242 ، 377 ، 388 .
- عبد الرحمان الناصر 67 ، 68 ، 388 .
- عبد الرحيم بن عبد الرحمان بن الفرس 167 .
- عبد العزيز بن الإمام 228 .
- عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز 226 .
- عبد الكريم بن أبي العوجاء 18 .
- عبد العزيز بن موسى بن نصير 387 .
- عبد الله بن بلقين 252 ، 253 .

عبد الله بن الحبحاب 79 ، 80 ، 82 .  
عبد الله بن خيار الجياني 189 .  
عبد الله بن سبأ 22 ، 24 .  
عبد الله بن سليمان 369 .  
عبد الله بن الشمر 244 ، 245 ، 246 .  
أبو عبد الله الشيعي 104 ، 111 ، 112 ، 117 ، 120 ، 176 ، 177 ، 178 ، 179 ،  
183 ، 209 ، 211 ، 213 ، 214 ، 215 ، 288 ، 290 ، 291 ، 300 ، 353 .  
عبد الله بن محمد الأموي 171 ، 261 .  
عبد الله بن محمد المكفوف 68 .  
عبد الله بن المقفع 12 .  
عبد الله بن ملوية 143 .  
عبد الله بن ميمون القداح 104 ، 108 ، 109 ، 110 ، 115 .  
عبد الله بن نافع بن حصين 376 .  
عبد الله بن نافع بن عبد القيس 376 .  
عبد الله بن ياسين 89 ، 185 ، 318 ، 320 ، 358 ، 359 ، 360 ، 361 .  
عبيد الله المهدي 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ،  
113 ، 114 ، 115 ، 116 ، 117 ، 120 ، 121 ، 122 ، 123 ، 165 ، 166 ،  
177 ، 178 ، 178 ن 179 ، 180 ، 210 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ،  
216 ، 217 ، 2128 ، 219 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 292 ، 293 ، 294 ،  
295 ، 298 ، 353 ، 354 .  
عبيد الله بن يونس 312 .  
عبد المؤمن بن علي 137 ، 138 ، 142 ، 152 ، 165 ، 167 ، 173 ، 189 ، 190 ،  
191 ، 192 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 249 ، 282 ، 283 ، 362 ، 366 ،  
367 ، 368 ، 369 ، 370 ، 371 ، 372 .  
عبد الملك بن منصور 89 .  
عبدان 108 ، 119 ، 120 .  
ابن عتاب الفقيه 266 ، 267 ، 268 .

عثمان بن عفان 22 ، 24 ، 93 ، 274 ، 376 .  
 ابن العريف 172 ، 273 ، 274 .  
 ابن عزراء المنجم 249 .  
 العزيز بالله الفاطمي 109 .  
 العزيز بن المنصور 137 .  
 أبو عقال بن أبي الغرائق محمد بن أحمد بن الأغلب 205 .  
 ابن عقب 208 .  
 عقبة بن نافع 202 ، 345 ، 347 ، 348 ، 349 ، 376 .  
 عقيل بن أبي طالب 108 .  
 عكرمة 7 .  
 أبو العلاء المعري 27 .  
 أبو علي السراج 171 .  
 علي بن أبي طالب 7 ، 8 ، 11 ، 15 ، 22 ، 24 ، 28 ، 36 ، 40 ، 41 ، 93 ، 99 ،  
 103 ، 107 ، 110 ، 113 ، 118 ، 145 ، 213 ، 264 ، 274 ، 281 ،  
 285 ، 334 .  
 علي بن الحسين 112 .  
 علي بن حمود 247 .  
 علي بن عيسى 249 .  
 علي بن محمد صاحب الزنج 23 ، 147 .  
 علي بن يحيى بن تميم 135 ، 226 .  
 علي بن يوسف بن تاشفين 140 ، 186 ، 187 ، 188 ، 229 ، 230 ، 231 ، 274 ،  
 283 ، 321 ، 362 .  
 عمر بن الخطاب 24 ، 93 ، 103 ، 213 ، 261 ، 264 ، 274 ، 284 ، 333 ،  
 344 .  
 عمر بن عبد الله المرادي 79 ، 80 .  
 عمر بن علي الصنهاجي 142 .  
 عمر بن يحيى 142 ، 167 .

عينه بن حصن 39 .

- غ -

غازي بن قيس 235 .

الغزالي أبو حامد 130 ، 131 ، 132 ، 133 ، 152 ، 172 ، 233 ، 274 ، 289 ، 362 .

الغشي المقدم 253 .

أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف 85 ، 86 ، 88 .  
غيطشة 386 .

غيلان القدري 43 .

- ف -

فاطمة 103 ، 104 ، 107 ، 110 ، 212 ، 246 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 ، 338 .

فتح الحاجب 280 .

فضل بن فضل المذحجي 68 .

فيلق الكاهن 214 .

- ق -

القائم بأمر الله 111 ، 112 ، 114 ، 115 ، 180 ، 184 ، 218 ، 219 ، 220 ، 295 ، 298 .

القادر العباسي 105 .

قاسم بن محمد 260 .

ابن قسي 172 ، 173 ، 174 .

- ك -

كادو بن معارك المارطي 74 ، 166 .

كافور 181 .

الكاهنة 203 ، 204 ، 316 ، 317 ، 386 .

ابن كسية 318 .

كسيلة 202 .

كعب الأخبار 374 .

ابن كلس 181 .

— ل —

لدريق 377 ، 379 ، 380 ، 386 ، 387 ، 388 .

— م —

المازري 129 .

الماسي 90 ، 173 .

مالك بن أنس 235 ، 263 ، 268 ، 295 ، 310 .

مالك بن وهيب 140 ، 229 ، 230 ، 237 .

المأمون بن ذي النون 251 .

المأمون العباسي 13 .

المأمون الموحيدي 164 ، 191 .

ماني 4 ، 9

المبارك بن عبد الجبار 130 .

المتنى بن مسور 222 .

محمد بن الأجدع 151 .

محمد بن أحمد بن أبي بردة 270 .

محمد بن أحمد بن منظور 266 ، 267 .

محمد بن إسماعيل 113 ، 119 .

محمد البديل 292 .

محمد بن تومرت 124 ، 125 ، 126 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ، 133 ،

134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 139 ، 140 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ،

148 ، 149 ، 150 ، 152 ، 153 ، 155 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 161 ،

162 ، 163 ، 164 ، 165 ، 167 ، 185 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 ،

191 ، 229 ، 230 ، 233 ، 234 ، 238 ، 282 ، 283 ، 313 ، 362 ، 363 ،  
 364 ، 365 ، 366 ، 367 ، 368 ، 370 ، 371 ، 372 .  
 محمد الحبيب بن جعفر الصادق 106 .  
 محمد بن أبي جمعة 247 .  
 محمد بن الحسن العسكري 95 ، 99 ، 100 ، 103 .  
 محمد بن الحكم 269 .  
 محمد بن رمضان 207 ، 208 .  
 محمد بن سليمان 142 .  
 محمد بن أبي عامر المنصور 246 ، 247 ، 271 ، 322 ، 388 .  
 أبو محمد عبد العزيز 129 .  
 محمد بن عبد الله بن العاضد 168 .  
 محمد بن عبد الله بن هود 167 .  
 محمد بن عمر المروزي 118 .  
 محمد بن الفتح 59 ، 88 .  
 محمد بن قاسم بن مسعود القيسي 265 .  
 محمد المكتوم 106 .  
 محمد بن لبيد 265 ، 266 .  
 محمد بن مسرة 270 ، 272 .  
 محمد بن هود الجذامي 238 ، 253 ، 302 .  
 محمد بن يوسف 237 .  
 محي الدين بن عربي 273 .  
 مخلد بن كيداد أبو يزيد صاحب الحمار 166 ، 180 ، 184 ، 216 ، 217 ، 219 ،  
 223 ، 224 ، 295 ، 296 .  
 ابن مرانة 228 .  
 مروان بن محمد 9 .  
 أبو مروان اليحانسي 76 .  
 مزدك 4 ، 12 .



المستنصر الفاطمي 109 ، 285 .  
أبو مسلم الخراساني 28 .  
مسلمة بن أحمد الجريطي 326 .  
مسلمة بن عبد الملك 241 .  
مسلمة بن القاسم 270 .  
مسيلم الكذاب 20 ، 31 ، 38 ، 60 .  
مصعب بن عمير 344 .  
مطيع بن إياس 28 .  
المعتضد عباد بن محمد 251 ، 252 .  
المعتضد العباسي 105 ، 108 ، 209 .  
المعتمد محمد بن عباد 228 ، 229 ، 251 ، 267 .  
المعز لدين الله 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ،  
224 ، 225 ، 286 ، 287 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 353 ، 354 ، 355 ،  
356 .  
مناد بن منقوش 222 ، 223 .  
ابن المنذر 174 .  
منذر بن سعيد البلوطي 260 ، 270 .  
المنصور بن حوشب 213 .  
أبو منصور العجلي 40 .  
أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار 86 ، 87 ، 89 ، 90 .  
المنصور الفاطمي 113 ، 114 ، 115 ، 122 ، 166 ، 167 ، 180 ، 184 ، 217 ،  
220 ، 286 ، 296 ، 355 .  
المنصور الموحد 163 ، 164 ، 167 ، 237 ، 323 .  
منيب بن سليمان المكناسي 293 .  
المهدي العباسي 12 ، 19 ، 28 ، 29 .  
موسى بن تمارا 142 .  
موسى بن صالح 205 .

أبو موسى عيسى 129 .

موسى بن نصير 73 ، 78 ، 239 ، 240 ، 241 ، 350 ، 351 ، 357 ، 376 ،  
378 ، 379 ، 382 ، 383 ، 385 ، 386 ، 387 .

الموفق الينشي 302 .

ميسرة الحقيير 79 ، 80 ، 81 ، 82 .

ميمون الخادم 278 .

— ن —

الناصر الموحيدي 168 .

نمرود بن كنعان 201 .

أبو نواس 26 .

— ه —

هارون العجلي 150 .

ابن هانئ الأندلسي 296 ، 297 ، 298 .

ابن هذيل 291 .

هشام بن حكيم المقنع 28 ، 29 .

هشام بن عبد الرحمان 243 .

هشام بن عبد الملك 79 ، 80 ، 82 ، 83 .

هشام المؤيد 247 ، 248 ، 271 ، 322 .

— و —

وابوركن بن وكييد 129 .

ابن وابوركن 129 .

واضح 89 .

ابن ورصند البجلي 299 ، 300 .

ولكناس 70 .

الوليد بن عبد الملك 383 ، 385 ، 386 .

وهب بن منبه 348 ، 349 .

— ي —

يحيى بن إبراهيم الجدالي 358 .  
 يحيى بن تميم بن المعز 225 ، 226 .  
 يحيى بن علي 88 .  
 يحيى بن عمر 360 ، 361 .  
 يزيد بن عبد الملك 78 .  
 يزيد بن أبي مسلم 78 ، 79 .  
 اليسع بن مدرار 177 .  
 يعلى بن مصلين الرجاسي 338 .  
 يوسف بن تاشفين 132 ، 185 ، 228 ، 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 361 ، 362 ،  
 372 .  
 يوسف الدكالي 136 .  
 يوسف بن عبد المؤمن 275 ، 276 .  
 يوليان 378 ، 379 .  
 يونس بن إلياس 51 ، 84 ، 85 ، 88 ، 312 .

## فهرس الأماك و البدار

— أ —

أجدابية 182 .  
 الأخماس 138 .  
 أراغون 185 ، 186 .  
 الأريس 288 ، 295 .  
 الإسكندرية 129 ، 132 ، 135 ، 148 ، 290 ، 369 ، 385 .  
 أشبونة 75 .  
 إشبيلية 173 ، 238 ، 251 ، 271 ، 387 ، 391 .  
 الأطلس 185 .  
 أغمات 140 ، 319 ، 320 .

إفريقية 60 ، 66 ، 71 ، 78 ، 79 ، 80 ، 117 ، 118 ، 119 ، 122 ، 169 ،  
178 ، 183 ، 209 ، 210 ، 212 ، 214 ، 215 ، 216 ، 222 ، 224 ، 225 ،  
242 ، 277 ، 280 ، 288 ، 293 ، 294 ، 300 ، 337 ، 338 ، 348 ، 356 ،  
357 ، 376 .

إلبيرة 390 .

المرية 172 ، 253 ، 273 ، 274 .

المزمة 170 .

الأندلس 43 ، 44 ، 50 ، 60 ، 66 ، 67 ، 68 ، 70 ، 74 ، 86 ، 87 ، 89 ،  
90 ، 109 ، 129 ، 130 ، 131 ، 140 ، 144 ، 171 ، 172 ، 185 ، 186 ،  
187 ، 188 ، 189 ، 192 ، 228 ، 235 ، 236 ، 237 ، 239 ، 240 ، 241 ،  
242 ، 243 ، 244 ، 245 ، 246 ، 253 ، 254 ، 257 ، 259 ، 263 ، 264 ،  
265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 276 ، 301 ، 302 ، 326 ،  
327 ، 328 ، 330 ، 362 ، 373 ، 374 ، 375 ، 376 ، 377 ، 378 ، 379 ،  
380 ، 382 ، 383 ، 386 ، 387 ، 388 ، 389 ، 390 .

إيجليز 142 .

إيكجان 178 .

إيكرن و سنان 155 .

— ب —

بابل 309 ، 349 .

بادس 170 .

بجاية 136 ، 137 ، 138 ، 168 ، 169 ، 189 ، 233 ، 237 ، 366 ، 369 .

البحرين 121 ، 122 .

برقة 203 .

بسكرة 71 ، 341 .

البصرة ( العراق ) 23 ، 25 ، 108 .

البصرة ( بلاد المغرب ) 88 ، 89 .

بطليوس 265 ، 266 .

بغداد 105 ، 131 ، 132 ، 133 ، 215 .

بلاد المغرب 70 ، 71 ، 73 ، 78 ، 80 ، 89 ، 93 ، 109 ، 112 ، 120 ، 131 ،  
132 ، 144 ، 161 ، 165 ، 166 ، 167 ، 170 ، 175 ، 177 ، 178 ، 180 ،  
183 ، 184 ، 186 ، 192 ، 211 ، 213 ، 222 ، 239 ، 257 ، 276 ،  
277 ، 283 ، 284 ، 290 ، 298 ، 302 ، 304 ، 313 ، 316 ، 317 ، 319 ،  
322 ، 324 ، 327 ، 328 ، 330 ، 338 ، 344 ، 345 ، 347 ، 350 ، 361 ،  
376 ، 386 .

بلاد الزاب 237 .

بلزمة 207 .

بيت المقدس 132 .

— ت —

تاجرا 138 .

تارودانت 90 .

تامسنا 43 ، 44 ، 54 ، 57 ، 81 ، 82 ، 88 ، 167 ، 313 ، 317 .

تاملوكات 84 .

تاهرت 178 ، 293 .

تبوك 36 .

ترنوط 216 .

تطوان 62 .

تلمسان 74 ، 138 ، 139 ، 189 ، 239 ، 367 ، 369 .

تقودة 348 ، 349 .

تونس 136 ، 169 ، 170 ، 206 ، 209 ، 280 ، 281 ، 295 ، 350 .

تينملل 153 ، 154 ، 163 ، 189 ، 364 .

— ج —

جبل أوراس 73 ، 166 ، 203 ، 316 .

جبل درن 234 .

جبل غمراسن 42 .

جبال ورغة 168 .  
الجزيرة الخضراء 173 ، 243 ، 246 .  
جزيرة شقر 301 .  
جزيرة طريف 173 .  
جزيرة العرب 370 .  
جزيرة الفنار 216 .  
الجوف 171 .  
جيان 237 .

- ح -

حاحة 341 .  
الحجاز 107 ، 183 ، 332 .  
الحجر 349 .  
حلب 72 .  
الحيرة 6 .

- د -

درعة 167 .  
دشر قلل 139 .  
دمشق 79 ، 132 ، 215 ، 273 .

- ر -

رباط شاكرا 338 .  
رباط ماسة 71 ، 167 .  
رقادة 119 ، 120 ، 176 ، 177 ، 178 ، 182 ، 207 ، 291 ، 292 ، 294 .  
الرملة 215 .  
رومية 383 .

- ز -

الزاب 280 .  
الزاهرة 274 .

الزهرء 262 ، 323 .

— س —

سامراء 100 ، 103 .

سبئة 61 ، 75 ، 76 ، 190 ، 228 ، 247 ، 249 ، 302 ، 378 .

سبو 61 .

سببلة 376 .

سجلماسة 57 ، 59 ، 88 ، 112 ، 117 ، 167 ، 177 ، 178 ، 189 ، 353 .

سرقسطة 185 ، 266 ، 324 ، 389 .

سطيف 370 .

سلا 190 .

سلمية 108 ، 215 .

سمورة 172 .

السودان 79 ، 90 ، 224 .

السوس 70 ، 79 ، 125 ، 126 ، 128 ، 140 ، 145 ، 150 ، 167 ، 186 ،

299 ، 313 .

سوسة 281 ، 295 .

— ش —

شالة 84 ، 86 .

الشام 107 ، 132 ، 183 ، 184 ، 316 ، 353 ، 357 .

الشحر 222 .

شدونة 173 .

شلب 172 ، 173 ، 174 .

شنت برية 171 .

شنترين 266 .

— ص —

صقلية 79 ، 80 ، 209 ، 272 ، 295 .

صنعاء 214 .

— ط —

الطالقان 108 .

طرابلس 135 ، 169 .

طشانة 388 .

طليطلة 249 ، 251 ، 264 ، 265 ، 268 ، 381 ، 382 ، 383 ، 391 .

طنجة 47 ، 61 ، 67 ، 79 ، 80 ، 190 ، 357 ، 378 ، 386 .

طوس 132 ، 133 ، 134 .

— ع —

العراق 6 ، 48 ، 100 ، 103 ، 129 ، 131 ، 347 .

عين تامدنت 324 .

— غ —

غرناطة 76 ، 238 ، 252 ، 375 .

— ف —

فارس 363 ، 364 ، 365 .

فاس 61 ، 130 ، 139 ، 168 ، 170 ، 189 ، 190 ، 236 ، 322 ، 369 .

فج الأخيار 176 .

— ق —

قابس 73 .

قادس 248 ، 249 .

القاهرة 105 ، 183 ، 184 .

القدس 369 .

قرطبة 67 ، 86 ، 87 ، 129 ، 130 ، 171 ، 236 ، 238 ، 244 ، 245 ، 246 ،

247 ، 248 ، 249 ، 266 ، 274 ، 323 ، 377 ، 378 ، 388 ، 390 ، 392 ،

قرمونة 390 .

قسطالية 258 ، 259 .

القسطنطينية 246 ، 375 ، 376 .

قسطنطينة 136 ، 192 .



قصر الطوب 119 .

قصر مصمودة 67 .

قلعة سنان 169 .

قلعة فراس 383 .

قلمرية 174 .

قنطرة 257 ، 259 .

القيروان 73 ، 87 ، 104 ، 105 ، 117 ، 166 ، 167 ، 277 ، 280 ، 290 ،

291 ، 292 ، 295 ، 298 ، 318 ، 347 ، 376 .

— ك —

كساس 138 .

كلواذي 108 .

الكوفة 6 ، 108 .

كوكو 224 .

— ل —

لورقة 389 .

— م —

ماردة 171 .

مالقة 75 ، 76 ، 236 ، 238 .

متيجة 138 .

مبكسة 61 ، 62 .

مدائن 24 .

المدينة 105 ، 331 ، 332 ، 334 ، 344 .

مراكش 75 ، 132 ، 139 ، 140 ، 157 ، 162 ، 168 ، 186 ، 189 ، 237 ،

251 ، 274 ، 282 ، 283 ، 320 ، 321 ، 371 ، 372 .

مرماجنة 169 .

مرتلة 173 .

مرسية 238 ، 253 .

مرمور 138 .

مرو 28 .

المسيلة 166 ، 168 .

مصر 12 ، 106 ، 107 ، 108 ، 109 ، 129 ، 131 ، 132 ، 163 ، 168 ،

176 ، 180 ، 181 ، 182 ، 183 ، 184 ، 202 ، 218 ، 222 ، 224 ، 290 ،

294 ، 295 ، 309 ، 348 ، 357 ، 385 .

مكة 31 ، 105 ، 121 ، 122 ، 331 ، 334 ، 338 ، 340 ، 344 ، 345 ،

371 .

مكناسة 171 .

ملالة 137 ، 138 .

مليانة 138 .

المنستير 338 .

المنصورية 220 ، 225 ، 286 .

المهدية 66 ، 74 ، 129 ، 135 ، 136 ، 148 ، 209 ، 216 ، 217 ، 218 ،

224 ، 292 ، 294 ، 370 .

— ن —

نفطة 207 .

نفوسة 281 .

نومكران 128 .

نيسابور 132 ، 133 ، 134 .

نينوى 347 .

— و —

وادي برباط 43 .

وادي الحجارة 171 ، 382 .

وادي سلا 369 .

وادي نكور 61 .

وانشريس 138 .

وجدة 139 .

وليلي 146 .

وهران 189 .

- ي -

اليمامة 20 ، 38 .

اليمن 112 ، 202 ، 213 ، 214 ، 357 ، 358 ، 370 .

اليونان 12 ، 13 ، 46 .

### فهرس الشعوب والقبايل

- أ -

أزقار 232 .

- ب -

البربر 39 ، 44 ، 45 ، 48 ، 60 ، 63 ، 78 ، 79 ن 80 ، 85 ، 88 ، 108 ، 145 ،

146 ، 172 ، 180 ، 203 ، 205 ، 229 ، 230 ، 234 ، 239 ، 248 ، 251 ،

275 ، 277 ، 313 ، 316 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 ، 334 ، 336 ، 337 ،

341 ، 348 ، 358 ، 376 ، 377 ، 379 ، 380 ، 385 ، 390 .

برغواطة 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 47 ، 48 ، 50 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ، 57 ،

58 ، 59 ، 60 ، 62 ، 68 ، 78 ، 81 ، 82 ، 83 ، 84 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ،

89 ، 90 ، 91 ، 185 ، 328 ، 361 .

بلي 202 .

بنو أسد 39 .

بنو جميل 170 .

بنو الحارث بن كعب 6 .

بنو حنيفة 20 .

بنو سعيد 318 .

بنو شدا 318 .  
بنو فزارة 39 .  
بنو قطيطن 318 .  
بنو كنانة 6 .  
بنو كنونة 367 .  
بنو مدرار 57 .  
بنو هاشم 39 .  
بنو ورياكل 137 .  
بنو يفرن 89 ، 205 .  
بنو يروتن 318 .

- ت -

تميم 6 .

- ث -

ثمود 349 .

- ج -

جدالة 357 ، 358 ، 361 .

جراوة 316 .

جزولة 167 .

- ح -

حمير 6 ، 222 ، 357 ، 358 .

- د -

دكالة 167 .

- ر -

ربيعة 6 ، 38 .

رجراجة 338 ، 340 ، 341 ، 345 ، 346 .

ركراكة 167 .

الروم 12 ، 60 ، 78 ، 119 ، 174 ، 183 ، 203 ، 209 ، 239 ، 295 ، 363 ،  
364 ، 365 ، 370 ، 374 ، 376 ، 385 ، 386 .

- ز -

زنادة 43 ، 44 ، 88 ، 205 ، 223 ، 224 .  
زواة 42 .

- س -

الساسانيون 6 .  
السريانيون 309 .

- ص -

الصقالبة 206 ، 280 .  
صنهاجة 39 ، 137 ، 170 ، 223 ، 224 ، 357 .

- ع -

العرب 11 ، 22 ، 31 ، 38 ، 43 ، 45 ، 55 ، 60 ، 61 ، 80 ، 81 ، 171 ، 196 ،  
201 ، 202 ، 203 ، 204 ، 240 ، 277 ، 324 ، 330 ، 338 ، 342 ، 357 ،  
375 ، 377 ، 379 ، 380 .

- غ -

الغز الأتراك 163 .  
غسان 6 ، 202 .  
غمارة 61 ، 62 ، 63 ، 75 ، 168 ، 185 ، 313 ، 317 .

- ف -

الفراعنة 312 .  
الفرس 4 ، 11 ، 12 ، 15 ، 60 .

- ق -

قريش 6 ، 38 ، 60 ، 149 ، 264 ، 277 ، 344 ، 366 .  
القشتاليون 374 .  
قضاة 6 .

القوط 377 ، 378 .

– ك –

كتامة 74 ، 120 ، 166 ، 175 ، 176 ، 177 ، 178 ، 182 ، 183 ، 207 ،  
214 ، 292 ، 299 ، 357 .

الكلدانيون 309 .

كندة 6 .

كنفيسة 126 .

كومية 191 ، 367 .

– ل –

لمتونة 162 ، 186 ، 189 ، 228 ، 358 ، 361 ، 367 .

– م –

المجوس 4 ، 110 ، 298 .

مسوفة 186 ، 361 .

المصامدة 44 ، 61 ، 125 ، 126 ، 140 ، 142 ، 145 ، 156 ، 162 ، 163 ،  
165 ، 186 ، 189 ، 229 ، 319 ، 339 ، 341 ، 343 ، 372 .

مصمودة 57 ، 67 ، 126 ، 147 ، 234 .

مضر 38 .

المقدونيون 183 .

– ن –

النبط 309 .

النصارى 13 ، 186 ، 188 ، 370 ، 374 ، 384 ، 389 .

نفزاوة 323 .

– ه –

هرغة 125 ، 126 ، 127 ، 140 ، 147 .

هزميرة 154 .

هنتانة 155 .

هواره 167 ، 169 .

- و -

ورفجومة 73 ، 277 .

- ي -

اليهود 109 ، 110 ، 236 .

## فهرس المنزلهب والفرق واللاويان

- أ -

الإباضية 257 ، 258 ، 277 .

الأحناف 310 .

إخوان الصفا 172 .

الإسماعيلية 107 ، 108 ، 110 ، 111 ، 112 ، 114 ، 115 ، 165 ، 175 ، 180 ،

183 ، 208 ، 215 ، 219 ، 221 ، 246 ، 261 ، 284 ، 285 ، 286 ، 287 ،

288 ، 290 ، 291 ، 296 ، 298 ، 299 ، 300 ، 354 ، 356 .

أهل الأشعرية 139 .

السنة 62 ، 95 ، 103 ، 111 ، 117 ، 119 ، 123 ، 148 ، 149 ، 160 ، 180 ،

290 ، 291 ، 296 ، 299 ، 306 .

- ب -

الباطنية 110 ، 111 ، 160 ، 172 ، 176 ، 211 ، 215 ، 283 ، 284 ، 288 ،

289 ، 302 ، 354 .

البجلية 185 ، 299 ، 300 .

البيانة 40 .

- ث -

الثنوية 3 ، 6 .

- ج -

الجهمية 16 .

- ح -

الحسينية 277 .

الحشاشون 160 .

- خ -

الخطابية 151 ، 152 .

الخارج 23 ، 48 ، 57 ، 62 ، 78 ، 81 ، 277 .

- د -

الدروز 112 ، 175 .

الدهرية 152 .

- ر -

الرافضة 101 ، 185 .

- ز -

الزراشتية 11 .

الزيدية 150 .

- س -

السبئية 8 ، 22 .

السكاكية 257 .

- ش -

الشيعة 11 ، 15 ، 40 ، 41 ، 42 ، 55 ، 62 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ،

144 ، 148 ، 151 ، 152 ، 168 ، 180 ، 185 ، 206 ، 208 ، 210 ، 214 ،

221 ، 223 ، 226 ، 236 ، 259 ، 263 ، 283 ، 284 ، 322 .

- ص -

الصابئة 201 .

الصفيرية 46 ، 48 ، 53 ، 55 ، 57 ، 59 ، 80 ، 81 ، 277 .

- ظ -

الظاهرية 271 ، 284 .



- ع -

العمدية 277 .

- غ -

الغربية 40 .

- ق -

القدرية 270 .

القرامطة 110 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 211 ، 288 ، 289 ، 291 .

- م -

المالكية 144 ، 180 ، 185 ، 199 ، 310 .

المانوية 4 ، 6 ، 8 ، 9 ، 11 ، 15 .

المجوسية 6 .

المزدكية 4 ، 11 ، 152 .

المنصورية 40 .

- ن -

النزارية 115 .

النصرانية 6 ، 39 ، 60 ، 105 ، 375 .

- ي -

اليهودية 6 ، 39 ، 46 ، 48 ، 53 ، 60 ، 94 ، 105 ، 316 ، 317 .

## فهرس الموضوعات

أ	مقدمة .....
1	الباب الأول : مظاهر الزندقة السياسية في المغرب و الأندلس و آثارها (من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م - 13م ) .....
2	الفصل الأول : نشأة الزندقة في التاريخ الإسلامي .....
3	1- تعريف الزندقة .....
3	أ- تعريف الزندقة لغة .....
6	ب- الزندقة في المصادر الإسلامية .....
10	2 - أسباب ظهور الزندقة .....
11	أ- الأسباب السياسية .....
12	ب- حركة الترجمة .....
14	ج- العبث الفكري .....
15	د- الأسباب الدينية .....
16	3- أساليب و أهداف الزنادقة .....
16	أ- الطعن في القرآن الكريم .....
18	ب- الوضع في السنة النبوية .....
20	ج- ادعاء النبوة .....
22	د- الدعوة إلى نصره آل البيت .....
23	هـ- إدعاء المهديوية .....
24	و- الدعوة إلى الإصلاح .....
25	ز- الدعوة إلى الإباحتية و الفجور .....
7	الفصل الثاني : إدعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م .....
31	1- تعريف النبوة و أساليب إدعائها .....
31	أ- تعريف النبوة .....
31	أ1- تعريف النبوة لغة .....

أ2- تعريف النبوة اصطلاحاً	33
ب- عقيدة ختم النبوة	34
ج- أسباب إدعاء النبوة	38
ج1- العصبية القبلية	38
ج2- طبيعة السكان	39
ج3- الانحراف الفكري	40
ج4- انتشار الجهل	41
2- إدعاء النبوة في برغواطية	43
أ- أصل برغواطية	43
ب- ديانة برغواطية	46
ج- الديانة البرغواطية بين الحقيقة و الإدعاء	53
3- إدعاء النبوة في غمارة	61
أ- التعريف بغمارة و مواطنها	61
ب- نبوة حاميم	62
ج- ديانة حاميم	64
د- نهاية حاميم	67
4- أدعاء النبوة المغمورون في بلاد المغرب و الأندلس	70
أ- أنبياء المغرب المزعومون قبل الإسلام	71
ب- أدعاء النبوة المغمورون بعد الإسلام في المغرب و الأندلس	73
5- الآثار السياسية لادعاء النبوة في بلاد المغرب و الأندلس (من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م- 13م )	78
أ - قيام دولة برغواطية	78
ب- أمراء برغواطية	82
ج- الصراعات السياسية في بلاد المغرب بعد قيام دولة برغواطية	88

الفصل الثالث : إدّعاء المهدوية في بلاد المغرب و الأندلس و آثارها السياسية ( من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م )	93
1- عقيدة المهدي عند أهل السنة و الشيعة	93
أ- تعريف المهدي لغة	93
ب- عقيدة المهدي عند أهل السنة	95
ج- المهدي عند الشيعة	99
د- مقارنة بين عقيدة المهدي عند أهل السنة و عقيدة المهدي عند الشيعة	103
2- عبيد الله المهدي و إدّعاءه المهدوية	104
أ- نسبه	104
ب- إدّعاء عبيد الله المهدوية	111
ب 1 - مناقشة نسب عبيد الله المهدي	111
ب 2 - أعمال عبيد الله القدّاحي	117
3- محمد بن تومرت	124
أ- نسبه و نشأته	124
ب- بداية دعوة ابن تومرت	135
ج- إدّعاء ابن تومرت المهدوية	142
د- حقيقة ادّعاء ابن تومرت المهدوية	144
د 1 - حقيقة نسب ابن تومرت	144
د 2 - إدّعاء ابن تومرت العصمة	148
د 3 - أعمال ابن تومرت	150
4- مهديو المغرب و الأندلس المغمورون	166
أ- مهديو المغرب المغمورون	166
ب- مهديو الأندلس المغمورون	171
5- الآثار السياسية لادّعاء المهدوية في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 2هـ إلى 7هـ / 8م إلى 13م )	175
أ- الدولة الفاطمية	175
أ 1- قيام الدولة الفاطمية	175

أ 2 - رحيل الفاطميين إلى مصر .....	180
ب- الدولة الموحدية .....	185
الفصل الرابع : التنجيم و الكهانة في المغرب و الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عهد الدولة	
الموحدية ( من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م إلى 13م ) .....	194
1- تعريف التنجيم و الكهانة و العرافة و حكمها .....	194
أ- علم التنجيم .....	194
ب- الكهانة .....	196
ج- العرافة .....	197
د- حكم التنجيم و الكهانة و العرافة .....	198
2- التنجيم في مرحلة الفتوحات الإسلامية ( القرن 1هـ / 7م ) .....	202
3- التنجيم و الكهانة في عهد الأغالبة ( القرن 3هـ / 9م ) .....	205
4- التنجيم و الكهانة في عهد الدولة الفاطمية ( القرن 4هـ / 10م ) .....	211
5- التسؤلات و التنجيم عند الزيحيين (5هـ-6هـ / 11م-12م ) .....	222
6- التنجيم في عصر المرابطيين (5هـ-6هـ / 11م - 12م ) .....	228
7- الكهانة و التنجيم عند الموحدين (6هـ-7هـ / 12م-13م ) .....	233
8- التنجيم و الكهانة في الأندلس ( من القرن 1هـ إلى القرن 7هـ / 7م - 13م ) .....	239
الباب الثاني : مظاهر الزندقة الدينية و الإجتماعية في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 1هـ إلى	
7هـ / 7م-13م ) .....	256
الفصل الأول : الرمي بالزندقة و استحلال المحرمات في بلاد المغرب و الأندلس ( من القرن 2هـ إلى	
7هـ / 8م-13م ) .....	257
1- الرمي بالزندقة في بلاد المغرب و الأندلس .....	257
2- استحلال المحرمات في المغرب و الأندلس .....	277
الفصل الثاني : السحر في بلاد المغرب و الأندلس (من القرن 1هـ إلى 7هـ / 7م-13م ) ...	304
1- تعريف السحر و حكمه .....	304
أ- تعريف السحر لغة و اصطلاحاً .....	304
أ1- تعريف السحر لغة .....	304
أ2- تعريف السحر اصطلاحاً .....	306

310	ب- حكم السحر .....
312	2- أسباب انتشار السحر .....
316	3- نماذج من الممارسات السحرية في بلاد المغرب و الأندلس .....
	الفصل الثالث: الأفكار الخرافية و الأساطير في بلاد المغرب و الأندلس (من القرن 1هـ إلى 7هـ /
330	7م-13م ) .....
330	1- الفكر الخرافي والأساطير في بلاد المغرب .....
330	أ - أساطير و خرافات في فضائل البربر .....
347	ب- أساطير و خرافات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ( القرن 1هـ / 7م ) .....
	ج- أساطير و خرافات ملوك و سلاطين بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي ( من القرن 2هـ إلى
353	القرن 7هـ / 8م-13م ) .....
373	2- الفكر الخرافي و الأساطير في الأندلس .....
373	أ - أساطير و خرافات في فضائل الأندلس .....
376	ب - الخرافات في الأندلس .....
394	خاتمة .....
400	الملاحق .....
404	قائمة المصادر .....
428	قائمة المراجع .....
446	فهرس الآيات .....
448	فهرس الأحاديث .....
450	فهرس الأعلام .....
465	فهرس الأماكن و البلدان .....
473	فهرس الشعوب و القبائل .....
477	فهرس المذاهب و الفرق و الأديان .....
480	فهرس الموضوعات .....



